المجلد الحادى عشر العدد الثانى ٢٠٠٨

علوم اللغة

٤٢

فى هذا العدد :

علوم اللغة

دراسات علمية مُحكّمة تصدُر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

المجلد الحادى عشر | العدد الثانى | ٢٠٠٨

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج١١ ، ع٢ ٢٠٠٨

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــــديـــــــم

يضم هذا العدد من سلسلة علوم اللغة الذى يصدر بإشراف الأستاذ الدكتور/ سعيد حسن بحيرى ، أستاذ علوم اللغة ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب مجموعة من البحوث فى مجالات لغوية مختلفة ، تجمع بين الدرس التراثى التقليدى الأصيل والدرس اللغوى الحديث المتجدد ، ويدور البحث الأول حول قصيدة كعب بن سعد الغنوى ، دراسة وسائل سبك وحبك النص ، والثانى حول الدلالة التركيبية بين النظرية والتطبيق ، سورة يوسف نموذجا ، والثالث حول تنبيهات البطليوسى على غير الجائز صرفيا ونحويا من خلال كتابه شرح أبيات الجمل ، والرابع حول التعدية فى اللغة السريانية ، والأخير حول مفهوم الألوان ودلالتها .

وبعد . . . فإننا كما نرى ننشد دائما التنوع والتجديد والإضافة . ولذا نحاول ضم دراسة فى الشعر أوالفلسفة أو علم الجمال أو النقد ، ولكن لها صلة واضحة بالدراسات اللغوية ، إيمانا منا بأن البحث اللغوى ليس منغلقاً على نفسه ، بل يتسع لتخصصات أخرى تتداخل معه تداخلاً قويًا . وآمل أن يجد هذا النهج تفهماً من القارئ الكريم . وكما أشرنا مراراً إن الهدف من المجلة مؤازرة بحوث الباحثين الشباب المغرقة فى التخصص ، ولكن نصر على ضرورة الالتزام بعدد صفحات البحث المقبول للنشر، وهو ألا يزيد على (٧٠) صفحة ، حيث إن للمجلة طاقة نشر محدودة ، ونسعى إلى معاونة كل من نملك معاونته ، ولكن نرجو الالتزام حتى يمكن تحقيق ذلك .

وتسعد أسرة تحرير المجلة أيما سعادة أن تهدى هذا العدد أيضا إلى أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور / محمد عونى عبد الرءوف أطال الله فى عمره، ومتعه بكل صحة وعافية .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل . . . .

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

قصيدة كعب بن سعد الغنوي

دراسة وسائل سبك وحبك النص

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

كلية دار العلوم ــ جامعة المنيا

١ / . : مقدمات أساسية :

١ / ١ : الشاعر :

هو كعب بن سعد بن عمر بن عقبة (أو علقمة) بن عوف بـن رفاعـة الغنوي، أحد بني سالم ابن عبيد بن سعد بن كعب بن جلان بن غنم بن غنـي بـن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، هكذا ساق نسبه الشيخان المحققان شاكر وهارون في الحاشية الأولى من ص٧٣، وقد ساقا هذا النسب نقلاً عن المرزباني . وقد ذكـرا اختلافات كثيرة، لكنها يسيرة فيما أزعم . وما بنا أن نتتبع صاحبَ القصيدة وما يدور في فلكه، وليس هذا نهجنا؛ لأن توجهنا تلقاء القصيدة، فإنهـا كاشـفة عـن مكنـون الشاعر، ومن هنا، فلن نعتمد إلا على معيارين فقط، من معايير النصية التي اشترطها أولوا الأهليّة من أهل هذا الاختصاص[1]، وهما المعياران المختصان بالنص = أقصـد

[1] ثمة عددٌ من الباحثين الغربيين الذين اعتمدوا عدداً من المعايير، وهي سبعة معايير، مثل بوجرانـد / درسلر وڤاتر وكلماير ويرينكر وغيرهم ناس كثير من الباحثين الغربيين . وقد نقلهـا البـاحثون العرب عن بوجراند / درسلر، حتى صار هذا الأمر كأنه من المسلمات، بيد أنهم أغفلوا أن التـأريخ لبداية هذا الفرع المعرفي، يُظْهِرُ أن الرائد الفعلي لهذه النظرية في تحليل الخطاب، هو إيزنبيـرج، وهو من المساهمين في تطوير قواعد هذا العلم في فترة ازدهاره، وبناء على مقارنـة النظـريتين، نلاحظ أن المعايير تكاد تكون واحدة، وإن حاول كلٌّ من بوجراند / درسلر، أن يعيدوا صياغة هـذه المعايير بطريقة أخرى، الأمر الذي حدا بأحد الباحثين العرب أن ينسب هذه النظرية إليهما، ينظـر لكاتب هذا البحث : العناصر الأساسية المكونة لنظرية النص، ص٥١ وما بعدها .

الظواهر اللغوية الماثلة على سطح القرطاس، وما يتعلق بها من مظاهر تتحبك بها مفاهيم النص، تبعاً لانحباك بنيته الظاهرة .

وحين رجعت إلى كتب الشعر، وجدتها تضع الشاعر مع أصحاب المرثيات، لما اشتهر به في هذا الباب . ولم يضعه أحدٌ في هذا الباب الذي كتب فيه هذه القصيدة، ومن ثم، فالقصيدة ـ على ما يبدو ـ تمثّل حدثاً خاصاً بالشاعر، ومن ثم، لم يدرجه المحققون والرواة في هذا الباب من الشكوى والألم .

١ / ٢ : نص القصيدة * :

(١)

١ـ لقَد أنصَبَتني أم قيس تلومني — ومَا لومُ مثلي باطلاً بِجَميلِ

(٢)

٢ـ تقول : ألا يا استبق نفسك، لا تكن — تُساق لغبراء المقام دَحولِ

٣ـ كمُلْقَى عِظامٍ أو كمَهْلِك سالمٍ — ولستَ لمَيْت هالك بوَصيلِ

٤ـ أراكَ امرأً تَرْمِي بنفسكَ عامداً — مَرَامِيَ تَغتالُ الرجالَ بِغُولِ

٥ـ ومَن لا يَزَلْ يُرْجَى بِغَيْبِ إيابُه — يَجُوبُ ويَغْشَى هَوْلَ كلِّ سبيلِ

٦ـ على قَلَتٍ، يُوشِكْ رَدَى أنْ يُصيبَه — إلى غيرِ أدْنَى موضعٍ لِمَقِيلِ

(٣)

٧ـ ألَمْ تَعلَمي أنْ لا يُرَاخِي — قُعُودِي، ولا يُدْنِي الوفاةَ رحيلي

٨ ـ معَ القَدَر الموقوفِ حتَّى يُصيبَني — حِمَامي، لَو أنَّ النَّفسَ غيرُ عَجُولِ

٩ـ فإنكِ والموتَ الذي تَرْهَبِينَه — عليَّ، وما عَذَّالَةٌ بِغَفُولِ

١٠ـ كَدَعِي هَدِيلٍ، لا يُجابُ إذا دَعَا — وَلا هو يَسْلُو عن دُعَاءِ هَدِيلِ

---

* لم أشأ أن أسوق معاني بعض الألفاظ الواردة في القصيدة التي قد يجد القارئ الكريم فيها وعورة وعسرة، بيد أنّي عدلتُ عن ذلك إلى أنه يمكن الرجوع إلى نص الأصمعيات الذي اعتمدنا عليه في هذه النسخة، ففيه عدد من الكلمات التي لا بأس بها، وهي كافية نافعة، إن شاء الله، وقد فعلت ذلك لأمرين، الأول : أن في إدراج هذه الكلمات يطوّل مساحة البحث . الثاني : أن كثيراً من كلمات نص القصيدة سهلة ميسورة، يمكن معرفتها بإدامة النظر قليلاً .

١١ـ وذِي نَدَب دَامــي الأظَلِّ قَسمتُــه   مُحافَــظَــةً بَيــني وبَــين زَميــلي
١٢ـ وزاد رفعتُ الكفَّ عنه عَــفَافَــةً   لأوثــر في زَادي عــليَّ أكيــلــي
١٣ـ وشخصٍ دَرَأتُ الشَّمسَ عنه براحتِي   لأنظــرَ قبلَ الليلِ أيــنَ نُــزُولِي
١٤ـ ومُنْشَقٍ أعطافِ القَميصِ دَعَوْتُــه   وقد ســدَّ جوزُ اللّــيلِ كــلَّ سَبيلِ
١٥ ـ فقلتُ له : قد طالَ نومُكَ فارتَحِلْ   وما ذاقَ طَــعْمَ النَّوْمِ غَــيرَ قَلــيلِ

(٤)

١٦ـ سُحَيْراً، وأعجازُ النُّجُومِ كأنَّهــا   صــوُارٌ تَدَلَّى من سَــوَاءِ أَميــلِ
١٧ـ وقد شَالتِ الجَوْزَاءُ حتَّى كأنَّهــا   فَسَاطِيطُ رَكْــبٍ بالفَــلاةِ نُــزُولِ
١٨ـ ومَن لا يَنَلْ حتَّى يَسُدَّ خِــلالَــهُ   يَجِــدْ شهوَاتِ النَّفسِ غــيرَ قَــليلِ
١٩ـ وعَوراءَ قد قِيلَت فلَمْ أستَمِعْ لهــا   وما الكَلِمَةُ العورَاءُ لــي بقَــبُــولِ
٢٠ ـ وما أنا للشَّيءِ الذي ليس نافعــي   ويَغضَبُ مــنــه صاحبي بقَــؤُولِ
٢١ـ وأعرِضُ عن مولايَ لو شئتَ سَبَّنِي   ومــا كلُّ يومٍ حِلمــهُ بأصــيــلِ
٢٢ـ ولَنْ يلبَثَ الجُهَّــالُ أن يَتَهَضَّمُــوا   أخَا الحِلْمِ ما لم يَستَعِنْ بجهــُولِ
٢٣ـ وأذْكُــرُ أيَّــامَ العَشيرة بعدَ مــا   أُمَيِّلُ غَيْظَ الصَّــدْرِ كــلَّ مَميــلِ
٢٤ ـ ولستُ بِمُبْدٍ للرجــالِ سَريــرتِي   وما أنَا عــن أسرارِهِمْ بسَــؤُولِ

(٥)

٢٥ ـ وقَــومٍ يجُرُّنَ الثِّيَابَ كأنَّهــمْ   نَشاوَى وقَــد نَبَّهْتَــهمْ لِرَحيــلِ
٢٦ـ وعافي الجَبَا طامِي الجِمَامِ وَرَدْتُهُ   بِذِي خُصَلٍ ضَافي السَّبِيبِ رَجيلِ
٢٧ـ وقد نفَّــرَ اللَّيلُ النهــارَ وأُلبِسَــتْ   سَمَاوةَ جَــونٍ مُجْنِحٍ لأصــيــلِ

١ / ٣ : رواية القصيدة :

مهاد :

اعتمدنا على هذه القصيدة الموجودة فــي الأصــمعيات، وهــي الأصــمعية المرقومة (١٩) حسب نشرة أحمد محمّد شاكر وعبد السّلام هارون (دار المعارف، الطبعة الخامسة)، أمّا في الطبعة الأوربيةِ، فهي حسبَ التخريج الذي ذكره المحققان، لم تطبعْ إلا طبعةً واحدةً ضمن الجزء الأول من (مجموع أشعار العرب) في مدينة

ليبزج بألمانيا سنة ١٩٠٢، وقد عني بتصحيحها المستشرق " وليم بسن الـورد " *، وليته لم يفعل، فالظاهر أنه طبعها عن نسخة سقيمة لا يوثق بها وزادها تصرفه وقلة تمرسه بلغة العرب سوءاً إلى سوء . بل أفسدها إفساداً !! . فإنه تصرَّف في ترتيبها وفي مجموعها تصرفاً لا يملكه، ولا يدل حرصه على الأمانة العلمية التي اشتهر بها المستشرقون بالحق أو بالباطل .

فأولاً : غيّر ترتيبها، فرتب القصائد على القوافي على حروف المعجم . وهذا عملٌ لا تدعو إليه الحاجة بعد ظهور المطابع، فإن الفهارس على الحروف كفيلةٌ بالفائدة التي كان يرجوها .

وثانياً : حذَف منها ١٩ قصيدة، بحجة أنها مكررة في المفضليات !، ثم نقض حجته هذه ! فأثبت الأصمعية المرقومة برقم (١٣) في طبعتنا، وذكرها في طبعته برقم (٣٠) . في حين أنها هي المفضلية (٨٥)، تنقص بيتاً بين البيتين ٦، ٧، والقصائد التسع عشرة التي حذفها هي الأصمعيات ٧١ : ٨٩ في طبعتنا هذه[2]. ولم اطلع عليها، فهي رقم (٦١)، ويبدو أنَّ اختلافَ ترتيب الأصمعيات بين الطبعتين، مرده إلى المنهجية المتمايزةِ التي تعاملَ بها ناشرُ الطبعةِ الأوربيةِ عنه مع محققي الطبعة العربية، وسأذكر موجزَ ما أورده الشيخان المحققان من الحيثيات التي أفضت إلى هذا التباين الظاهر بين النسختين .

وربما يطرح هذا الافتراق بين الطبعتين (الأوربية والعربية) سؤالاً حول قضية الشعر خاصة، والجاهلي على وجه أخص، والعربي بشكل أخص الخاص؛ لأن الشعر ديوان العرب، وقد ورد إلينا الشعر الجاهلي روايةً، وقد تعددتْ الرواياتُ التي روته، وقد أفضى هذا التعدد في الرواية إلى وجود اختلافات في مواضع من الأبيات، كأنْ تغير كلمةٌ أو كلمتان أو أكثر .

---

* هذا اسمه بالعربية، كما سمى نفسه في الكتاب، كما ذكره الشيخان .

[2] الأصمعيات، ص ٦ (المقدمة) .

على أن محققيّ الطبعة العربية، قد أوردا المواضع التي وردت فيها هذه القصيدة، فلم أجد في هذه التخريجات " الشعر والشعراء " لابن قتيبة، أو " المفضليات"، أو " ديوان المفضليات " أو " شرح المفضليات " للتبريزي بتحقيق محمّد إبراهيم أبي الفضل، أو " ديوان المفضليات " بشرح الأنباري، وحتّى الآنَ من هذه المرحلة من مراحل البحث، لم أعثرْ على هذه القصيدة في مواضع أخرى من كتب شروح الشعر، ولكنَّ البحثَ جارٍ والتنقيبُ مستمرٌ عن مواطن أخرى بكر، ربما لم يشر إليها المحققان الفاضلان، على أساس أنها لم تكن قد طبعت في تلك الحقبة التاريخية المبكرة، أو أنهما لم يطلعا عليه، وإن كنت أرجح الرؤية الأولى .

وربما يظنُّ ظانٌ، أن الخوض في أمر تعدد الروايات، أو مواضع التفارق في كلمة أو أكثر من نافلة القول، غير أنَّه عندي جزءٌ من تفسير النص، أو يمكن القول إنَّ هذه الكلماتِ المتباينة من رواية لأخرى، تعكس عدداً من الجوانب اللغوية التي أراني بحاجة للكشف عن مواضع كثيرة منها . وأخالني على صواب، إن ذهبتُ إلى أن اختيار الألفاظ، يعكس تصوراً يعكس ــ بشكل واضح لا ريب فيه ــ شخصية الراوي، إلا أن هذا الأمر سرعان ما يذهب عنّي = إذ الكلمات تكاد تأخذ شكلاً واحداً، أو يكاد، وما أرى هذه الظاهرة إلا ظاهرة شعرية؛ لأن اعتمادها على عدد من السمات الخاصة التي تعتمد على الإيقاع .

والآن، أمّا وقد فرغت من هذا الجانب التمهيدي، فسأحاول فيما يلي أن أدقق النظر فيما رواه المحققان الكريمان في تخريج هذه القصيدة في حاشية ص٧٣، بالرجوع إلى هذه المظان الرئيسة في مواضعها، عسى أن نقارن هذه القصيدة أو الأبيات من القصيدة أو البيت الواحدة في المظان المتفرقة، إذ ربما نجد اختلافاً . والآن، نعرض لهذه التخريجات التي عرض لها المحققان، وسأستظهر بعضها ــ ما استطعت أن أعثر عليه ــ فيما يلي :

٣ / ١ / ٢ : رواية البغدادي في الخزانة، ٨ / ٥٧٢، ٥٧٣ :

١*ــ ١ : لقد أنصبتني أم عمرو تلومني وما لــوم مثلــي باطلاً بجميــل

٧ــ ٢ : ألم تعلمي أن لا يراخى منيّتي قعودي، ولا يدني الحمام رحيلي

٩ــ ٣ : فإنّك واللوم الذي ترجعيــنه علــيَّ، ومــا لوّامــةٌ بعــقــول

١٠ــ ٤ : كدَعِي هَدِيلٍ، لا يُجابُ إذا دَعَـــا وَلا هــو يَسْلُو عــن دُعَاءِ هَــدِيــلِ

١١ــ ٥ : وذِي نَدَب دَامــي الأظَلِّ قسمتُه مُحافَــظَــةً بَيــني وبَــين زَمِيــلي

١٢ــ ٦ : وزاد رفعتُ الكفَّ عنه عَــفَافَــةً لأوثِــر في زَادِي عــليَّ أكيــلــي

١٨ــ ٧ : ومَن لا يَنَلْ حتَّى يَسُدَّ خِــلالَهُ يَجِــدْ شهَوَاتِ النَّفسِ غــيرِ قــليلِ

١٩ــ ٨ : وعَوراءَ قد قيلَــت فَلَمْ ألتفِتْ لها ومــا الكَــلِمُ العوزَاءُ لي بقَبــولِ

٢٠ــ ٩ : وما أنا للشَّئِ الذي ليس نافعــي ويَغْضَبُ منــه صاحبي بِــقَؤولِ*

٢٢ــ ١٠ : ولَنْ يلبَثَ الجُهَّــالُ أن يَتَهَضَّمُــوا أخَا الحِلْمِ ما لم يَسْتَعِنْ بجهــولِ

روى الإمام البغدادي من القصــيدة الأبيــات (ا، ٧،٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٨، ١٩، وصدر البيت (٢٠، ٢٢) على الترتيب دون باقي القصيدة . وثمة مفارقة بين ما وجدته في الخزانة، وهو ما عرضت له في الموضع السالف أعلاه، بينمــا خــرّج الشيخان المحققان ما نصّه : والأبيات (١، ٧، ٩، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٢) في الخزانة ٣ / ٦١٩، ٦٢١ [٣] .

وفي ذلك مفارقةٌ ظاهرةٌ واضحةٌ بين الرؤيتين، رؤية الشيخين المحققين، فيما أورداه من تخريج لهذه القصيدة، وما عثرت عليه فيما وجدته مذكوراً من الشــيخين، حين رجعت إلى هذه المواضع في مظانها .

---

* يلاحظ أن هذه المواضع من رواية القصيدة وضعت لها رقمين مع كل بيت، فالرقم الأول يشير إلى رقــم البيت في الأصمعيات، أمّا الرقم الآخر، فيشير إلى ترتيب البيت مع باقي الأبيات الواردة جملة، فــإذا وجــد القارئ الكريم شيئاً من هذا، فذلك الذي أردتُ.

* لم يذكر البغدادي الشطرة الثانية من البيت، وأكملتها، بناء على رواية الأصمعي، حتى لا تكون فارغة .

3 الأصمعيات، ص٧٣ .

ذكر الشيخان[4] في تخريج القصيدة أن الأبيات (١، ٧، ٩، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٢)، بيد أن هذا التخريج الذي ذكره الشيخان الفاضلان، فيه وهمٌ وضعفُ إسناد، وفيه ما فيه فيما يسبغه على القارئ حين يثق في هذه التخريجات التي نقلها الشيخان، وكنت على بصيرة من أمري حين ساورتني فكرة مراجعة مادة التوثيق، ليس قدحاً في إسناد الشيخين، لكن زيادة في الحرص، وليطمئن قلبي، وقد جدت غير ما حسبتُه سراباً = إذ وجدت عجباً، وإن تعجب كل العجب، مما أورده الشيخان من إسقاط الأبيات (١٠، ١١، ١٩) حسب ترتيبها في الأصمعيات، وذلك فيه ما فيه لعدم بيان وجه الحقيقة كاملةً، فإمّا أن يكون هذا عن سهو من الشيخين، وإمّا أن يكون سرعة وعدم دقة، وإن كنت أخال أن الرؤية الأولى يطمئن لها قلبي، وتستريح لها نفسي، خاصة مما عُرِفَ عن الشيخين من جلد وصبر في نقل الأمانة العلمية، وما قدماه من خدمة جليلة للعربية . وربما تكون سوء ورداءة النسخ الموجودة بين أيديهما، أو اختلاف النسخ المخطوطة، كلُّ هذا يؤدي إلى الاختلاف في الروايات التي لم يشر إليها الشيخان .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فيما خرّجه الشيخان، بل لم يوردا الاختلافات في بعض الكلمات بين ما أورده الأصمعي، وما ذكره الإمام البغدادي، وقد أشرت إليه في نص البغدادي وغيره بوضع خط تحت الكلمة المختلفة عن نسخة الأصمعيات . وما أوردته أعلاه، أنني أحاول أن أفيد من هذه الروايات وأرجّح بعض الروايات على الأخرى، إمّا بناء على أن الرواية التي لا تكسر وزن القصيدة، ويستقيم معها الوزن، وإمّا بناء على الكلمة المناسبة للسياق، إذا لم يفلح المعياران الأولان في فكّ شفرة هذا الجانب، وثمة معيار ثالث، إذا لم يتمكن المعياران السابقان من ترجيح رواية على أخرى، هنا ينبغي عليَّ أن أتوجّه تلقاء العلاقة بين الأصوات المهموسة والمجهورة، وأيها أكثر وروداً، وعلاقة ذلك بموضوع القصيدة . هذه هي المعايير الثلاثة التي

---

[4] السابق : الموضع ذاته .

أعوّل عليها في ترجيح رواية من هذه الروايات المذكورة في المظان التي خرّجها الشيخان، وأبقي على هذا الموضع للإفادة منه في تحليل النص .

غير أنني لاحظت أن الأصوات المجهورة أكثر وروداً في كل زفرة من زفرات القصيدة المقترحة في مفاتيح البحث، وربما يتسق هذا الاستظهار مع طبيعة موضوع القصيدة، وكنت قد أجريتُ إحصاء بهذا الشأن، بيد أنني لم أشأ أن أدرجه؛ لأنه لا يفيد كثيراً في هذا الباب = ولذا اكتفيت بهذه الإشارة الدالة، حتى لا نعود إليها مرة أخرى في سياقات التحليل .

٣ / ١ / ٣ : رواية ابن قتيبة ١ / ٢٤٠، ٢٤١ :

١١ ــ ١ : وذي نَدَب دامـي الأظَلّ قسمتُه ... مُحافـظَـةً بَيـني وبَـين زَميـلي

١٢ــ ٢ : وزاد رفـعتُ الكفَّ عنه تَجَملاً ... لأوثـر في زَادي عـليَّ أكِيـلي

٢٠ ــ ٣ : وما أنا لِلشّئ الذي ليس نافعي ... ويَغـضَبُ منـه صاحبي بِقـؤولِ

٣ / ١ / ٥ : رواية القالي ٢ / ٢٠٤ :

١١ ــ ١ : وذي نَدَب دامـي الأظَلّ قَسمتُه ... مُحافـظَـةً بَيـني وبَـين زَميـلي

١٢ ــ ٢ : وزاد رفـعتُ الكفَّ عنه تَجَملاً ... لأوثـرَ في زَادي عـليَّ أكِيـلي

١٩ ــ ٣ : وعَوراءَ قد قِيلَـتْ فَلَمْ أستَمِعْ لها ... وما الكِـلْمُ العـوزَان لى بِقَتـُولُ *

٢٠ ــ ٤ : وما أنا لِلشّئ الذي ليس نافعـي ... ويَغـضَبُ منـه صاحبي بِقـؤولِ

٣ / ١ / ٦ : رواية ابن منظور ٦ / ٤٥ :

٣ ــ ١ : كَمُلَقى عِقـالٍ أو كَمَهلك سـالـمٍ ... ولستَ لـمَيْت هـالـك بوَصيـلِ

١٩ ــ ٢ : وعَوراءَ قد قيلَـتْ فَلَمْ أستَمِعْ لها ... وما الكِـلْمُ العـوزَان لى بِقَتـُولُ

وذكر رواية أخرى لعجز البيت :

.... وليس لِحيّ هالك بوصيل

---

* وردت الأبيات ١١، ١٢، ٢٠ في موضع واحد، أشرت إليه بعد ذكر سعد الغنوي في بداية الأبيات، خلافاً للبيت رقم ١٩ في الأصمعيات، فقد جاء ذكره في موضع آخر من الجزء ذاته (ينظر: الأمالي ٢ / ١٥٣)، وعلى الرغم من ذلك، فقد وضعت الأبيات كلها في موضعٍ واحد، كما هو ظاهرٌ وبيّنٌ .

٣ / ١ / ٧ : رواية سيبويه ٣ / ٤٦ :

٢٠ـ ١ : وما أنا لِلشَّئ الذي ليس نافعــي ويَغْضَبَ منــه صاحبي بِقئؤُول

٣ / ١ / ٨ : رواية القالي : الأمالي، ٢ / ٢٤٠ :

١١ ــ ١ : وذِي نَدَب دَامــي الأظَلِّ قَسمتُه مُحافَــظَــةً بَيــني وبَــين زَمِيــلي

١٢ـ ٢ : وزاد رفعتُ الكفَّ عنه تَجَـمّلاً لأُوثِــر في زَادِي عــليَّ أكِيــلــي

٢٠ـ ٣ : وما أنا لِلشَّئ الذي ليس نافعــي ويَغْضَبُ منــه صاحــبي بِــقؤول

٣ / ١ / ٩ : رواية بلوغ الأرب :

٩ ــ ١ : فإنــكِ والمــوتَ الذي تَرْجعِينَــه علــيَّ، ومــا لَوّمةٌ بغــفُــولِ

١٠ـ ٢ : كَدَعِي هَدِيلٍ، لا يُجابُ إذا دَعَــا وَلا هو يَسلُو عن دُعَاءِ هَدِيلِ

وواضحٌ جداً، أن مقارنة بين هذه الأبيات الواردة في كتب الشعر العربي، وما هو قائمٌ في نصِّ الأصمعيات، تظهر المقابلة وجوه الافتراق، وقد أشرت إلــى ذلــك بوضع خط تحت ما هو مختلف عن نص الأصمعيات .

وحين يقرأ قارئٌ هذه الأبيات، سيتبين له قطعاً ما تبيَّنَ لــي = أن الشــيخين أشارا إلى هذه المواضع المذكورة آنفاً، غير أنهما لم يشيرا إلى مواضع الاختلافــات بين نصِّ الأصمعيات، وما هو واردٌ في المصادر العربية، ربما كانت رؤية الشيخين أنّ هذا ليس سياقه المناسب، بيد أنه سرعان ما يــذهب هــذا الأمــر عنِّــي = إذ إنَّ الشيخين مع حاشية البيت (١٩) في الأصمعيات، ينقلان ما نصه : وفي المطبوعــة والخزانة "وما الكلم العوراء " . وفي الأمالي والأنباري واللسان والسمط " وما الكلم العوران " بقبول، قال الأنباري : " ينبغي بقتول بالتاء " [5] .

وفي هذا ردٌّ صريحٌ على أنهما لم يهتما بذكر مواطن الاختلافات بــين هــذه الروايات، لكن الذي نعجب له عجباً شديداً، هو جملة الاستفهام التالية : لماذا لم يذكرا هذه الاختلافات في كل المواضع، ونصّا على الافتراق في هذا الموضع تحديداً ؟ لكن

---

[5] الأصمعيات، ص ٧٥ .

إذا كان هذا الأمر لا يقع في دائرة الاهتمام، وأستظهر خلاصة الرأي هنا، أنه على الرغم من هذا التخريج الوحيد والمنفرد في القصيدة محل النظر، إلا أنها حالةٌ لا ينبغي أن يقاس عليها = ومن ثم، فإن عدم الاهتمام بذكر هذه الاختلافات صار أمراً مقضياً، ويبدو أن مثار النقع في هذا الموضع من الحاشية (١٩)، لا نريد أن نحجب حقيقة لا ينبغي أن تتوارى بالحجاب = أن الشيخين لم يعتنيا بذكر تفصيلات التخريجات، ومن ثم، فإن ما أورداه من تخريج عرضنا له، يمكن أن يكون أمراً عارضاً، لا يقاس عليه .

١ / ٤ : مفاتيح القصيدة :

مما تجدر الإشارة إليه في صدر البحث، إمعاناً في تبيان وتوضيح جوانب المعالجة وجعلها وافية على النحو الذي يساعد القارئ على أن يكون على بيِّنة من أمره، من جهة، وحتى لا نعيد هذه التقسيمات، من جهة أخرى في ثنايا المعالجة، وهذا فيه ما فيه من جوانب الإيجاز غير المخل، وإلى عدم التطويل الذي يؤدي إلى الحشو.

وعلى بيِّنة من هذه الرؤية، وبعد روية مع النفس ومداومة النظر في نص القصيدة، ارتأيت أن دُ‌ـي في مجموعات، وجاء هذا التقسيم المقترح لأبيات القصيدة، بناء على وحدة الموضوعات الداخلية، التي تصبُّ صبّاً في الموضوع الرئيسي، وكانت المجموعات هي المصطلح الذي شاع عندي في أول عهديّ بمدارسة نص القصيدة، بيد أني عدلتُ عنه إلى مصطلح رأيت أنه ألصق بالتعبير عن الموضوع من المصطلح الذي وقع الاختيار عليه في أول أمري .

فقد كانت القصيدة تمثّل صراعاً بين شخصيتين، على ما يمثله البيت الأول إجمالاً، وتمثله أحداث القصيدة تفصيلاً . وتشير الأحداث إلى أن هنالك لوماً موجَّهاً من (أم قيس) لكعب، وكان هذا اللوم شديداً، حتى أنني اعتبرت أن لفظة (اللوم) المستعملة من قبل كعب، كان فيها تلطّف منه حيالها، وأن أحداث القصيدة اللغوية تكشف عن لوم مُرٍ منها له، مما جعلني أعرض عن هذا المصطلح المستعمل من قبل الشاعر إلى مصطلح (التوبيخ والإنكار) على ما نستظهره في التحليل والتفسير .

وإذا كان لومها ليس في محله، مما جعل كعباً يصبُّ عليها رد اللوم صبًّا في رد أراه، إن لم يكن في مستوى اللوم اللاذع، ليس أقل منه، وهنا نستشعر أنها نفس مكلومة، أصابها هذا اللوم أشد ما أصابها .

ومن هنا، جاءت أبيات القصيدة؛ لتمثّل نفثات أو زفرات زفرها كعبٌ في وجه (أم قيس) حين لامته، على حد تعبير كعب، ووجدتُ هذا التعبير أصدق قيلاً من ذلك الذي وقع عليه اختياري في بداية عهدي بتحليل هذه الجوانب اللغوية . ومن هنا، جاء تقسيم أبيات القصيدة إلى زفرات رئيسة، يتفرع عنها زفرات أخرى مبنيةٌ عليها ومؤكدةٌ لها، وبيانها كالتالي :

١ ـ الزفرة الأولى : (ويمثلها البيت الأول منفرداً) .

٢ـ الزفرة الثانية : (وتمثلها الأبيات من ٢ ـ ٦) .

٣ ـ الزفرة الثالثة : (وتمثلها الأبيات من ٧ ـ ٢٧) .

ويتفرع عن هذه الزفرة الثالثة أربع زفرات أخريات، لها علاقةٌ وثيقةٌ الصلة ببعضها، وترتبط من ناحية أخرى بالزفرتين السابقتين، على نحو ما سنبيّنه من حديث مفصّلٍ في جوانب المعالجة النصية، إن شاء الله . وها أنا أشرع في تقسيم الزفرة الثالثة على النحو الآتي :

١ ـ الزفرة الأولى : (وتمثلها الأبيات من ٧ ـ ١٠) .

٢ ـ الزفرة الثانية : (وتمثلها الأبيات من ١١ ـ ١٧) .

٣ ـ الزفرة الثالثة : (وتمثلها الأبيات من ١٨ ـ ٢٤) .

٤ ـ الزفرة الرابعة : (وتمثلها الأبيات من ٢٥ ـ ٢٧) .

وحاصل مجموع الزفرات السابقات ـ بناء على هذا الاقتراح الوارد أعلاه ـ نوعان من الزفرات، رئيسة وفرعية، أمّا الرئيسة، فهي ثلاث، على النحو المبين أعلاه، وأمّا الفرعيّة، فهي أربع زفرات، تتفرع عن الزفرتين الثالثة والأخيرة الرئيسة، وحاصلُ المجموع الأخير للرئيسي والفرعي سبع زفرات، ولمّا كان كعبٌ، قد فرّع الزفرة الثالثة إلى أربع زفرات، وتفرّعت الزفرات الأربع إلى عدد من الأشكال التي

تناسب البيان والغرض الأساسي من القصيدة، وبيانها بشيء من الإجمال على النحو التالي :

١ ـ **الزفرة الأولى** : العامة (ويمثلها البيت الأول) .

٢ـ **الزفرة الثانية** : على لسان أم قيس (وتمثلها الأبيات من ٢ ـ ٦) .

٣ـ **الزفرة الثالثة** : الأولى لكعب، وهي عامة وموجزةٌ (وتمثلها الأبيات من ٧ ـ ١٠) .

٤ـ **الزفرة الرابعة** : الثانية لكعب، وهي مفصلةٌ (وتمثلها الأبيات من ١١ ـ ١٧) .

٥ـ **الزفرة الخامسة** : الثالثة لكعب، وهي مفصلةٌ (وتمثلها الأبيات من ١٨ ـ ٢٤) .

٦ـ **الزفرة السادسة** : الرابعة لكعب عامة وموجزةٌ (وتمثلها الأبيات من ٢٥ ـ ٢٧) .

وإذا كان لنا أن نقترح موضوعات لهذا التقسيم، فإننا نتصورها على النحو الآتي :

١ـ **الزفرة الأولى** : النصب من اللوم

٢ ـ **الزفرة الثانية** : لوم (أم قيس) لكعب .

٣ ـ الزفرة الثالثة : رد كعب للوم (أم قيس) .

١ ـ **الزفرة الأولى** : ارتياد الصعب والمجهول .

٢ ـ **الزفرة الثانية** : الفخر والكرم .

٣ـ **الزفرة الثالثة** : الحكمة .

٤ ـ **الزفرة الرابعة** : ارتياد الصعب والمجهول .

١ / ٥ : فاتحة البحث :

تعددت النظرة إلى النصوص منذ وقت مبكر في تاريخ الثقافة بعامة، والإسلامية منها بخاصة، وهكذا تعامل مع النصوص فلاسفة، وعلماء نفس، وعلماء

اجتماع ومفسرون ولغويون، ومن ثم، تعددت الرؤى في التعامل معها، وإذا بات علينا نحن اللغويين أن ننظر إلى النص من الوجهة اللغوية باعتباره نصاً لغوياً في المقام الأول، وظاهرة اجتماعية في المقام الآخر = فقد وقع التفارق والتمايز في التعامل مع النص الواحد بين اللغويين أنفسهم؛ وقد أدّى هذا إلى تبنّي نظريات أو اتجاهات مختلفة، لها القدرة والكفاءة علي تبيان العناصر المختلفة للنص وتحليلها وفق إحدى هذه النظريات، كما أنها قد تلتقي في النهج العام، إلا أنها تتباين في التفاصيل الداخلية لكل منها على حدة .

وحين يكون موضوع الدراسة استبصاراً لما هو جديدٌ في هذا النص تحديداً، فإن وضع المسألة اللسانية في هذا النص لا يتأتى إلا بعد معايشة لها، وتدبر الأمور اللسانية التي يمكن أن تقدم انسباكاً وانحباكاً فيه، وهذا التماسك النصي يظهر من وجوه عدة، على ما استظهره أولوا العلم من أهل هذا الاختصاص [6]، وقد استظهرت بعضاً من هذه المفاهيم في جانب من جوانب التراث العربي[7]، كما أن ثمة جوانب أخرى كثيرة ومتنوعة، تحتاج إلى إماطة اللثام عن العناصر السابكة والحابكة للنصوص بوجه من الوجوه . ويحتاج تفصيلُ القصيدة إلى عدد من الجوانب الكاشفة والملتئمة في آن واحد، ولن يمكننا ذلك إلا إذا اعتبرنا القصيدة كاملةً وحدةً واحدةً، ثم نستوفي القول فيما نحن مقترحينه من وجوه كاشفة وكاسحة لتماسك بنية النص الشعري محل النظر، فيما نحن بسبيل معالجته من مسائل . وقد رأيت ــ بعد طول نظر وتدبر ــ أن نورد حصراً للمسائل التي أزعم أن الوقوف عليها، يظهر سبك وحبك بنية القصيدة، في صدر الدراسة على الوجه الآتي :

١ / . : مقدمات أساسيّة :

١ / ١ : الشاعر .

١ / ٢ : نص القصيدة .

---

[6] R. De . Begrand , W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik .

[7] الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم

١ / ٣ : رواية القصيدة .

١ / ٤ : مفاتيح القصيدة .

١ / ٥ : فاتحة البحث .

٢ / . : وسائل سبك نص القصيدة :

٢ / ١ / . : الروابط ودورها في سبك بنية نص القصيدة : .

٢ / ١ / ١ : الروابط الإحالية ودورها في سبك بنية النص :

٢ / ١ / ١ / ١ : الربط بالإحالة بضمير الذات .

٢ / ١ / ١ / ٢ : الربط بضمير الخطاب .

٢ / ١ / ٢ : الربط بالإعادة :

على سبيل التوطئة :

٢ / ١ / ٢ / ١ : الإعادة التامة / إحالة معجمية .

٢ / ١ / ٢ / ٢ : الإعادة الجزئية .

٢ / ١ / ٢ / ٣ : الإعادة بالترادف/ شبه الترادف (ويعني تكرار المعنى دون اللفظ).

٢ / ١ / ٢ / ٤ : الإعادة الشاملة .

٢ / ١ / ٢ / ٥ : الجناس الناقص/ شبه الجناس .

٢ / ١ / ٣ / ١ : الروابط العطفية في القصيدة ودورها في سبك بنية الزفرات والقصيدة :

٢ / ١ / ٣ / ٢: الروابط العطفية في الزفرة الأولى.

٢ / ١ / ٣ / ٣: الروابط العطفية في الزفرة الثانية .

٢ / ١ / ٣ / ٤: الروابط العطفية في الزفرة الثالثة .

٢ / ١ / ٣ / ٥: الروابط العطفية في الزفرة الرابعة.

٢ / ٢ / . : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية نص القصيدة :

مهاد :

٢ / ٢ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية النص في الزفرة الأولى.

٢ / ٢ / ٢ : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية النص في الزفرة الثانية :

٢ / ٢ / ٢ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية القصيدة .

٢ / ٢ / ٢ / ٢ : الأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة .

٢ / ٢ / ٣: الأفعال ودورها في سبك بنية القصيدة في الزفرة الثالثة:

٢ / ٢ / ٣ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية النص .

٢ / ٢ / ٣ / ٢ : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة في الزفرة الرابعة :

٢ / ٢ / ٣ / ٢ / ١: الأفعال ودورها في سبك بنية الزفرة .

٢ / ٢ / ٣ / ٢ / ٢: الأسماء ودورها في سبك بنية الزفرة .

٢ / ٢ / ٣ / ٣ : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة في الزفرة الرابعة :

٢ / ٢ / ٣ / ٣ / ١ : دور الأفعال في سبك بنية الزفرة .

٢ / ٢ / ٣ / ٣ / ٢ : دور الأسماء في سبك بنية الزفرة .

٣ / . : وسائل حبك نص القصيدة :

٣ / ١ : الإجمال والتفصيل (علاقة الزفرات بعضها ببعض مفهوميًّا) .

٣ / ٢ : جوانب أخرى من حبك بنية نص القصيدة .

٤ / . : المراجع .

وعلى هذا الانتظام والاتساق الوارد أعلاه، تنتظم مفردات هذا البحث، وسوف أنبئك عن هذا المجمل المسوق أعلاه، بشيء من الإبانة والإطالة للكشف عن العلاقات اللغوية البادية على سطح الورق، وما هو مخبوء خلف العناصر اللغوية = من عالم

المفاهيم الحابكة لما هو ظاهرٌ على سطح القرطاس، وسوف أحاول استظهار ذلك بفضل بيان، وأحاول ما وسعني الحوال تجاه تفسير كاشف في الوقت ذاته . وكان لا بد من إدراج هذا التصور في صدر هذا البحث؛ لأنه يعطي القارئ إلماماً عاماً بجوانب معالجة البحث الأخيرة، وفيما يلي نفصّل القولَ ونشرح شرحاً وافياً ما أوردته موجزاً أعلاه .

٢ / . : وسائل سبك نص القصيدة :

٢ / ١ / . : الروابط ودورها في سبك بنية نص القصيدة :

٢ / ١ / ١ : الروابط الإحالية ودورها في سبك بنية النص :

مهاد

لا بد من الإشارة في هذا السياق الافتتاحي إلى أنني كنتُ قد عقدتُ النيةَ على أن أكتب كلاماً عن ضمائر الإحالة بأنواعها المختلفة، ووطنتُ نفسي على أن تكون المناقشة جامعةً لهذه العناصر الإحالية المختلفة من موصولية وإشارية وضمائر الشأن والفصل ... إلخ ما يتعلق بهذا الموضوع، أو هكذا خُيِّل إليَّ في بداية الأمر، إلا أنني حين أخذت أعيد النظر، وأرجع البصر في أحداث القصيدة، وتحديداً فيما يتعلق بعدد من العناصر اللغوية التي تمثّل انسباكاً لبنيتها، وجدتُ عدداً من الضمائر، ليس موجوداً، ولا ينتظم بنيتها، الأمر الذي أدي إلى أن أعيد ترتيب صياغة هذا التصور على النحو المقترح أعلاه، وهو على أساس العناصر اللغوية المكونة لبنية القصيدة كلية .

ويبدو أن الإطار الذي تدور أحداث القصيدة حوله = أملى أو فرض على بعض الضمائر أن تحتل مركزاً مرموقاً وتتبوأ مكانة عالية بين الضمائر، وهكذا، وجدنا ضمائر الذات والخطاب، ثم الغائب، على هذا الترتيب، ولم نر شيئاً من الضمائر الموصولية والإشارية والفصل والشأن، على ما لها في سبك بنية النص عامة . إلا أن قيام هذا النص ــ كما نورده في التحليل ــ على الحدث الحواري = أدى إلى انتشار هذه الضمائر التي ذكرتُها، واختفاء الضمائر الأخرى المذكورة أعلاه

أيضاً . وكان لا بد من هذه الافتتاحية المتعلقة بانتشار هذه الضمائر، وعدم انتشار الضمائر الأخرى، خاصة أنها تتعلق بما نحن حياله، تلقاء معالجة الضمائر في نص قصيدة كعب بن سعد على ما نستقبله من حديث وافٍ فيما يلي .

ورد نصُّ القصيدة، على ما أورده الرواة الثقات، كما هي الحال في رواية الأصمعي المدرجة في صدر البحث . وتمثل العناصر اللغوية جوهر الصراع في القصيدة بين كعب بن سعد، وبين (أم قيس)، ولم يشر كعبٌ إلى كنهة (أم قيس)، هل هي زوجته، أم أنها رمزٌ لمحبوبته، أم أنها اسمٌ كَنَّى به عن القضية التي أراد الحديث عنها ؟ .

وإذا كان الشاعر لم يشر إلى (أم قيس) في نصِّ القصيدة، فإننا نستظهر أن هذا الجانب لا يمثلُ قضية أساسية، ومن ثم، جعله مدخلاً فقط لبداية الموضوع . غير أن الذي ظلَّ ماثلاً، أن (أم قيس) هذه المذكورة ذات شأن ومكانة = إمّا بالنسبة لكعب نفسه، وإمّا بالنسبة لباقي أفراد القبيلة، وكلا الاحتمالين واردٌ، ومن هنا، ربما كان اسم (أم قيس) الاسم غير الحقيقي لما يريد كعبٌ أن يعرض له، وقد يكون اسماً حقيقياً لمن أراد التعبير عنه، بيد أن اللافت للنظر، أنه لم يستعمل الاسم الصريح لها، وإنما كنَّى لها، وفي التكنية ــ على أية حال ــ إعلاءٌ من شأن الشخص المكنَّى عنه .

على أية حال، تمثل القصيدة صراعاً يدور رحاه بين شخصيتين، تبدوان على طرفيّ نقيض (على الأقل في هذا السياق الذي تعكسه أحداث القصيدة) في تمسك كل منهما بما يراه صواباً ويحاول كلٌّ أن يدافع عن رؤيته بطرق شتى من ألوان الحجاج العقلي والمادي، = على ما تطرحه رواية القصيدة . ويبدو واضحاً من نص القصيدة، أن رؤية (أم قيس) وردت مجملة = على ما ورد على لسان الشاعر، وتمثله الزفرة الثانية . وواضحٌ وظاهرٌ جداً، أن هذه الأبيات مقارنة بأبيات باقي القصيدة، لا تمثل شيئاً مذكوراً، وتبدو هذه القسمة ضيزى = حين نرجّح أن الحديث ورد في القصيدة من جانبٍ واحد، على لسان الشاعر، وطبيعي أن يكون الحديث عن لومها وعتابها موجزاً، وأن يفسح المجال لنفسه للدفاع بوسائل مختلفة ومشروعة، غير

أن الذي ليس مشروعاً، أو الذي كان ينبغي على كعب أن يصنعه = أن يفسح المجال لرؤيتها، كما أطلق العنان لنفسه .

على أية حال، فعلى هذين الشخصين تقوم محاور القصيدة = أو أن أحـداثها تدور رحاها بين كعب من ناحية، وبين (أم قيس) من ناحية أخـرى = والصـراع الكائن بين وجهتي نظر مختلفتين، على ما تمثله القصيدة = وما حاولتُ أن أعبر عنه بتقسيم أبيات القصيدة حسب موضوعاتها، على ما اقترحته أعلاه . وإذا كانت القصيدة تمثلُ حدثاً لافتاً للانتباه، على الأقل بالنسبة للشاعر، فإن الشاعر في القصـيدة يمثـلُ الراوي للأحداث اللغوية = المكونة لجملة القصيدة، ومـن هنـا، تختفـي شخصـيته وتتوارى بالحجاب وراء هذه الأحداث التي طغت على شخصيته، مما جعله يختفـي، حتى صار كأن لم يكن شيئاً مذكوراً في نص القصيدة، بيد أن هذه الرؤية تزول حين يعلم القارئ أن القصيدة لكعب مثلاً، وبالتالي لن نكون في حاجة ماسة إلى أن يكـرر أو يتردد اسمه في القصيدة؛ لأن هذا الأمر يتعارض من نـاحيتين، الأولـى : مـع شخصية الراوي، أن يذكر اسمه غالباً . الثانية : أن ذكر اسمه في نص القصيدة، ربما يكون من التكرار أو الورود غير المستساغ، خاصة أن القارئ علم بيِّنة بكاتب نـص القصيدة . وبناء على ذلك، لم يتبق من ذكر اسمي الشخصيتين اللتـين تقـوم عليهـا الأحداث اللغوية، إلا ذكر اسم (أم قيس)، الذي لم يرد إلا بالكنايـة؛ دلالـة علـى مكانتها .

تمثل القصيدة صراعاً بين راوي الأحداث اللغوية، وهو ما يمثله كعبٌ، القائمُ في كلِّ جزئية من أجزاء القصيدة، حتى فيما هو مرويٌّ على لسان (أم قيس)، ففـي الواقع الذي أورده هو كعبٌ، ومن هنا، فشخصية الشاعر قائمةٌ حتى فـي كـلام (أم قيس) بشكل ضمني، وكأنَّ الشاعر لا يريد أن يترك لها فرصة فيما لامتـه عليـه، وبالتالي يبرز هذا الصراع النفسي الذي اعتصر الشاعر في لوم (أم قيس) لكعـب، ومن هنا، أخذ الشاعر يرد في عنف وشدة، ومرد هذا إلى أن لومها له باطلٌ وليس في محله، ومن هنا، أظهر هذا اللوم الذي ليس في محله الشدة، وقد تبدت في جـزئيتين،

الأولى : اقتضاب كلام (أم قيس)، وكأنه لا يريد أن يعطيها فرصة = لأن كلامها ليس صحيحاً، أو على حد تعبيره (وما لوم مثلي باطلاً بجميل) . الثاني : دفاعه عن نفسه أخذ أشكالاً مختلفة من بيان الدليل الساطع على أن لوم (أم قيس) باطل، ودافع عن نفسه تارة بإظهار كرمه، وتارة ثانية بإظهار حكمته، وتارة ثالثة بإظهار حبه للركوب الخيل وارتياد الصعب، وهذا الإسهاب الوافي يتناسب مع مرارة نفسه من لوم (أم قيس) له = لأنه باطل، ويتسق هذا مع الجزئية الأولى، من عدم إتاحة الفرصة لها من إيلام كلامها له، حتى لو كان هذا اللوم من (أم قيس) المكنّى عنها ذات المكانة والحظوة عنده .

كما أن ضمائر التعبير عن الذات، بناء على ما أوردته أعلاه، تأخذ شكلين عامين، الأول : يمثله حديث كعب عن ذاته، وهو يدور إجمالاً حول رد لوم (أم قيس) له بطرق شتى . الثاني : وتمثلها ضمائر الذات الخاصة بلوم (أم قيس)، التي جاءت موجزة مقارنة بكلام / رد كعب عليها طيلة أحداث القصيدة . وإذا كان ضمير الذات، يدور حول هذين الشكلين إجمالاً، فإن هذين الشكلين، يمكن أن يتفرع عنهما أشكالٌ أخرى، على ما يأتي بفضل بيان، في مناقشة كل شكل على حدة .

والذي يبدو واضحاً ــ كما أوردتُ ــ أن كعباً يمثل راويَ الأحداث اللغوية لنص القصيدة، بل هو العنصر الفاعل بنفسه وبغيره، أو يمثل مركز الدائرة في أحداث القصيدة، أو صانع أحداثها، الذي يدل على ذلك = أن أحداثها وردت إلينا من خلاله، وليس من خلال (أم قيس)، ومن ثم، صار هو صانع أحداثها والمتحكم في سيرتها الأولى .

ويطالعنا ما يؤكد هذه الرؤية في البيت الأول تحديداً = من انتشار لضمير الذات ثلاث مرات : مرتان مع الفعل (أنصبتني، تلومني)، ومرة ثالثة مع الظرف (مثلي)، وهو بيتٌ يمثل المحور الذي تدور حوله الأحداث، أو هو مفتاح القصيدة، وعلى هذا الأساس، جعلته في تقسيم القصيدة زفرةً قائمةً بذاتها، لما له من أهمية في بناء الأحداث وترتبها عليه، وإذا كان هذا البيت يمثل الركيزة الأساسية، حسب التقسيم

المقترح لأبياتها، فإن هذا التقسيم يتسق مع كون هذا البيت يمثـل مفتـاح القصـيدة، وبدونه لا يمكن أن تستقيم أحداثها، ومن هنا، جـاءت أحـداثها مركـزة ومـوجزة، ويتناسب أيضاً من جعل هذا البيت الأول منفرداً مجموعة قائمة بذاتها .

وتركيز ضمائر على النحو المشار إليه في البيت الأول، يوحي بثورة مركزة في هذا البيت الذي يمثّل البداية لهذه الأحداث، ويُوحِي كذلك تركيز ضـمائر الـذات الواردة على لسان كعب، بأن فيضاناً ونصباً قد أدى به إلى هذه الحالة، كما توحي هذه الثورة المفتعلة في الزفرة الأولى، بأنها لم تكن وليدة اللحظة الآنيـة، وإنمـا سـبقتها أحداثٌ كثيرةٌ وجليلةٌ، مع التراكمات صارت بحكم التكرار والألفة لهذا اللوم، أو ترتب على تكرار اللوم لكعب تحديداً دون غيره، ربما لكونه قريباً، أو حبيباً لها، أو حتـى ربما يكون زوجاً لـ(أم قيس)، وإن كنت استبعد الرؤية الأخيرة، خاصة أن العرب لا تصرح بمن تحب، وهكذا وجدنا الشاعر.

على أية حال، فإن ذكر الأفعال أو غيرها في البيت الأول، مشفوعة بضـمير المتكلم، يعطي الفعل الكائن فيه خصوصية وتركيزاً على ذات صاحب هذا الفعل، أو على الأحداث القائمة، أو يعطي خصوصية في تخصيص هذا الفعل لهـذا الشـخص المتحدث عنه لا عن غيره، والشخص الكائن هنا، كعـبٌ بـن سـعد راوي أحـداث القصيدة .

حيث يشعر تخصيص كعب الفعل وغيره (أنصبتني، تلومني، مثلي) إضافة ياء المتكلم إلى نفسه؛ دليلاً على ما يعتصر نفسه من مرارة = جراء لوم (أم قـيس) له، وهو لوم تكرر كثيراً، وهو وصفٌ يتناسب مع وصف الشاعر باستخدام الجملـة الفعلية الواصفة (أنصبتني) . وظاهرٌ أن استعمال الفعل بهذه الصيغة يُـوحِي هـو الآخر بتكرار (اللوم) الذي لم يظهر إلا مـن خـلال الجملـة الفعليـة الواصـفة (أنصبتني)، الذي مثّل الإشارة الأساسية التي كانت سبباً في أحداث القصـيدة . وإذا كنا قلنا إن البيت الأول مركز الدائرة الذي تبنى عليه أحداثها، فـإن هـذا (اللـوم)

تخصيصُ الخاص في البيت الأول، أو هو المحرك الأول والمباشر في إنتاج أحداث القصيدة، على هذا النحو الذي وردت لنا القصيدة من خلاله .

وإذا كنا اعتبرنا البيت الأول، يمثل الزفرة الأولى ومحور الأحداث التي تتبنى عليها أحداث القصيدة، فيما يتعلق بلوم (أم قيس) لكعب، وكذلك يمثل هذا البيت عنفواناً يتجلى بوضوح حين صبَّ كعبٌ استعمال الأفعال مردوفة باستعمال ياء المتكلم، تخصيصاً له، دون غيره من صبِّ هذا اللوم عليه وحده ، وقد تكرر هذا (اللوم)، الذي دلَّ عليه عددٌ من القرائن اللغوية، منها : استعمال الفعل أنصبتني، وهو فيه ما فيه على تجدد حدوث هذا اللوم حتى وصل إلى هذه المرحلة (وأبقي على دراسة هذين الفعلين لمناقشتهما في موضع آخر (ينظر : ٢ / ٢ / ١ من البحث) .

وإذا كان البيت الأول يمثل الركيزة التي تعتمد عليها أحداث القصيدة، كما نلاحظ أنه ورد على لسان كعب، موجهاً حديثه إلى (أم قيس)، وكأن كعباً يصبُّ جلَّ غضبه على (أم قيس) للومها له، وإذا كان البيت الأول، يمثل الركيزة الفعلية التي تعتمد عليها أحداث القصيدة، فإن هذا في الواقع داخل أحداث القصيدة فقط؛ لأن بداية أحداث القصيدة هي في الواقع آخر ما انتهى إليه كعبٌ مع (أم قيس) ومن هنا، نرى مفارقة بين ما تمثله القصيدة، أو ما هو قائم فيها، وبين الأحداث الفعلية؛ لأن أحداث القصيدة، أو رواية أحداثها، لا ريب أنها تاليةٌ لأحداثها الزمنية الحقيقية، ومن ثم، نرى أن الأحداث الأولى في القصيدة، الذي يمثلها البيت الأول، كلها موجهة إلى (أم قيس) من كعب، وهو توجُّهٌ، لم يأتِ بين عشية وضحاها، وإنما كان نتيجة أحداث أخرى كثيرة، أظهرها التحليل الوارد أعلاه، كما أن جوانب أخرى باقيةٌ نظهرها بفضل بيان، فيما نستقبله من تحليل، إن شاء الله .

كما أننا يمكننا إضافة عناصر أخرى، تؤكد ما ذهبنا إليه، فحين نتوجه تلقاء ذلك، نجد عنصرين كائنين في البيت الأول = أعني (لقد) باعتباره حرفاً، يفيد التحقيق، غير أننا نلاحظ أن " لقد " يحتوي على جانبين أو حرفين، وكليهما على قدر لا بأس به في بيان وكشف العلاقات اللغوية الماثلة على سطح القرطاس، أمَّا الجانب

الأول : (اللام)، فهي التي تفيد التوكيد والتقوية، وأراها عنصراً /عـاملاً معضـدا للجانب الثاني، وإن كنت أراها أداة فاعلة بغيرهـا . وأمَّـا الجانـب الثـاني : وأراه العنصر الأساسي الفاعل بنفسه، وإن كان يعتمد أيضاً على عناصر لغوية أخرى، إلا أن مقارنة هذا الجانب الأول (اللام) بالجانب الثاني (قد)، أرى أن الجانبين يعدان عنصرين مكملين للأحداث اللغوية الأخرى الواردة في هذا السياق . وهذان الجانبـان مؤكدان للمعاني التي استظهرتُها في الفقرات السابقة .

إذن، واضحٌ أن البيت الأول تتوجه فيه ضمائر الذات إلى الذات نفسـها، ولا تفسح المجال لحديث آخر غير حديث النفس مع ذاتها؛ لأنها ذات منفعلـة فـي تلـك اللحظة، وقد أدى انفعالها إلى اقتصارها وتقوقعها على ذاتها، حتى لا ترى فـي هـذا البيت إلا ثورة بركان ينفثها كعبٌ في زفرة واحدة، وفي بيتٍ واحدٍ، نتيجة لذلك(اللوم) المعبر عنه بالصيغة الفعلية (تلومني) والمصدر (لوم) الخالي من الحدث الصادر من (أم قيس) . لا ريب أنٍ هذا التقوقع البادي في البيت الأول، أو استعمال ضمير الذات دون استعمال ضمير آخر لذلك الشخص الصادر منه هذا اللوم، إلا مرة واحدة، حين ذكر اسم (أم قيس) كناية، وكأنه لا يريد أن يعيد ذكر اسمها تارة أخرى في هذا الاستهلال لأحداث القصيدة .

بيد أنه إذا كانت ذات كعب، قد سيطرت في البيت الأول، فإن هذا لما ذكرناه أعلاه . وقلنا إن كعباً لم يرد أن يعيد ذكر اسم (أم قيس) في هذا البيت، تجنباً لهـا، ولما يثيره اسمها في نفسه، نتيجة لومها له في الحدث السابق على القصيدة، الذي أدى به في النهاية إلى صياغة الأحداث اللغوية المكونة لبنية القصيدة إجمالاً.

وفي الزفرة الثانية يأخذ ضمير الذات القائم بشدة في البيت الأول ينـزوي وبشـدة أيضاً تبعاً لأحداث القصيدة، وهكذا يعلمنا اختفاء ضمير الذات = أن ثمة ملمحاً أساسياً بدأت القصيدة تنحو نحوه، وهو منحى يعطي القصيدة شكلاً مغايراً عما هي عليه في البيت الأول، وتبدو المفارقة ظاهرة كائنة بين الزفرة الأولى والزفرة الثانية، كما قلنا

= إن البيت الأول يمثل ملمحاً قائماً بذاته، والذي على أساسه تمَّ تقسيم أحداث القصيدة.

وهكذا، وجدنا كعباً في هذه الزفرة يعكس شيئاً يحيك في صدره، وهو اللوم الذي ليس في محله، وهو شئٌ مفارقٌ لما هو قائمٌ في البيت الأول، فتبعاً لأحداث القصيدة تغير استعمال ضمير الذات؛ لأن الذات بدأت تنفك وتخرج من تقوقعها، وتنفتح على جوهر القضية (اللوم)، وقد أخذت هذه القضية أشكالاً مختلفة من الشاعر؛ لكي يعرضها وبوضوح، ومن هنا، مثلت الزفرة الأولى مرحلة الانطواء والانزواء، ومن ثم، جاء ضمير الذات بشكلٍ لافتٍ للنظر، في حين في الزفرة الثانية، مثلت فترة الهدوء المشوب بالحظر، ومن هنا، بدأت نفس سكعب تستريح من صدمة (اللوم) التي مثلتها المرحلة الأولى، وهكذا بدأ يعرض للمشكلة بشيء من التفصيل .

وعلى الرغم من كَوْنِ كعب، بدأ يستفيق من أحداث الصدمة، إلا أن مرارة الألم، ما تزال تحيك في نفسه، الأمر الذي لم يستطع أن يتخلص منه صراحة، على الرغم من أنها مرحلة الهدوء الأولى، إذا جاز لنا أن نعتبرها مرحلة الهدوء الأولى . وإذا كانت هذه مرحلة الهدوء الأولى، وبالتالي فإن أحداث القصيدة بدأت تأخذ شكلا مفارقا لما هي عليه في الزفرة الأولى، وهكذا بدأ ضمير الذات يختفي بشكل مفاجئ بداية من الزفرة الثانية، إذ بدأ الحديث يأخذ شكلاً مفارقاً، حين بدأت الذات تنفتح على أحداث القضية، ومن هنا، أخذت شكلا تتماز به عن أحداث الزفرة الأولى .

ففي الزفرة الأولى، كانت منغلقة على نفسها، بينما في الزفرة الثانية، بدأ الحديث يتوجه تلقاء لوم (أم قيس) للشاعر، وفي ذلك مفارقة لأحداث الزفرة الأولى، على الرغم من أن الزفرة الثانية، هي تفصيل للأحداث المجملة التي ذكرها الشاعر في بيته الأول، الذي مثل موجز القضية . وعلى الرغم من ذلك، اختفى ضمير الذات؛ لأن الشاعر بدأ ينقل الأحداث من ذاته، ويفصل القضية الموجزة في البيت الأول، إلا أنها أخذت منحى آخر من أحداث القصيدة، أو لُبُ أحداثها، أو السبب الفعلي وراء كل الأحداث المكونة لها .

فإذا كان حديث الشاعر منصباً على نفسه في الزفرة الأولى، وهو بدوره الذي أدى إلى بيان ضمير الذات، فإنه في الزفرة الثانية، بدأت الأحداث تتوجه إلى ما هو كائنٌ في نص القصيدة، وهو حديثُ الشاعر أيضاً، إلا أنه أخذ يعرض في الواقع كلام (أم قيس) الذي لامته فيه، ومن هنا، بدأ ضمير الذات يختفي مرة أخرى في هذه الزفرة، غير أنه بدأ يتوجّه وجهة أخرى = وهو توجه تلقاء الشاعر، ومن ثم، نرى ضمير المخاطب الذي انتشر انتشاراً لافتاً للنظر = يناسب الأحداث اللغوية التي عليها الأحداث من القصيدة في تلك المرحلة .

والذي دلَّ على أن الحديث يرويه كعبٌ على لسان (أم قيس) في بداية الزفرة الثانية = بداية البيت الثاني، وصدَّرها بجملة القول (تقول)، وفي ذلك إعلانٌ أن الأحداث اللغوية، بدأت تأخذ شكلاً متمايزاً عما هي عليه في الزفرة الأولى، وفي الوقت ذاته بدأ ينفك عن الذات، وهذا التحول في أحداث القصيدة تبعه تحولٌ من نوعٍ آخر، تحولُ الضمائر من الذات إلى المخاطب، وفي ذلك إعلانٌ آخر في تحول مجرى الأحداث والمفارقة بين المجموعتين، على الرغم أن الأحداث بعضها آخذ برقاب بعض .

ويشير تحوّل الخطاب من ضمير الذات إلى ضمير الخطاب إلى تحولٍ في الأحداث، وأنها بدأت تأخذ شكلاً مختلفاً عن الزفرة الأولى = ففي الزفرة الأولى، تميَّز الخطاب بالإيجاز والاقتضاب، في حين الخطاب في الزفرة الثانية بدأ يأخذ طابع التفصيل، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الخطاب التفصيلي في الزفرة الثانية يظل موجزاً مقارنة بينه وبين الزفرات الباقيات من القصيدة والمكملة لأحداث القصيدة كاملة، وعلى الرغم من ذلك، يظل هذا الخطاب في هذه الزفرة مفصلاً؛ لأن الذات حين بدأت تنفك عن ذاتها، أخذت وقتاً، وعلى الرغم من هذا التحول المفاجئ في الأحداث اللغوية، إلا أنه على مستوى بنية ضمير (الخطاب) ورد بشكلٍ أقلَّ من العنصر اللغوي، وقد كان الشاعر حريصاً على إظهار هذا الجانب في التحولات

اللغوية، حين وضع الجملة الفعلية (تقول) إظهاراً أن هذه الأحداث التالية ليست لـه من ناحية، ومن ناحية أخرى تتماز عن أحداث الزفرة السابقة عليها .

وإذا كانت هذه الزفرة بدأت تأخذ شكلاً مختلفاً، تبعاً لتحولات الضمائر، مـن ضمير الذات في البيت الأول إلى ضمائر الخطاب في الزفرة الثانيـة، ولا ريـب أن ضمائر الخطاب تناسب التفصيل والتفسير الذي تتطلبه هذه المرحلة من مراحل أحداث القصيدة، وهو الخطاب الذي تتوجّه به (أم قيس) إلى كعب، وهو خطابُ لوم، علـى ما تظهره القصيدة .

وقد أخذت ضمائر الخطاب أشكالاً عدة، في محاولة من الشاعر، لكسر رتابة الوزن العروضي وتغيير الإيقاع الخاص بالعناصر اللغوية الماثلة على السطح، وهكذا وجدنا ضمائر الخطاب تتوزع وتتنوع في الزفرة الثانية، ويمكن بيان ذلك واستظهاره فيما نستقبله من تحليل .

٢ / ١ / ١ / ٢ : الربط بضمير الخطاب في الزفرة الثانية :

إذا كنا قد اعتبرنا أن الزفرة الثانية، تمثل انفراجاً من الشاعر وانفتاحاً علـى المشكلة التي سببتها (أم قيس) بلومها له، وهو ما عبر عنه البيـت الأول، وحـين تصالح مع نفسه وبدأ يعرض القضية من جهته هو، لا من وجهة نظرها، أخذ يسـرد الأحداث على لسانها، على الرغم من أنه هو راويها الحقيقي، ومن ثم، أخذت أشكالاً من الظواهر اللغوية تتبدى، ومنها الجانب الخاص بضمير الذات الـذي بـدأ يختفـي بشكل لافت للنظر، ابتداء من الزفرة الثانية، وأخذ يعالن في صراحة تامـة وكاملـة ضميرٌ آخر = ضمير الخطاب . وعلى الرغم من أن الضمير في كل الزفرة، يمثـل ضميراً للخطاب، إلا أنه أخذ أشكالاً متنوعة، وأراها جميعاً تصب في خدمة الغـرض الأساسي لهذه الزفرة .

فالضمائر الواردة في هذه الزفرة، يمكن أن ننظر إليها من جهتين، أمَّا العدوى الأولى، فهي الضمائر المحذوفة وجوباً في الأفعال، وأمَّا العدوى القصوى، فهي التي استعمل فيها كعبٌ الضمير المخاطب، ويقصد به نفسه من المتحدثة باللوم له، وهـي

(أم قيس)، ثم تأتي الجهة الثالثة، وهي منفكةٌ عن الجهتين السابقتين، في استعمال الضمير على هيئة التعميم أو الالتفات، والالتفات في علم لغة النص يمكن أن يستثمر استثماراً أمثل، وأي استثمار ؟ ! والقصد من وراء ذلك دلائل ونتائج نستظهرها فيما نستقبله من حديث كاشف لهذه الملاحظ الثلاث .

أما العدوة الدنيا، فهي الضمائر الواردة مع الأفعال (استبق، لا تكن، تساق) في البيت الأول من الزفرة الثانية، والأفعال (ترمي، تغتال) من البيت الثالث من الزفرة ذاتها . ونلاحظ أن حذف الضمائر مع هذه الأفعال وجوباً، على حد قول النحاة، إلا أن شيئاً يطلُّ برأسه من خلال حذف هذه الضمائر المخاطبة = إذ نلاحظ أن كعباً، يريد أن يستظهر شيئاً آخر على لسان (أم قيس)، إذ تعكس توبيخاً للشاعر بوجه من الوجوه، والأفعال الواردة كلها تدل على ذلك دلالة مباشرة ظاهرة، لا ريب فيها، وأبقي على هذا الموضع، لمناقشة قضاياه مع الأفعال (ينظر : ٢ / ٢ / ٢ / ١ من البحث) .

وأمّا العدوة القصوى، فهي ضمائر الخطاب التي تشكلت مع الفعل (أراك)، ومن ثم، تستحضر شخصية الشاعر أمامها، خلافاً لما عليه الضمير في العدوة الدنيا، على الرغم من أن الغرض من استعمال الشكلين لضمير الخطاب، يكاد يكون واحداً، وهو الضجر من الشاعر، وشدة لومه وتعنيفه، وهو ما يشيعه استعمال الضمير على هذا النحو المشار إليه، في العدوة الدنيا والقصوى على حد سواء وفي كلتا الحالتين، وعلى الرغم من أن استعمال الضمير يكاد يكونُ واحداً، إلا أن هذا التنوع في استعمال الصيغة الخاصة بضمير الخطاب، ينفي عن القصيدة رتابة استعمال الصيغة اللغوية الواحدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يشير هذا التحول في استعمال ضمير الخطاب إلى التحول في الصيغ المختلفة التي كانت تستعملها (أم قيس) في لوم كعب، وذلك فيه ما فيه، من كثرة لومها له، باستعمالها أشكالاً لغوية كثيرة في لومه، ويعكس هذا التصور تصوراً ثالثاً = مدى تأثير الحالة النفسية التي كان يعانيها كعبٌ

من شدة لوم (أم قيس) له ومن إيلافه لهذا اللوم حتى (أنصبته)، على مـا يـذكر الشاعر في البيت الأول .

ثم تأتي الجهة الثالثة والأخيرة، التي يتحرك فيها ضمير الخطاب، الذي بـدأ يأخذ شكلاً مغايراً للشكلين الأولين، حين غيَّر وجهة الحديث، حين تستحضر الشاعر، على الصورة الموضحة في العدوة الدنيا والعدوة القصوى، وفيهما استحضار للشاعر بشكل من الأشكال . أمّا الجهة الثالثة، فعلى الرغم من كونها مشتركة مـع الجهتـين الأولين، إلا أن الخطاب بدأ يتحول إلى وجهة ثالثة، وهي طريقة الالتفات، وهو بهـذا ربما يريد أن يشير إلى سئمه أو سئمها منه، فلم تستحضره أمامها من كثرة لومهـا، ومن كثرة عدم استجابته لها، وهو فيه من الإنكار عليه ولأفعاله، وهـو مـا يعكسـه استعمال الضمير على الجهة الثالثة، ولا أدل على ذلك من أنه أورد الأفعال على شكل حكمه، وبالتالي يمكن أن تنطبق على أية أحد من البشر، الذي يدخل كعبٌ بدوره فـي إطاره، باعتباره إنساناً، وإن كان هو المقصود من كل هذا هو الشاعر ..

أمّا الزفرة الثالثة، يمكن اعتبارها رداً مباشراً على لوم (أم قيس) المباشـر لكعب في الزفرة الثانية، ومن ثم، رأينا مع (أم قيس) في الزفرة الثانية، تتوجه فيـه تلقاء كعب مباشرة، على صور الضمائر التي استظهرتها، أم حين يتبـادل الشـاعر الحديث من (أم قيس) في الزفرة الثالثة، وحين فرغ من حديثها بدأ في رد ما تعيبه به، وبالتالي تأتي الأبيات (٧ ـــ ١٠) كرد مباشر وواضح =على أن لوم (أم قيس) باطلٌ وليس جميلاً .

وبناء على ذلك، نلاحظ أن الشاعر في هذه الزفرة يوجِّه حديثه، أو لـــ (أم قيس)، توجيهاً صريحاً ومباشراً، ليس في ذلك من ريب، والذي نريد إنجازه في هذه الجزئية من التحليل، أن استعمالات الشاعر لضـمائر الخطـاب، جـاءت بالطريقـة وبالصيغة المستعملة من الناحية اللغوية فقط، ويبقى التمايز في الاستعمالات الدلاليـة لضمائر الخطاب بين (أم قيس) من جهة، وبين الشاعر من جهة أخرى .

ذكرنا أن ضمائر الخطاب الواردة على لسان (أم قيس)، تحمل بين جنبتها الازدراء من كعب، وتهوين وتحقير ما يقوم به من أفعال وأعمال، وهذا موجز الضمائر المذكورة أعلاه، غير أن ضمائر الخطاب الواردة على لسان (أم قيس) في الزفرة الثانية تستمر على لسان الشاعر، حين آلمه هذا اللوم، على الوجه الذي بينته وشرحته = إذ نرى تحولات في الخطاب، فبعد أن كان على لسان (أم قيس) صار على لسان الشاعر، وهو رد لهذه التهم التي لامته عليها، وبالتالي بدأت العناصر اللغوية تتوجه وجهة أخرى، مفارقة عن الزفرة الثانية . وإذا كنا اعتبرنا أن تحولات الضمائر بين الزفرة الأولى والثانية، تعد علامة فارقة في التمييز بين المجموعتين، بالإضافة إلى العناصر اللغوية الأخرى، فإن الضمائر هنا بين الزفرة الثانية ــ فيما أزعم ــ لا تعد تحولات ذات قيمة في المفارقة بين الجوانب اللغوية لهاتين الزفرتين .

فإذا كان الخطاب في الزفرة الثانية بأشكاله المختلفة موجهاً بشكل مباشر إلى الشاعر، فإنه في الزفرة الثالثة يتوجه تلقاء (أم قيس) من الشاعر، وهنا نلاحظ أن الأحداث اللغوية في القصيدة قائمة على جملة من الحوار، وإنما هو مستحضرٌ في ذهن كليهما استحضاراً ينفي عنه تهمة البعد . ولنا مع هذه الوقفة فضل بيان في موضع آخر، إن شاء الله .

وهذا الاستحضار بين الشخصين اللذين يمثلان جوهر الصراع الدائر رحاه في هذه القصيدة، يمكن رده إلى نقطتين، الأولى : أن يكون هذا الحدث، قد مثّل مشكلةً عويصةً بينهما، مما استوجب على كل منهما أن يعيد النظر فيما حدث، وذلك فيه ما فيه من جلالة الحدث، وإن كنت أرى أن الصدمة كانت للشاعر أعمق والجرح فيه أغور؛ لأنه كان ــ كما سنبين ــ طيلة القصيدة في حالة رد لهذه التهم ودفاع عن نفسه، وقد استلزم هذا منه استعمال أشكال مختلفة، على ما يظهره جوانب التحليل . الثانية : أن يكون مثّل مشكلة نفسية للشاعر بينه وبين نفسه، لما صدر من أم قيس تجاهه .

وأول ما يطالعنا في هذه الزفرة الأولى على لسان الشاعر من زفرات الرد ، وهي الزفرة الأولى والأساسية في رد هذا اللوم، وأحسب أنها النفثة الأولى التي نفثها الشاعر، أو الزفرة الأولى التي خرجت منه عقب الخروج من حالة التقوقع والالتفاف والانطواء على الذات، وعقب سرد لوم (أم قيس) له، فجاءت قوية مـذعورة، مـن نفس أوجعها ما نسب إليها ما ليس منها في شئ، فجاءت قوية قوة الدفعة الأولى دائماً.

وإذا جاز لنا أن نحصر ضمائر خطاب كعب لـ (أم قيس) فـي رده الأول والقوي في هذه الزفرة، أمَّا الجهة الأولى الخاصة بخطاب الشاعر لـ (أم قـيس)، فنراه استعمل ضمير الخطاب بالصيغة والشكل التي تعاملت بها (أم قـيس) معـه، ومن هنا، رأينا الأفعال (تعلمي) في البيت الأول من الزفـرة الثالثـة، ثـم الفعـل (ترهبينه) في البيت الثالث من الزفرة، ويبدو كما هو واضحٌ، أن صيغة الخطـاب منه لها تحمل السمة الدلالية ذاتها، التي حملتها الضمائر التي استعملتها (أم قـيس) في الزفرة الثانية، وهو إرادةُ إنكار لومها عليه وردها له، فكانت الزفرة الأولى قويـة قوة الصياغة التي تعاملت بها (أم قيس) في لومها له، وهو يناسب رد الفعل الخاص به؛ لأن لومها له من شدته، كان سبباً صريحاً في صياغة الأحداث اللغوية المكونـة لبنية القصيدة، وهذا فيه ما فيه من وقع التجربة التي كانت قوية وشديدة عليه، ومـن هنا، كانت الضمائر بذات القوة التي استعملتها (أم قيس) .

أمَّا الجهة الثانية التي نرى فيها ضمير الخطاب، يسـلك فيـه الشـاعر ذات المسلك الذي سلكته (أم قيس) مرة واحدة في حديثها = أعني اسـتعمال الفعـل مـع الضمير المخاطب مع الحرف (فإنك) في البيت الثالث من هذه الزفـرة، ونسـتبين المفارقة هنا، حين استعملت (أم قيس) الضمير مع الفعل (أراك)، بينما اسـتعمل الشاعر ضمير الخطاب (الكاف) مع الحرف، وكأنَّ كعباً يريد أن يغيّر طريقتها، ولا يلزم غرزها في كل ما استعملته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه المحاولـة لكسر رتابة الإيقاع الذي يسببه الوزن العروضي، ويعيد إليها سمة الاستمرارية التـي

تتخلق من خلال العناصر اللغوية الماثلة على سطح الورق، ومنها ضمائر الخطـــاب بأشكالها المختلفة .

وأمَّا الجهة الثالثة، الخاصة بضمير الخطاب في هذه الزفرة، فهو ليس موجوداً في الزفرة الثانية؛ لأنها وردت على لسان (أم قيس)، وكان اللوم صادراً منها، ولــم يكن ثمة ما يؤلمها = فقد كانت هي الفاعلة، وقد كان كعب هو القابل لهذا اللوم، ومن ثم، لم نر (أم قيس) تضيف ضمير الخطاب إلى نفسها، أمَّا في الزفرة الثالثة، ففــي نفس الشاعر مرارة، لا تدانيها مرارة، وهو في رده للومها مكلوم مطحون من عتابها ولومها له، ومن هنا، أعاد الضمير مع الفعل (يصيبني) في البيت الثالث من الزفرة . ولم يكن استعمال الشاعر لضمير خطاب الذات مع الفعل فقط، بل أراد مع الأسماء أيضاً، ففي البيت الأول من الزفرة نرى (منيتي، قعودي، رحيلي) ويمثل هذا البيت باستعمال ضمير الخطاب الخاص بالذات قمة الحالة النفسية التي كان عليها الشـــاعر في أثناء كتابة هذه القصيدة .

فإذا كنا قد قلنا إن الزفرة الثالثة، هي الزفرة الأولى من الزفرات التي يزفرها الشاعر رداً على لوم وعتاب (أم قيس) له، فإن البيت الأول من هذه الزفرة يمثل ــ في ظني ــ قمة الثورة والعنف التي كان يتعرض لها الشاعر نفســياً مــن أذى (أم قيس) له، ومن هنا، جاء هذا البيت الأول، بما يمثل ثورة بركانية من نفس مكلومة، أو نسب إليها ما أوجع الشاعر، ومن ناسبت الضمائر في البيت الأول اللقطة الأولى، بما فيها من قوة وعنف . وهذه الحالة ــ على الرغم من المفارقات التي ذكرتها أعلاه ــ فيها من تشابه المقامات بين هذه الزفرة والزفرة الأولى؛ لأن كليهمـــا صـــادر عــن الشاعر، فإذا كانت الزفرة الأولى اقتصرت فيها الضمائر على ضمير الذات، على ما أوردنا؛ لأن الذات كانت لا تزال منغلقة على نفسها، في حين في الزفرة الثالثة بــدأت تتفتح على الآخرين، وبدأت تستعيد قواها، ومن هنا، شاع استعمالُ الضمائر الأخرى، وإن وجد ضمير الذات الذي دل على أن هنالك مرارة في نفس الشاعر، لم يستطع أن يتخلص منها، على الرغم من انفراجه الأزمة عنده .

وبناء على هذا الاستخلاص، فإنّ وجوه المقاربة واضحةٌ معلنةٌ بين الزفرة الأولى والزفرة الثالثة؛ لأن كليهما صادرٌ عن الشاعر، وإن كانت حالته النفسية مختلفة في كلتا الحالتين، الأمر الذي انعكس بدوره على استعمالات الضمائر على النحو الذي بينته بياناً وافياً .

كما نلاحظ أن الفاعل في هذه الزفرة، قد أثبت في البيت الأول والثاني، وتحديداً في (قعودي، ورحيلي) في البيت الأول، و(حمامي) في البيت الثاني من الزفرة، وهي سمة ليست موجودة في المجموعتين السابقتين، ذلك أن كعباً أراد أن يثبت الفاعل، على عكس ما صنعته (أم قيس) على طول الخط، وعلى عكس ما صنعه الشاعر غالباً؛ لأن كعباً لم يرد في حالات إثبات الفاعل المذكور في هذه المواضع من القصيدة، أن يلوم أو يعنف (أم قيس)، كما كان مقصدها، حينما استعملت هذه الضمائر على الوجه المشار إليه أعلاه، وإنما أراد أن يرد قولها في لين ويسر . فعلى الرغم من الثورة الكائنة بداخلة التى جسدتها استعمالات الضمائر المخاطبة في وجود بقايا الألم والمرارة والحسرة في داخله على النحو الموضح أعلاه، إلا أنه على الرغم من ذلك يظل العتاب القائم منه يحمل سمة الود والرد الجميل، وهذا التفسير يوحي بشيئين، <u>الأول :</u> مكانة (أم قيس) بالنسبة لكعب، وحبه لها، وأنه يحتمل أذاها في نفسه، حباً وتكريماً لها، <u>الثاني</u> : أن هذا العتاب ورد قول (أم قيس) له، يشعر بالتمايز بين عتاب (أم قيس) له، كما جاء شرحه، وبين استعمالاته للضمائر على النحو المشار إليه، وفي ذلك مفارقة بين تعاملها معه وتعامله معها، وفي ذلك أيضاً بيانٌ بمدى مقدار حبها وتحمله لقولها، كما أنه مفارقة بين رؤيتين مختلفتين .

أمّا الزفرة الرابعة، فذات صلة وثيقة بالزفرة السابقة عليها، على الرغم من كون كل واحدة تحمل سمات مغايرة للسمات الخاصة بالزفرة الأخرى = فإذا كانت الزفرة الثالثة والسابقة لهذه الزفرة تحمل الرد المباشر والقوي ــ كما ذكرت ــ إلا أنها وثيقة الصلة بما يليها، وتتبدى أواصر القربى بين المجموعتين، حين نلم بأطراف

الحديث = إذ نلاحظ أن كعباً حين أراد يرد على دعوى (أم قيس) ولومها له نفث نفثات أربع = من نفس مكلومة مما وجّه إليه من لوم، وقد كانت النفثة الأولى أقواها، وقد أخذت هذه النفثات أشكالاً متنوعة من الصيغ اللغوية، التي تعكسها القصيدة، وعلى الرغم من ذلك يظل بينها رابطٌ = أنها جميعاً تصب في رده على لومها له، ولومها له باطلٌ بدليل هذه النفثات الأربع = وهي نفثاتٌ تدعِمّ رؤيته وتردُ لومها من جهتين، أولاها : النفثة الأولى والمباشرة، تلتها : النفثة الثانية التي تمثلها هذه الأبيات، وإن أخذت شكلاً مختلفاً في أحداث القصيدة، إلا أنها تؤكد موقفه وترد كلامها بالحجة والبرهان الساطع الذي لا يحتاج معه إلى برهان به .

فإذا كانت النفثة الأولى في رد كعب لكلام (أم قيس)، فإن النفثة الثانية التي نحن بصددها، جاءت بالدليل والبرهان الذي لا يرد، حين أورد وقائع من كرمه، وهي وقائع يبدو على ما تظهره النفثة الثالثة، أن (أم قيس) كانت على دراية وعلم بها، بحيث لم تشر القصيدة إلى ردها لكلام كعب، ويبدو كذلك أن هذه الأحداث كانت معلومة للجميع، بحيث صارت وقائع لا ترد . وفي هذه النفثة دليلٌ ناصعٌ على ما أورده في البيت الأول (وما لوم مثلي باطلاً بجميل)، وهكذا نلاحظ أن هذه النفثة تؤكد رؤية كعب، وفي الوقت ذاته ترد رؤية (أم قيس) بالدليل الذي لا يحتاج إلى برهان = خاصة إذا كان الموضع يتعلق بالكرم، والكرم صفة لا يستطيع أن ينكرها منكر، خاصة إذا كان صاحبها متصفاً بها .

ومن ثم، نلاحظ بناء على هذا التحليل، أن كعباً بدأ يستفيق أكثر مما كان عليه في النفثة الأولى التي نفثها في وجه (أم قيس)، على ما تشير إليه الأبيات صراحة أو ضمناً، كما أوردتُ من تحليل، فإذا كان في النفثة الأولى، بدأ يرد، إلا أنه بناء على التحليل السابق أعلاه، كانت هنالك لوعة تعتلج في نفسه، على الرغم من استظهار الهدوء النسبي، الذي نلاحظه في محاولة نفثه نفثات في وجه (أم قيس)، إلا أنه في هذه النفثة بدأ يستفيق أكثر، وبدأ يأتي بالدليل القاطع، خلافاً لما هو في النفثة الأولى، على الرغم ما فيها من رده لكلام (أم قيس) .

وفي هذه الزفرة الثانية التي تصدر عن كعب في رد لومها، نرى ضمائر الخطاب، تختفي مرة أخرى، ويظهر ضيرٌ آخر، وهو ضمير المتكلم، الذي يشكل وجوده في هذه الزفرة ملمحاً رئيساً، ومن هنا، أخذ حديث الشاعر تطل فيه ضمائر الفاعل، بشكل لافت للنظر، في توكيد على أن تقسيم القصيدة على النحو المقترح في صدر هذا البحث، إنما هو تقسيمٌ مبنىٌّ تبعاً لمجريات الأحداث التي تشكِّل بنية القصيدة، ومن جهة أخرى، تؤكد أن هذه الزفرة خلافاً للزفرة السابقة عليها .

وعلى هذا الأساس، فإن ضمائر المتكلم (الفاعل) بدأت تظهر في هذه الزفرة الثانية من الشاعر في الأفعال التالية (قسمته، رفعت، درأت، دعوته، فقلت) كل هذا بصيغة التاء الواردة مع المتكلم، وهو الشاعر هنا، ولم تشذ إلا في ثلاثة مواضع، حين جاء الفاعل منفصلاً في (الجوزاء) في البيت السابع من هذه الزفرة، وفي (جوز) في البيت الرابع من هذه الزفرة كذلك، وفي (نومك) في البيت الخامس من هذه النفثة = ذلك أن كعباً، لم ينسب لنفسه هذين الفعلين، في شارة للمفارقة بين استعمال الفاعل بصيغة التاء المتصلة بنفس المتكلم، وكأنه يريد أن يقول إن اتصال الفاعل بصيغة (تاء الفاعل) مع هذه الأفعال التي ذكرتها، إنما يوحي بالاتصال بين الفعل والفاعل، وهو منه بمنزلة الفعل من الشاعر، أو أن اتصال الضمير بفعل الشاعر، إنما هو قريب من الشاعر قرب ضمير الفاعل من الفعل . خلافاً لورود الفاعل منفصلاً = إذ يشير إلى اتصاله بالشاعر، وهو ليس منه، وهو ما حدث هنا، حين نسب الشاعر الفعل إلى (الجوزاء) وليس إلى ذاته .

وثمة ما يؤكد هذا المذهب الذي ذهبتُ إليه، أن ضمائر المتكلم، لم ترد لتمثل بنية لغوية منفصلة عن غيرها من العناصر اللغوية الأخرى، وأحاول أن أؤكد هذه الرؤية من خلال الضمائر الأخرى المنتثرة على مساحة هذه الزفرة = ففي البيت الأول من هذه الزفرة، نرى الشاعر يستخدم ياء المتكلم أيضاً، غير أنها ليست مع الأفعال، ولكن إما مع الحروف، وإما مع الأسماء، على النحو التالي .

فأمّا مع الحروف، نرى إضافة ياء المتكلم في (بيني، عليَّ)، وأمَّا مع الأسماء، فهي أكثر انتشاراً، كما في (زميلي، زادي، أكيلي، براحتي، نزولي)، وتعتضد هذه الضمائر التي نستشعر في إضافتها إلى الشاعر، ما يوحي أن هذه الصفات الخاصة بالأسماء قريبة منه، سواء أكان الزميل، أم الأكيل، أم النزول = فهذه الأسماء تحمل صفات، وهذه الصفات على تعددها، إلا أنها جميعاً قريبة منه، أو هي جزءٌ منه، أو هي حسب رواية القصيدة منه وله .

وعلى هذا، فإن رجلاً بهذه الصفات = أعني استعمال الضمائر بصيغة (تاء الفاعل) مع اعتضاد ذلك بإضافة ضمائر المتكلم إلى الأسماء أو الحروف، من خلال كل ذلك، يريد أن يقول، إن رجلاً هذه صفاته وخلقه وديدنه، لا يمكن أن يلام بأية حال . ولم يكن كعب حتى هذه اللحظة من القصيدة يقتنع بما قدمه، في رده على (أم قيس)، ولم تكن ثورته قد هدأت بعد، فما زالت الزفرات على الرغم مما قاله على أشدها، فأراد أن يقدم لها الزفرة التالية، في توجّه منه لإظهار أكثر أن مثله لا يجب أن يلام . ولهذه الزفرة الثالثة نستقبل ما ذكره كعبٌ فيما يتصل بالضمائر ودورها أو قدرتها على تحوّل الخطاب، وتأثير العناصر اللغوية، على توجيه الأحداث في نص القصيدة، بما لها من قدرة لا تنكر في هذا الباب .

على أن ثمة أشكالاً أخرى لاستعمال ضمير الخطاب في هذه الزفرة، تتمثل في أن أفعالاً أخرى حذف منها الفعل وجوباً، على النحو الذي بيناه، ونلاحظ أن الشطرة الثانية من البيت الثاني من هذه الزفرة، وكذلك الشطرة الثانية من البيت الثالث من الزفرة ذاتها، حذف الفعل وجوباً = وكأنه يريد أن يقول إن هذا الفعل مني بمثابة الجزء، أو هو صادرٌ عني، لا عني غيري .

غير أننا واجدون أفعالاً في هذه الزفرة، حُذِفَ فيها الفاعل وجوباً أيضاً، إلا أنه لم يأت على ما هو عليه في الحالة الأولى، الواردة أعلاه، نجد ذلك واضحاً في الفعل (فارتحل) فهو محذوف وجوباً، كما في المرة السالفة الذكر، إلا أنه فيما يظهر من استخدام الفعل وأدائه، يفيد التضجر واللوم من هذا الصاحب، على أن هذا

الاستخلاص مفادٌ من عدد من العناصر اللغوية الأخرى، التـــي لا أريـــد أن أتوقــف عندها، وأبقي عليها لمناقشة جوانب منها عند تحليل الجوانب الخاصة بالأفعـــال، إن شاء الله تعالى .

وتبقى جزئية أخرى في هذه الزفرة، تتعلق بالضمائر أيضاً، إلا أنهـــا ليســت ضمائر خطاب أومتكلم، ولكنها ضمائر إحالية، وأخص (الهاء) الواردة في البيــت السابع والثامن من هذه النفثة، وواضح أن الضمير في كلا الموضعين (الهاء) يحيل إلى سابق قريب، وليس بعيداً، فالضمير في الأول يحيل إلى سابق، وهـــي (أعجــاز النجوم)، والنص (سحيراً، وأعجاز النجوم كأنها) وبالتالي فالضمير يحيل إلى سابق قريب، وإلي الجملة ذاتها . وأيضاً الضمير في الموضع الآخر (وقد شالت الجــوزاء حتى كأنها) يحيل إلى سابق قريب، وبالتالي فإن إحالته لا تتعدى حدود نحو الجملة .

بيد أن الشيء الذي يحتاج إلى نظر، ليس الضمير مع ما قبله، ولا ينبغـــي أن نتوقف إلى النظر إلى هذه الجملة عند هذا الحد، وإنما ينبغي أن نوسع الدائرة، فيمـــا يقوم به، أو علاقته بما يليه، وهل هذا الكلام مبني عليه، أم أن الكلام أخذ ينحو وجهة أخرى ؟ .

والذي نلاحظه، كما يلاحظه الآخرون، أن كل ما يلي هذا الضمير، أو هـــذه الجملة، وتحديداً بداية من الشطرة الثانية مع كلا الضميرين المذكورين أعلاه = أنـــه في كلتا الحالتين جاءت (صوار) و (فساطيط) خبراً لـــ (كأنَّ) الواردة في البيت الأول في كلا البيتين، ومعلومٌ ارتباط الخبر بالمبتدأ = إذ به يتم المعنى، أو هو جـــزءٌ من المعنى الذي لا يتم إلا به = أو أن الخبر إنما هو صفةٌ للمبتدأ، علـــى مـــا أورده الإمام عبد القاهر، وبالتالي بدأ على هذا النحو يربط الشطرة الأولـــى مـــن البيتَـــين بالشطرة الثانية من خلال الخبر، والذي دعم هذه الرؤية، أو الـــذي أدى إلـــى هـــذا الارتباط، إنما هو الضمير القائم في (كأنَّ) في كلا البيتين، ولم يتوقف الأمر عنـــد هذا الحد، وإنما جاءت الجملة التالية للخبر (صوار) كأنها تمثل صفة لهذا الصوار، وهكذا يعمل الضمير على شد أواصر العناصر اللغوية، على الطريقة التي بينتها، أمَّا

البيت الثاني مع الضمير، فيأخذ شكلاً آخر مختلفاً عنه مع الضمير الأول = إذ يضاف إلى الخبر (فساطيط) كلمة (ركب) والجملة التالية (بالفلاة نزول) كأنها صفة لها، على ما هو في البيت الأول .

ثم تبدأ بعد ذلك الزفرة الثالثة لكعب التي يطلقها في وجه (أم قيس)، وهي تختلف عن الزفرتين السابقتين، في أنه بدأ يتوجه وجهة جديدة، وعلى هذا الأساس، بدأت اللغة تأخذ شكلاً مغايراً عما هي عليه في الزفرة السابقة = لأن الأبيات بدأت تأخذ طابع الحكمة على لسان كعب، وهو توجّهٌ جديدٌ في التدليل على ما أورده في البيت الأول بأن لومها بالباطل، ليس جميلاً، وهكذا يتوجه وجهة جديدة في الدفاع عن نفسه، أو يقدم دليلاً جديداً في وجه (أم قيس) على أن لومها له باطلٌ .

وإذا كنا قد قلنا إن الأحداث اللغوية بدأت تأخذ شكلاً مختلفاً، وبالتالي فقد أدى هذا التحول إلى تحول في بنية الضمائر، وهنا نجد الضمائر في هذه الزفرة، لم تكن موجودة على هذا النحو في الزفرات السابقات التي أطلقها كعب في وجه (أم قيس)، إلا في البيت الرابع من الزفرة الثانية، وهو بيت أراه غير متجانس مع أبيات الزفرة التي ينتمي إليها، وغير متناسب بالمرة مع لوم (أم قيس) له .

وهنا نجد ضمائر المتكلم لا تأخذ شكل من هو مكلوم، أو شكل من هو يخاطب أحداً، وإنما تأتي أبيات الحكمة، وكأن الحديث ليس مقصوداً به شخصاً محدداً، أو هكذا تظهر العناصر اللغوية المتمثلة في ضمير المتكلم، والمتكلم هنا هو كعب، إلا أنه يصوغ هذا الحديث، وكأنه ليس على لسانه، وبالتالي تأتي الضمائر منمازة عن تلك الواردة في الزفرات السابقات = لأن القصد منها غير مباشر، فهو بدأ يغير طريقته، ربما على أساس، أن كعباً ردَّ عليها بأكثر من وجه، وأفسح لنفسه المجال، فأراد أن يغير هذا المذهب، كسراً لرتابة الطريقة الواحدة في عرض الحجج والبراهين في التدليل على ما يريد أن يصبو إليه .

وإذا كنتُ قد قلت إن حديثه هنا، لم يأت رداً مباشراً، كما كان في الزفرات السابقات، حين وجَّه الكلام لها مباشرة = لأن الزفرات الأولى من القوة والشدة،

بحيث لا يمكن أن يكون كلامه مستتراً أو متوارياً بالحجاب، وإنما يأتي هذا الشكل من الحديث، حين تستريح النفس وتهدأ أكثر مما كانت عليه في الزفرة السابقة، والسابقة مقارنة بما قبلها، كانت أهدأ مما قبلها، وهكذا، تمثل الزفرة الأولى زفرة من مكلوم أصابه أشد ما أصابه هذا اللوم من (أم قيس) .

وعلى هذا الأساس، نلاحظ أن كعباً، لم يرد كما فعل سابقاً، حين وجه كلامه بصيغة العموم، وهي صيغة فيها ما تحتوي عليه نفس الشاعر من صفات حميدة، وهي صفاتٌ مختلفةٌ عن سابقتها، ومن هنا، جاء الضمير ليس موجهاً توجهاً مباشراً إلى (أم قيس)، وإن كنت أرى أنه كان يقصده لذاته، في تنويع الصيغ، وألا تجري على الأحداث اللغوية مجرى واحداً .

وعلى الرغم مما قلته إن حديثه، وإن كان يحمل صفة العموم، إلا أن هذا لا يمنع من أن الصيغة المختصة بهذا الحديث هي (أم قيس)، وهو يريده ويقصده لذاته، كما نلاحظه من استعمال الفعل الذي يكشف عن المرارة التي تقدح زناد الشاعر، على الرغم من تلك الزفرات التي أطلقها في وجه (أم قيس)، والتي أراها أنها هدأت من روعه، فقد كشف الفعل (أستمع) عن مكنون الشاعر، وأنه يريد أن يدفع التهم واللوم بوجه من الوجوه، ولم يبق الأمر، وإنما انتشرت هذه الصيغة على مستوى هذه الزفرة الثالثة، وإن كانت أهدأ من سابقاتها مما نراه من استعماله للأفعال (أعرض، لو شئت، وأذكر)، وكذلك استخدام ضمير المتكلم، مثل (أنا، وما أنا، ولست)، ثم ثالثاً وأخيراً إضافة ياء المتكلم مع الأسماء نسبة إلى نفسه = لأن كعباً هو المتحدث، وهو صاحب هذه الصفات، وبالتالي فالياء في (نافعي، صاحبي، مولاي، سبني، سريرتي) منه وله .

على أن هنالك قضيةً أخرى تتعلق بالضمائر في الزفرة الخامسة، زفرة الحكمة، وأعني الأبيات (٤، ٥، ٦) من هذه الزفرة، والحديث فيها يتوجّه به كعبٌ إلى سيده، وقد بدأ ذلك واضحاً في البيت الرابع من هذه الزفرة، حين ذكر سيده صراحة، وفي ذلك شارة بينّة على عبوديته، غير أن الذي لم يذكره، أنه لم يتعرَّض

إلى كنهه هذا السيد الذي تحدث عنه؛ لأن حديثه في الأساس، لا يتعلق بهـذا السـيد، وإنما ورد حديثه بما يشبه الحديث العام، كان ذلك واضحاً في البيت الرابع من هـذه الزفرة، بيد أنه في البيتين، لم يذكر اسمه صراحة، وإنما أحال بالضـمائر المباشـرة الدالة عليه، أو بصفة من الصفات التي نعته بها، كصفة (الجهال) وهي صفة تتسق مع ما وسمه به في البيت الرابع بصفة التهور (لو شئت سبني) وهي فيها ما فيهـا، ما يتسق مع وصفه بالجهل، أو بجهول .

إذن، واضحٌ أن الضمائر عند كعب وسائل يحاول من خلالها أن تتكاتف الأدلة والوجوه المختلفة على دفع تهمة (أم قيس) له = نستشعر ذلـك مـن خـلال هـذه الضمائر، التي حاولت أن استظهرها كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً .

٢ / ١ / ٢ : الربط بالإعادة :

على سبيل التوطئة :

فضّلتُ في بحث سابق * مصطلح الإعادة على مصطلح التكـرار التـام أو المحض، لما يثيره مصطلح التكرار من دواعي تراثية، هذا من ناحية، ومـن ناحيـة أخرى أشمل وأصدق قيلاً على مراد الباحث . ومما ليس عليه ظل لريـب، أن هـذه الإعادة تعمل بالتداخل بين الجانب المتعلق باللفظ والمحتـوى، أو السـبك والحبـك بمصطلح أولي الأهلية من أهل هذا العلم . وعلى بصيرة من هذه الرؤية، فـإن هـذا الجانب، يعالج في إطار المعيارين الخاصين بالنص حسب ما أورده كل من بوجراند / درسلر وإيزنبيرج، وفاتر، وفانديك وبحيري، وغيرهم ناس كثير .

على أننا نتوجه شطر ظاهر اللغة = أعني الجانب المتعلق بظاهر اللغة بمـا هي عناصر متداخلة ومتصلة بعضها ببعض في آن واحد . على أية حال، فإن هـذا العرض لهذه الإعادة المذكورة أدناه، مما هو قائم في بنية القصيدة، ومن ثـم، ربمـا تكون هنالك بعضُ أنواع الإعادة التي لا تجد لها ذكراً فيما نورده على سنة التفصـيل

---

* هذا البحث بعنوان سورة الجن نموذج للتضافر بين أبنية السبك وأبنية الحبك، نشر بإصدار خـاص بمجلـة كلية دار العلوم القاهرة، ٢٠٠٦ .

والتحليل . وأشرع الآن مباشرة في بيان أنواع الإعادة المذكورة في نــصّ القصــيدة بفضل بيان فيما نأتي عليه من تحليلٍ .

٢ / ١ / ٢ / ١ : الإعادة التامة / إحالة معجمية :

مدخل لا بُدَّ منه :

أشار بعض الباحثين إلى التسوية بين التكرار التام / الإعادة التامة والإحالــة المعجمية [٨]، وأراها تسوية تحتاج إلى فضل بيانٍ ومناقشة، فالإعادة التامة، هي إعادة اللفظ بذاته، دون تغيير، شريطة أن ينتميا إلى جذر لغوي واحد، أمّا الإحالةُ المعجمية، فالمقصود منها إحالة جزء من نص إلى كلمة محددة، وهذا الجزء قد يكون جملة، أو فقرة، أو نصاً كاملاً، وعلى هذا، فالمفارقةُ واضحةٌ بينها، وإن كان يمكن أن يحــدث بينها لبسٌ لدى القارئ، ومن ثم، ينبغي على الدارس أن يكون على بيِّنة وبصيرة بهذه التمايز .

فالإعادة الصريحة تكمن في تطابق الإحالة (تساوي الإشــارة) لتعبيــرات لغوية معينة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرر تعبير معين (كلمــة أو ضــميمة مثلاً) من خلال تعبير أو عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة إحالية . ويعني مفهوم المطابقة الإحالية والتحاول (Koreferenz) أشخاصاً وأشياء وأحوالاً، ووقائع، وأفعالاً وتصورات ... إلخ [٩] .

بيد أن موضعاً في هذا التعريف، يحتاج إلى مدارسة = فإذا كانــت الإعــادة صريحة، فينبغي فيما أتصور أن تكون لحماً وشحماً، هذا ما يتبادر إلى الذهن حــين النظر الأول، أمّا أن تشمل الإعادة ضمائر وأفعالاً وأشخاصاً ... إلــخ، فــيمكن أن تندرج في هذا الإطار، لكن تعالج داخل أقسام أخرى من هذا التحليل، فالضمائر مثلاً، تعالج مع الإحالة، وهنا أحب أن أتوقف مع هذين المفهومين، وأفرِّق بينهمــا تفريقــاً، أحسبه موضحاً للقضية، بشكل من الأشكال .

---

[8] د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري، ص٢٤٢ .

[9] برينكر : التحليل اللغوي للنص، ص ٣٨ .

كان القدماء على وعي تام، حين فرقوا تفريقاً مبيناً بين هــذه المصــطلحات، فوضعوا للإعادة التامة أو الصريحة اسم (التكرار التام)، وتعاملوا مع الضمائر على أنها إحالة، غير أنها إحالة من نوع آخر، لا ينطبق عليها في الخصوصية ما ينطبــق على الإعادة الصريحة؛ لأن لكل منها خصوصيةً، تنماز بها عن غيرها، وإن كانــت تشترك في الإطار العام، وهو الربط . وعلى أساس من هذا التفريق، كان ينبغي على برينكر أن يحدد المفاهيم بدقة، لا أن يتركها عامة، يندرج في إطارها عددٌ من المفاهيم الجزئية، مما يشيع لغة التعميم، التي تبتعد عنها لغةُ البحث العلمي .

وكان د. مصلوح على وعيٍ تام ومدركاً لهذا الأمر، حــين عــالج التكــرار المحض ــ على حد تعبيره ــ فقال : كان ما سلف أن سقناه من حديث عن نوع بعينه من التكرار سميناه (التكرار المحض) بيد أن الحــديث لا يــتم إلا بالإشــارة إلــى مظهرين من مظاهر التكرار المحض : أولهما : التكرار مــع وحــدة المرجــع (أي والمسمى واحد) ... وثانيهما : التكرار مع اختلاف المرجع (أي والمســمى متعــدد ... [10] .

وعلى الرغم من أن تقسيم د. مصلوح يتجاوز به تقسيم برينكر، إلا أنه خلــط بين نوعين من الإعادة لا ينبغي لرجل في مكانته أن ينزلق فــي هــذا المهــوى ذات القرار البعيد؛ ويبدو أن هنالك تفريقاً يمكن أن نستبينه بين الجناس بأنواعه والتكــرار بأنواعه أيضاً = ذلك أنِّي كنت قد أبنتُ في موضع سالف = أن التكرار اختلف حوله الباحثون، هل يقع بين عناصر السبك أو عناصر الحبك ؟ وقلــت حينئــذ إنــه يقــع الموقعين معاً ويعمل فيهما أصالة، لكن الذي ينبغي التنبيه إليه، أن الجنــاس حســب مصطلح البلاغيين، ينخلع على مصطلح التكرار، بيد أنه يتداخل معه مــن الناحيــة الشكلية = إذ التشابه قائمٌ بينهما على أساس بنية السطح، ويظل التمايز ظاهراً في بنية العمق، ومن ثم، فإن مقاربةً واختلافاً قائمين في الوقت ذاته بين الجناس والتكــرار .

---

[10] د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري، ص ٢٤٢ .

وإذا كنا قد ذكرنا أن التكرار يتعلقُ ببنية السطح والعمق معاً، ويعمل فيهما أصالة، إلا أن الجناس يتعلق بالآخر من خلال بنية السطح، ومن ثم، فالجناس يعمل في بنية ظاهر اللغة أصالة، ويعمل في بنية عالم النص بالتبعية، ويؤدي هذا التمايز الحاصل بين النوعين إلى تمايز بينهما في التفريق ووضع المصطلحات في موضعها، وتحديد دلالتها، لا أن تكون دالة على العموم، ومن هنا، تعمم المصطلحات وتتداخل . وعلى بيّنة من هذا التفريق نضع الجناس وحده منمازاً عن قضايا التكرار بأنواعها، وإن كنتُ أرى أن البلاغيين العرب قد عالجوا التكرار تحت باب الجناس، كما عالجه النحاة تحت باب التكرار اللفظي والمعنوي، وعلى أساس من هذا التفريق، جاءت معالجة د. مصلوح متداخلة، كما هي معالجة البلاغيين والنحاة على السواء، وإن كان قد أفاد من تقسيمات بوجراند / درسلر في استعمال المصطلح، ولم يشر إلى ذلك . بيد أن الأمر في لسانيات النص = أو لسانيات الخطاب على اختلاف فيما بينها في التعامل مع كل منها منفرداً .

وعلى هذا، فتحديد المصطلحات وما تعنيه، إنما يوضّح جانباً، ويكشفُ عن علاقات التأويل الصحيح، والإلمام القويم بين ما هو جديدٌ مستوردٌ، وما هو موروثٌ أصيلٌ، يمثّل ثقافة من أعرق الثقافات في تاريخ الفكر الإنساني . وها أنا أورد هذه الأنواع، حسب ما هو واردٌ في نصِّ القصيدة، وأحاول أن ألم بما يتعلق بها في نص القصيدة إجمالاً، وأذكرها في البيان الآتي :

٥ ــ ١٤ : سبيل .

١٥ ــ ١٨ : قليل .

٨ ــ ١٨ : النفس .

نستظهر من خلال تحليل نصِّ القصيدة، على النحو الذي بيَّناه، أن موضوعات متنوعة تنتشر على مساحة القرطاس بالقصيدة، وقلنا آنذاك إن الزفرة الثالثة، هي الزفرة الفعلية، التي زفرها كعبٌ في وجه (أم قيس)، وقلنا أيضاً إن هذه الزفرة هي الرد المباشر والفعلي، ثم انتقل كعبٌ بعد ذلك للحديث عن كرمه، وأنه أخذ منه

مشارب شتى، ثم تناول أبيات الحكمة، مظهراً جدلية المفارقة بين ما تلومه عليه، وما يقوم هو به، ثم قلنا إن البيتين الأخيرين، يمثلان عوداً على بدء، وعلى هذا يرتبطـان بالزفرة الثالثة في القصيدة والأولى لكعب، وكأنّ كعباً يشير إلى ما نحاول بيانه، أنـه استنفد كل الوسائل للدفاع عن نفسه ورد هذا اللوم، وكان قد استنفد حججاً كثيرة، على نحو ما ذكرناه (ينظر : ١ / ٤ من البحث) . ومن هنا، عاد القهقرى، حـين وجـد نفسه يعود مرة أخرى ليذكر موضوعاً يتعلق بالزفرة الأولى والثالثة في القصيدة، أو أن هذه الزفرة الأولى الفعلية لكعب في وجه (أم قيس)، وبالتالي فهي الزفرة الأقوى والأشرس على ما ذكرنا، وبالتالي، فإن الإعادة الصريحة بين البيت الأول من الزفرة الثالثة في القصيدة وبين الزفرة الأخيرة، يؤكد ذلك التقسيم الذي اقترحتُه فـي صـدر البحث، وأنه من خلال الإعادة تنسبك بها بنية الزفرتين، مما يترتبُ عليه تبعاً لـذلك انسباك بنية القصيدة اللغوية الخارجية، وانحباك بنيتها الداخلية .

وكأنّ كعباً يشير من خلال هذه الإعادة الصريحة أن رده الحقيقي بـين هـذه الزفرة والزفرة الأخيرة من القصيدة، وأن الزفرات الأخريـات التـي بـين هـاتين الزفرتين، إنما تمثّل تفصيلاً لهذا التركيز القائم في هـاتين الزفـرتين . ونلاحـظ أن الأنماط التي استخلصناها تنتشر على مساحات متباعدة على سطح الأحداث اللغويـة التي تعكس أحداث القصيدة، والذي نلاحظه أيضاً، أن هذا الانتشار يعمل على انسباك هذه الزفرات المتباعدة مكانياً؛ بيد أنها متعانقة مفهومياً، وهو مـا تعكسـه الإعـادة الصريحة التي تمثلها الأنماط المستخلصة أعلاه .

<u>٢ / ١ / ٢ / ٢ : الإعادة الجزئية :</u>

وهي على ما عرفّها مصلوح : يقصد بها تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكـن في أشكال وفئات مختلفة [١١]. ولنتابع ما يأتي من أنماط على نحو ما هـو واردٌ فـي القصيدة :

---

[١١] د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، ص ٢٤٣ .

١ ـــ تلومني ـــ لوم .

٢ـــ ١٥ : تقول ـــ فقلت .

٣ ـــ كمهلك ـــ هالك .

٣ ـــ ٢٧ : بوصيل ـــ لأصيل

٤ ـــ ترمي ـــ مرامي .

٦ ـــ ٨ : يصيبه ـــ يصيبني .

٧ ـــ ٢٥ : رحيلي ـــ رحيل ـــ فارتحل .

١٠ ـــ دعا ـــ دعاء .

١١ـــ بيني وبين .

١٢ ـــ وزاد ـــ زادي .

١٣ ـــ ١٧ : نزولي ـــ نزول .

١٤ ـــ ١٧ـــ : جوزء الجوزاء .

١٥ ـــ نومك ـــ النوم .

١٥ ـــ ١٨ : نفسك ـــ النفس .

١٩ ـــ عوراء ـــ العوراء .

٢١ ـــ ٢٢ : حلمه ـــ الحلم .

٢١ ـــ ٢٧ : بأصيل ـــ لأصيل .

٢٢ ـــ الجهال ـــ بجهول .

٢٣ ـــ أميل ـــ مميل .

٢٤ ـــ سريرتي ـــ أسرارهم .

نلاحظ أن الإعادة الصريحة والجزئية في القصيدة، تتفق في أنها تنتمي إلى جذر لغوي واحد على اختلاف الفئات والأفعال والأسماء الظاهرة، إلا أن مرجعها واحدٌ، وهذا هو الفرق بين الإعادة بأنواعها وشبه التكرار أو الجناس بمصطلح البلاغيين .

كما يظهر أن هذا النوع من الإعادة الجزئية تنتشر علـــى مســـاحة القصـــيدة انتشاراً لافتاً، وتبدو السمة الأساسية في هذا النوع، أنه ينتشر على مساحات متقاربة، كما هو بادي من خلال الأرقام الواردة أعلاه، والظاهر أن هذا النوع يتعلق بالســبك ليس داخل الزفرة، وإنما داخل البيت، وإن تجاوز في بعض الحــالات البيــت إلــى البيتين، ولم يشذ عن هذا التصور العام، إلا في حالتين، حين كان السبك الجزئي بــين البيت الثالث (بوصيل) والبيت السابع والعشرين (لأصــيل)، والبيــت الواحــد والعشرين (بأصيل) والبيت السابع والعشرين (لأصيل)، وهكذا، تكتسب الإعــادة بأنواعها بُعداً خطيراً في كونها تتجاوز حدود نحو الجملة إلى ما هو أبعد من ذلك إلى سبك بنيات النص المتباعدة مكانيًا والمتعانقة والمتسقة مفهومياً، بما أنها مفاهيم تجتمع لتخلص إلى معنى واحد دائماً، وهكذا ننظر إليه مــن منظــور أوســع وأرحــب = منظورات لسانيات النص؛ الذي نحاول أن نطبق بعض جوانبه على هذا النص .

٢ / ١ / ٢ / ٣ : الإعادة بالترادف/ شبه الترادف (ويعني تكرار المعنــى دون اللفظ) :

أقصد بها أن تُعاد كلمةٌ أو جملةٌ أو أكثر من ذلك من أجــزاء الــنص، لكــن بصيغة أخرى، وإن كانت تحمل ذات المعنى . والبلاغة العربية مليئة بهــذا النــوع، وحسبنا أن نتأمل الأنماط التالية الواردة في القصيدة :

٧ ــ ٨ : منيتي ــ الوفاة ــ حمامي .

٦ ــ ٧ ــ ٨ : يوشك ردى، يراخى، أدنى، يدني، عجول .

لا شك أنَّ الإعادة بالترادف ليست منتشرة على مساحة القصيدة، ولم تقــع إلا في نهاية الزفرة الثانية، التي تمثّل لوم (أم قيس) له، ثم في الزفرة الثالثة = البدايــة الفعلية لتلك الزفرات التي نفثها كعبٌ في وجه (أم قيس)، وتمثل هاتــان الزفرتــان صلب الأحداث الحقيقية التي تدور حولها أحداث الصراع بين الشخصيتين، وعلى هذا الأساس، فإن الإحالة بالترادف، جاءت لتعمل على تماسك بنية هاتين الزفرتين اللتين تمثلان البنية الرئيسة . غير أن الذي يمكن إضافته، أن هذا النوع من الإعــادة لــيس

منتشراً في أحداث القصيدة؛ لأن هاتين الزفرتين، إضافة إلى ما سلف بيانــه، تمثّــل أقوى الزفرات وأحداثها اللغوية، ومن هنا، جاءت البنيات اللغوية لتحدث ســبكاً بــين هاتين الزفرتين الرئيسيتين .

٢ / ١ / ٢ / ٤ : الإعادة الشاملة :

أقصد بالإعادة الشاملة أن تكون هنالك كلمة تحمل معنى عاماً، وأخرى تقــع في إطار ذلك المعنى العام، ومن هنا، ربما يكون هذا شاملاً لمعنى كلمة أخرى فــي النصّ، وما بنا نسهب في هذا الموضع، فلنتتبع أنماطه في نص القصيدة :

١٣ ــ ١٦ : الليل = سحيراً، أعجاز النجوم .

١٩ ــ عوراء : العوراء .

٢٧ ــ النهار = مجنح لأصيل .

١٤ ــ ٢٥ : الثياب = أعطاف القميص .

وظاهرٌ، أن هذه المعاني متعانقةٌ ومتداخلةٌ في آن واحد = والعلاقــةُ القائمــةُ بينهما علاقةُ العموم بالخصوص؛ بمعنى أن معنى كلمة يدخل في معنى كلمة أخرى، والعلاقة على هذا الأساس ظاهرةٌ واضحةٌ، لا ريب، أنها تنتشر على مساحات متباعدة ومتقاربة مكانياً، كما هو واردٌ . وهذا التداخلُ يحدث انسباكاً علــى مســاحة ســطح القصيدة، باعتباره وسيلةً من وسائل السبك .

٢ / ١ / ٢ / ٥ : الجناس الناقص :

لم أشأ أن أجعل الجناس بأنواعه الواردة في القصيدة يدخل في إطار الإعــادة بأنواعها، لما استظهرتُه أعلاه من التفريق بينها، ومن هنا، جعلته قسماً قائماً برأسه = لأنه يعمل أصالة في ظاهر النص، وبالتبعية في عالمه، خلافــاً لمــا فــي الإعــادة بأنواعها، فإنها تعمل في ظاهر النص وفي عالمه أصالة، وهنا مكمنُ الخطر وعظــيم الأثر .

وقد جعله د. مصلوح يقع في حيّز التكرار العام، فأطلق عليه (شبه التكرار)، خلافاً لما اقترحتُه من استخدام مصطلح شبه الجناس أو الجناس النــاقص بمصــطلح

البلاغيين، ومن هنا، فليس ثمة اختلافٌ بيني وبينه إلا في استعمال المصطلح، إلا أن الجوهر واحدٌ، فحين عرّفه قال : وهو يقوم في جوهره على التوهم؛ إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، كما تفتقد فيه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيمات الإعراب ... ويتحقق شبه التكرار غالباً في مستوى التشكل الصوتي . وهو أقرب إلى ما سماه الإمام السكاكي الجناس المحرف بأنواعه[12]. ذكر د. سعد أن شبه التكرار تفتقد العلاقة فيه الجانب الصرفي، كما أنها قائمة على مستوى التشكل الصوتي، وهو جانب يعمل في ظاهر النص أصالة، على ما شرحته ووضحته، وعلى بيِّنة من هذا التفريق، فإن إدراج هذا الجانب في التكرار، ليس له سند من أسانيد البحث العلمي تعضده وتأخذ به .

وأعني بشبه الجناس، أنه ليس جناساً، بل قد تتفق الكلمة مع كلمة أخرى في الحروف، إلا حرفاً واحداً، أو أن حروف الكلمة تكون متقاربة مع كلمة أخرى، أو شيء من هذا القبيل، الذي يُوحِي بالمقاربة بين الكلمتين، إلا أننا حين نتوجّه شطر تدقيق النظر بينها، لم نجد هذا التقارب في (شبه الجناس) شيئاً مذكوراً، ووجدتُه سراباً = إذ ليس هناك ما يشير إلى المقاربة بينهما إلا التشابه الشكلي، وهو ليس صادقاً كل الصدق، وحسبي أن أسوق هذه الأنماط من نص القصيدة فيما يأتي :

١١ ــ ١٣ : زميلي ــ نزولي .

٤ ــ ٩ : بغول ــ بغفول .

٢٥ ــ ٢٦ : لرحيل ــ رجيل .

١٣ ــ ١٥ : براحتي ــ فارتحل .

١٦ ــ ١٧ : وأعجاز ــ الجوزاء .

٢ ــ ٦، ١٥ : تقول ــ فقلت ــ على قلّت .

١٢ ــ ١٦ ــ ٢٣ : أكيلي ــ أميل ــ مميل .

---

[12] د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري، ص ٢٤٤ .

٤ ــ تغتال ــ بغول ــ بغفول

٥ ــ ١٨ : ومن لا يزل ــ ومن لا ينل .

١٦ ــ ٢٣ : أميل، أميّل .

١٣ ــ ١٤ : الليل .

والظاهرُ أن هذا النوع من الجناس الناقص ينتشر على مساحة القصيدة كاملة، إلا أن الذي يحتاج إلى نظر= أن هذه الكلمات البادي فيها الجناس الناقص، تنشر مع الكلمة المقاربة لها على مساحة البيت أو البيتين أو الثلاثة، وشذَّ هذا الأمر في عدد من المواضع، الأمر الذي جعلني استظهر هذا النوع له أكثر من وجه يعمل من خلاله، الأول : بين البيتين وتمثّل هذه نسبة لا بأس بها . الثاني : أن تنتشر بين ثلاثة أبيات متقاربة مكانياً، على ما تظهره الأرقام الواردة أعلاه . الثالث : أن ينتشر على مساحات شاسعة ومتباعدة في الوقت ذاته .

وخلاصة القول، إذا كانت هذه النقاط تمثّل السمات العامة لهذا النوع، فإنني أراها تعمل على انسباك بنية ظاهر النص في كل زفراته، وليس في زفرة محددة أو حدث بعينه، وهكذا، يحدث الانسباك بين هذه المواضع المتباعدة والمتقاربة، التي أراها في كل الحالات التي ذكرتُها أعلاه، تتجاوز حدود الجملة، وهكذا نتجاوز بها الرؤية الضيقة إلى رؤية أرحب للإفادة منها في سبك بينة ظاهر النص .

٢ / ١ / ٣ : الربط بالعطف :

ذكرتُ آنفاً أنني كنت قد هيّأت شيئاً في نفسي عن الضمائر بأنواعها، غير أنّي عدلت عن ذلك عند مدارسة نص القصيدة، وتوقفت على أبياتها وأحداثها، وأدركتُ عندئذ أن العناصر اللغوية ذات دور كبير في هذا الاتجاه، على النحو الذي شرحته في موضع، بل أدركت أن لهذا علاقة بوسائل السبك الأخرى، كما هي الحال مع الروابط بالعطف، وأدركتُ ــ كما أشرت ــ أن هذه النوعية من الضمائر سيقلُّ استعمالها، كما اختفى استعمال ضمائر، على ما بيّنا سالفاً، فإذا كانت القصيدة تدور رحاها بين شخصيتين على طرفيّ نقيض، فإن هذا الاستنتاج يؤدي لا محالة إلى اختفاء عدد من

الضمائر، وأيضاً إلى اختفاء الربط بالعطف بأنواعه، بحيث لا يمثّل سمة فعلية، ومن هنا، وجدنا وجود هذه الروابط العطفية، إلا أن وجودها لا يمثّل سمة في هذا النص الشعري، على النحو الذي نبيّنه كما يلي .

كنت قد قسمتُ بنية القصيدة في صدر البحث، إلى عدد من الزفرات على النحو الموضّح في موضعه ، وعلى هذا الرؤية يمكننا أن ننظر إلى هذه الروابط العطفية بأنواعها المختلفة، على نحو من التقسيم السالف الذكر، ومن هنا، يمكننا أن نتصور هذه الروابط في :

٢ / ١ : الربط داخل حدود الجملة (ربط ضيق) .

٢ / ٢ : الربط داخل حدود الزفرة (ربط متوسط أو أوسع قليلاً من السابق).

٢ / ٣ : الربط خارج حدود الزفرة (ربط أوسع) .

ويعد التصور المطروح أعلاه، بناء على التقسيم المذكور في صدر البحث، ونفصّله ببيان وافٍ في المطلب التالي :

٢ / ١ / ٣ / ١ : الروابط العطفية في القصيدة :

٢ / ١ / ٣ / ٢ : الروابط العطفية في الزفرة الأولى .

٢ / ١ / ٣ / ٣ : الروابط العطفية في الزفرة الثانية .

٢ / ١ / ٣ / ٤ : الروابط العطفية في الزفرة الثالثة .

٢ / ١ / ٣ / ٥ : الروابط العطفية في الزفرة الرابعة .

كنت قد عقد النية على أن أجعل لكل نوع من الربط الضيق والمتوسط والأوسع مساحة خاصة لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة، وأن تعالج من خلال زفرات القصيدة المقترحة في صدر البحث هذه الجوانب، غير أن الواقع فرض عليّ أن تعالج هذه الجوانب مجتمعة، بما لها من صلة وتشابك مع بعضها بعضاً، ومن هنا، لم التزم بما كنتُ قد نويتُ أن أقدمه؛ لتلك الأسباب التي ذكرتُها، ومن هنا، جاءت معالجة الجوانب الثلاثة مجتمعة ومتداخلة متعانقة في آن واحد، بحيث لا يمكن الفصل بينها، ومن ثمّ، يمكننا القول، إن هذه المعالجة لهذه الجوانب الثلاثة وردت متداخلة، ولم ترد

بالصيغة التي كنتُ قد عقدتُ النية على أن تكون المعالجة عليها . على أية حال، فمعالجة هذه الجوانب الثلاثة، وردت بشكل من الأشكال، نجد ذلك واضحاً في ثنايا المعالجة لهذه القضايا فيما يلي من تحليل .

٢ / ١ / ٣ / ١ : الروابط العطفية في القصيدة :

ليس في هذا النوع جديد إفادة في إطار لسانيات النص، وعلى الرغم من ذلك، فإنها لا تلفظه، وإنما تعتمد عليه وتنطلق منه، في مفارقة ترد تلك الرؤية التي يراها بعض الباحثين، أن نحو النص يرد رؤيةً نحو الجملة [13]، وهي رؤيةٌ تحتاج إلى إعادة النظر على ضوء ما تطرحه نظريات لسانيات النص . والواقع التطبيقي، يرفض هذا الرأي؛ لأنه لا يرده وإنما ينطلق منه ويتجاوزه إلى رؤية أوسع وأكبر تعمل على تماسك بنية الجملة أولاً، ثم البيت ثانياً، ثم الزفرة ثالثاً، ثم القصيدة رابعاً . وعلى هذه الرؤية، نستبين ما أبنتُه من دور نحو الجملة في انطلاقه نحو لسانيات النص، ونستظهرها حسب ما أوردته من زفرات سالفة الذكر، وعلى الترتيب والانتظام الوارد في موضع سابق .

٢ / ١ / ٣ / ٢ : الروابط العطفية في الزفرة الأولى :

لم يرد من حروف العطف في الزفرة الأولى (البيت الأول) إلا مرة واحدة، حين ربط كعبٌ بين لوم (أم قيس) له، ورده ــ في إجمال ــ لهذا اللوم، ومن ثم، ربط بين قضيتين على طرفيّ نقيض، وهو ما تمثله الشطرة الأولى من البيت الأول، في حين أن الرد المجمل في الشطرة الثانية من البيت الأول كذلك، وبالتالي ربطت (الواو) بين قضيتين متناقضتين، وهو ربطٌ وإن تجاوز حدود أسوار الجملة الواحدة، إلا أننا لا نعدم مقاربات له لدى البلاغيين والنحاة العرب، وإن كانت لا تمثل القضايا الأساسية في المعالجة، إلا أنها موجودة، وأشاروا إليها بشكل من الأشكال .

---

[13] د. مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة ص٣ . ثمة خلاف يطول بيانه بيني وبين صاحب هذا المقال، وليس المقام أن نتتبعه، فقد أبنتُ عن ذلك بشكل مفصّل في موضع آخر: العناصر اللغوية المكونة لنظرية النص إيزنبيرج نموذجاً، ص٣٦ :٤١، لكاتب هذا البحث .

٢ / ١ / ٣ / ٣ : الروابط العطفية في الزفرة الثانية :

لم ترد الروابط في هذه الزفرة إلا في مواضع ثلاثة : في البيت الثاني مرتان (أو، الواو)، وفي صدر البيت الرابع (الواو)، ويدلُّ نص القصيدة على أن (أو) في (كملقى عظام أو كمهلك سالم) للتسوية بين هذين الأمرين، وهذا فيه ما فيه من السخرية من كعب والاستهزاء به، ثم تأتي (الواو) في صدر الشطرة الثانية، للعطف على البيت الأول ولتضيف شيئاً جديداً إلى ما ذكره في الشطرة الأولى، وأحسب أن (الواو) في الشطرة الثانية، إضافة إلى ما سبق، تؤكد المعنى السابق وتشعر كعباً بالاستهزاء من ناحية أخرى، وهذا فيه من توكيد المعنى المستظهر من (أو) في الشطرة الأولى من البيت .

ثم تأتي (الواو) في البيت الرابع مرتين (ومن لا يزل يرجى) و (يجوب ويغشى) تربط بين هذا البيت من جهة، ولتدلّ على أن الأحداث متعلقة بكعب من جهة أخرى، كما هو ظاهرٌ، إلا أن (الواو) في الشطرة الثانية تدل على التسوية أو المفاسحة في يجوب ويغشى، وعلى هذا النحو تأتي هذه الزفرة . ثم نشرع في بيان الزفرة الثالثة في المطلب التالي .

٢ / ١ / ٣ / ٤ : الروابط العطفية في الزفرة الثالثة :

تأتي الروابط العطفية في هذه الزفرة في موضعين اثنين، الأول : (ولا يدني الوفاة رحيلي)، الثاني : (وما عذالة بغفول)، وتأتي في الأولى لتدل على التسوية، كما هي في الزفرة الأولى، ولتدل على أن لومك ليس في محله، وأن ركوبي الصعب، لا يبعدني عن الأخطار، فالمنيّة تأتي سواء مع الترحال أم السفر، أم مع القعود، وفي كلتا الحالتين لا تؤخر ولا تقدم .

٢ / ١ / ٣ / ٥ : الروابط العطفية في الزفرة الرابعة :

تأتي (الواو) ليس كحرف عطف، كما في الزفرات السابقات، وإنما تنتشر بشكل لافت للنظر، في هذه الزفرة تحديداً، والسبب على ما يبدو، أنَّ الأحداث اللغوية بدأت تأخذ شكلاً مختلفاً عن الزفرات السابقات، ولم يأخذ الحديث شكل الحوار، كما

كان ثمة في السابقات، وإنما تبدى وبوضوح حين تحدّث عن كرمه بالدليل الــذي لا يحتاج معه إلى برهان، ومن هنا، بدأت الأحداث تأخذ شكل السرد الحدثي، وفي ذلك تدليلٌ على ما هو واردٌ في الزفرات السابقات، ومن ثم، أخذت الروابط العطفية تنتشر على مساحة الزفرة مرة أخرى وبشكل لافت للنظر .

ويمكن تقسيم هذا الروابط العطفية، حسب ما هو واردٌ في نص القصيدة، على النحو التالي، القسم الأول: تندرج تحتها (واو) رُبَّ في صدر الأبيات الأولى للزفرة، القسم الثاني: (اللام) في بداية عجز البيتين الثاني والثالث من هذه الزفرة . القســم الثالث : الزفرة الثالثة : (الفاء) الموجودة في أكثر من موضع في بيت واحد . هذه هي المجموعات الأساسية التي تقع في حيّز هذه الزفرة، أمَّــا القســم الأول : أعنــي (الواو) المستخدمة وبكثرة في هذه الأبيات، إلا أن هذه (الواو) ليست واحدة = إذ يمكن تصنيفها على النحو التالي :

١ ـــ أن تكون (الواو) واو رُبَّ؛ وتمثلها الواوات الواقعة في صدر البيــت الأول والثاني والثالث والرابع من هذه الزفرة .

٢ ـــ أن تكون (الواو) للحال؛ وتمثلها الواوات الوقعة فــي صــدر عجــز البيــت الخامس: وقد سد جوز الليل كل سبيل، وفي صدر البيت السابع من هذه الزفرة (وقد شالت الجوزاء) .

أمَّا (اللام) في عجز البيت الثاني والثالث من هذه الزفرة، فإن لهــا دلالــة، وأظنُّها للتعليل، وأتوقف عندها لبيانها في جوانب معالجة حبك القصيدة . أمَّا (الفاء) فلا تدل إلا على معنى واحد، على ما نستبينُه فيما نستقبله من تحليل . وأبدأ بما بدأتُ به من حديثٍ أعلاه، وعلى الترتيب والاتساق ذاته نعالج هذه الجوانب. .

أبدأ بالزفرة الأولى (الواوات)، فإذا كنا قسمنا الواوات إلى نوعين ـــ فيمــا سبقناه من حديث ـــ فأمَّا النوع الأول من الواوات، فهي واو (رُبَّ) المــذكورة فــي صدر أبيات هذه الزفرة، وما أستطيع ذكره في هذا السياق، أنَّ (الواو) تــدل علــى التنكير، وفي التنكير فائدة تجنى من لو أنه عُرِّف = ففي استعمال واو (رُبَّ) فــي

(وذي ندب، وزاد، وشخص، ومنشق) في صدر الأبيات الأولى من هذه الزفرة ــ على نحو ما بينتُ ــ تدل على شيئين، الأول : أن تكون (الواو) لرُبَّ ولا التي ينكر ما يليها . الثاني : في جعل الواو، واو رُبَّ فيه تنكيرٌ ما يليها، والتنكير في هذه المواضع فيه ما فيه من الدلالة على العموم، وأنه لا يختص بهذه القسمة لذي ندب أو ذاد أو شخص، وهذا فيه ما فيه من التنكير = الذي يدل على أنه لا يهمه أياً كان هذا الزاد أو الشخص، أو على الرغم من كون بعيره (دامي الأظل)، إلا أنه قسَّمه بينه وبين زميله، وهذا لا يفاد من التعريف، ومن ثم، جاء التنكيرعلى إرادة من كعب؛ ليدل معنى يستفاد من التنكير، ولا يستفاد من التعريف .

أمَّا (الواو) التي للحال، فنجدها في موضعين، الأول : وقد سد جوز الليل، الثاني : وقد شالت الجوزاء . وفي هاتين الحالتين، جاءت (الواو) لتدل على تلك الحالة التي كان الليل حين دعا (منشق أعطاف القميص)، فلم يكن الوقت وقت نهار، وإنما كان (سد جوز الليل كل سبيل) معظم الليل؛ دليلاً على كرمه من ناحية، وشجاعته من ناحية أخرى . كما أن (الواو) تدل على حالة الليل، أو أنه دعاه حالة كونه في جوز الليل، أو معظمه . كما أن هنالك واواً أخرى للحال، التي في (وقد شالت الجوزاء) ففيها بيانٌ للحالة التي عليها الليل، وفي ذلك تفصيلٌ وتفسيرٌ لما هو في موضع آخر من القصيدة، وأبقي عليها لمعالجة جوانب منها حين نتوجه شطر وسائل حبك نص القصيدة .

أمَّا (الفاء) في (فقلت، فارتحل) في البيت الخامس من هذه الزفرة، فإن لها ارتباطاً بالبيت الذي قبلها؛ لأن معالجة هذه الجوانب اللغوية، ينبغي أن تؤخذ من خلال السياقات التي تقدم لهذا الحرف أو ذاك، والسياق الذي يسبق هذا البيت = أن كعباً يتحدث فيه عن رجل فقير، أو على حد تعبيره (ومنشق أعطاف القميص دعوته) وهذا وصفٌ فيه ما فيه للدلالة على هيئة ذلك الشخص، وأنه لا يعنيه الهيئة بقدر ما يعنيه الفعل في ذاته، ومن خلال هذا الوصف إضافة إلى التنكير نستطيع أن نستخلص من هذا البيت والأبيات التي قبله، أن التنكير مقصود لذاته .

وبالتالي، فعلى الرغم من كون كعب قد دعا هذا المنشق الأعطاف، وما يزال الحديث في البيت التالي عن هذا الرجل، إلا أنه لم يترك له مسافة للنوم؛ لأنه ليس من شيم الرجال الذين يحبون النوم كثيراً، فالحياة ليس فيها الكثير، وعلى الرغم من أن هذا المنشق الأعطاف لم ينم إلا قليلاً، إلا أن هذا الوقت بالنسبة لكعب طويلٌ؛ لأنه لم يتعود على هذه النوم؛ لأن ديدنه ركوب الخيل وفعل الرجال = التي ذكر شيئاً منها في الزفرة الثانية على لسان أم قيس فيما لامته عليه .

وعلى بيّنة من هذه الرؤية، ليس ثمة ما يضيّعه من الوقت؛ لأن هذا ديدنه؛ ومن هنا، جاء العطف بـ (الفاء) على الأحداث الواردة في البيت السابق، وحتى عندما أمره (فارتحل) دليلٌ على أن لا وقت لديه، وأن كل هذه الأحداث جاءت متتالية، وراء بعضها بعض؛ لأن هناك ما هو أسمى يشغله عن النوم . أمّا (الباء)، فقد وردت مرة واحدة في البيت الثالث في (براحتي) من هذه الزفرة، فقد وردت بمعنى الأداة .

أمّا الزفرة الخامسة، فهي كالسابقة عليها مباشرة، في أنها تحمل عنوان (الفخر) وفيها من سمات الفخر بأنواع شتى، والحال كذلك مع هذه الزفرة التي اقترحنا لها عنوان (الحكمة)، إلا أن هذه الحكمة متعددة وفي مجالات شتى، ومن ثم، فإن الواو منتشرة أولاً على صدر هذه الأبيات مجتمعة بدون استثناء، وكأنه كلما أضاف صفة من صفات الحكمة، تبعها بحكمة أخرى، وهكذا، يريد أن يقول إن هذا ليس فحسب، وإنما هناك أشياء أخرى إضافة إلى ما سبق ذكره، وعلى هذا الأساس، تتعدد الصفات، أو أن الواو تفيد التعدد، على ما يمكن استظهاره من خلال هذه الواوات الواقعة في صدر هذه الزفرة تحديداً . والذي يمكن قوله إن الواوات الأخريات في باقي الزفرة، تأتي لتدل على العطف، ليس في ذلك من ريب .

أمّا الزفرة السادسة، فهي على منوال الزفرة السابقة لها، ومن هنا، تعطف الواوات فيها، إلا أنها ليست كالتي قبلها مباشرة = ففي البيت الأول من هذه الزفرة، تبدأ بالواو، والعطف فيها ليس على البيت السابق مباشرة، وإنما العطف على الزفرة

الثالثة من زفرات القصيدة، على أساس وحدة الموضوع، ومن هنا، رأينا كيف تتجاوز الواو الجملة والبيت إلى ما هو أبعد، وكأنَّ كعباً يريد أن يقول شيئين على قدر من الخطورة، الأول : أن هذه الأبيات لها علاقة بأبيات الزفرة الثالثة من زفرات القصيدة، أو أن هذه الزفرة مع الزفرة الثالثة، تمثل القضايا الفعلية، وأن ما ورد في الزفرتين تمثلان تفصيلاً وتدعيماً . الثاني : أنه يريد أن يقول إن كل ما ورد بين هاتين الزفرتين، ورد بقوس معكوس) (، وكأن ما دون ذلك، يمثل خلاصة الزفرات التي زفرها كعبٌ في وجه (أم قيس) .

أمَّا الواوات الأخريات في البيت السادس والعشرين والسابع والعشرين، فإن الواو فيها تربط هذين البيتين بالبيت السابق عليها . وهكذا تمثل هذه النظرة اختلافاً عن الواو في البيت السابق، وعلى كل، ففي كلتا الحالتين تتجاوز هذه النظرة حدود أسوار الجملة أو الجملتين، بل الأبيات، وهكذا تتجاوز هذه الرؤية ما نريد إنجازه من تجاوز بهذه الأدوات نحو الجلمة إلى ما أوسع وأرحب في بيان استباك العناصر اللغوية الخارجية، وما يترتب على ذلك من احتباك بنياته الداخلية .

٢ / ٢ / . : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة :

مهاد :

مما هو ظاهرٌ أني في معالجة الضمائر قد أرجأت الحديث عن جوانب من مناقشة الأفعال تحديداً، وهذه الأفعال ليست كل الأفعال في النص التي تحتاج إلى فضل مناقشة، وإنما تمثل نمطاً من الجوانب اللغوية التي يمكن أن تكون كاشفة وموضحة في بيان دور هذه العناصر في اتساق الجانب اللغوي البادي على سطح الورق، وهنالك جوانب أخرى أحاول ما وسعني الحوال، أن أكشف عنها اللثام، وإذا كنتُ لم أتعرَّض للجوانب الخاصة بالأسماء على النحو الذي أوردته مع بعض الأفعال، فإن هذا لا يقلل من قيمة المقابل التقليدي = الجملة الاسمية، كما يظهره التحليل، وهو ما نستقبله من حديث وافٍ بفضل بيان في المطلب التالي .

٣ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية النص في الزفرة الأولى :

سوف أبدأ بما صنعته في معالجة الجانب المتعلق بالضمائر في المطلب السابق = أعني أن المعالجة لهذا الموضع تسير في اتجاهين، **الأول :** أن تعالج كل زفرة من زفرات القصيدة منفردة باعتبار أن كل زفرة تمثل مرحلة قائمة بذاتها، ثم نلم بعلاقة هذه القضايا بما هو واردٌ مع الزفرات الأخرى، كلما أمكن ذلك . **الثاني**: أن تعالج الجوانب الاسمية والفعلية على النحو المتبع في الاتجاه المشار إليه أعلاه، ومن ثم، تقسّم الزفرات إلى اسمية وفعلية أو اسمية فقط أو فعلية فقط، على ما تتماز به هذه الزفرة أو تلك من هذه العناصر التركيبية ودورها في سبك بنية الزفرة عامة، وبنية القصيدة إجمالاً . وعلى هذا النحو الوارد أعلاه، نشرع في بيان كاشف لدور هذه الأفعال .

يبدأ البيت الأول بجملة فعلية (أنصبتني)، بيد أنها لم تكن جملة فعلية عادية = فقد جاء هذا الإنمياز من خلال التوكيد بمؤكدين في صدر القصيدة، ولن أتوقف عند أداة التوكيد (لقد) = لأن معالجتها قد أوردتُها في موضع سالف الذكر، غير أن الذي لفت الانتباه التصدير لهذه القصيدة بهذين المؤكدين، إلا أن الذي لم أسقه من حديث في ذلك الموضع = ما السبب الحقيقي وراء هذا التصدير بهذا التوكيد ؟ أو ما المغزى من هذا الاستهلال التوكيدي في مطلع قصيدة كعب بن سعد ؟ والذي يبدو أن هذين التوكيدين يرتبطان بالجملة الفعلية المنتشرة على مساحة هذا البيت الذي يمثل الزفرة الأولى والقوية في الوقت ذاته . ومن ثمَّ، إذا أردنا أن نفسِّر هذا التوكيد في مطلع هذه القصيدة، فلا ينبغي أن يؤخذ ذلك إلا مقروناً بالأفعال المعضدة له، وهذه المؤكدات هي المساعدة لهذه الأفعال .

ذكرتُ أن ثمة مفارقةً بين زمنين تنتمي لهما القصيدة أصالة أو بالتبعية = أقصد زمن الحدث الفعلي = وهو حدثٌ سابقٌ على زمن إنتاج نص القصيدة = أو ما يمكن أن نطلق عليه الزمن الحدثي = نسبة إلى الحدث الحقيقي الذي تمت فيه أحداث القصيدة، أمّا الزمن الذي أنتجت فيه القصيدة، فهو تالٍ لحدث الزمن الحقيقيِّ، بل

مترتبٌ عليه = ذلك أن أحداثه تالية للزمن الأول، فإن لم يكن الزمن الأول، فلا يمكن للزمن الثاني أن يكون أو يقوم . وتجدر الإشارة أن كلا الحدثين على الرغم من هذا التفريق الذي استظهرتُه، إلا أنه تفريقٌ تعكسه أحداث إنتاج النص الأدبي عامة، والشعري منه خاصة، والجاهلي على وجه أخص . وقد يكونان متلازمين وغير منفصلين حتى زمنياً، إلا أنهما نفسياً، يظل الزمن الفعلي لإنتاج الحدث سابقاً عن الزمن الفعلي لإنتاج النص، وهو ما يمثله نص القصيدة . وما أردته من تقديم هذا التفريق بين الزمنيين، يتعلق بالفعلين في الزفرة الأولى، وتحديداً في الشطرة الأولى من هذا البيت الوحيد، والذي جعلته زفرة قائمة برأسها .

وما أردته أن الفعل (أنصبتني) والفعل (وتلومني)، وعلى الرغم من أن الفعلين يضافان إلى ياء المتكلم، وهو كعب، إلا أن شيئاً آخر يتبدى من خلالهما، على الرغم مما أوردته (ينظر : ٢ / ٢ / ١ من البحث)، غير أن الذي لم أذكره ثمة، وكنت قد أبقيت عليه لمناقشته بفضل بيان في هذا السياق .

والذي يمكن أن استظهره أن الفعلين يمثلان جدلية الصراع الذي تمثله أحداث القصيدة اللغوية، بين كعب من جهة، وبين (أم قيس) من جهة أخرى، كيف ؟، لأننا نلاحظ أن الفعلين يتكرران في شطرة واحدة، ليس هذا فحسب، وإنما في البيت الأول كذلك، وهذا يشير إلى نقطتين، <u>الأولى :</u> قرب الفعلين من بعضهما البعض، مما يشير إلى الصراع بينهما الذي أخذ جدلاً واسعاً، وأخذ فترات من الهدوء النسبي، ثم يعود مرة أخرى ليستوي على سوقه، وهذا الرأي مستظهر من خلال ما تدل عليه السمات التي تتماز بها الأفعال . <u>الثانية :</u> التوتر والقلق الذي يعكسه الفعلان دلالة على التجدد والحدوث وعدم الثبوت على حالة واحدة .

والذي يحتاج إلى بيان أيضاً فيما يتعلق بالفعلين، والذي لم أذكره فيما أوردته أعلاه، أن الفعلين يشيران كذلك إلى تأثير وتأثر، ويبدو أن التأثير جاء من الفعل (تلومني) وهو فعلٌ تكرر من (أم قيس) مرة بعد مرة، على ما تشير إليه دلالة الفعل، ومن هنا، فإنه يشير إلى أن (أم قيس) هي العنصر الفاعل بنفسها، كما يدلُّ

على ذلك الفعل (تلومني) فاللوم وقع على كعب حسب روايته للأحداث، وبإضافة ياء المتكلم إلى نفسه، على الرغم من أن الفعل صادرٌ عن (أم قيس)، ففي الإضافة ما يشير إلى أن الفعل صادرٌ عنها، وبإضافة ياء المتكلم إليه، باعتباره راوي الأحداث اللغوية للقصيدة، وهي يشير الفعل مع إضافة ياء المتكلم إلى أن اللوم منها إليه، وقد تكرر كثيراً .

أمّا الفعل الآخر (أنصبتني)، فقد نبَّه كعبٌ إلى نفسه، إلا أنه ليس كما في الفعل (تلومني) = لأنه صادر من (أم قيس)، في حين أن الفعل (أنصبتني) يمثل ردّ الفعل للفعل (تلومني) على الرغم من كونه تالياً للفعل (أنصبتني) مكانياً، كما هو ظاهرٌ على سطح القرطاس، إلا أنه زمانياً سابقٌ، وترتب عليه الفعل (أنصبتي) مكانياً، وعلى ما نستخلصه من أن الفعلين يشيران إلى التداخل الذي أدى إلى هذه الأحداث، على ما تبينه رواية نص القصيدة، من أن (أم قيس) كانت المحرك الأساسي، حين بدأت بلومه، وأن هذا الفعل يشير إلى أنها هي الفاعلة، والفعل (أنصبتني) يشير إلى ردة فعل كعب تجاه ما صدر من (أم قيس) له . وكأنَّ كعباً من خلال هذين الفعلين، يريد أن يقول ما فصّل فيه القول، أو ما أوجزه خلال هذين الفعلين إيجازاً، وما وضحته أحداث القصيدة .

فإذا كانت (أم قيس) هي الفاعلة، وكعب هو القابل، على ما تصوره أحداث القصيدة، فكأنَّ كعباً يريد أن يقول إنّ هذا البيت هو مخزونُ ومجملُ كل الأحداث التالية لتلك الزفرة، وأن ما ورد فيها موجزاً، وما سيرد فيما يلي ذلك على تنوعه واختلافه الظاهر شكلياً، إلا أنه على المستوى المفهومي تتسق به بنية القصيدة حبكياً، وتعتضد بعضها ببعض . يريد كعبٌ من خلال هذين الفعلين، أن يقول إن هذه القصيدة تمثل صراعاً يدور رحاه بين (أم قيس) الفاعلة بنفسها، وبين كعب القابل لهذا اللوم، وأن هذا الأمر قد تكرر كثيراً على ما يظهره الفعلان .

غير أن هنالك شيئاً آخر في هذا البيت، وهو المصدر (لوم)، وهو فيه ما فيه من تجرده من الزمن واختصاصه بالحدث، وكأنَّ كعباً يريد أن يربط بين لومها

الصادر منها، وبين هذا الفعل الذي تكرر حتى صار حدثاً، غير مرتبط بزمن، وكأنّه يريد أن يقول : إن هذا الفعل من شدة إيلامه وإيذائه له، قد أثّر عليــه حتــى أفقــده الزمن، ولم يعد قادراً يشعر بمن حوله، وهذا فيه ما فيه من الهزة النفسية العنيفة التي أصابت كعباً من جراء هذا الأمر .

ويوحي الفعلان (تلومني وأنصبتني) بشيء ثالث، وهو القلق والتوتر الــذي يشيعهما استعمال الفعلين على هذا النحو، وأن هذا القلق والتوتر، قد أخذ وقتاً يثــور ويهدأ، يهدأ ويثور، فلم يكن أبداً يوماً يستقر على حال، مما يشيع حالة القلق التي كان يكابدها كعبٌ منذ بداية أحداث القصيدة . وربما كان أيضاً يعاني هذا الصراع النفسي الذي وقع أسيره نتيجة لهذا اللوم قبل كتابة الأحداث، بناء على التفريق بين الــزمنيين الذي أوردناه .

كما أشير على جهة التنبيه، إلى أن هذه الزفرة ليست إلا بيتاً واحداً، على مــا بينتُه وأظهرتُه في مفاتيح القصيدة، ولمّا ذكرتُه في جوانب حبك القصيدة = أن هــذا البيت يمثل موجز ما ورد مفصلاً في القصيدة، ويمثل حالة القلق، ولضيق المســاحة، فقد جاءت الأفعال دالة على التحليل الوارد أعلاه ، ومن هنا، لم نر ذكراً للأسماء، إلا في الزفرات التاليات، ولهذا، لم ندرج لها مساحة من التحليل في هذا الموضع .

<u>٢ / ٢ / ٢ : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية النص في الزفرة الثانية :</u>

<u>٢ / ٢ / ٢ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية القصيدة :</u>

قلنا إن هذه الزفرة من الزفرات القوية والشديدة، على الرغم من أن كعباً بــدأ ينفتح على لُبٌ القضيّة، إلا أنه لا يزال في حالة التقوقع النسبي، وقد أطلقنا عليها فترة الهدوء النسبي = لأنه لم يكن قد خرج من التقوقع بشكل نهائي وأخيــر، علــى مــا نستظهره فيما يلي من تحليل، وذكرنا جوانب منه أعلاه .

وإذا قلنا إن الزفرة الأولى تمثّل مفتاح القصيدة التي تستمد منها كينونتها، وقلنا إن الفعلين يوحيان بأشياء كثيرة، يرد تفسيرها في كل أحداث القصيدة . على أية حال،

فإن الفعلين يشيران على ما استظهرتُه إلى أن (أم قيس) فاعلة اللوم، وهو ما يشير إليه الفعل (تلومني) وقد وجَّهت فعل اللوم إلى كعب، بدليل الفعل (أنصبتني)، وبناء عليه، فإن اللوم صادر من (أم قيس)، هذا ما نستظهره من خلال هـذين الفعلـين، إضافة إلى ما ذكرناه أعلاه .

ويشير الفعل (تقول) في صدر الزفرة الثانية ــ إضافة إلى ما ذكرناه عـن الضمائر في موضع سابق (ينظر : / ٢ / ٢ / ٢ / ١ من البحث) إلى أن الأحداث اللغوية أخذت تبعاً لذلك شكلاً مختلفاً عما هي عليه في الزفرة الأولى، وأن الكلام هنا ليس لكعب، وإنما هو كلام (أم قيس) الذي لامته عليه في الزفرة الأولى، فـأراد أن يفصل بين الزفرتين، ويحدد أن هذا ليس من كلامه في شئ، وإنما هو كلامها .

وأحسب أن عرض القضية بشيء من الإيجاز فـي الزفـرة الأولـى، أو أن أحداثها مركَّزة في الزفرة الأولى، وتأتي تبعاً لذلك أحداث القضية، وأزعم أن ترتيب القصيدة ــ حسب الموضوعات الواردة بعداً ــ على هذا النحو المتبع في ترتيب أبيات القصيدة عامة = إذ يأتي عرض القضية مجملة، ثم يبدأ في سرد أحداثها مرتبة ترتيباً منطقياً؛ حيث عرض للوم (أم قيس) له، وهي تمثل لُبُّ الصراع . ثم كـان تقديمـه لفكرة اللوم، أو تحديداً لكلام (أم قيس) على كلامه، له ما يبرره من ألوان الحجاج؛ لأن عليه يبني كلامه وحججه؛ لأن الدفاع دائماً يأتي عقب عرض القضـية العامـة، والقضية، ولب القضية، التي أثارت حفيظة كعب = ذلك اللوم الذي سبب له ما سـبب !! على ما تظهره أبيات القصيدة .

إذن، واضحٌ وظاهرٌ أن البادية بهذا اللوم هي (أم قيس)، وأن كعباً هو القابل لهذا اللوم وحده دون غيره، ويبدو أن العلاقة بينهما كانت قد أخذت شكلاً علـى مـا أبنتُ عنه، وهو الذي جعلها تلومه وبهذه الطريقة = لأن اللوم في عنف وشدة لا يتأتى من شخص عادي، إلا أن تكون بينهما علاقة ما .

هذه العلاقة قد أدت بـ (أم قيس) أولاً أن تلومه، وثانياً لم يكن هـذا اللـوم لوماً عادياً، بل كان لوماً شديداً وعنيفاً؛ نتيجة تلك العلاقة القائمة بينهمـا . وتطالعنـا

الزفرة الثانية في دلالة منها على قوة هذا اللوم وتكراره المستظهر من الزفرة الأولى، بذكر الفعل (تقول)، وهو عندي إضافة إلى ما ذكرته أعلاه، يشير أيضاً إلى مدى التهكم الذي يحمله كلامها في لومها له، على الرغم من أن هذا التهكم ليس جميلاً؛ لأنه باطلٌ .

ثم تطالعنا الأفعال بعد ذلك مباشرة (استبق، لا تكن، تساق، أراك، ترمي، تغتال) وانتشار الأفعال على هذا النحو في هذه الزفرة، يوحي بمدى الحدة التي كانت عليها في لومها له، فلم يكن لوماً عادياً، وإنما أخذ هذا اللوم من العنف تارة، على ما استظهرته (ينظر : ٢ / ٢ / ١ من البحث)، وكذلك أخذ نوعاً من التهكم وما تظهره الأفعال المذكورة أعلاه، خاصة أن ورودها على نحو من الأمر أو النهي، مع الفعل (تساق) الذي يشير إلى شخصية كعب، وكأنهُ لا حول له ولا قوة، وأن شخصيته ليست هي التي تنشدها، ومن هنا، جاء هذا اللوم في عنف وبشدة، لم يكن منتظراً منها، وهو ما آلمه وجعله يرد وبالقوة ذاتها، على ما أبنت عنه، وسيأتي أيضاً في قابل ما يوضحه ويؤكد ما ذكرته في موضع سالف التحليل .

ثم الفعل (أراك) مع الفعل (ترمي بنفسك عامداً)، فالفعل الأول (أراك) يشير فيه الضمير – على ما استظهرته مع الضمائر– إلى إكساب الفعل صفة ليست له في شئ = إذ يمكننا استخلاص نغمة التعالي على كعب، حتى في لومها، ومن هنا، قلت إن هذا العتاب لم يكن عتاباً عادياً، وهو ما فجَّر البركان داخله، وجعله يرد في قوة وعنف أيضاً، وأطلق زفراته الحارة في اتجاهات شتى تكذيباً لها ودحضاً لحججها .

أمَّا الفعل (ترمي) مع البقية المتبقية من الجملة (بنفسك عامداً)؛ فأزعم أن هذه البقية الباقية، على خطر كبير في تقديم السُهمة اللازمة للفعل (ترمي)، فالذي يرمي بنفسه عامداً إنسان متهور، وليس حكيماً، ومن هنا، وردت أبيات الحكمة في الزفرات التي رد بها كعب على لوم (أم قيس) له، ويبدو أن هذا الاتهام له، كان من

الاتهامات الرئيسة التي حركت عنده الكوامن في هذه التهم واللوم والعتاب، فقد أخذ أشكالاً مختلفة على ما بينّا .

ولمّا كان هذا اللوم (اتصافه بالتهور) باطلاً، وليس جميلاً، وأنه الأول والأساسي الذي أثَّر في نفسيته، الأمر الذي أفضى في عاقبة الأمر إلى أن يعيد هذه النوعية من الأبيات الخاصة بالحكمة في أكثر من زفرة = فقد وردت في الزفرة الثانية على لسانها، وإن كان المعنى يختلف، عن تلك التي استعملها كعب في الزفرة الثالثة، زفرة الحكمة، على ما سميتها ووسمتها حين الحديث عنها مع الضمائر .

والذي يمكن قوله إن أبيات الحكمة الواردة في نص القصيدة على لسان كعب، وبشكل أخص في الزفرة الثالثة من زفراته التي أطلقها في وجه (أم قيس)، لم تأت عرَضاً، أو أن كعباً جاء بها على غير منوال سابق، وإنما جاءت زفرة الحكمة، برد مباشر وصريح على اتهام (أم قيس) له بأن صفة التهور ميسمه وديدنه، فجاءت الزفرة الثالثة كتفسير لهذا البيت من جهة، وكرد كلام (أم قيس) من جهة أخرى، والعلاقة بادية بين الموضعين من جهة حبك نص القصيدة، على ما نستظهره في موضع آخر (ينظر : ٢ / ١ من البحث) .

ثم تأتي الزفرة الثانية من أفعال هذه الزفرة (يزل، يرجى، يجوب، ويغشى، يوشك، يصيبه)، ولم أشأ أن أضع هذه الأفعال في مصاف الأفعال السابقة؛ لأن صفة التمايز واضحةٌ ظاهرةٌ، فاستعمال الضمائر في هذه الأفعال مختلف، على نحو من الالتفات أو الكناية، أو تغيير الجانب الموسيقي؛ لينفي عنها صفة الرتابة، ويصفها بصفة الاستمرارية التي تتحقق من خلال تضافر العناصر اللغوية المتحققة على سطح القرطاس .

وقلتُ فيما مضى، إن استعمال الأفعال على هذه الصيغة، يُوحِي بالتعميم المقصود من (أم قيس)، وفي ذلك تغيير من نغمة اللوم والعتاب، وفي ذلك من جهة أخرى دليلٌ على كثرة لومها له، وما هو مكنون في الفعلين، على ما استظهرتُه وبينتُه في الزفرة الأولى .

٢ / ٢ / ٢ / ٢ : الأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة :

أظهر المطلب السابق الخاص بالأفعال أنها منتشرة على مساحة تلك الزفرة بشكل لافت للنظر، بيد أن الشيء الذي يحتاج إلى وقفة متأنية، هو انتشار صيغ المشتقات، وتحديداً صيغة اسم الفاعل في هذه الزفرة، ويحتاج هذا الأمر إلى نوع من الإبانة للكشف عن علاقة ذلك بموضع الزفرة، وكيف يوظف في خدمة سبك النص ؟!.

وأول ما يطالعنا من هذه الصيغ (كملقي، كمهلك، هالك، عامداً، مرامي) وكلها صيغ اسم فاعل، والمعروف أن المشتقات تعمل عمل الأفعال، وتعمل عمل الأسماء أيضاً = تعمل عمل الأفعال، ويمثله الجانب الظاهر = أقصد الجانب المتعلق بالإعراب = إذ تعمل عمل الأفعال، وهذا هو الجانب الأول، وأمّا الجانب الآخر، فهو المتعلق بأن هذه المشتقات على الرغم من كونها تعمل عمل الفعل، إلا أنها تسير مسيرة الأسماء، فيما تدلُّ عليه، ومن هنا، تقع هذه الصيغ هذين الموقعين، لكن الذي يحتاج إلى بيان = كيف يمكن ربط هذا بسياق نص القصيدة ودوره في سبك بنيتها ؟ .

والذي ينظر إلى حديث (أم قيس) في لومها لكعب مع هذه الصيغ المشتقة، يراها تتحدث عن الموت، ففي (كملقى، كمهلك، هالك) = ولا ريب أن إضافة كاف التشبيه تسبغ اسم الفاعل بسبغة لم يكن عليها، إذ لم يكن موجوداً؛ ففي التشبيه مع صيغة اسم الفاعل إنكار وتهكم من أفعاله، وهو ما زاد حنقه وغضبه من هذا اللوم من (أم قيس)، ألم نقرر من قبل أن هذا اللوم لم يكن لوماً عادياً ؟!! .

أمّا مع صيغة (هالك)، فالأمرُ مفارقٌ = إذ لم تأت بالصيغة السابقة، كما لم تأت فيها كاف التشبيه، وهو أمر على قدر كبير في تبيان واختلاف الدلالة المتضافرة في هذه القصيدة لاعتضاد الظواهر اللغوية في سبك بنية القصيدة .

وعلى هذا الأساس، فالاختلافُ ظاهرٌ لا ريبَ فيه بين الصيغتين، على الرغم من كونها تنتميان إلى صيغة واحدة (اسم الفاعل)، فاستخدام صيغة (هالك)، على هذا النحو، يشير ــ كما تشير الصيغتان الأوليتان ــ إلى توكيد وقوع هذا الحدث، وأنه

ماضٍ على كل إنسان لا محالة؛ أي أنك لا تستطيع أن تصل عمراً إلى عمر من هو ميت؛ لأن هذا الأمر واقع لا محالة، وثابت بيقين؛ لأن (كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن/٢٧، وإذا كان الأمر كذلك، فإنك تفعل أشياء عبثاً؛ لأنها أشياء لا تقدم، ولا تؤخر، وفي ذلك من اللوم والازدراء من كعب، كما دلّتْ على ذلك أفعالٌ أخرى، وبهذا يأتي المعنى المستظهر من أسماء الفاعلين؛ ليؤكد المعاني السالفة الذكر، والمذكورة مع الضمائر .

٢ / ٢ / ٣ : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة في الزفرة الثالثة :

٢ / ٢ / ٣ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية النص :

ذكرت أن كعباً صدَّر الزفرة الثانية بالفعل (تقول)، في إشارة دالة على بداية أحداث جديدة في القصيدة، وأن الكلام المسوق ليس له، بينما حين جاء في الزفرة التالية، وهي الزفرة الثالثة التي نفثها كعبٌ في الدفاع عن نفسه ورد التهم المنسوبة إليه . على أن هنالك شيئاً يستخلص من كل هذا أن استعمال كعبٌ للتعبير (تلومني) فيه ما فيه م التلطف مع (أم قيس)؛ لأن أحداث القصيدة لا تشير إلى لوم، وهو التعبير المستخدم من قبل كعب، وهو فيه ما فيه من التودد لها، وإن كانت العناصر اللغوية الماثلة على السطح تظهر عكس هذا اللوم، وأنه كان تعنيفاً بوجوه عدة وأشكال متباينة .

أعود أدراجي لأرى كيف صدَّر كعب الزفرة الثالثة بالجملة الفعلية المسبوقة بجملة منفية مع أداة استفهام، وهي طريقة فيها أكثر من دلالة، <u>الأولى :</u> أن في ذلك إشعاراً بأن هذا بداية مرحلة جديدة أو زفرة جديدة، يزفرها في وجه (أم قيس) . <u>الثاني :</u> فيه من الدلالة باستعمال الاستفهام الإنكاري في بداية الزفرة الحقيقية، أو الرد الفعلي عليها؛ لأن الزفرتين السابقتين كانتا مختلفتين = فالأولى كانتْ عرضاً عاماً، بينما الزفرة الثانية، كانت عرضاً لهذا اللوم الذي فجَّر كل أحداث هذه القصيدة، وفي ذلك أيضاً زفرة، وإن قلت إنها زفرة تجاوزاً، أمَّا الزفرة الثالثة، فهي الزفرة الحقيقية التي زفرها كعب في رده على (أم قيس)، وتمثل الرد الفعلي والحقيقي لكعب، ومن

هنا، إذا كنا قلنا إن الزفرة الثانية بدأت بالفعل (تقول)، وهو فيه ما فيه، على النحو الذي بيناه، فإن كعباً ـ كما قلت ـ ردَّ وبالقوة ذاتها، كما أن في ذلك دليلاً على أن القوة التي بدأت بها (أم قيس) لم تكن في محلها، وهو ما كشفتْ عنه الضمائر بوجه من الوجوه في المطلب السابق، وهذه الرؤية مع الأفعال تعتضد بها الرؤية السابقة مع الضمائر، ومن ثم، نرى كيفِ تعتضد العناصر اللغوية المختلفة في الوصول إلى معنى يقصده الشاعر لذاته قصداً، لا ريب فيه، أو تتكاتف العناصر اللغوية التي لا يمكن الفصل بين جوانبها، وأن كل حرف مقصود ويعضد جانباً لغوياً آخر، إلا أن هذا يحتاج إلى الكشف عنه وبيان هذه العلاقات بالشكل الذي يحتاج معه إلى بيان كاشف ووافٍ .

كانت هذه افتتاحية الزفرة الثالثة، وتمثل هذه نتيجة أولى وأساسية، صدَّر بها قيس زفرته الأولى والفعلية في الرد، وفي هذه النتيجة برهانٌ لا يرد، بأية حال؛ لأن لومها له باطلٌ، فمثَّل هذا التصدير إنكاراً مركزاً وموجزاً في آن واحد = أن لومها له باطلٌ، وفي ذلك ردٌ لكلامها، أو للومها بشكل صريحٍ ومجملٍ، ثم تأتي الأبيات التاليات، تمثل باقي أبيات هذه الزفرة كعنصر مفصِّلٍ لهذا التصدير المجمل في بداية الزفرة الثالثة من الناحية العامة .

وإذا كان هذا التصدير يضع النتيجة مسبقاً لهذه الزفرة، فإنه في الوقت ذاته كرد على لومها له الوارد في الزفرة السابقة لهذه الزفرة، وعلى هذا، فكأنَّ قوة اللوم والعتاب منها في الزفرة السابقة، لم يستطع كعبٌ أن يورد هذه الزفرة متأخرةً عن مكانها، وإنما يمثل هذا مكانها الطبيعي في أبيات القصيدة؛ لأن الزفرات التاليات = ابتداء من الزفرة الثالثة حتى الزفرة الأخيرة، تمثل زفرات كعب الحقيقية، في وجه (أم قيس)، ولمَّا كان ذلك كذلك، وضع هذا الإنكار في صدر هذه الزفرات الطائشة والصادرة من نفس مكلومة، في صدر هذه الزفرة الأولى له، وكأنه يشير من وراء حجاب، بأنه على الرغم من أن هذه الموضوعات متنوعة في القصيدة، إلا أن هناك رابطاً يربط بينها، ويزيد من قوة الارتباط بين أبياتها = أن ردَّ (أم قيس) له باطلٌ

على أية حال . وبالتالي إذا كانت الزفرات الأربع الفعلية تمثلها، فإن الإنكار الوارد في صدر هذه الزفرات، جاء بمثابة الصدمة والرد الأول والمباشر لـ (أم قيس)، ولم يتكرر هذا الاستفهام الإنكاري مرة أخرى، مع الزفرات الأخريات التاليات؛ لأن هذا الاستفهام قائمٌ يعوض عنها أو في الزفرات الأخرى ضمناً، وفي تكريره أمرٌ لا داعي له، باعتبار الزفرات الأخيرات كلها على لسان كعب، هدفه واحد وغرضها واحدٌ = لوم (أم قيس) الوارد في الزفرة الأولى والثانية .

كذلك، فإن الأفعال (يُراخِي، يدني، يصيبني)، ورد الفعل معها اسماً منفصلاً عن فعله = وكأنّ كعباً يريد أن يقول إن هذه الأفعال ليست له ولا منه؛ لأنها انفصلت عن الفاعل فصلاً يوحي بانفصال الفاعل عن فعله = وكأنّ كعباً حين استشعر أن هذه الأفعال ليس هو الفاعل الحقيقي، فجاء بالاسم منفصلاً عن الفعل، وكأنه يريد أن يفصلها عن ذاته، وكأن الاتصال بين الضمير والفعل يدل على اتصاله بنفسه، واتصاله يدل على انفصاله عن ذاته، وأنه ليس منه، وإلى مثل هذا أشرت إلى هذه الفكرة (ينظر: ٢ / ١ / ١ / ٢ من البحث).

كما أن شيئاً يتعلق بالأفعال المذكورة أعلاه، أن الفواعل / الفاعلات المذكورات تأتي في (قعودي، رحيلي حمامي)، ويلاحظ أن كعباً في هذه الأفعال قدم المفعول وأخَّر الفواعل المذكورات؛ لأن الغرض في هذه الزفرات منصبٌ على المفعول صباً ومتعلقٌ به، فقدمه على الفعل = لأن اللوم حين فصله كعبٌ في الزفرة الثانية على لسان (أم قيس) تعلَّق به (هالك) وصبتْ جم كلامها عليه فيما يتعلق بالمعنى، فجاء رده أيضاً متابعاً لهذا المعنى في رده عليها في كل جزئية من أجزاء زفرته الأولى الحقيقية = ولمَّا كان الغرض الفعلي متعلقاً بهذا، فقدمه كعب على معنى الاهتمام، وعلى ذات الطريقة التي تحدثت بها (أم قيس) في لومها له، ورد كلامه ليؤكد هذا المعنى، وبالتالي يتسق هذا التقديم في هذه الزفرة مع ما هو واردٌ في لوم (أم قيس) له في الزفرة الثانية على لسانها .

وإذا كنتُ قد استظهرتُ أن تقديم المفعول، جاء متسقاً ومعبراً عن الغرض الحقيقي في الزفرة الثانية، وهكذا، ترتبط الزفرة الثانية بالزفرة الثالثة من خلال هذه الروابط اللغوية من جهة، ومن خلال الروابط المفهومية من جهة أخرى (ينظر : ٢ / .)، كما نضيف مظهراً يتعلق بالمظاهر السابكة لبنية القصيدة = أعني تقديم المفعول وتأخير الفاعل فيه من التطريز الموسيقي والألفة على ما هو شائع في الأبيات .

وفي هذه الزفرة، نلاحظ انتشار نوعين من المظاهر اللغوية السابكة لبنية هذه الزفرة = أقصد انتشار الأفعال على النحو المبين أعلاه، وكذلك انتشار أسماء الفاعلين في البيت الأخير من هذه الزفرة = وكأنه يريد أن يقول لها إن وصفك هذا ولومك يستمر إلى ما لا نهاية، ويستمر ليس استمرار صفة الأفعال؛ لأن الأفعال تدل على التجدد والحدوث فترة بعد أخرى، إلا أن الوصف جاء في البيت الأخير (كداعي هديل) لما يدلُ عليه من الديمومة والاستمرارية، وأزعم أن هذا المعنى، يؤكد ما يدل عليه الفعل من الزفرة الأولى (تلومني) و(أنصبتني)، فقد جاء هذا الوصف ليسبغ عليها صفة الثبات والديمومة، ويؤكد المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من هذين الفعلين، بل إن وجود هذه الصيغة من المشتقات، يؤكد هذا المعنى، ويتسق مع الزفرة الأولى، والعلاقة بينهما أوضح من أن تستوضح . وما دون ذلك، فانتشار الأفعال هو السمة الغالبة، والدالة على حالة التوتر والقلق التي كان عليها كعب، وهذا وجهٌ جديدٌ في بيان العلاقة المتشعثة والمتداخلة بين الزفرات، وأن الأبيات والعناصر اللغوية الكائنة في القصيدة بعضها آخذ برقاب بعض .

٢ / ٢ / ٣ / ٢ : الأفعال والأسماء ودورها في سبك بنية القصيدة في الزفرة الرابعة :

٢ / ٢ / ٣ / ٢ / ١ : الأفعال ودورها في سبك بنية القصيدة والزفرة :

كتبتُ فيما أوردتُ من تحليل يتعلق ببنية الضمائر في هذه الزفرة، أن الأفعال أخذت شكلين في التعامل مع ضمير الخطاب أو المتكلم، إما أن يكون متصلاً، كما هي

الحال مع الأفعال في هذه الزفرة، وإمّا أن تكون متصلة، ويدلُّ الشكل الأول على انفصال ضمير المتكلم عن شخصية كعب، أو أن هذا الفعل لا ينبغي أن ينسب إليه، أمّا الشكل الثاني، فيدل على اتصاله بشخصية كعب وقربه منه قرب الضمير من الفعل، وأضيف زيادة على ذلك، أن الشطرة الثانية من البيت الثاني والثالث من هذه الزفرة، جاءت على هيئة من الناحية اللغوية تكاد تكون واحدة، الأمر الذي استدعى النظر إليهما؛ لأن حذف الفاعل في مثل هذه الحالة وجوباً، بيد أن الذي يحتاج إلى طول نظر وتأمل = أن ننظر إليها في إطار وحدة الجملة أولاً، ثم في وحدة البيت ثالثاً، ثم في وحدة الزفرة ثالثاً، ثم في النص رابعاً، وهكذا، يمكننا أن نتجاوز بهذا الإطار نحو الجملة إلى آفاق أرحب وهو نحو النص الذي نحاول أن نطبق عناصره، كما أرجو أن يكون التحليل ظاهراً وموضحاً ما يريد كعب أن يقوله من هذا الجانب اللغوي، الذي يعكس سبك بنية النص، والذي يترتب عليه حبك بنية النص أيضاً . وهكذا يمكنني اعتبار الشطرة الثانية والثالثة من هذه الزفرة تفسيراً لما هو وارد في الشطرين الأوليين، وهذا الاستنتاج مرده إلى الفعلين (لأوثر، لأنظر) وكلا الفعلين وارد على جهة التعليل، أو ما يمكن أن نطلق عليه التفسير السببي أو التعليلي، وهو نمط من التفسير يندرج ضمن إطار عناصر الجانب المفهومي الذي من خلاله تتحبك بنية النص تبعاً لسبك بنيتها الظاهرة على الورق . وأبقي عليها لتحليلها في موضع آخر (ينظر : ٢ / ١ من البحث) .

على أن شيئاً لافتاً للنظر في هذه الزفرة، التي بها تفارق الزفرات الأخريات التي قلنا بشأنها إنها قائمةٌ على أساس الحوار، أو أن القصيدة قائمةٌ على الصراع بين الشخصيتين، وتمثل هذه الرؤيةُ الرؤيةَ العامة لأحداث القصيدة جملة، بيد أن الأمر يختلف في نوعين من أحداث القصيدة، وتمثلها الزفرة الخاصة بالحكمة، وهي ما نحن حياله من تحليل، غير أن كعباً قد ذكر عدداً من الأبيات في الزفرة الثانية، وعلى الرغم من العنوان المقترح لها، على ما أوردته، فإن ثمة موضعاً آخر من تلك الزفرة التي أوردها كعبٌ على لسان (أم قيس) = إذ أورد البيت الخامس والسادس من

الزفرة الثانية على هيئة حكمة، وكنت قد أشرت إلى دلالة ذلك فيما أوردته من تحليل . وما لم أتناوله ثمة حين تناولت الضمائر، يتعلق بسبك بنية النص خاصة، ولا ريب أن هذا ما نحاول بيانه بشيء من التفصيل والتفسير في هذا الموضع .

واللافت للنظر في هذه الزفرة، كما هي الحال في البيتين المشار إليهما أعلاه، أن الخطاب لا يتوجه إلى رد التهمة التي نسبتها إليه (أم قيس) بأشكاله المختلفة، كما بيّنا، وعلى الرغم من كون السمات العامة من حيث الضمائر مع البيتين السابقين، إلا أن المفارقة بينها تعالن في صراحة تامة، لمن أراد إلى ذلك سبيلاً، وسلك المسلك القويم إلى هذا التحليل الكاشف الناصع .

ففي هذه الزفرة نجد كعباً معه صاحب، يستحضره، إمّا حضوراً ذهنيّاً، وإمّا حضوراً مكانياً، وكلاهما على قدر كبير في تغيير أحداث القصيدة التي تفارق الزفرات الأخريات = أن الحديث كان يتوجه تلقاء (أم قيس) مباشرة، أما هنا، فالأحداث اللغوية في القصيدة تتوجه وجهة أخرى = إلى ذلك الصاحب أو الصديق = وهذا مستخلصٌ من أن إنساناً لا يمكنه أن يتناول قضية تؤرقه، إلا مع من يحب، أو تستريح له نفسه، وهذا الحضور لهذا الصاحب، قد يكون إحدى الاحتمالين المذكورين سلفاً وترجيح احتمال على آخر، لن يجدي في تحليل نص القصيدة؛ لأن كليهما أدى بهما كعبٌ الاستحضار على طريقته أيّاً كانت = المهم هو الاستحضار على أية طريقة شاء .

ويأخذ الحديث مع صاحبه أشكالاً مختلفة من ألوان النظر اللغوي الذي يحاول من خلاله أن يعيد سبك وحبك بنية الزفرة، وهي بطبيعة الحال تؤدي إلى سبك بنية نص القصيدة؛ لأن أحداثها على الرغم من تعدد الموضوعات الفرعية، إلا أنها تندرج في إطار رد كعب للوم (أم قيس) .

وقبل عرض ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن الحديث في الزفرات الأخرى يتوجه فيها الحديث إلى (أم قيس) مباشرة، أمّا الحديث في هذه الزفرات، فيتجه اتجاهين، **الأول :** التوجه المباشر : المقصود به هنا صاحبه . **الثاني :** التوجه غير

المباشر : المقصود به (أم قيس)، وعلى كلا الاحتمالين سواءٌ مع المباشر أم مع غير المباشر، تتوجه بنية الخطاب إلى (أم قيس) بشكل غير مباشر، وإن كان صاحبه تتوجه إليه بنية اللغة في القصيدة، غير أن هذا يزول، إذا عرفنا أن الهدف من التوجه المباشر (الصاحب) خدمة الغرض غير المباشر، وبالتالي تتسق هذه الرؤية مع باقي زفرات القصيدة، ومن هنا، تخدم الغرض الأساسي الذي يرمي كعب من خلاله .

ويأخذ الفخر ألواناً مختلفة من كعب، في محاولة منه لإظهار جوانب الكرم، وفي ذلك تفريع الفرع = بياناً وإحكاماً في التدليل على رد لوم أم قيس له، وأنه ليس بجميل؛ لأنه باطلٌ، ومن ثم، رأينا البيت الأول من هذه الزفرة يعرض لموضوع ليس موجوداً في البيت الثاني من هذه الزفرة، وكذلك البيت الثالث ... إلخ، ومن ثم، يحاول أن يعرض في الزفرة الواحدة، بناء على التقسيم المقترح لأبيات القصيدة في صدر البحث إلى أكثر من موضوع، تندرج كل هذه الموضوعات في إطار الموضوع العام لزفرة (الكرم) والزفرة موضوعها مرتبطٌ بشكل مباشر بموضوع لوم (أم قيس) له.

وفي هذا التفريع لموضوع الكرم ما فيه من تعداد لصفات كعب الخاصة بالكرم، وبالتالي فإن كل موضوع يندرج تحته عدد من الموضوعات، ومن هنا، فإن الموضوعات التي تقع في إطار الموضوعات الخاصة بالقصيدة والمقترحة في صدر البحث عديدة، ومن هنا، يريد الشاعر أن يقول إن رجلاً بكل هذه الصفات لومه باطل وليس جميلاً، وهكذا نرتد إلى الزفرة الأولى، بل أن كل جزئية في القصيدة، ابتداءً من الزفرة الثانية، يرتد إلى الزفرة الأولى، على النحو الذي أبنتُ عن جوانبه فيما مضى.

على أن أفعالاً كثيرة منتثرة في هذه الزفرة، كنت قد عالجتها (ينظر : ٢ / ١ / ١ من البحث) ونظراً لارتباط الفعل بالفاعل في المعالجة، وأن المعالجة شكلية في الأساس، للبحث فقط، فإنني أكتفي بما أوردته من تحليل في ذلك الموضع .

٢ / ٢ / ٣ / ٢ / ٢ : الأسماء ودورها في سبك بنية الزفرة :

تنتشر صيغة جديدة تكوّن بنية القصيدة من هذه الزفرة = أقصد بها الصفات المنكرة الواردة في صدر هذه الزفرة، بشكل لافت للنظر، فالصيغ (وذي ندب، وزاد، وشخص، ومنشق)، ونلاحظ أن هذه الصفات قد وردت منكّرة، إلا في موضعٍ واحد = البيت الأول من الزفرة (وذي ندب دامي الأظل قسمته)، وما دون ذلك، فقد ورد منكراً، ومرد ذلك = أن البيت الأول حين ذكر صفة البعير (دامي الأظل)، جاء بصفة من صفاته، ولم يأت بالاسم مباشرة، ومن هنا، أراد كعب أن يفسّرَ ويوضّح هذا دامي الأظل، وقد أداه هذا الصنيع إلى أن يأتي بإضافته إلى عدد من الصفات التي تزيل إبهامه، ومن هنا، جاء بهذه الإضافة التي أفادت في تماسك بنية هذا الشطر من هذه الزفرة، على اعتبار أن دامي الأظل هو محور القضية، وما يليه موضّحٌ ومفسرٌ له، كما أن الشطرة الثانية مترتبةٌ على الأولى، وهكذا تتكاتف مثل هذه العناصر لسبك وربط العناصر اللغوية عامة، مما يترتب عليه حبك النص خاصة .

أمّا الصفات الأخرى التي وردت منكرة، ولم ترد لها إضافةٌ أو تخصيصٌ، فباقي ما هو في هذه الزفرة، فيما أوردته في الفقرة السابقة، يبدو أن استعماله النكرات يفيد العموم، على ما هو مقررٌ في مصنفات أهل الاختصاص، إلا أن الذي يحتاج إلى بيان أن هذه النكرات (وزاد، وشخص، ومنشق) تفيد العموم، إلا أن القارئ يستطيع أن يعرف ماذا تعنيه هذه النكرات ؟ وبالتالي لم يشأ أن يضيفها لتعريفها، أو لتخصيصها، على ما صنعه كعبٌ مما سبق بيانه .

أولاً : دور الأفعال في سبك بنية الزفرة :

هذه هي زفرةُ الحكمة، على ما استظهرتها في صدر البحث، ويجب التنويه مرة تلو الأخرى إلى أن هذا الجانب من الأفعال متعلقٌ بشكل من الأشكال بعنصرين، على ما بيّنته، أمّا الجانبُ الآخر الذي أود أن أشير إليه على جهة التنبيه تكميلاً للجانب الأول، وتحديداً البيت (١٨)، الذي يبتدأ بـ (ومن لا ينل يسد خلاله)، وقد بناه كعبٌ للمجهول، كنايةً عن كلام الناس، ويقصد أم قيس ووصفها له الذي عبَّرت

عنه الزفرة الثانية الخاصة، ومن هنا، جاء ردُّه لكلامها، بأنه باطل وليس جميلاً — حسب رواية القصيدة، وهذا هو الإجمال، غير أن هذا احتاج إلى تفصيل، وقد جاءت هذه الزفرة لترد هذا اللوم الباطل، وحين انتهت الزفرة، بدأت أبياتُ الحكمة بهذا البيت (١٨) وهو بيتٌ يوجزُ أبيات الفخر في الزفرة السابقة، (ولنا مع هذا الجانب وقفةٌ متأنيةٌ في موضع آخر، إن شاء الله) .

كان هذا ما سقناه حديثاً فيما أخلصته من صفحات لمعالجة العناصر اللغوية الماثلة على سطح القرطاس، بما هي كائنة على سطح الورق، وقد ألممنا كلما أتيحت الفرصة في ثنايا المعالجة ببعض المفاهيم المتعلقة بحبك نص القصيدة، ولم تكن هذه الصفحات قد أخلصناها إخلاصاً لعناصر الحبك، وإنما لتعلق العنصرين الظاهر والمفهومي بعضهما ببعض، ومن ثم، سوف نخلص الصفحات التاليات من حديث لتناول العنصر المكمل لما أوردناه من حديث عن مظاهر السبك .

٢ / . : عناصر الحبك في النص :

٢ / ١ : الإجمال والتفصيل (علاقة الزفرات بعضها ببعض مفهوميّاً) :

في ثنايا معالجة العناصر اللغوية ألممتُ ببعض جوانب عناصر الحبك، المتعلقة بالعناصر اللغوية بشكل مباشر، والآن ألمّ بالجوانب الأخرى والخالصة للحبك أيضاً، إلا أن معالجتها يمكن أن تكون منفردة بشكل ملحوظ، وأشرع الآن في تبيانها وعرض جوانبها على النحو التالي .

قسمتُ في صدر البحث المكونات / الأحداث اللغوية للقصيدة إلى عدد من العناصر، ولم يكن هذا التقسيم عبثاً، وإنما كان له من أسانيد البحث ما يعضده ويقويه، وهنا يفيدنا هذا التقسيم في هذا الجانب بشكل أساسي، وكان تقسيم القصيدة إلى زفرات له ما يدل عليه، وعلى الرغم من أن الموضوعات متشعبة، إلا أنها في الوقت ذاته متحابكة، وعلى هذا، فإن هذا التنوع البادي على سطح القرطاس، يعكس جانباً آخر تتحبك به هذا العناصر اللغوية مفهومياً . وبناء على التقسيم الوارد في صدر البحث،

يمكننا تقسيم القصيدة إلى هذا التقسيم الذي تتحبك به عناصره المفهوميَّة على النحو التالي :

١ـ الزفرة الأولى : (البيت الأول) : الإجمال والإيجاز .

٢ـ الزفرة الثانية : (الأبيات ٢ ـ ٦) : التفصيل العام .

٣ـ الزفرة الثالثة : (الأبيات ٧ ـ ١٠) : التفصيل العام .

٤ـ الزفرة الرابعة : (الأبيات ١١ ـ ١٧) : تفصيل التفصيل العام .

٥ـ الزفرة الخامسة : (الأبيات ١٨ ـ ٢٤) : تفصيل التفصيل العام .

٦ـ الزفرة السادسة : (الأبيات ٢٥ ـ ٢٧) : التفصيل العام .

وإذا كان هذا موجزُ ما أريد أن أذكره في هذا المفتتح المتعلق بالجانب المفهومي، فإن هذا ورد على سبيل الإيجاز كورود الزفرة الأولى، ومن هنا، تحتاج إلى نوع من الإبانة، فيما نأتي عليه من تحليل لعناصر الجانب المفهومي .

وإذا كنا قلنا إن الزفرة الأولى تمثل مجمل أحداث القصيدة، وأن ما ورد في ثنايا نص القصيدة، يعد تفصيلاً لهذا الإجمال إجمالاً، إلا أن هذا التفصيل الوارد في نص القصيدة، ليس سواء من ناحية هذا التفصيل = لأن هذا الإجمال نسبي، مقارنة بهذه الزفرات، على النحو الذي تشير إليه التقسيمات الواردة أعلاه، وبالتالي فإن هذا التفصيل الموجز أعلاه نشير إليه بشيء من الإبانة فيما نأتي عليه من تحليل أدناه، فإذا كانت الزفرة الأولى تمثل مجمل أحداث القصيدة، والشرارة الأولى التي أظهرتها هذه الزفرة، فإن أحداثها مبنيةٌ عليها ومفصلةٌ لها، لكن بشيء من التباين والاختلاف .

فقد جاءت الزفرة الثانية لتفصّل هذا الإجمال الوارد في الزفرة الأولى، إلا أن هذا الإجمال، يمكن أن نطلق عليه إجمالاً عاماً وخاصاً في الوقت ذاته = فإذا كانت إجمالاً عاماً، فهو مقارنة بباقي زفرات القصيدة، وأمّا كونه إجمالاً وتفصيلاً خاصاً، فمقارنة بالزفرات الأولى، ولهذا قلنا في موضع سالف الذكر، إن كعباً بدأ ينفتح على نفسه، ولكنه ظلّ انفتاحاً نسبيّاً، مقارنة بالانفتاح التوسعي = لأنه بدأ ينفتح على أحداث القضية، وإن ظل هذا الانفتاح تدريجياً مقارنة بكل زفرة بسابقتها، وتمثل هذه الزفرات

في بيانها = تفصيلاً لمجمل المجمل، وعلى أساس من هذه الرؤية، يمكن تقسيم هـذه الزفرات الواردات أعلاه إلى أحداث عامة، ثم يقسَّم هذا المجمل (الزفـرات) إلـى أحداث عامة = بمعنى أن الزفرات في حد ذاتها، تمثّل أحداثاً عامة، على الرغم مـن التقسيم الوارد أعلاه، ومن هنا، يمكننا اعتبار أن هذه الزفرات تقسيماً عاماً، مقارنـة بهذا التقسيم = لأنه يعد تقسيماً لأحداث الزفرات الواردة أعـلاه، ومـن هنـا، فهـذه التقسيمات الواردة لهذه الزفرات مقارنة بتلك التي سبقت مفصّلة، والتقسيمات الواردة أعلاه مقارنة بأحداث القصيدة مجملة، وعلى هذا الأساس، نقسّم زفرات القصـيدة أو موضوعاتها بشيء من التفصيل والإبانة على النحو التالي :

١ـ الزفرة الأولى : (ويمثلها البيت الأول) : مجمل أحداث القصيدة .

٢ ـ الزفرة الثانية : (وتمثلها الأبيات ٢ ـ ٦) : لوم (أم قـيس) لكعـب (تفصيل عام) .

وليس لهذه الزفرة إلا موضوعاً واحداً تدور حوله أحداثها (التهكم والإنكار)، وتمثلها أحداث هذه الزفرة إجمالاً، وتنتشر الأفعال والأسماء وأسماء الفاعلين، لتـدل على أن هذه الزفرة هذا هو موضوعها، على ما بيّنته وأظهرته في معالجة جوانـب سبك نص القصيدة، وقلتُ آنذاك : إن هذا (اللوم) على حد تعبير كعبٍ، جاء رقيقاً، مقارنة بما تظهره الأحداث اللغوية؛ لأنها لا تشعر بلوم بقدر ما تشير إلى نـوع مـن التهكم والإنكار، وقد شعر كعبٌ بهذا المعنى ووصل إليه، إلا أن حُبَّ (أم قيس) له ومكانتها، جعله معها أكثر رقة مما لامته عليه، خاصة في استخدامه للفعل والمصدر (تلومني / لوم)، وقد شعر كعبٌ بهذا، إلا أنه لم يشأ أن يظهره، وأخفاه ولم يبده، إلا أن الاستعمالات اللغوية كشفت عما أراد كعبٌ أن يحتفظ به لنفسه، وهذا ما أدى بكعب أن ينفث هذه النفثات، أو الزفرات، التي وردت مكافئة للوم (أم قـيس) . وإذا كـان هذا هو موضوع هذه الزفرة، فإن هذا يتسق مع الرؤية التي خلصتُ إليها في موضع سالف الذكر (ينظر : ٢ / ١ / ١ / ٢ من البحث) أن الذات كانت لم تزل منغلقـة على نفسها، على الرغم من أنها فترة الانفتاح النسبي، وهذا ما جعل كعباً يتقوقع حول

موضع واحد في هذه الأبيات، وهذا يتسق مع الرؤية العامة التي خلصنا إليها = فترة الهدوء النسبي .

أمَّا الزفرة الثالثة التي زفرها كعبٌ في وجه (أم قيس)، وهي الزفرة الحقيقية والمترتبة منطقياً على الزفرة الثانية، ومن ثم، بدأ رد كعب الحقيقي، وقلنا عندئذ أيضاً إن كعباً في هذه الزفرة أيضاً، بدأت تتكشف له الحجب رويداً رويداً، وبدأ يستفيق من صدمة اللوم، ومن هنا، بدأت الأحداث تأخذ شكلاً مفارقاً عن الزفرة السابقة لها، فتبعاً لاسـتفاقة كعـب، بدأ يأخذ بزمام الأمور، ومن هنا، أخذ يرد وفي تفصيل على النحو الذي نظهره ونوضحه أدناه .

وعلى الرغم من الانفراج أو حالة التقوقع التي بدأت تنفك قليلاً، وعلى الرغم من أن الزفرة السابقة تمثل انفراجة نسبياً، وأن هذه الزفرة جاءت، كما أوردنا = لتمثل رداً مباشراً على اللوم في الزفرة السابقة، فقد جاءت هذه الزفرة لتمثل رداً صريحاً، لا لـبس فـيه، ومن هنا، جاء موضوعها واحداً؛ لتماثل الزفرة السابقة = أن موضوعها واحدٌ أيضاً، إضافة إلى ما أوردناه في موضع سابق .

وإذا كـنتُ قد قسمتُ هذه الزفرة الثالثة، وجعلتُ لها عنواناً عاماً = رد كعب لـوم (أم قيس) إلا أنه في هذه الزفرة، بدأ كعبٌ ينفك وينفتح على لُبِّ القضية، ومن هنا، أخذ يفصِّل أكثر، أو يعدد الموضوعات داخل الزفرة الواحدة، وعلى هذا الأساس، تمـثل هـذه الزفرة تفصيل التفصيل، هي والزفرة التي تليها، خلافاً لزفرات القصيدة الباقـيات، ومن هنا، جاءت هذه الزفرة لتمثل تفصيلاً، للمجمل العام الوارد في الزفرة الأولـى، ومـن ثم، حين اخترت لها عنواناً (تفصيل التفصيل) كنتُ على بيِّنة من أمـري، وحـين أدركـت تلك الجدلية القائمة في القصيدة أو بين هذه الزفرة والزفرة الأولـى = أو بين الزفرة الأولى وهذه الزفرة، ومن هنا، يمكننا تقسيم هذه الزفرة مع الزفرة الأولى؛ أنها تفصيلٌ لتلك الوارد ثمة في الزفرة الأولى، ومن هنا، يمكننا بيان ذلك كالتالي :

١ــ الزفرة الأولى : (الإجمال العام لأحداث القصيدة) .

٢ ــ الزفرة الثالثة : (تفصيل المجمل في الزفرة الأولى) .

٣ ــ الزفرة الرابعة :(تفصيل التفصيل العام لذلك المجمل في الزفرة الثالثة) .

فإذا كانت الزفرة الثالثة تفصيلاً للمجمل، فذلك مقارنةٌ بما هو واردٌ في الزفرة الأولى، بيد أنها لا تعد شيئاً مذكوراً، أو مجملاً فيما يتصل بالزفرة الرابعة = لأن الزفرة الرابعة تفصيلٌ لتلك الأحداث المفصلة تفصيلاً عاماً في الزفرة الثالثة، ولمّا بدأ كعبٌ يسترد ذاته ويتصالح مع نفسه، وبدأت الأحداث تأخذ شكلاً مختلفاً عنه في هذه الزفرة، ومن هنا، بدأ يستفيق من تلك الصدمة المعبر عنها بشيء من الإجمال في الزفرة الأولى، وبدأت الإبانة عنها شيئاً فشيئاً تبعاً لأحداث القصيدة، على النحو الذي قسمتُ عليه القصيدة في صدر البحث .

وواضحٌ جداً، أن هذه الاستفاقة من خلال تقسيم التفصيل العام للقصيدة إلى زفرات، ثم تقسيم المقسم، أو موضوعات القصيدة على ما بيَّناه إلى موضوعات داخلية، في شارة دالة على أن الأحداث، بدأت تأخذ شكلاً مختلفاً، كما أن فيها تذكيراً، بأن هذه الموضوعات العامة الداخلية، تقسم إلى موضوعات أخرى، على قدر من الأهمية، في تفصيل العام بتفصيل خاص، وهذا التفصيل الخاص، فيه تقسيمٌ أخص = أعني تلك الموضوعات التي تدل عليها أحداث، أو ظاهر اللغة على ما استظهرت جانباً منه فيما يتعلق بسبك النص، وأشير إلى جوانب منه هنا في الجوانب الخاصة بمفاهيم النص = حبكه .

أمَّا تقسيم الزفرة الثالثة حسب الموضوعات، بناء على نص القصيدة، فهي كالتالي :

١ ــ الموضوع الأول: الإيثار (ويمثله البيت الأول) .

٢ ــ الموضوع الثاني: الكرم (ويمثله البيت الثاني) .

٣ ــ الموضوع الثالث : مساعدة ابن السبيل (ويمثله البيت الثالث) .

٤ ـ الموضــوع الــرابع: إطعــام المسكين (ويمثله البيت الرابع والخامس والســادس)، وإن كان البيت الخامس والسادس تفصيلاً لتفصيل التفصيل، فإن البيت الخامس والسادس تفصيل التفصيل في الموضع الــرابع . ومــن هنا، فالبيت الأول (الرابع) في الموضوع الرابع تفصيل التفصيل بالنسبة للزفرة الأولــى، ويمكنــنا تمثيله على النحو التالي :

١ـ الزفرة الأولي: (إجمالاً عاماً) .

٢ـ الزفرة الرابعة: تفصيلُ التفصيل لهذا التفصيل العام لذلك الإجمال العام = أي أن الزفــرة الثالثة، هي الزفرة الفعلية لكعب في وجه (أم قيس) = وهي تفصيلٌ للبــيت الأول، أو هــي تفصيلُ الإجمال في الزفرة الأولى، إلا أن الزفرة الثالثة تمثِّل تفصيلاً بالنسبة للإجمال في الزفرة الأولى، غير أنها مقارنةٌ بالزفرة الرابعة التي تليها تعــد مجملة = إذ تأتي أحداث الزفرة الرابعة لتفصِّل ذلك الحدث العام = أو ردُّ كعب العــام في الزفرة السابقة، ولم يكن هذا التفصيل في الزفرة الرابعة تفصيلاً اعتباطياً، وإنمــا هــو تفصيلٌ للزفرة السابقة، بناءً على التفصيل في الموضوعات الداخلية التي تحتوي عليها هذه الزفرة أو الزفرة التالية، على ما نأتي عليه بفضل مناقشة .

ففــي هذه الزفرة، نلاحظ خلافاً لما هو واردٌ في الزفرتين (الثانية والثالثة) إنكاراً واستهزاء في الزفرة الثانية من (أم قيس)، ورد من كعب لهذا الإنكار واللوم، وبالتالي جعلناهما تفصيلاً عاماً للقضية الواردة على جهة الإجمال في الزفرة الأولى، بناء على ذلك، مع ما أوردناه من حديث في مواضع متفرقة .

فقــد جــاءت الزفرةُ الثالثة مفصلةً لهذا المجمل العام في الزفرة الأولى، وفي ذلــك التفصــيل فــي الزفرة الثالثة المفصلة نوعاً ما وبشكل كبير في الزفرة الرابعة والخامسة، ثم تأتي هذه الزفرة لتفصِّل ما هو واردٌ مجملاً في الزفرة الثالثة مقارنة بها = لأن فــيها تفصــيلاً للموضوعات وبشكل كبير على ما هو ظاهرٌ، ومن هنا، رأينا الموضــوعات في هذه الزفرة المذكورة أعلاه؛ لتدل على شيئين، الأول : أنها تفصيل للموضــوع العام في الزفرة الأولى وتوكيد لها . الثاني : تفصيل لهذا الرد في الزفرة

الثالثة وهو تفصيلُ التفصيل، على ما أشرنا إليه، ومن هنا، تستبين العلاقة بين تقسيم أبيات القصيدة وأنها جميعاً = إمّا أن تكون تفصيلاً لهذا الرد العام في الزفرة الأولى، وإمّــا أن تكــون تفصيلاً لهذا التفصيل في الزفرة الثالثة، وعلى هذا، نلاحظ العلاقة القائمة بين هذه التقسيمات المذكورة، على الرغم من أنها موضوعات مختلفة، إلا أنها تصب في إطار عام واحد، وهو رد لوم (أم قيس) له بوجه من الوجوه .

أمّــا الزفــرة الخامســة، فهــي تشارك السمة الرئيسة للزفرة السابقة، وهما الزفــرتان المفصــلتان لأحــداث رد كعب على لوم (أم قيس)، ومن هنا، فقد بدأت تفصــل علــى النحو الموجود في الزفرة السابقة، ويمكن تقسيم أبيات هذه الزفرة مع الزفرة الأولى والعلاقة بينهما على ما نظهره بفضل بيان فيما يلي :

١ــ الزفرة الأولى: (مجملٌ عام) .

٢ــــ الزفرة الثالثة: تفصيلٌ للمجمل في الزفرة الأولى، وهو تفصيلٌ عامٌ، ثم تأتي الزفرة الرابعة والخامسة، ولما كنا قد ذكرنا الزفرة الرابعة فيما سقته من تحليل أعلاه، فها أنا أخلص الأسطر التالية من لتحليل للزفرة الخامسة، بما لها علاقةٌ بالزفرة الــرابعة، وهكــذا يمكننا تقسيم موضوعات هذه الزفرة حسب الموضوعات في شارة ظاهرة على تفصيل تفصيل التفصيل العام، وبيانها على هذا الوجه :

وعلــى الرغم من أن الموضوع الأساسي لهذه الزفرة (الحكمة)، إلا أن من يمعــن النظــر فــي تفاصيل التفاصيل، يجد كل بيت يضيف عناصر جديدة، على ما صنعه الشاعر في الزفرة السابقة، وعلى الرغم من ذلك، فإنني أتصور تقسيمها هكذا :

١ــــ الموضــوع الأول : بيت حكمة، فيه دليلٌ على الكرم (ويمثله البيت الأول) . وســوف أعود بفضل بيان ومتابعة لبيان وجه التداخل وجَعْلِ هذا البيت في صدر هذه الزفرة، على الرغم مما يحتويه من شيم الكرم في موضع آخر .

٢ــ الموضوع الثاني : التعفف في الكلام (ويمثله البيت الثاني) .

٣ــ الموضوع الثالث : عدم التدخل في شئون الآخرين (ويمثله البيت الثالث) .

٤ـــ الموضـــوع الـــرابع : المفارقـــة بين حلمه وجهل سيده (ويمثله البيت الرابع والخامس) .

٥ ـ الموضـــوع الخـــامس : الخبرة في التاريخ والأحداث، والحكمة في التعامل مع الآخرين (ويمثله البيت السادس) .

٦ـــ الموضوع السادس : حفظ الأسرار، وعدم التدخل في شئون الآخرين (ويمثله البـــيت الســـابع)، ويلاحظ هذا التشابه بين هذا الموضوع والموضوع الثالث من هذه الزفرة، ولنا عودة بفضل بيان في موضع آخر، إن شاء الله .

وعلـــى هـــذا، نجد المقاربة واضحة معلنة بين هاتين الزفرتين = في كونهما تفصـــيل التفصـــيل وتعدد الموضوعات الفرعية تفصيلاً للزفرة الثالثة من جهة، ومن جهـــة ثانية، رد وإنكار للوم (أم قيس) المجمل في الزفرة الأولى، ومن جهة ثالثة، تفصيلُ التفصيل، لهذا اللوم الوارد في الزفرة الثانية .

وعلـــى هـــذا، فالموضـــوعات المتباينة حسب موضوعات القصيدة، وحسب الاقتـــراح المدرج صدر هذا البحث، على الرغم من تباينها واختلافها، إلا أنها تخدم الموضـــوع الأساســـي = رد لوم (أم قيس) بشكل مباشر، وغير مباشر . ومن هنا، تتحـــبك من خلال علاقات التداخل والتشارك التفريعات والتفصيلات في هذه الزفرات بنية القصيدة الداخلية، بناءً أيضاً على انسباك الظواهر اللغوية التي أخلصتُ لها صدر هذا البحث .

أمـــا الزفـــرة السادسة التي زفرها كعبٌ في وجه (أم قيس)، فهي التفصيل العام، ومن هنا، تشترك مع الزفرة الثالثة، في رد كعب المفصل تفصيلاً عاماً مقارنة بالزفرتين الرابعة والخامسة، ومن ثم، نجد كعباً يعود أدراجه، ليصل إلى ما بدأ به في زفرته الثالثة والفعلية في وجه (أم قيس)، وكأنه يضع الزفرة الرابعة والخامسة بين قوسين؛ أي أنهما تفصيل التفصيل على النحو الذي بيّناه .

كـــان هذا ما سقناه من حديث لبيان الجوانب التي تتحبك به زفرات القصيدة، الـــذي يترتب عليه انحباك موضوعاتها، بما أنها عناصر لغوية متكاملة، وعلى هذا،

فالتحلــيل المذكور أعلاه، يحاول كشف التداخل والتكامل بين العناصر اللغوية الظاهر علــى الــورق، بما ترتبط به من عناصر مفهومية، وكلاهما على قدر كبير في بيان انسباك وانحباك بنية القصيدة .

على أن ثمة جانباً آخر، تنحبك به أحداث القصيدة المتباعدة مكانيًا = أعني أن العلاقــة بــين الزفرة الأولى، بما أنها مجملة لكل أحداث القصيدة، والزفرة السادسة والأخيــرة، والعلاقــة بينهما هي علاقة المجمل (في الزفرة الأولى) بما هو تفصيلٌ عــامٌ فــي الزفرة الأخيرة، ونستبين من خلال هذا التفصيل المجمل بين العلاقة بين هاتــين الزفــرتين، أنه توجد علاقة بين الزفرة الأخيرة، والزفرة الثانية والثالثة، وأن العلاقــة بيــنهما علاقــة المساواة في أحداث التفصيل العام، والعلاقة بينهما ظاهرةٌ واضحةٌ نستظهرها فيما يلي بصورة موجزة :

١ـــ الزفرة الأولى : (الإجمال العام المركّز) .

٢ـــ الزفرة الثانية : (التفصيل العام للوم) .

٣ـــ الزفرة الثالثة : (التفصيل العام لرد لوم (أم قيس) .

٤ـــ الزفرة السادسة : (التفصيل العام لرد لوم (أم قيس) .

وعلاقــة التداخل الباطنة والتشعس الظاهرة، على ما بيَّنتُه، أخذت تبدو شيئاً فشــيئاً، وأضــحت ظاهرة = فعلاقة الزفرة الأولى بالثانية علاقة التفصيل لهذا اللوم المذكــور فــي البــيت الأول = حيث استخدم صيغة الفعل (أنصبتني) والمصدر (لوم)، وفي كلا الحالتين تعمل هذه الإعادة الصريحة على سبك بنية الشطرة الأولى بالشــطرة الثانــية وقد أبنتُ بشيء من الإبانة فيما أخلصته في الصفحات السابقة عن الــتداخل العام الذي يجمع العناصر غير اللغوية (المفهومية) وما تؤديه من دور في انحباك بنية النص، وما تؤديه العناصر اللغوية من دور في تماسك بنية القصيدة، ومن خــلال اعتضاد هذين المفهومين على هذا النحو يظهر انسباك وانحباك هذه العناصر واتســاقها . وها أنا أشرع في بيان جوانب أخرى من حبك نص القصيدة، خلافاً لما

أبنته في هذا الموضع والمواضع الأخرى التي ألممنا بها كلما وجدتُ سنحة، وأجبرني التحليل على ذلك فيما نأتي عليه من حديث، فيما نستقبله من تحليل .

قلـنا إن الزفرات مختلفات، وعلى الرغم من تباينها وتنوعها، إلا أنها تسقى بماء واحد، بناء على ما استظهرتُه وأبنتُ عنه في المطلب السابق، ومن هنا، فالعلاقة بين هذه الموضوعات أو الزفرات علاقةُ تداخل، غير أن الذي لم أذكره ثمة أن هنالك علاقات مفهومية أخرى تتحبك بها أحداث القصيدة، على ما أبنتُ عنه حتى الآن .

قلـت إن علاقـة خاصة تربط بين أحداث الزفرات الثلاث، على ما تطرحه رواية القصيدة، والعلاقة بين هذه الزفرات = أن الزفرة الأولى هي الأساسية والمجملة لأحـداث القصيدة، ومن هنا، وردت إلينا الزفرات التاليات كتفصيل لهذا المجمل في الزفـرة الأولى، وعلى هذا، فالزفرة الأولى ترتبط بالزفرتين التاليتين على قدم وثاق، وعلـى قـدر من المساواة في قوة الأحداث ومرارتها، يكاد يكون تفصيلهما تفصيلاً واحـداً . ومـن هـنا، فالتفصيل الوارد في الزفرة الثانية والثالثة على قدم وثاق في تفصـيله للحدث الإجمالي في الزفرة الأولى، وعلى هذا نستخلص أنه من خلال هذه الزفـرات الثلاث، تستبين الصورة الرئيسة لأحداث القصيدة بجانب الزفرة السادسة، كمـا أوردنـا، ومن ثم، رأينا أن الزفرتين الرابعة والخامسة تفصيلٌ لما هو واردٌ في الزفـرتين الثانية والثالثة من جهة، والزفرة الأولى المجملة لأحداث القصيدة من جهة أخـرى، وهكذا تتحبك بنية الداخل، تبعاً لانسباك بنية الظاهر، إلا أن الأمر لم يقتصر في بيان احتباك المفاهيم داخل القصيدة، وإنما هناك عناصر أخرى بيانها بفضل بيان أدناه، إن شاء الله تعالى .

فإذا كانت العلاقات واضحة وكائنة على النحو العام الموضّح أعلاه، فإن هذا يتـرتب علـيه احتباك عناصر مفهومية أقل داخل الزفرات من ناحية، وبين الزفرات المـتقاربة والمتـباعدة من ناحية أخرى . فإذا كانت العلاقة بين الزفرات على النحو الموضّح أعلاه، فإن هذا يشير إلى التشابك والتداخل بين هذه الزفرات والمفاهيم، ومن

هنا، فالزفرات متداخلة متعانقة في آن واحد، ومن هنا، سنعرض بشيء من التفصيل والإبانة لهذا فيما نوضحه من تحليل أدناه .

فقـد جـاءت الزفـرات الأربع الأخيرة رداً على لوم (أم قيس) في الزفرة الثانـية، ولما أجمله في الزفرة الأولى، وهكذا نستظهر البيان والتفصيل المذكور في هذه الزفرات والعلاقات المتداخلة بينها .

العلاقة قائمة بين الزفرة الثانية، بناء على ما ورد أعلاه، وهو لوم (أم قيس) لكعب، وبين كل زفرات القصيدة تفصيلٌ أو ردٌّ لهذا اللوم بوجه من الوجوه، ومن هنا، نستبين العلاقة القائمة بين هذه الزفرات بعضها البعض، ومن هنا، العلاقة بين الزفرة الثانية والزفرة الخامسة في هذا الموضع .

فـإذا كانـت (أم قيس) قد لامت كعباً ونهرته وأوجعته بهذا اللوم، وذكرت تحديداً في البيت الثالث من الزفرة الثانية، ما يفيد تهوره وأنه إنسانٌ غير مسئول، ولما كانـت كـل زفـرات القصيدة رداً أو تفصيلاً للزفرة الثانية تحديداً، فالعلاقةُ واضحةٌ ظاهرةٌ بينهما = فقد حاول أن يدفع لومها وما وصفته به من تهور، بوصف هذا الكلام بأنـه من منظور الكلام وقبيحه، وقد وصفه بـ (عوراء الكلام)، أي الكلام الذي لا يستطيع أن يتلفظ به، وفي ذلك ردٌّ مباشرٌ على وصفه بالتهور الوارد في البيت الثالث من الزفرة الثالثة، وهو في رده لم يذكر ذلك صراحة أنه على لسان (أم قيس)، ولم يـرد أن يشير إليها إشارة مباشرة، ولذلك نكر كلمة (عوراء) أي كلمة قبيحة كانت، أو أي صـنف من هذا اللون من الكلام، لا يستقيم معه، وليس من ديدنه، وحين نسب الفعـل (قيلتْ) بناه للمجهول، في شارة دالة على أنه لم يرد أن يذكر أن هذا الكلام القبـيح والمعبـر عنه باللوم، إلى (أم قيس) = لأن لها مكانة، إمّا بالنسبة له، وإمّا بالنسبة للقبيلة، على ما بينتُه في تحليل الضمائر .

وهكذا، تتحبك بنية الزفرة الثانية، باعتبارها مجملةً لأحداث القضية، والزفرة الخامسة إجمالاً، وبنية الزفرتين تفصيلاً، وعلى هذا، تتحبك بنية الزفرتين المتباعدتين

مكانـــيّاً، والمتداخلتـــين من ناحية أحداث القصيدة بشكلٍ عام . وهذا نمط من التحليل، وليس إلا نموذجاً لبيان مظاهر احتباك بنية القصيدة .

أمّا العلاقة المفهومية الثانية بين أحداث الزفرات، فنستظهرها على ما يتضح لي، وربما يستخلص باحثٌ آخر رؤية عكس ذلك، وفي ذلك دليلٌ على أن هذه الرؤية مـــن التحليل ليست أخيرة، وإنما الذي يمكن قوله إنها رؤيةٌ قائمةٌ على الواقع اللغوي الذي تعكسه العناصر اللغوية والمفهومية الذي يحاول هذا البحث أن يعبر عنها بشيء من الإبانة .

وهكذا، نستبين العلاقة بين الزفرة الرابعة والزفرة الخامسة، فقد عدد كعبٌ في هـــذه الزفرة الصفات التي يتصف بها على ما أشرت إليه بالموضوعات في المطلب الســـابق، ومـــن هنا، فهذه الصفات فيها ردٌ صريحٌ على لومها له في الزفرة الثانية، وتحديداً على ما أورده كعبٌ على لسان (أم قيس) في البيت الرابع من هذه الزفرة، بيـــانٍ آخرَ في الزفرة الرابعة، بما أنها تفصيلُ التفصيل في الزفرتين الثانية والثالثة، وكـــأن البـــيت الأول من الزفرة الخامسة (ومن لا ينل حتى يسد خلاله) إجمالٌ لكل أبيات الزفرة الرابعة = التي هي تفصيلٌ لما هو واردٌ من ردٍّ كعب للوم (أم قيس) له في الزفرة الثالثة، والزفرة الثالثة رد للوم من (أم قيس) في الزفرة الثانية، وعلى هذا، فالعلاقة بينهما شاخصة، وهي علاقةُ المقابلة، على ما نأتي عليه بفضل بيانٍ في موضـــعٍ آخـــر . وكأنَّ (أم قيس) لمَّا رأتْ هذه الخلال المذكورة في الزفرة الرابعة لامـــته بمـــا هـــو واردٌ في الزفرة الثانية، وهو تفصيلُ التفصيل، وهو فيه ما فيه من الإبانـــة والتفصـــيل الذي لا ينكر، وكأنها لما رأتْ منه هذه الخصال والصفات لامته ووصفته بما وصفته به في الزفرة الثانية على لسانها، فجاءت الزفرة الرابعة = لتدل علـــى أن هـــذه صفات يجب أن يفتخر بها ، وأن يعالن في وضوح تام = أن هذا لا يؤدي إلى الفقر والفاقة إطلاقاً؛ لأن (ومن لا ينل حتى يسد خلاله ....) وكأنَّ سؤالاً دار بينهما، وهو سؤال ذهني نشأ في ذهن كعب، حين لامته على أفعاله المذكورة في الزفـــرةِ الـــرابعة، فجاء الرد المباشر والسريع في الزفرة التالية ـــ وقد صدَّر الزفرة

الخامســـة بهـــا ـــ دليلاً على أن أفعاله هذه يجب أن يتحلى ويفتخر بها = بدليل البيت الأول من الزفرة الخامسة = والعلاقة بين هذا البيت والزفرة التي تليه علاقة الإجمال والتفصـــيل = الإجمال في البيت الأول من الزفرة الخامسة، لما هو مفصَّلٌ في الزفرة الرابعة كاملة .

علـــى أن هنالك جزئيةً أخرى تتعلق بالإجمال والتفصيل، والعلاقة بين أبيات الزفـــرة الـــرابعة = وما أعنيه العلاقة بين البيت الرابع والخامس (وقد جعلتهما حين قسمتُ هذه الزفرة إلى موضوعات موضوعاً واحداً فيما ورد في المطلب السابق، على أســـاس أن الحـــديث فـــي البيت الخامس من هذه الزفرة لا يزال متعلقاً بـــ (بمنشق أعطـــاف القميص) هذا الذي ذكره كناية على فقره وحاجته . والذي دلَّ على العلاقة بيـــنهما = أن الضـــمائر أظهـــرتْ ذلك على نحو ما بيَّناه في معالجة الضمائر . ولم يقتصـــر الأمـــر عند هذا الحد، وإنما بقي الأمر يحتاج إلى توضيح وإبانة، بين البيت الـــرابع تحديـــداً، والبيت السادس والسابع من هذه الزفرة، وأحاول بيانها بشرح وافٍ وواضح .

ففـــي البيت الرابع، وتحديداً في عجزه (وقد سد جوز الليل كل سبيل) ذلك حين دعا هذا المنشق القميص، على حد قوله، وجوز الليل على ما استظهره الشيخان المحققـــان شـــاكر وهـــارون في حاشية الأصمعيات ص٧٥ : جوز الليل = معظمه ووسطه)؛ إذ لم تكن هذه الدعوة في وضح النهار، وإنما كانت في وسطه أو معظمه، وهـــذا فيه من التعميم = لأنه لم يحدد وقتاً بعينه، على ما أوردت، ومن هنا، أراد أن يخصص المساحة الزمنية التي لم يحددها، فجاء في البيت السادس والسابع، حين ذكر ســـحيراً فـــي صدر البيت السادس، وهو تفصيلٌ وتحديدٌ للعام الوارد في البيت الرابع (جوز الليل) ثم يصف تفصيلاً، وفي الوصف على ما أبنتُ عنه في وسائل سبك بنية النص، ثم يأتي البيت الأخير في هذه الزفرة ليحدد وقتاً آخر متعلقاً بالليل كذلك، ومن هـــنا، فالعلاقـــة القائمة بين البيت الرابع من جهة، والبيتين السادس والسّابع من هذه الزفـــرة = أن هذين البيتين تفصيلٌ لما هو واردٌ في عجز البيت الرابع أعلاه، كما أن

البـيت الخامس متعلقٌ بالبيت الرابع، كما أشرت مع الضمائر، وكما أنه وصفٌ، وفي الوصف تفصيلٌ للعنصر الأساسي والركيزة الأساسية، وهو منشق أعطاف القميص .

ومـن هـنا، فالـربط المفهومي بين هذه الأبيات يتجاوز رؤية النحاة بما هو أوسع، بحيث يمثل ذلك ليس ربطاً بين جملة أو جملتين أو البيت أو البيتين، وإنما إلى ما هو أوسع = حيث يتجاوز الأبيات، ومن ثم، نرى أثر الربط المفهومي في حبك بنية النص ، كما ساعدت العناصر اللغوية في سبك بنية القصيدة، كما أظهر ذلك التحليل .

علـى أن ثمة ملاحظة، بودي الإشارة إليها خاصة بالبيت الأخير من الزفرة الخامسـة (ولسـت بمـبد للرجال سريرتي) في الواقع إضافة موضوع جديد، كما أوضحنا وفصلّنا في المطلب السابق، إلا أننا يمكننا إضافة جزئية أخرى زيادةً على ما سبق بيانه = أن هذا فيما أخال نشأ عن سؤال نشأ في ذهن كعب، أو نتيجة حوار دار بيـنهما، فذكر أنه يذكر كذا وكذا على ما هو موجودٌ في الزفرة الخامسة، وأنه يذكر أيـام العشـيرة بعدما يهدأ من روع سيده ــ على حد تعبيره ــ ويذكر له القصص، فكأنها قالت له : أتذكر القصص والروايات لسيدك، وتذكر قصتنا ؟ على ما تشير إليه أبيات هذه الزفرة، فجاء هذا البيت نتيجة ذلك السؤال من أم قيس، بأنه لم يذكر أسراره إطلاقـاً، وذكـر البـيت، والعلاقـة بين هذه الأبيات على هذا النحو الذي استظهرته واضـحة ومقـبولة، ليس عليها ظل لريب، وهو ربطٌ داخل الزفرة الواحدة خلافاً لما أظهرته في المواضع الأخرى حين الحبك مع الزفرات الأخرى، غير أن مفارقة تبقى = أن هذا البيت الأخير من هذه الزفرة مترتبٌ على الأبيات الثلاثة السابقة، وهذا فيه ما فيه من الدلالة على حبك بنية نص الزفرة إجمالاً والقصيدة تفصيلاً .

كانت هذه نوعية استظهرتُها في هذا التحليل في بيانٍ كافٍ لإظهار تأثير هذه الجوانب على اتساق القصيدة، مما ينفي عنها تقطع أواصرها، وينفي ذلك الزعم الذي كـان سائداً حول وحدة البيت، على ما هو معلومٌ للمتخصصين من أهل النقد في هذا الباب .

وهــنا أذكــر جانباً آخر يتعلق بحبك بنية القصيدة، غير أنه يقع داخل حدود أســوار البــيت الواحد، وأقصد البيتين الثالث والرابع من الزفرة الربعة = لأن عجز هاتــين البيتــين تفصــيلٌ تعليلي، لما هو مذكورٌ في صدر البيتين؛ لأن هذه (اللام) الــواقعة مع الفعلين (لأوثر، لأنظر) تعليلٌ لذلك الفعل الذي قدَّمه في صدره الأول؛ وعلــى بيِّــنة من هذا، نستخلص أن عجز البيتين، تفصيلٌ لما هو في صدر البيتين، وتعلــيلٌ له من خلال(اللام) في صدر عجز البيتين . وبناء عليه، فالعلاقةُ واضحةٌ بــين شطريّ البيتين، بما أن عجز البيت، تفصيلٌ ووصفٌ لما هو في صدر البيت . ومــن هنا، فــ (اللام) تربط، وإن ظل هذا الربط داخل حدود أسوار البيت الواحد، وإن تجاوز حدود الجملة .

وعلى الرغم من هذا، يمكننا اعتبار أن هذا النوع من المعالجة، يتجاوز حدود الجملــة، لكــنه لــيس على إطلاقه، بداية أو النواة الفعلية التي انطلقت منها لسانيات النص، في معالجة أوسع لتلك التي استعملها القدماء، ومن هنا، فقد أفاد نحاة النص من هــذه الملاحظــات المنتشــرة في معالجات نحاة الجملة، ووسعوا القول فيها، وبلوروا وصــاغوا الأفكــار النهائية والأخيرة، ولم يردوها جملة وتفصيلاً، حتى في المعالجة التــي لم تتعد حدود الجملة، فقد انطلقوا منها وتجاوزوها، غير أنهم أبداً ما رفضوها، على خلاف مع رؤية أحد الباحثين التي أشرنا إليها في موضع سابق .

وإذا كان ثمة ما يتعلق بحبك نص القصيدة داخل البيت الواحد ، وهو يتجاوز حدود الجملة الواحدة، كما هو ظاهرٌ، ويتجلى ذلك بوضوح في البيت (١٥) : فقلت لــه : قد طال نومك فارتحل ... ونلاحظ أن ما يلي جملة القول في هذا البيت تفصيلٌ لهــذه الجملة، وهو تفصيل، لا يتوقف عند حدود الجملة، وإنما يتجاوز ذلك إلى البيت أو البيتــين، ومن ثمَّ، يمكن أن تستثمر هذه العلاقة المفهوميَّة في أنها تتجاوز الجملة الواحدة إلى البيت أو البيتين .

ويتشــابه بهــذا الأمر موضعٌ آخر من نص القصيدة = أعني الزفرة الثانية، وتحــيداً بدايــة مــن الزفرة الثانية، مع بداية جملة القول (تقول) المصدرة بها هذه

الزفــرة، وإذا كان وجوه المقاربة معلنة بين هذا الموضع والموضع الوارد أعلاه، إلا أن مفارقة تبدو واضحةً = أن الموضع السابق يتجاوز حدود الجملة إلي البيت أو أكثر قلــيلاً، أمَّــا جملة القول هنا، فإنها تتجاوز الجملة الواحدة والبيت الواحد إلى عدد من الأبيات وتحديداً إلى كل مواضع الزفرة الثانية، ومن ثمَّ، فإن كل الزفرة الثانية تفصيلٌ لجملــة القــول الواقعة في صدر هذه الزفرة، وعلى هذا الأساس، فإنها تفصيلٌ لجملة القــول مــن ناحــية، وهو ربطٌ تتجاوز به الجملة الواحدة إلى الأبيات التي يجمعها موضوعٌ واحدٌ، حسب التقسيم المقترح فيما ورد من تحليل، ومن ناحية أخرى فإن هذه الزفــرة تفصــيلٌ لمــا هو في الزفرة الأولى، على ما أبنا، وبالتالي فهذه الزفرة ذات جدليتين = داخل أسوار الزفرة الثانية، وخارج أسوار الزفرة، على ما هو مع الزفرة الأولــى، وهو تفصيلٌ مباشر، وترتبط كذلك من ناحية ثالثة بالزفرات الأخرى البعيدة مكانياً، على ما شرحتُه بفضل بيان في مواطن متفرقة من التحليل .

بيد أنني أعود مرة أخرى لتبيان العلاقة بين الزفرة الأولى والزفرة السادسة = فقد صدَّر كعبٌ هذه الزفرة بــ (وقوم يجرون الثياب)، وهي تقدمةٌ لاعلاقة لها فيما أذكــر بالأبــيات السابقة مباشرة، وإن كانت العلاقة تحتاج إلى نوع من البيان، على الــنحو الــذي نستوضحه في تحليل جوانب هذه القصيدة . والظاهر أن العلاقة غير مباشــرة فــي هــذه الزفــرة مع التي قبلها، ولكننا نجدها واضحةً مع الزفرة الثالثة، والعلاقــة بينهما علاقة المماثلة، أو علاقة المقاربة = ففي الزفرة الثالثة الحديث عن ارتــياد الصــعب وركوب الأخطار والأهوال، ويعود مرة أخرى في الزفرة السادسة لــنجد الحديث يتماثل مع الزفرة الثالثة، ومن ثم، جعلنا لهما عنواناً في تقسيم زفرات القصيدة حسب الإجمال والتفصيل ــ وأطلقنا عليه عنوان (التفصيل العام) وقد أبنتُ عن ذلك بتفصيل، لا نحتاج معه إلى إعادة مرة أخرى .

وتوضِّــح هذه الرؤية مدى التماسك المفهومي بين الأبيات المتباعدة مكانياً = لأن الأحــداث اللغوية، وإن تباعدت مكانياً؛ إلا أنها متداخلةٌ مفهومياً، ولهذا، فإن هذا التــباعد المكانــي الظاهر في أحداث القصيدة، لا يغدو شيئاً، ويظهر على الرغم من

تباعد الأحداث على السطح، إلا أنه تباعد شكلاً؛ إذ تبدي هذه الأحداث المتباعدة على السطح قريبة ومتداخلة ومتعانقة من ناحية البنية التحتية، بحيث لا يمكن فصل جانب عـن الجانب الآخر، وعلى بيِّنةٍ من هذا الرؤية تتحبك أجزاء النص المتباعدة مكانيّاً، والمتداخلة مفهوميّاً، وهذا التداخل، الذي يظهره اتساق النص، على الرغم من التباعد، إلا أنـــه يعكس شيئاً آخر = التداخل من حيث الأحداث، وإن هذا التباعد البادي على سطح الورق، حين تأتي الأحداث، ليس شيئاً مذكوراً، وهو ما يؤكده هذا الانحباك بين بنيات النص المتباعدة، على هذا النحو من البيان والتفسير .

علـــى أن لفظة (قوم) المذكورة في صدر الزفرة الأخيرة، تذكرنا من حيث التنكيـــر ببناء الفعل(قيلت) للمجهول، ومع الاسم (عوراء)، وهكذا نستبين العلاقة بين هذه الزفرة والزفرة الخامسة، ومن ناحية أخرى، العلاقة بين هذه الزفرة وزفرات القصـــيدة الباقـــيات بالزفـــرة الأولى، وأن كل زفرات القصيدة، إنما تعود وترتد إلى الزفرة الأولى، على ما أبنتُ عنه في مواضع متفرقة .

ولـــم يشأ كعبٌ في هذه الزفرة أن يعيد اسم (أم قيس) مرة تلو الأخرى، كما حدث مع الزفرة الخامسة، المشار إليها أعلاه، وأعاد الصياغة اللغوية ذاتها باستعمال التنكير الدال على عدم ذكر (أم قيس)، لتلك الأسباب التي ذكرتها (ينظر : ٢ / ١ / ١ من البحث) .

وإذا كانت هذه هي جوانب التفصيل التي تتحبك بها مفاهيم النص تبعاً لانسباك أجـــزائه الظاهـــرة، وهذه الجوانب التي فصّلتُ القول فيها بفضل بيان ومتابعة تتعلق جلهـــا بالتفصـــيل والإجمـــال، التـــي رأيتُ أن أحداث القصيدة قائمة على هذا المبدأ البلاغي، كما أبنتُ عن دوره في انحباك بنية النص الداخلية .

ويمكنـــنا بـــناء على ما أوردتُه من مناقشة، إيجاز أو تقسيم نص القصيدة في عالم المفاهيم، بناء على ما أورده حازم في (منهاجه) على النحو التالي :

١ ـــ تفصيل الإيضاح (وتمثله أبيات القصيدة كاملة، عدا البيت الأول) .

٢ ـــ تفصيل التعليل (ويمثله البيتان الثاني والثالث من الزفرة الرابعة) .

٣ ـ تفصـــيل السبب (ويمثله البيت الثاني من الزفرة الخامسة، وكذلك البيت السابع من الزفرة الخامسة) .

٤ ـ تفصـــيلُ الغايـــة (وتمثله كل أبيات القصيدة في ردها على لوم أم قيس لكعب) .

وعلى هذا التقسيم المقترح، عالجنا جوانب التفصيل بعد الإجمال على الوجوه المســتنبطة من القصيدة، وهي وجوه، وإن كنا لم نشر إليها على هذا الأساس، إلا أن هــذا الاســتخلاص، يوجز عناصر التحليل الواردة أعلاه، وهو تقسيمٌ قائمٌ في أحداث القصيدة، ولم يأت عبثاً .

علـــى أنـــنا ننبه إلى أن علاقة التفصيل بعد الإجمال، التي أشرنا إليها أعلاه، وفـــي مواضع منتثرة من التحليل، تُوحِي أنه يقع موقعين = فقد يكون التفصيلُ عقب الإجمـــال مباشرة، كما هي الحال بين الزفرة الأولى من جهة، والزفرة الثانية والثالثة مـــن جهـــة أخرى، على سبيل المثال، وقد لا يكون التفصيل عقب الإجمال، كما هي الحـــال بين الزفرة الأولى من ناحية، وبين الزفرات الرابعة والخامسة والسادسة، من ناحية أخرى، على سبيل التمثيل أيضاً .

غيـــر أن مـــا عرضـــتُ له، ليس كل شيء في القصيدة، وإنما هنالك جوانب أخرى، منها : المقابلة والجمع وحسن التقسيم .... إلخ . ونخلص لهذين الجانبين فيما نستقبله من حديث، باعتبارهما عنصرين ظاهرين في القصيدة بشكل من الأشكال .

٢ / ٢ : جوانب أخرى من حبك نص القصيدة :

٢ / ٢ / ١ : المقابلة :

تنتشـــر على مساحات زفرات القصيدة عناصر لغوية مختلفة، كما أبنتُ عن ذلـــك فـــي وسائل سبك النص، أمَّا هذا الجانب، فعلى الرغم من النظر إليه من حيث اللغـــة في المطلب السابق، إلا أن النظر إليه يكون من حيث المفاهيم = أعني الجانب المفهومـــي، غيـــر الظاهر، والمقابلة من هذه المفاهيم الذي تنتشر في بنية القصيدة، وتلعب دوراً في حبك بنيتها الداخلية .

الـــذي يحـــتاج إلى نظر وتأمل، ليس في الزفرة الأولى، فيما يتعلق بالمقابلة، وإنمـــا في الزفرة الثانية، نجد ذلك واضحاً في (كملقى عظام / كمهلك سالم)، وأمّا الزفــرة الثالثة، فهي (يراخى / يدني) و (قعودي / رحيلي) . على أن ثمة مقابلة أخــرى في هذه الزفرة، غير أنها مختلفة عن سابقتها = إذ المقابلة بين شطرتي البيت = كداعـــي هــديل لا يجـــاب إذا دعا، وعلى الرغم من ذلك، فهو لا ينتهي عن هذا الدعاء، وبالتالي فالمقابلة بين شطرتين داخل البيت الواحد .

علـــى أننا إذا كنا قد تناولنا المقابلة بين الكلمات داخل هاتين الزفرتين، على الأشـــكال الواقعة داخلها، إلا أننا واجدون مقابلة من نوع آخر، بين هاتين الزفرتين، وتتأكد المقابلة = حين نعلم المقابلة بين لوم (أم قيس) له في الزفرة الثانية، ورد هذا اللوم في الزفرة الثالثة وكل زفرات القصيدة، ما عدا الأولى والثانية، بوجه عام، ومن هنا، فإن مقابلة قائمة بين الرؤيتين، على ما أبنا عنه في موضع سالف الذكر .

غيـــر أن ملاحظة تطل برأسها من بين ما عرضنا له في جوانب حبك نص القصيدة = أن الزفرات في القصيدة، ما عدا الأولى منها، تمثل إجمالاً، والباقيات من الزفرات تمثل تفصيلاً، على نحو مختلف من النسبة والتناسب بينها، ومن هنا، فالزفرة الثالـــثة، قلـــنا بشـــأنها إنها تفصيلٌ عامٌ للمجمل في الزفرة الأولى على قدم وثاق مع الزفـــرة الثانـــية، وقلنا كذلك إن الزفرة الرابعة والخامسة تفصيل التفصيل في الزفرة الثانية والثالثة والأولى .

فتفصيل التفصيل؛ لأن الزفرة الرابعة والخامسة تفصيلُ التفصيل العام الوارد فـــي الزفـــرة الثالـــثة = لأن الزفرة الرابعة والخامسة تفصيلٌ لهذا الوارد في الزفرة الثالثة، وفي الوقت ذاته، فثمة مقابلةٌ بين هاتين الزفرتين والزفرة الثانية، على أساس العلاقة بين الزفرة الثالثة والرابعة والخامسة، وكل زفرات القصيدة، ابتداء من الزفرة الثالـــثة، إنما هي تفصيلٌ، وفي ذلك مقابلة بين هذه الزفرات والزفرة الثانية من جهة أخرى .

وتأتـــي الزفــرة السادسة والأخيرة، ليعود الشاعر أدراجه، كما هي الحال مع الزفــرة الثالثة، وهي التفصيل العام، وكأنّ كعباً على بيّنة من أمره، حين أدرك هذا، ويـــبدو أنـــه كـــان على وعي تام بذلك، ولذلك وضع القصيدة، أو رده الطبيعي بين قوسين، وفي ثنايا هذا التفصيل العام، أسهب وفصّل ذلك في الزفرة الرابعة والخامسة، على النحو الذي بيّناه وشرحناه شرحاً مستفيضاً .

أمّا الزفرة الرابعة، فوجوه المقابلة يمكن أن نستظهرها في (الشمس / الليل) في البيت الثالث من الزفرة، وكذلك (طال نومك / وما ذاق طعم النوم غير قليل) .

وأمّـــا الزفــرة الخامسة، فنستظهر عناصر المقابلة بين (حلمه، أخا الحلم / ســبني)، وهكذا نلاحظ أن مثل هذه المواضع، على الرغم من قلتها، تعمل على بيان العناصر المفهومية التي تنحبك بها بنية القصيدة، وهي عناصر تبيّن وتظهر العناصر اللغوية الماثلة على سطح الورق .

مما يجب التنويه به أن البلاغيين العرب قد تناولوا فنوناً عدة، تقع جميعها في إطـــار العلاقة المفهومية، بيد أن الذي يحتاج إلى توكيد = أنه لا يمكن أن تكون هذه العلاقات متوفرةً في هذه القصيدة، وإن توفر بعضها، لأننا لا يمكننا أن نلبس القصيدة كل ما هو موجود في التراث البلاغي، فهذا أمرٌ صعبٌ، ولا نحب أن نصنعه، وعلى هــذا، فـــإن الـــذي يحتاج إلى مراجعة في هذا الباب، يمكن استظهاره في المصادر البلاغية، فإنها كافية وافية، وإن كانت هذه المصطلحات، فيها من التفريعات والتداخل، ما يجعلنا نرد جلها إلى عدد محدد، ومن ثمَّ، نقلص من كمها، ونحدد دلالتها، ونغربل مـــا يحـــتاج إلـــى غربلة منها في إطار لسانيات النص، وقد أشرت إلى عدد من هذه المصـــطلحات بشـــكل مباشر، كالمناسبة وحسن التخلص وعلاقة الأحداث اللغوية في القصيدة بعضها ببعض، على الرغم من بعدها مكانيّاً .

على أنه قد تكون هناك علاقات مفهوميّة أخرى في القصيدة، غير ما ذكرتُ، وقد يخلصُ باحثٌ آخر إلى رؤية مفارقة عما توصلتُ إليه، غير أن الذي يبقى ماثلاً :

أن جوانب التمايز بين ما توصلتُ إليه من تحليل، وما يمكن أن يستظهره باحثٌ آخر، ليست كبيرة، إن أنصف وأخلص في مدارسة نص القصيدة .

٤ / . : المصادر والمراجع :

٤ / ١ : المصادر :

١ـــ الأصمعي : الأصمعيّات، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ .

٤ / ٢ : المراجع :

١ـ د. أشرف عبد البديع عبد الكريم : سورة الجن، نموذج للتضافر بين أبنية السبك وأبنية الحبك، منشور بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، إصدار خاص،٢٠٠٦ .

٢ــــ د. أشرف عبد البديع عبد الكريم : العناصر الأساسية المكونة لنظرية إيزنبيرج نمـوذجاً، دراسة تحليلية نقدية، ص ص ١٥ : ٨٨، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الرابع ، ٢٠٠٦، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة .

٣ــــ البغدادي : أبوعليّ إسماعيل بن القاسم : الأمالي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، ط دار الجيل، دار الآفاق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ .

٤ـ د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري، ص ص٢١٧ : ٢٧٤ ، ضمن كتاب (في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، آفاق جديدة ، طبعة جامعة الكويت، ٢٠٠٣ .

٥ــــ سـيبويه : الكـتاب، تحقـيق وشرح عبد السّلام هارون، نشرة مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، د . ت .

٦ــــ عـبد القادر بن عمر البغدادي : خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة .

٧ــــ ابن قتيبة : عيون الأخبار، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، ١٩٢٥ .

٨ـ كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه وعلَّق عليه ومهَّد له أ.د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ .

٩ـ د. مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مجلة الموقف العربي، دمشق، العدد (٣٨٥)، ٢٠٠٣ .

١٠ ـ ابن منظور: لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧

الدلالة التركيبية بين النظرية والتطبيق

سورة "يوسف" نموذجًا

د. نادية رمضان النجار

أستاذ مساعد بآداب حلوان

وأعني بها الدلالة المنبثقة من دلالة العلاقات النحوية بين المفـردات، أو بمعنى آخر هي دراسة العلاقات البنائية أو التركيبية بين العلامات، وتركز علـى التعرف على العلامة في علاقتها بغيرها من العلامات؛ فكل لغة تعد نظامًا مـن العلامات-على حد قول البنيويين- وكل علامة لها دال هو المنطوق، ومدلول هو المفهوم من اللفظ المنطوق، وعلاقة اعتباطية تجمع بينهما. والنظام النحوي يتكون من عناصر داخلية Internal وعلاقات خارجيـة External. أمـا العناصـر الداخلية -ولها الصدارة- فتتمثل في دراسة نظام اللغة الداخلي. على حين تتمثل العلاقات الخارجية في العلاقات القائمة بين اللغة وما يؤثر فيها مثل (الحـضارة، والاجتماع، والتاريخ، وعلم النفس)[١]. وتظهر أهمية الدلالة التركيبية في التوصل إلى البنية السطحية الخاصة بالنص وكذلك العلاقـات الخاصـة بـين مكوناتـه وأجزائه، وتكشف العلاقات التركيبية عن تلك القواعد أو الأعراف الأساسية التي تكمن خلف عمليات إنتاج النصوص وتفسيرها[٢].

---

(١) د. حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م، ص٩٩-١٠٠.

(٢) دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) ، ترجمة أ. شاكر عبد الحميد، ط أكاديمية الفنون، ٢٠٠٢م، ص٢١٧-٢١٨.

وقد اصطلح المحدثون على دراسة هذه العلاقة بمصطلح "التضام"، الذي يعني: (استلزام عنصرين لغويين أو أكثر استلزامًا ضروريًا، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو: (أهلاً وسهلاً، ولم ينبس ببنت شفة)، وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى[1]. وينقسم التضام إلى ضربين: (معجمي، ونحوي).

أما المعجمي: فهو انتظام مفردات المعجم في طوائف، يتوارد بعضها مع بعض ويتنافر مع بعضها الآخر، فالأفعال طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة من الأسماء، وتتنافر مع الأسماء الأخرى. وهذا هو معنى قول البلاغيين: (إسناد الفعل إلى من هو له أو إلى غير من هو له) ، فيقال: (انصهر الحديد، وانكسر الزجاج) ولا يجوز العكس لما فيه من التنافر[2].

أما التضام النحوي: فهو العلاقة التي تنشأ بين عنصرين (التابع، والمتبوع) داخل المنظومة النحوية، وهذا التضام النحوي يظهر بوضوح بين التابع والمتبوع فيما يسمى بعلاقة التبعية، والمسند، والمسند إليه في علاقة الإسناد، والمطابقة والرتبة، والفصل والوصل، والافتقار والاختصاص، والاقتران.. الخ[3]. ويستدل على هذا التضام بإحدى طريقتين:

---

(١) د. يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ط علم الفكر، م٢٠، ع٣، ١٩٨٩م، ص٨٧-٨٨.

(٢) د. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، "دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني"، ص عالم الكتب، ١٩٩٣م، ص١٥٥-١٥٦.

(٣) السابق نفسه، ص١٥٣.

(١) طريقة الذكر: وفيها يكون العنصران المتلازمان مذكورين في نص الكلام، وهو إما ذكر اختصاص، وإما ذكر افتقار.

(٢) طريقة العدم (الحذف): وفيها يستدل بقرائن سبق الذكر، أو الاستلزام على العنصر غير المذكور في النص، إما لاستتار واجب أو لحذف.

وباستقراء سورة "يوسف" اتضح اشتمالها على بعض ظواهر التضام النحوي المتمثلة في: (الاختصاص، والزيادة، والحذف، والربط).

أولاً: الاختصاص:

هو من صفات الحروف والأدوات؛ لأن الأدوات إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه إلى غيره، فتسمى (مختصة) كاختصاص "تاء القسم" بلفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف/٩١)، ويعلل "الفراء" هذا الاختصاص فيذكر أن (العرب لا تقول تالرحمن) ولا يجعلون مكان الواو تاء إلا في الله عز وجل؛ وذلك أنها أكثر الأيمان مجرى في الكلام، فتوهموا أن الواو منها لكثرتها في الكلام، وأبدلوها (تاء) كما قالوا: (التراث: من ورث، والتخمة: من الوخامة، والتجاه: من واجهك)[1]. وقيل إن (الواو) بدلاً من الباء، فتكون التاء بدلاً من بدل. وكذلك حروف الجر فهي تختص بالأسماء كما في قوله تعالى: ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ (يوسف/٥)؛ ومن ثم فهي تعمل الجر.

وإما حروف غير مختصة فتدخل على الأسماء والأفعال، مثل: (حروف النفي) فهي لا تؤثر إعرابيًا، لقول النحاة: (إن الحروف لا تعمل إلا إذا كانت

---

(١) معاني الفراء: تحقيق ومراجعة أ.محمد علي النجار،ط٣مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢م ٢/٥١.

مختصة)[1]، هذا من حيث العمل الإعرابي. أما من ناحية الدلالة المعجمية فهي تلزم ألفاظًا معينة نحو: (فتىء، وبرح، ودام)، وبالرغم من تلازمهما معجميًا إلا أن الأسلوب القرآني قد تجوز فيها فحذف أداة النفي، كما في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ (يوسف/٨٥)[2]؛ ولعدم اختصاصها دخلت أيضًا على الأسماء كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ (يوسف/٤٠).

أمثلة من الاختصاص:

١. اختصاص نون التوكيد بالأفعال وهي تقابل (إن، واللام) في الأسماء كما في قوله تعالى:﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف/٣٢)، وقد جاءت (النون) الثقيلة في (ليسجنن) لتحققه. على حين جاءت (النون) الخفيفة في (ليكونا) لأنه غير متحقق وقيل: لأن ذلك الكون من توابع السجن ولوازمه، فاكتفت امرأة العزيز في تأكيده بالنون الخفيفة بعد أن أكدت الأول بالثقيلة[3]، والفعل المضارع هنا مبني لاتصاله بنون التوكيد المباشرة، وقد حذفت (نون) الرفع للبناء كما حذفت الضمة عند التجريد[4].

---

(١) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط بيروت المكتبة العصرية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ١/٧٣٠.

(٢) ينظر للباحثة: التضام والتعاقب في الفكر النحوي، بحث بمجلة علوم اللغة، ع٤، م١٢، ٢٠٠٠م، ص١١٨.

(٣) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م ١٠/٢٣٤.

(٤) أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى النماس، ط١مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٤-١٩٨٩م، ١٢/٣٠٧.

٢. أما (إنْ) فهي ترد مخففة من الثقيلة؛ فتكون للتوكيد في الجملة كالثقيلة وتدخل على المبتدأ والخبر وعلى ظننت وأخواتها وسائر نواسخ الابتداء من الأفعال كـ(كان) وأخواتها و (كاد) ويجوز فيها الإلغاء والإعمال[1] كالمثقلة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف/٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف/١٠)، فالإلغاء يكون لعدم اختصاصها، والإعمال يكون على إسقاط النواسخ فيردونها للأصل وهي الجملة الاسمية؛ والذي يؤكد ذلك لزوم اللام في خبر هذه الأفعال كلزومه في خبر الابتداء، و بها يتميز الفرق بين (إنْ) النافية و(إنْ) المخففة من الثقيلة، ويسمونها بـ(اللام) الفارقة.

٣. اختصاص (إنَّ وأخواتها) بالدخول على الأسماء، فهي ناصبة لاسمها رافعة لخبرها، وإنما عملت لكون الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف/٢) وأصله (إننا) فقد توالت ثلاث نونات فخففت بحذف إحداها، وأُدغمت النونان وذلك لتوالي الأمثال، ومنه كذلك قوله تعالى:﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/٢) ؛ فـ(لعل) أفادت الترجي وعملت النصب في اسمها، وخبرها جملة فعلية في محل رفع.

---

(١) المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق د. سعيد صالح مصطفى زعيمة، ط دار بن خلدون، د. ت، ص١١٥.

(٢) عبد العزيز الموصلي: شرح ألفية بن معطي، تحقيق علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض١٩٩٠م، ٢/٨ و٩.

٤. اختصاص حروف النداء بالأسماء[١] ومنه قوله تعال: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ (يوسف/٥) فالمنادى منصوب لكونه مضافاً؛ لأن (بني) تصغير (ابن) على زنة (فُعيل)، ثم أضيف إلى ياء المتكلم التي حذفت. وقد تحذف أداة النداء للعلم بها كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا﴾ (يوسف/٢١)، وأصله (يا يوسف) والنداء بالاسم هنا فيه تقريب وتلطيف ليوسف حتى يكتم الأمر ولا يخبر به[٢]، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة؛ ومن ثم أجيز حذفه. وهناك من يرى[٣] أن (يا) هنا للتنبيه وليست للنداء؛ ومن ثم حذفت، ومثلها (الياء) في قوله تعالى: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف/ ٨٤)؛ فالعرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جعلته نداء، فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره، وقيل إن معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة[٤].

٥. اختصاص نون الوقاية بالدخول على الأفعال، فنقول: (أرشدني، وأسعدني) ولا نقول: (مرشدني، ولا مسعدني)[٥]. نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ (يوسف/ ٤٣)؛ فـ(النون) في (أفتوني)

---

(١) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ٩٩/١.

(٢) أبو حيان: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد النوني ود.أحمد النجولي الجمل و قرظه أ.د.عبد الحي الفرماوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٢٩٨/٥.

(٣) المالقي: رصف المباني، ص٥٠٤.

(٤) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ت د. عبد الجليل شلبي، ط١ عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ٢٤١/٢و٩٧.

(٥) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، م١٠، ١٢٩/١.

للوقاية؛ لتقي فعل الأمر من الكسر، ولتناسب الكسر في ضمير المتكلم، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف/٤٥)؛ فأصلها (أرسلوني) فـ(النون) للوقاية والياء محذوفة وقد عوض عنها بالكسرة.

٦. اختصاص حروف النصب بالدخول على المضارع، فإما أن تنصب بنفسها[1]، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾ (يوسف/٣٨)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ (يوسف/١٥) فـ(أن يجعلوه) في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر تقديره: (أجمعوا على جعله في غيابة الجب). وإما أن تنصب على إضمار (أنْ) بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف/٥) فـ(الفاء) عاطفة سببية والفعل (يكيدوا) منصوب بـ(أن) مضمرة وجوبًا بعد فاء السببية وعلامة النصب حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة. ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا﴾ (يوسف/٦٦) فالفعل منصوب بـ(أن) مضمرة وجوبًا بعد (حتى) والمصدر المؤول من (أن) والفعل مجرور بـ(حتى) والجار والمجرور متعلق بالفعل (أرسل)، والتقدير: (لن أرسله معكم حتى إتيانكم موثقًا). وتضمر (أن) كذلك وجوبًا بعد(واو) المعية، كما في قوله تعالى:﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف/٩)، ويجوز أن يكون مجزومًا بالعطف على(يخل). كما ينصب المضارع بعد (أو) بـ(أن) المضمرة، ومنه قوله تعالى:﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ (يوسف/٨٠).

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: م٤، ٢٠٨/١.

٧. اختصاص حروف: (إنْ، إذا، لو، إذ) بالشرطية[١] إلا أن الأسلوب القرآني قد يتجوز فيها فيعدل بها عن معنى الشرط إلى معنى آخر، كما في قوله تعالى:﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف/١٧)؛ فـ(لو) هنا أفادت معنى الامتناع للامتناع أي امتناع الإيمان لامتناع الصدق. وكذلك التحضيض في (ألا، وهلا، ولوما، ولولا)[٢]؛ فقد تجوز الأسلوب القرآني فيها أيضًا فعدل بها عن معنى التحضيض إلى معنى الامتناع للوجود، كما في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف/٢٤) فـ(لولا) تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط نحو (لولا الماء لمات الزرع) فالموت لم يحدث لكون الماء موجودًا وهذا تقدير عام مراده: (لولا وجود الماء لمات الزرع) والمراد في الآية (لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها)، فـ(الهَّم) لم يحدث لوجود رؤية البرهان والآية فيها تقديم وتأخير- والله أعلم-[٣].

٨. اختصاص (ما) المصدرية بالأفعال، ومعنى ذلك أنها تُصيِّر الفعل الذي بعدها في تأويل المصدر وموضعه[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف/٦)، والتقدير: (كإتمامه نعمته على أبويك من قبل). وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف/٦٤)؛ أي ائتمانًا

---

(١) د. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص٢٤٨.

(٢) سيبويه: الكتاب، تحقيق أ. عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ٢٦٨/١.

(٣) البحر المحيط: ٢٩٥/٥.

(٤) المالقي: رصف المباني، ص ٣٤١.

مثل ائتماني إياكم على أخيه "يوسف" من قبل[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (يوسف/٣)؛ أي (بإيحائنا إليك)؛ فـ(ما) والفعل في تأويل مصدر مجرور.

٩. اختصاص (أفعل) بنصب النكرات بعدها على التمييز[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ (يوسف/٧٧)، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ (يوسف/٦٤) وقد حذفت الهمزة من (أفعل) هنا لكثرة الاستعمال.

ثانيًا: الزيادة:

والمراد بالزيادة هنا الزيادة النحوية وإنما تسمى كذلك لأن العنصر المنسوب إلى الزيادة ليس جزءًا من النمط التركيبي للجملة، وإنما جيء به لزيادة المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ (يوسف/٣١)؛ فالفعل (سمع) متعدٍ بنفسه لأنه من أفعال الحواس، إلا أن دخول (الباء) هنا قد أفاد تضمين (سمعت) معنى عرفت وعلمت؛ ومن ثم تعدى بـ(الباء). وقد يكون العنصر الزائد ضروريًا في التركيب كما في: (غضبت من لا شيء، وجئت بلا زاد)؛ فالملاحظ أن (لا) فصلت بين المتلازمين؛ ومن ثم حُكم بزيادتها إلا أن المعنى يتطلبها فلا يصح المعنى بدونها؛ وهذا يؤكد أن حروف الزيادة قد تضيف معنىً جديدًا إلى الجملة وهذا هو ملحظ البلاغيين؛ لقولهم إن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى. أما الزيادة القرآنية فغالبًا ما تفيد تأكيد معنى الجملة[3].

---

(١) روح المعاني: ١٣/١٧.

(٢) ابن الانباري: الإنصاف، م١٥، ١/١٣٢.

(٣) ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الشيخ محمد محي الدين، ط المدني د.

وباستقراء سورة "يوسف" لاحظت اشتمالها على بعض أنماط الزيادة المتمثلة في: (زيادة الحروف، وزيادة الضمائر، وزيادة الجمل).

١) زيادة الحروف:

غالبًا ما تكون زيادة الحروف زيادة محضة أي لا تجلب معنىً جديدًا، وإنما تؤكد وتقوي المعنى العام في الجملة كلها؛ فشأنها شأن كل الحروف الزائدة، يفيد الواحد منها توكيد المعنى العام للجملة، كالذي يفيده تكرار تلك الجملة كلها، سواء أكان المعنى العام إيجابيًا أم سلبيًا؛ ولهذا لا يحتاج إلى متعلق يتعلق به ولا يتأثر المعنى الأصلي بحذفه[1]. ومن أمثلتها: (حروف الجر، وحروف العطف، وزيادة "أن" بعد "لما"، وزيادة "إذن").

أ- حروف الجر:

- **زيادة(الباء)**: فهي تزاد بين الفعل والفاعل زيادة واجبة، نحو قوله تعالى:﴿أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ (يوسف/١٠٠). على حين يرى "الزمخشري" أن (الباء)هنا بمعنى (إلى) والمعنى (أحسن إليّ) وهو ما يعرف بـ(تعاقب بعض حروف الجر مكان بعضها)[2]. وإن كان التحويليون يعدون زيادة (الباء) قبل الفاعل هو الأصل في البنية العميقة وظهوره في السطح يعد زخرفة شكلية[3]. ومن زيادتها قبل المفعول، قوله تعالى:﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾

ت، ١/٢٤٥ ود.تمام حسان: مبحث نحو الجملة ونحو النص، ط جامعة أم القرى، ١٩٩٥م، ص٢٠.

(١) د. عباس حسن: النحو الوافي، ط دار المعارف، ١٩٩٦م، ٢/٤٥٠.

(٢) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه مصطفى حسين أحمد، ط دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ٢/٥٠٦.

(٣) ينظر للباحثة: قواعد الحذف والمنهج التحويلي، مجلة كلية الآداب، اسكندرية، م٤٩،

(يوسف/٣١) والمراد (سمعت مكرهن) والباء زائدة تفيد التوكيد. أما التحويليون فيفسرون ظهور(الباء) هنا بالزيادة أيضًا؛ لكونه ثابتًا في البنية العميقة؛ ومن ثم لا يجيزونه ظهوره في السطح؛ فحذفه واجب عندهم. على حين يعده النحاة التقليديون مزيدًا عن الأصل؛ ومن ثم لا يعلقونه[1]. وتزاد (الباء) بكثرة في خبر النواسخ مقيدة بشروط ذكرها النحاة تتمثل فيما يلي:

١- وجوب نفي الخبر مع بقاء هذا النفي، وعدم نقضه بإلا.

٢- أن يكون الخبر صالحًا للاستعمال في الكلام الموجب، غير مقصور على الكلام المنفي.

٣- ألا يكون الخبر واقعًا في الاستثناء[2]. ومنه قوله تعالى:﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف/١٠٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف/١٧)، وزيادة (الباء) في خبر ما العاملة عمل (ليس)هي اللغة القدمى الحجازية وبها نزل القرآن، وقد ذكر"الزجاج" أن فائدة دخول (الباء) في خبر المنفي بـ(ليس، أو ما) تؤدي إلى توكيد النفي وتشديده، وينصب خبرها عند إسقاط حرف الجر، كما في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ (يوسف/٣١)، وقيل إن الناصب (ما) العاملة عمل(ليس) [3].

- زيادة(اللام)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف/٤٣)؛ فالزيادة هنا أفادت تقوية العامل المتأخر عن موضعه فالتركيب الأصلي لها:

٢٠٠٠م، ص٢٧و ٢٨.

(١) السابق نفسه: ٢٩-٣١.

(٢) النحو الوافي: ٥٩١/١.

(٣) البحر المحيط: ٣٠٤/٥.

(إن كنتم تعبرون الرؤيا)، ويجوز حذفها في غير القرآن؛ لأنه يقال (عبرت الرؤيا) [1]. كما تزاد(اللام) الداخلة على المبتدأ؛ لإفادة توكيد مضمون الجملة، نحو قوله تعالى:﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ (يوسف/٨)، وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها: أي أن زيادة حبه إياهما أمر ثابت لا مراء فيه[٢]. فإذا دخل عليها أحد الحروف الناسخة استوجب ذلك نقل(اللام) من المبتدأ إلى الخبر لأن لا يتوالى مؤكدان[٣]، وقد يكون الخبر مفردًا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (يوسف/١١)، وقد يكون الخبر جملة اسمية، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ (يوسف/٩٠)، وقد يكون الخبر جملة فعلية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ (يوسف/١٣) وقد أفاد دخول (اللام) علي المضارع هنا اختصاصه بزمان الحال[٤]، وقد يكون الخبر شبه جملة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف/٨).

وقد تزاد (اللام) مع الفعل المتعدي بنفسه فتجعله كالقاصر؛ ومن ثم تفيد دلالة التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف/٥)؛ وذلك لكون (يكيد) متعديًا بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾

---

(١) العكبري: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءآت في جميع القرآن، ط ميمنة مصر، ١٣٢١م، ٥٤/٢ وينظر للباحثة: مبحث الزيادة في الفكر النحوي ، مجلة كلية الآداب، ٢٠٠١م، ص١٣.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي عبد الحميد، ط المكتبة العصرية د.ت، ٥٣/٢.

(٣) ابن هشام: مغنى اللبيب، ٣٠٠/١.

(٤) أبو البقاء الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط٣ مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م، ص٧٨٣.

(المرسلات/٣٩)؛ والتقدير –والله أعلم– (فكيدونه)، ومنه كذلك زيادة اللام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ (يوسف/٥٦)؛ فأصله (مكنا يوسف)، وقد تكون غير زائدة، والمراد (مكنا ليوسف في الأمور) [١].

وتزاد اللام كذلك بين أسماء الإشارة وكاف الخطاب لمذكر أو مؤنث، لمفرد أو مثنى أو جمع[٢] نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (يوسف/١)، ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾(يوسف/٣٨)، ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾(يوسف/٣٧)، ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾(يوسف/٣٢)؛ وإنما دخلت (اللام) هنا لتوكيد الخطاب ومراعاة بعد المشار إليه في المسافة.

- زيادة(من): النحاة مجمعون على زيادتها بشرط أن تكون مع النكرة عامة، وفي غير الموجب؛ ولذلك لا يُحكم بزيادة (من) في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ (يوسف/٦) لكونه موجبًا[٣]، و(من) هنا بمعنى التبعيض وإن كان "الأخفش" قد جوَّز زيادتها في الإيجاب مستشهدًا بقوله تعالى:﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ (نوح/٤)[٤]، والجمهور على أن (من) هنا تفيد البعضية وليست زائدة.

ومن أمثلة زيادتها قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (يوسف/٣٨). وقد زاد الأشموني مع شرط النفي إضافة ما يشبهه من النفي، والاستفهام[٥] فمن زيادتها مع المنفي، قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

(١) إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٤٩و٥٥.

(٢) المالقي: رصف المباني، ص٢٧٠.

(٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ط عالم الكتب، بيروت، د. ت، ١٣/٨.

(٤) الأخفش الأوسط: معاني القرآن، تحقيق د. هدى محمود قراعة، ط الخانجي، ١٩٩٠م، ١٠٥/١.

(٥) الأشموني في حاشيته، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، ٢٢٨/٢.

سُلْطَانٍ﴾ (يوسف/٤٠)، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (يوسف/٥١)؛ فزيادة(من) هنا أفادت أمرين:

أولهما: استغراق الجنس وتوكيده، لكونها داخلة على نكرة مختصة بالنفي.

ثانيهما: إعادة التنصيص على العموم؛ لكون عدم ذكر(من) في الكلام يحتمل معه علم شيئين أو أكثر، ولكن دخول (من) نص على العموم، ولم يبق في التركيب دلالة تخرجه عن هذا العموم [1]. ومنه كذلك قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (يوسف/١٠٩)؛ ومما يؤكد زيادتها هنا عدم ذكرها في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (الأنبياء/٧).

ب- زيادة حروف العطف:

وأكثر ما يزاد من حروف العطف (الواو العاطفة)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ (يوسف/١٥)؛ فمن النحاة من يرون أن (الواو) قبل (أجمعوا) زائدة، والمعنى- والله أعلم- (فلما ذهبوا به أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه) وما بعدها مستأنف والعرب تُدخل (الواو) في جواب (لما) كأنها جواب على حالها. ويؤيد ذلك قراءة "عبد الله" لقوله تعالى: (فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية) فقد أدخل (الواو) على اعتبار أن ما بعدها مستأنف، ومنه قولهم: (لما أتاني وأثب عليه) كأنه قال: (وثبت عليه)[2]، ومنهم من يرى أن (الواو) الزائدة هي الواقعة

---

(١) ابن هشام: مغني اللبيب، ٢/٤٢٥.

(٢) معاني الفراء: ٢/٥٠، ابن قتيبة: تأويل شكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٥٢و٢٥٣.

قبل (أوحينا) فيكون المعنى- والله أعلم- (فلما ذهبوا به وأجمعوا أمرهم أوحينا)[1].

ج- زيادة (أن) بعد (لما):

كما في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ (يوسف/٩٦)؛ فمن العرب من يرى أن دخول (أن) بعد (لما) كسقوطه، ويشركها في ذلك (حتى) أيضًا؛ ومن ثم قيل إنها صلة؛ أي زائدة في الآية ومنه قولهم: (حتى أن كان كذا وكذا) و(حتى كان كذا وكذا) فهما متساويان، ويؤيد ذلك ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا﴾(العنكبوت/٣٣)، وحذفها في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا﴾ (هود/٧٧)، [2] وزيادتها تفيد التوكيد والتثبيت.

على حين هناك من يرى أن دخول (أن) بعد (لما) قد أفاد الإبطاء في المدة الزمنية؛ لكون المدة الزمنية المستغرقة منذ إلقاء "يوسف" في الجب إلي أن جاء البشير إلى أبيه فيها إبطاء بعيد، والدليل علي ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ (القصص/١٨-١٩)؛ فذكر النحاة: أن (أنْ) الأولى زائدة، ولو حُذفت فقيل: (فلما أراد أن يبطش) لكان المعنى سواء، وليس الأمر كذلك، بل إذا وردت (لما) وبعدها (أن) ثم الفعل، كان ذلك دليلاً على أنه لم تكن مسارعة موسى- عليه السلام- إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل

---

(١) البحر المحيط: ٥/٢٨٧و٢٨٨.

(٢) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ط دار الغد العربي، د. ت ٧/٣٢٨.

الأول، بل كان عنه إبطاء من بسط يده، لذلك عبر القرآن عن هذا بقوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ بزيادة (أنْ) بعد (لما)[1].

د- زيادة (إذن) :

من المجمع عليه عند النحاة أن (إذن) تكف عن النصب فيما بعدها إذا أقحمت بين العنصرين المتلازمين[2] كالقسم وجوابه، ومنه قوله تعالى:﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف/١٤) وهو حرف جواب وجزاء، وقد يزاد بين ما أصله المبتدأ والخبر، كما في قوله تعالى:﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ (يوسف/٧٩) وحكم (إذن) هنا الإلغاء لا غير لاعتماد ما قبلها على ما بعدها.

٢) زيادة الضمائر:

يرى بعض النحويين أن ضمير الشأن إنما دخل في الكلام على سبيل الزيادة، فهو يعادل ذكر ما بعد (إنَّ)، وذلك لأن المضمون الذي يراد التعبير عنه إنما تعبر عنه الجملة التي بعد ضمير الشأن، وبخاصة عندما رأوا هذا الضمير مبتدأً. أما إذا دخلت عليها (إنَّ) أو إحدى أخواتها، فزيادة الضمير بعدها كزيادة (ما) في (إنما)، ومن ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف/٢٣)؛ فعلى هذا الرأي يكون ضمير الشأن مزيدًا مفيدًا توكيد الجملة بعده، والمراد- والله أعلم- (إن ربي أحسن مثواي). وهذا هو مذهب" الأخفش" إذ ذكر زيادة الضمير

---

(١) ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ٢/١٥٢-١٣٥.

(٢) سيبويه: الكتاب، ١/٤١١و المالقي: رصف المباني، ص٧١.

في قولهم: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك)، فنصب (الحق) على زيادة (هو)؛ لأنها جُعلت صلة في الكلام زائدة توكيدًا، كزيادة (ما)[1].

*وقد يزاد ضمير الفصل فيفصل بين ضمير الشأن الذي هو في محل نصب اسم الناسخ وخبره، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف/٣٤) وقوله تعالى:﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف/٨٣)؛ والمراد من زيادته هنا توكيد المعنى؛ فالأصل- والله أعلم- في الآية الأولى (إنه السميع العليم)، وفي الثانية (إنه العليم الحكيم).

*وقد يزاد الضمير بين المبتدأ والخبر، ولزيادته معنى التخصيص والتوكيد، كما في قوله تعالى:﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (يوسف/٣٧)؛ فتكرير (هم) للدلالة على أن أهل مصر هم المخصوصون بكفر الآخرة، وأن غيرهم كانوا قومًا مؤمنين بها وهم الذين على ملة "إبراهيم" عليه السلام؛ ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهًا على ما هم عليه من الظلم والكبائر[2].

٣) زيادة الجمل:

وقد اصطلح النحاة عليه (بالاعتراض)، وهو (اعتراض كلام بكلام لم يتم...ثم يرجع إليه فيتمه)[3]. أو هو (اعتراض مجرى النمط التركيبي بما يحول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالاً يتحقق به مطالب التضام

---

(١) الأخفش الأوسط: معاني القرآن، ١/٣٤٧و٣٤٨ ود. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص١٧٥.

(٢) الكشاف: ٢/٤٧٠.

(٣) أبو هلال العسكري: الصناعتين في الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص ٣١٢.

النحوي فيما بينها والجمل المعترضة في كل أحوالها أجنبية عن مجرى السياق النحوي، فلا صلة لها بغيرها، ولا محل لها من الإعراب، وإنما هي تعبير عن خاطر طارئ من دعاء، أو قسم، أو قيد، أو نفي، أو وعد، أو أمر، أو نهي، أو تنبيه إلى ما يريد المتكلم أن يلفت إليه انتباه السامع ومن هنا نلحظ أن للاعتراض وظيفة بلاغية مهمة هي المبادرة بإبلاغ السامع معنى لولا إبلاغه إياه في حينه لورد على الكلام بدونه ما لم يرد عليه بوجوده [(١)]، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف/١٠٣)؛ فقد اعترض بجملة (لو حرصت) بين فعل التعجب وبين المتعجب منه، وجملة الاعتراض أفادت التنبيه على عدم إيمان أكثر أهل مكة بالرغم من حرص الرسول- صلى الله عليه وسلم- على ذلك[(٢)]. وقد يعترض بكلمة واحدة (الظرف) بين المتلازمين؛ لكونه من متعلقات الجملة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف/٥٤)؛ إلا أن النحويين يميزون بين النوعين؛ فيجعلون زيادة الجمل من باب الاعتراض، وزيادة المفردات من باب الفصل بين المتلازمين.

ثالثًا: الحذف:

تشيع ظاهرة الحذف في العربية لميلها إلى الإيجاز والاختصار، وقد شملت الجوانب اللغوية الثلاثة: التركيبي، والصرفي، والصوتي. والحذف يصيب العنصر الأساسي في الجملة، كما يصيب أيضًا المكملات فيها، وهو يقع على جميع أقسام الكلم: (حروف، وأسماء، وأفعال، بالإضافة إلى الجمل والتراكيب) والحذف يقع في البنية السطحية، وبالمقارنة بين البنيتين السطحية والعميقة نصل

---

(١) د. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص ٣٨٦.

(٢) الكشاف: ٥٨/٢.

إلى العناصر المحذوفة، التي يتضح بها المعنى المـــراد، إلا أن هنـــاك دواعـــي تضطر المتكلم إلى حذف عنصر أو أكثر من الكلام اعتمادًا على قرائن لفظية، أو حالية تظهر للمتكلم والسامع. وهذا ما اشتهر بوجود الدليل على المحذوف، وقـــد التفت "ابن جني" إلى هذا بقوله: (قد حذفت العرب الجملـــة والمفـــرد والحـــرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكلـــف بعلم الغيب في معرفته)[1]. وقد تكون هذه القرائن لفظية، أي مأخوذة من الكـــلام المنطوق أو المكتوب كما تكون حالية أو مقامية تفهم من الظروف والملابـــسات المحيطة بالنص. وباستقراء سورة "يوسف" عليه السلام قد تبين وجـــود بعـــض أنماط الحذف المتمثلة في: (حذف الحروف، وحذف المفردات، وحذف الجمـــل، وحذف أكثر من جملة).

١) حذف الحروف:

أ- حذف (أن) المصدرية مع بقاء عملها: وتحذف قياسًا بعد ثلاثة من أحرف الجر هي (اللام الجحودية)، كما في قوله تعالى:﴿**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِـــي دِينِ الْمَلِكِ**﴾ (يوسف/٧٦)، و(حتى) كما في قوله تعالى:﴿**لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا**﴾ (يوسف/٦٦) والتقدير(حتى أن تأتوني) وهذا الحذف واجب، وبعد لام التعليل يكون حذفها جائز، كما في قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾ (يوسف/٢٤). والكوفيون يرون أن هذه الحروف هي الناصبة للفعل بنفسها[2]، فلا مجـــال عنـــدهم لتقـــدير(أن)

---

(١) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد على النجـــار، ط دار الكتـــب المـــصرية، القـــاهرة ١٩٥٥م، ٣٦٠/٢٠.

(٢) الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، م ٧٩ و٨٢ و٨٣.

محذوفة، إلا أن تقدير (أن) المحذوفة له ما يبرره من حيث المعنى، وذلك أن حروف الجر تدخل على الأسماء، وما يعادل الاسم ليس الفعل وحده، بل الفعل مسبوقًا بـ(أن) المصدرية أي المصدر المؤول. وكذلك تحذف (أن) وجوبًا بعد ثلاثة من أحرف العطف وهي (أو) كما في قوله تعالى:﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي**﴾ (يوسف/٨٠)؛ فـ(يحكم) منصوب بـ(أن) المضمرة وجوبًا بعد (أو)، و(واو) المعية كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ (يوسف/٩)، ويجوز أن يكون مجزومًا بالعطف على (يخل)، وكذلك بعد (فاء السببية) كما قوله تعالى: ﴿**لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ**﴾ (يوسف/٥)، فـ(يكيدوا)منصوب بـ(أن) مضمرة وجوبًا بعد فاء السببية لكونها مسبوقة بطلب.

ب- حذف الجار قبل (أنْ، وأنَّ) المصدريتين، فالعرب على قياسية حذف الجار قبل (أنْ، وأنَّ) المصدريتين الداخلتين على المضارع، كما في قوله تعالى:﴿**وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾ (يوسف/١٥) والتقدير: (على جعله)؛ فالمصدر المؤول من (أن، والفعل) مجرور بـ(على)، ومنه كذلك قوله تعالى:﴿**وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**﴾ (يوسف/١٣)؛ فالمصدر المؤول من أن والفعل مجرور بـ(من) وشبه الجملة متعلق بـ(أخاف) وهذا الحذف قياسي لكونه مطردًا في العربية وهذا يذكرنا بحذف الجار قبل (That) في اللغات الهندية الأوروبية[1]. وكذلك يحذف الجار للإضافة، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ**﴾ (يوسف/٣٩)؛ يريد (يا صاحبي في السجن) فأضافهما إلى السجن كما تقول (يا سارق

(١) ينظر للباحثة: قواعد الحذف والمنهج التحويلي،ص ٢٦.

الليلة)، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنما المصحوب غيره وهو "يوسف" – عليه السلام– ونحو قولك لصاحبيك: (يا صاحبي الصدق) فتضيفهما إلى الصدق، ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجل صدق، وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن، كقوله (أصحاب النار وأصحاب الجنة)[1].

ج- حذف حرف العطف في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ (يوسف/١٦-١٧) والتقدير:(فقالوا)؛ لكون الجملة الثانية معطوفة على الجملة الأولى ومرتبطة بها[2].

د- حذف (قد) من جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف/٢٦-٢٧) فـ(كان)هنا دخلت عليها أداة الشرط، وقد اختلف المبرد والجمهور فيها، هل هي باقية على مضيها، ولم تقبلها أداة الشرط، أو المعنى: (أن يتبين كونه)، فأداة الشرط في الحقيقة إنما دخلت على هذا المقدر وجواب الشرط (فصدقت، وفكذبت) وهو على إضمار(قد)، أي:(فقد صدقت، وفقد كذبت)، ولو كان فعلاً جامدًا، أو دعاء لم يحتج إلى تقدير(قد)[3]. وكذلك تحذف (قد) قبل الفعل الماضي المثبت الواقع حالاً، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾

---

(١) الكشاف، ٤٧١/٢.

(٢) د. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ١٩١/٣.

(٣) البحر المحيط: ٢٩٧/٥.

(يوسف/٧١) والتقدير: (وقد أقبلوا عليهم)[١]، والكوفيون يخالفون في ذلك؛ ومن ثم لا يرون في مثله حذفًا [٢].

هـ- حذف (لا) النافية من قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ (يوسف/٨٥) فمن المعروف أن حذف النفي من جواب القسم مطرد إذا كان المنفي مضارعًا، والمراد- والله أعلم- (لا تزال تذكر يوسف)[٣] وهو حذف جائز، ولو كان الكلام مثبتًا للزم دخول (اللام والنون) على جواب القسم، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ (الأنبياء/٥٧). على حين ترى الدكتورة "بنت الشاطئ" أن الفعل (تفتأ) يدل على الاستمرار بمفرده؛ مستغنيًا عن (لا) المقدر حذفها، وهو يختلف عن (ما زال) الذي يفيد الاستمرار إلا بلزوم حرف النفي. على حين نقول (فتئ يفعل كذا)؛ أي استمر بفعله[٤].

و- حذف (يا) النداء في قوله تعالى:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ (يوسف/٢٩)؛ وذلك لكثرة دورانه في الكلام، وقيل هو حرف تنبيه وليس نداء؛ لكون "يوسف" قريبًا مفطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله[٥]. وحذف حرف

(١) د. تمام حسان: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، ط عالم الكتب، ٢٠٠٦م، ص١٤٩.
(٢) مغني اللبيب، ٦٣٦/٢.
(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ١٩٧/٣و٢١٢وتأويل مشكل القرآن، ص ٢٥٢.
(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق "دراسة قرآنية لغوية وبيانية": ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢١٥-٢١٧.
(٥) الكشاف: ٤٦١/٢.

النداء جائز اكتفاءً بدلالة القرائن عليه، ويستثنى حذفه في المندوب والمستغاث والمتعجب منه.

ز- حذف همزة (رأي) في صيغة (أفعل)، كما في قوله تعالى:﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ (يوسف/٤٣) فأصله(أرأى). وهذا ينطبق على مشتقاتها وصيغها من مضارع وأمر واسم فاعل واسم مفعول، وهو من حذف الهمزة استثقالاً [١]. وكذلك تحذف(الهمزة) من صيغة (أفعل) التفضيل؛ لكثرة الاستعمال، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ (يوسف/٧٧)، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ (يوسف/٦٤)؛ ومما يدل على أن (شر، وخير) صيغتا تفضيل وقد حذفت همزتهما أن ما بعدهما منصوب على التمييز، وأن الهمزة قد أثبتت في مواضع أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف/٣٣)؛ ومن ثم فهو حذف جائز ومرده كثرة الاستعمال[٢].

ح- حذف المتماثلات ومنه حذف (نون) الفعل لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في قوله تعالى:﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف/١١)؛ فأصلها (تأمنُنّا) فتوالت ثلاث نونات فحذفت (نون) الفعل، وأدغمت (نون) التوكيد الثقيلة، وهذا من مظاهر الحذف الواجب. أما حذف (النون) من الحروف الناسخة لاتصالها بالضمير(نا) فهو حذف جائز، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

---

(١) د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط الدار الجامعية ، د. ت، ص ٧٥.

(٢) روح المعاني: ١٠/٢٣٥و د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف، ص ٧٥.

قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف/٢)؛ فأصله(إننا)[1]. ومثله حذف نون الوقاية من الحروف الناسخة عند اتصالها بياء المتكلم، كما في قوله تعالى:﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (يوسف/٤) وأصله (إنني). وكذلك يعد حذف علامة التأنيث من المفرد عند جمعه جمعًا مؤنثًا سالمًا من حذف المتماثلات وذلك منعًا لتكرار العناصر المتماثلة في وظيفتها، نحو:

بقرة —> بقرات —> وأصله بقرتات.

سنبلة —> سنبلات —> وأصله سنبلتات بحذف(تاء) التأنيث عند جمعها.

ط- حذف أحرف المد، ومنه حذف (الياء) من اسم الإشارة (تي) الدال على المفرد المؤنث؛ وذلك لالتقاء الساكنين مع اللام الدالة على البعد في (تلك) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (يوسف/١). وقد يكون بتحريك أحد الساكنين بالكسر، كما في قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ (يوسف/٩)، والحذف في الآية الأولى صوتًا وخطًا وأما الحذف في الآية الثانية فهو حذف صوتي فقط.

٢) حذف المفردات:

عندما يُذكر الحذف في القرآن فلا يرجع إلى القرآن ذاته، وإنما يرجع إلى تركيب الجمل؛ فمن المعروف أن الجمل لها مركبات وعناصر أساسية وتوابع ومكملات، فإذا حُذف أحد هذه العناصر سواءً أكانت أساسية أم من المكملات والتوابع فلابد من توفر القرائن الدالة على العنصر المحذوف والمانعة للبس. وفي

---

(١) السيوطي: المطالع السعيدة، تحقيق د. طاهر سليمان حمودة، ط الدار الجامعية، ١٩٨١م، ١٢٠/١.

الأسلوب القرآني ما يؤيد ذلك من حذف المفردات على اختلاف مبانيها ومعانيها، ومن ذلك:

أ- **قد يحذف المبتدأ أو الخبر** كما في قوله تعالى: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾** (يوسف/١٨)؛ فالنحاة مختلفون في كون المحذوف هو المبتدأ والتقدير: (فأمري صبر جميل) وقيل: المحذوف هو الخبر والتقدير: (فصبر جميل أمثل). وقرأ "أبي والأشهب" (فصبرًا جميلاً)على النصب وتخريجه أن هناك فعلاً مضارعًا مسندًا إلى المتكلم محذوفًا تقديره: (أصبر صبرًا جميلاً)، واُعترض عليه بأنه لا يحسن النصب في مثل ذلك إلا مع الأمر، وقيل إن "يعقوب" – عليه السلام- رجع إلى نفسه آمرًا إياها قائلاً: (اصبري يا نفسي صبرًا جميلاً). والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق ولذلك قال: **﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾** [(١)]، وهذا النمط من الحذف يعدونه من الواجب لكونه مصدرًا نائبًا عن فعله. **وقد يحذف المبتدأ من جملة مقول القول**، كما في قوله تعالى:**﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾**(يوسف/٤٤) والتقدير:(هي أضغاث أحلام)[(٢)]؛ لكون فعل القول يلزم بعده جملة تامة، فإذا ذُكر أحد ركنيها عُلم حذف الآخر وهو من الحذف الجائز. وقد يحذف فعل القول نفسه، كما في قوله تعالى: **﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾** (يوسف/٢٦) والتقدير:(قال إن كان قميصه)[(٣)]؛ وعلة ذلك الاستغناء بذكر مقول القول

---

(١) الكشاف: ٢٠١/١٠، و روح المعاني: ٤٥١/٢.

(٢) السيوطي: الإتقان، ٢٠٧/٣.

(٣) الكشاف: ٤٦٠/٢.

طلبًا للاختصار ولوضوح الدلالة عليه، ولكثرته وصفه "أبو علي الفارسي" بأنه (من حديث البحر ولا حرج)[1].

ب- **حذف الفاعل أو إضماره**، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥)، قال "الزجاج": (بدا: فعل استغنى عن فاعله. فالعرب تقول: قد بدا لي بداء، أي تغير رأي عما كان عليه. وأكثر العرب تقول قد بدا لي، ولم يذكر (بداء) لكثرته؛ لأن في الكلام دليلاً على تغير رأيه، فترك الفاعل وهو المراد، ثم بيّن ما البداء؟ فقال ليسجننه حتى حين، كأنهم قالوا: ليسجننه، والرأي الذي كان لهم قبل: قيل إن العزيز أمره بالإعراض فقط، ثم تغير رأيه عن ذلك)[2]. وقد ذكر "العكبري" أكثر من رأي في تخريج هذه الآية، يقول إن في فاعل (بدا) ثلاثة أوجه: أحدها: هو محذوف، و(ليسجننه) قائم مقامه، أي: بدا لهم السجن، فحذف وأقيمت الجملة مقامه، وليست الجملة فاعلاً؛ لأن الجمل لا تكون كذلك. والثاني: أن الفاعل مضمر، وهو مصدر (بدا)، أي بدا لهم بداء، فأضمر. والثالث: أن الفاعل ما دل عليه الكلام، أي بدا لهم رأي، فأضمر أيضًا) [3].

ج- **ومنه أيضًا حذف المفعول**، في قوله تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف/٣) فـ(أحسن) إما أنها منصوبة لإضافتها إلى

---

(١) المغني: ٢/٦٣٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق أ. محمد علي النجار، ط٣ دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢م، ٢/٤٤.

(٣) إملاء ما من به الرحمن، ٢/١٢٩.

المصدر، أو أنها صفة لمصدر في الأصل تقديره: (قصصًا هو أحسن القصص). كما تقول: أحبه أحسن الحب، وأقدره أفضل التقدير، و أحترمه أقدر الاحترام، وقيل إن المفعول محذوف تقديره (نقص عليك مضمون هذا القرآن الذي هو أحسن القصص)[1]. ومن حذفه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ (يوسف/١٠٠)؛ والتقدير (وقد أحسن صنعه بي)[2].

ومن حذف المفعول أيضًا حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه سواءً أكان المضاف جزءًا من الفاعل أم المفعول أم أي عنصر لغوي آخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ (يوسف/٨٢)، والتقدير: (واسأل أهل القرية واسأل أصحاب العير)[3]، وهذا كثير في القرآن لأنه من باب الإيجاز بالاجتزاء لإسقاط كلمة وإقامة غيرها مقامها؛ فالسؤال لا يقع على الأمكنة ولكن من يسكن هذه الأمكنة وقد لاحظ "ابن جني" أن في هذا الحذف اتساعًا وتشبيهًا وتوكيدًا. أما الاتساع؛ فلأنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله، وأما التشبيه؛ فلأنها شُبّهت بمن يصح سؤاله لما كان بها ومؤلفًا لها، وأما التوكيد؛ فلأنه في ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال على من ليس عليه الإجابة. فكأنهم تضمنوا لأبيهم –عليه السلام– أنه إن سأل الجمادات والجمال أنبأته بصحة قولهم. وهذا تناهٍ في تصحيح الخبر، أي لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا، فكيف لو سألت مَن مِن عادته الجواب؟[4] ومنه قولهم: (أكلت الشاة)

---

(١) روح المعاني: ١٠/١٧٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن: ٢/٥٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ص٢١٠.

(٤) ابن جني: الخصائص، ٢/٤٤٩.

والأصل: (أكلت لحم الشاة)؛ لأنه المأكول دون الباقي. ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف/١٠) فالمفعول محذوف اختصارًا تقديره: (فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفريق بينه وبين أبيه)[١].

كما يحذف المفعول جوازًا بدلالة الظرف عليه كما في قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف/٤٧)، فـ(السنين) لا تزرع وإنما المراد - والله أعلم- (تزرعون مدة سبع سنين).

ويكثر حذف المفعول إذا كان ضميرًا متصلاً؛ وذلك رعايةً للفاصلة، وحرصًا على التناسق بين الآي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف/٤٥)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾ (يوسف/٦٠)، ويكثر ذلك في القرآن. وقيل إن حذف (ياء) المتكلم دون إبقاء الكسرة الدالة عليها يقع- غالبًا- لوجود نون الوقاية الخاصة بها والتي لها دلالة عليها[٢].

كما يكثر حذف المفعول إذا كان ضميرًا عائدًا في جملة الصلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (يوسف/٧١)، والتقدير- والله أعلم- (ماذا تفقدونه)، والمرجح أن يكون هذا الحذف رعايةً للفاصلة أيضًا [٣]، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف/٤٦)، فمفعول(علم) وتوابعه محذوف تقديره- والله أعلم- (لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك) [٤]، وهو من الحذف اختصارًا وقرينته العلم بالمحذوف من السياق.

---

(١) البحر المحيط: ٢٨٥/٥.

(٢) د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف، ص ٧٩و ٢٠٥.

(٣) البحر المحيط: ٣٢٦/٥.

(٤) الكشاف: ٤٧٦/٢.

٣) حذف الجمل:

يكثر حذف الجمل لدلالة السياق، وسبق الذكر، وقرينة الاستلزام، ومنه:

أ- حذف جملة القسم، وذلك يطرد مع أحرف (الواو، والتاء)، ومنه قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ (يوسف/٨٥)، وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف/٩١). كما تحذف جملة القسم ويستغنى عنها بـ(اللام) وهو حذف جائز، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف/٧) والتقدير- والله أعلم- (والله لقد كان في يوسف). وقد تحذف جملتا القسم والشرط ويستغنى عنهما بـ(اللام وإن)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾ (يوسف/٣٢)، والتقدير-والله أعلم-(أقسم بالله إن لم يفعل ما أمره ليسجنن)، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥)؛ فجملة القسم محذوفة، والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره: (قائلين)[1]، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ (يوسف/٦٦) فهو جواب لقسم محذوف تقديره: (حتى تحلفوا بالله وتقولوا والله لنأتينك به) [2].

ب- حذف جملة جواب القسم أو جواب الشرط عند اجتماعهما، فلابد عند اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب أحدهما استغناءً بجواب الآخر، والقياس أن يكون الجواب المذكور للسابق منهما وأن يحذف جواب المتأخر كما هو الغالب في أنماط الحذف على اختلافها عند تكرار

---

(١) الكشاف: ٣٠٧/٥.

(٢) روح المعاني: ٢٠/١٣.

العناصر المتشابهة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف/١٤)؛ فالقسم محذوف تقديره: (والله لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم، وقوله (إنا إذا لخاسرون) جواب للقسم مجزيء عن جزاء الشرط[١].

ج- حذف جملة الاستفهام بدلالة الجواب عليه، كما في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف/٤)؛ كأن يعقوب -عليه السلام- قال له عند قوله: (إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر) كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها فقال: (رأيتهم لي ساجدين) [٢]. ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ (يوسف/٥)، والجملة استئناف مبني على سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قال الأب بعد سماع هذه الرؤية العجيبة من ابنه؟ فقيل: قال (يابني لا تقص رؤياك) [٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف/٣٧) فهو استئناف وقع جوابًا عن سؤال نشأ مما تقدم وتعليلاً له كأنه قيل: لماذا علمك ربك تلك العلوم الجليلة الشأن؟ فقال: لأني تركت دين الكفر الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان [٤].

د- حذف جملة مقول القول لدلالة فعل القول عليها، كما في قوله تعالى:﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ (يوسف/١٨)، والتقدير- والله

---

(١) الكشاف: ٤٤٩/٢.

(٢) البحر المحيط: ٢٨١/٥.

(٣) روح المعاني: ١٨١/١٠.

(٤) السابق نفسه: ٢٤١/١٠.

أعلم- (قال بل لم يأكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم)[1].

هـ- ومنه حذف جواب الشرط بدلالة ما تقدم عليه، كما في قوله تعالى:﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف/١٠)، والتقدير- والله أعلم- (إن كنتم فاعلين فسوف يحدث ذلك). ومنه حذف جواب الطلب، في قوله تعالى:﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف/١٢) والتقدير: (فأرسله معهم)؛ بدليل قوله تعالى: (فلما ذهبوا به)[2].

و- حذف جواب (لولا) لدلالة السياق عليه، كما في قوله تعالى:﴿لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف/٢٤)، والتقدير: (لخالطها)[3]. وهناك من يفسره على التقديم والتأخير فلا يوجد فيه حذف؛ ومن ثم لا يوجد منه هم لكون المراد – والله اعلم- (لولا أن رأى برهان ربه لهم بها) فانتفى (الهم) منه لرؤية البرهان[4]. ومنه أيضًا قوله تعالى:﴿لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف/٩٤)؛ فالجواب محذوف تقديره: (لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني). وقد يقال تقديره: (لولا أن تفندوني لأخبرتكم بكونه حيًا لم يمت؛ لأن وجداني ريحه دال على حياته)[5].

ز- حذف جواب (لما) الحينية، كما في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ (يوسف/١٥)؛ فجواب (لما) محذوف تقديره (فعلوا به ما فعلوا من الأذى) وهو رأي "الزمخشري"، ومنهم من قدره:

---

(١) البحر المحيط: ٥/٢٩٠.

(٢) البحر المحيط: ٥/٢٨٧-٢٨٨، و روح المعاني: ١٠/١٩٦.

(٣) الكشاف: ٢/٤٥٥.

(٤) روح المعاني: ١٠/٢١٣و ٢١٤.

(٥) البحر المحيط: ٥/٣٤٠.

(فلما ذهبوا به وأجمعوا على أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم)، وقدره بعضهم: (جعلوه فيها)، وهذا أولى؛ إذ يدل عليه قوله: (وأجمعوا أن يجعلوه)، ومنهم من يقدر أن الجواب موجود وهو: (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق)؛ وقيل هو: (أوحينا) والواو زائدة، وعلى هذا مذهب الكوفيين؛ لأن (الواو) تزاد عندهم بعد (لما، وحتى)[1]. ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف/٥٤)، والتقدير – والله أعلم –(قال أيها الصديق إنك اليوم لدينا مكين)[2]، والمحذوف جملة النداء لدلالة جملة مقول القول عليه.

ح- حذف الجملة في سياق العطف وذلك عند ذكر جملة معطوفة يعرف تسببها عن جملة محذوفة تدل القرائن عليها، ومنه قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ (يوسف/٣١)، وتقديره – والله أعلم – (اعتدت لهن متكأ فجئن واتكأن) بدلالة قوله تعالى: (وآتت كل واحدة منهن سكينًا)[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ (يوسف/٣٥-٣٦)؛ ففي الكلام حذف تقديره: (فسجنوه)[4] بدلالة ما بعده.

---

(١) البحر المحيط: ٢٨٧/٥و ٢٨٨ بتصرف . وروح المعاني: ١٩٦/١٠.

(٢) الكشاف: ٤٨١/٢.

(٣) البحر المحيط: ٣٠٢/٥.

(٤) السابق نفسه: ٣٠٧/٥.

ط- حذف شبه الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ (يوسف/١٩) ، والتقدير – والله أعلم- (وجاءت إلى الجب سيارة)، وهي رفقة تسير من مدين إلى مصر(١).

ي- حذف عنصر ما لدلالة العقل عليه، والعادة علي تعيينه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (يوسف/٣٢)؛ فقد دل فيه العقل علي الحذف لأن اللوم علي الأعيان لا يصح، وإنما يلام الإنسان علي كسبه وفعله؛ فيحتمل أن يكون المقدر: (لمتنني في حبه) (٢).

٤) حذف أكثر من جملة:

أ- ومنه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف٣-٤)؛ فما بين الآيتين كلام محذوف يقدره المفسرون بقولهم: (وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا)(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾

---

(١) روح المعاني: ٢٠٣/١٠.

(٢) د. سمير أحمد معلوف: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، ط منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٦م، ص٢٩٤.

(٣) تفسير الطبري: ١٦٥/٧.

(يوسف/٤٥)، فهناك كلام محذوف تقديره – والله أعلم– (فابعثوني إليه لأرسله، ولاستعبره الرؤيا)[1].

ب– وكثيرًا ما يحذف من القصص القرآني أكثر من جملة لدلالة السياق والعلم بالمحذوف، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف/٦٩)، والتقدير– والله أعلم– (إني أنا أخوك يوسف فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك)[2].

ج– وكذلك هناك كلام محذوف يدل عليه السياق في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ (يوسف/٢٥)، والتقدير– والله أعلم– (ألفيا سيدها لدى الباب؛ فرابه أمرهما وقال ما لكما؟ فلما سأل وقد خافت لومه، أو سبق يوسف بالقول؛ بادرت بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ؟)[3].

د– وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(يوسف/٣٢–٣٣)؛ فسياق الآية الثانية يدل على أن هناك كلام محذوف قبلها تقديره– والله أعلم– (أصغ وافعل ما أمرتك به) فكان جوابه: رب السجن أحب إلي. وهناك من يقدر المحذوف بقوله: (وعادت إلى مراودته فأبى عليها) وقال رب السجن أحب إلي والتقدير الأول أولى [4].

(١) البحر المحيط: ٣١٤/٥.

(٢) السابق نفسه: ٤٨٩/٥.

(٣) السابق نفسه: ٢٩٧/٥.

(٤) د. تمام حسان: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، ص١٥٣.

هـ- ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف/٥٤)؛ فذلك رد على كلام سابق تقديره: (فسمع الملك كلام النسوة، وبراءة يوسف مما رُمي به، فأراد رؤيته) [١]. ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف/٨٢)، والتقدير- والله أعلم- (فلما رجعوا إليه وأخبروه بذلك؛ قال بل سولت لكم أنفسكم [٢].

و- ومنه حذف إما جملة فعل الشرط، وإما الشرط وفعله وجوابه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (يوسف/٧٤-٧٥)؛ (فما جزاؤه) الضمير للصواع، أي فما جزاء سرقته (إن كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وقولهم: (فهو جزاؤه) تقرير للحكم، أي فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير، ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف، أي المسئول عن جزائه، ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه[٣].

رابعًا: الربط النحوي:

لما كان النظام النحوي هو النظام التركيبي الوحيد في اللغة، ولما كان هو المسئول عن بناء الجملة بحيث تؤدي معنىً واحدًا، كان ذلك النظام هو صاحب

---

(١) البحر المحيط: ٣١٨/٥.

(٢) د. تمام حسان: خواطر من تأمل القرآن الكريم، ص١٥٤.

(٣) روح المعني: ٤٩١/١٠.

السلطان على سائر الأنظمة في اللغة؛ ومن ثم فإليه يرجع دور الربط والارتباط بين مكونات الجملة؛ وإلا تصدع بناء الجملة أو انشطر، وانفصم المعنى الدلالي الواحد أو تعدد؛ ولذا يجب أن تتوفر في الجملة قرائن لفظية ومعنوية تعمل على اتساق العلاقات السياقية بين المفردات، ويعد (الربط) من أهم تلك القرائن؛ لكونه يعتمد على ضمير أو أداة لفظية تربط بين عناصر التركيب.

ويتميز الربط عن سائر القرائن اللفظية بأنه ينشيء علاقة نحوية سياقية بين مكونات الجملة، أو بين الجمل، وليس باستطاعة القرائن اللفظية الأخرى القيام بذلك، وإنما هي وسيلة مُعينَة على إبراز العلاقات النحوية السياقية[١]. وقد ذكر "ابن السراج" أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إما أن يدخل على الاسم وحده (كلام) التعريف، أو الفعل وحده كـ(سوف، والسين)، أو ليربط اسمًا باسم أو فعلاً بفعل كـ(واو العطف)، نحو: (جاء زيد وعمرو، وقام وقعد)، أو فعلاً باسم كـ(مررت بزيد)، أو على كلام تام، نحو: (أعمرو أخوك، وما قام زيد)، أو ليربط جملة بجملة، نحو: (إن يقم زيد يقعد عمرو)، أو يكون زائدًا، نحو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران/١٥٩)[٢]، ويندرج مع الربط بالأداة جمل الجواب، والتفسير، والمصدر، وهو ما سنوضحه فيما يلي:

(١) الربط العطفي:

وأعني به الربط الذي يراد به إتباع التابع لمتبوعه بواسطة رابط لفظي سواءً أكان من الحروف كحروف العطف أم من غيرها كـ(لام التعليل، وقبل، وبعد، وفاء السببية).

---

(١) د. مصطفى حميدة: نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ط لونجمان، ١٩٩٧م، ص١٥٨.

(٢) السيوطي: الأشباه والنظائر النحوية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ١٧/٢.

وقد استعنت بتصنيف النصيين[1] لدلالات تلك الروابط ووظيفتها؛ فقسَّمتُها إلى:

أ- الربط الجمعي:

وهو الذي يضاف فيه معنى التالي إلى السابق ويكون بـ(الواو) وهي أهم حروف العطف لكثرة دورانها فيه، ومعناها الجمع والتشريك، ولا تخلو من هذين المعنيين في ربط المفردات؛ لأنها لا تخلو أن تربط مفردًا بمفرد[2]، نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (يوسف/٣٨)؛ فـ(الواو) هنا أفادت الجمع والتشريك في اللفظ والمعنى؛ فاللفظ في ربط (إسحاق ويعقوب) بـ(إبراهيم)، والمعنى في إثبات الحكم لهم جميعًا. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف/٤)؛ فـ(الواو) جمعت بين الشمس والقمر والكواكب في الرؤيا، وقيل إن (الواو) هنا بمعنى (مع) وقد أُخر ذكر الشمس والقمر ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بيانًا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الكواكب؛ ومن هنا يمكن أن يقال إن (الواو) في ربط المفردات واسطة موصلة عمل العامل قبلها إلى ما بعدها على معنى الجمع والتشريك. وقد تربط (الواو) جملة بجملة وحينئذ لا يلزم التشريك في اللفظ ولا في المعنى ولكن في الكلام خاصة؛ ليعلم أن الكلامين فأكثر في زمان واحد أو في قصد واحد[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف/٢٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾

---

(١) ينظر للباحثة: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة نموذجًا)، مجلة علوم اللغة م٢، ع٣٤، ٢٠٠٦م، ص٣٢٢.

(٢) المالقي: ص٤٤٩.

(٣) المالقي: ص ٤٥٥.

(يوسف/٦٥)، ونلاحظ أن (الواو) جمعت جملاً متناسبةً في لفظها الفعلي، ومتناسقة في تركيبها؛ وبذلك تترابط الجمل ترابطًا متلاحمًا سليمًا مستحسنًا، بحيث إذا أُفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها[1].

وهناك تعبيرات تؤدي مؤدى (الواو) في الجمع والتشريك، نحو (كذلك)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف/٦)؛ والمراد: (مثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك) يعني: (وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام)، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (يوسف/٢١)؛ فـ(كذلك) للإشارة إلى ما تقدم من إنجائه-عليه السلام- وعطف قلب العزيز عليه، و(الكاف) منصوب تقديره: ومثل ذلك الإنجاء والعطف مكنا له[2].

أما (كاف) التشبية فقد تدخل على (ما) المصدرية فتفيد المماثلة بين المشبه به والمشبه، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف/٦)، وحاصل المعنى: كما أكرمك بهذه المبشرة الدالة على سجود إخوتك لك ورفعة شأنك عليهم، يكرمك بالنبوة والعلم الذي تعرف به تأويل أمثال ما رأيت وإتمام نعمته عليك وعلى آل يعقوب إتمامًا كائنًا كإتمام نعمته على أبويك من قبل هذا الوقت أو من قبلك[3].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣/٣١٦.

(٢) الكشاف: ٢/٤٥٤.

(٣) روح المعاني: ١٠/١٨٨،١٨٧.

وكذلك (مع) تؤدي معنى الجمع والمصاحبة، تقول: خرجت مع الأمير؟ أي مصاحبًا له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ (يوسف/٣٦)؛ أي كان دخولهما السجن مصاحبين له[١].

ب- الربط التخييري:

ويكون بالأداتين (أم، وأو) . أما (أم) فتكون متصلة عاطفة في الاستفهام، وتقع بين المفردين والجملتين، ويكون الكلام متعادلاً، والجملة التي بعدها مع ما قبلها في تقدير المفردين، وتتقدر مع حرف الاستفهام بـ(أيهما، أو أيهم)[٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف/٣٩)، ويكون الجواب عليها بتعيين أحد الشيئين كما في الآية، و المراد -والله أعلم- أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب و لا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب؟[٣]

أما (أو) فترد عاطفة فتعطف مفردًا على مفرد، و جملة على جملة[٤] نحو قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ (يوسف/٩)؛ فـ(أو) هنا أفادت معنى التخيير لسبقها بطلب هو الأمر، والمراد - والله أعلم- تخيروا أحد الأمرين القتل أو الطرح، ويجوز أن تكون (أو) للتنويع أي: قال بعضهم (اقتلوا يوسف) وبعضهم (اطرحوه)[٥].

---

(١) الكشاف: ٤٦٨/٢.

(٢) المالقي: ص ١٠٠.

(٣) الكشاف: ٤٧١/٢.

(٤) المالقي: ١٣٩.

(٥) البحر المحيط: ٢٨٤/٥.

وقد تأتي (أو) لإفادة التفضيل، و لا يكون ذلك إلا في الخبر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ (يوسف/٨٠)؛ والمعنى –والله أعلم– فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف إليه أو يحكم الله لي بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخي، أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب[١]. والظاهر أن (أو يحكم) معطوف على (يأذن) ويجوز أن يكون منصوبًا بإضمار (أن) بعد (أو) في جواب النفي، وهو (فلن أبرح الأرض) أي: إلا أن يحكم الله لي، كقولك: (لألزمنك أو تقضيني حقي)، أي: (إلا أن تقضيني)، ومعناها ومعنى الغاية متقاربان[٢].

ج- الربط الاستدراكي:

ويفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويكون بالأدوات (لكنّ، وبل، ولكنْ). أما (لكنّ) فهي حرف ناصب لاسمه رافع لخبره، ولا يدل إلا على الاستدراك مشددًا كان أو مخففًا، و لا تأتي إلا مسبوقة بكلام، ولا يجوز تقدم خبرها على اسمها إلا إذا كان ظرفًا أو جارًا ومجرورًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف/٢١)؛ فقد استدرك "الزمخشري" بقوله: والله غالب على أمره على أمر نفسه: لا يُمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريده ويقضي. أو على أمر "يوسف" يدبره لا يكله إلى غيره، قد أراد إخوته به ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الأمر كله بيد الله)[٣]. وغالبًا ما تُسبَق بنفي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(١) الكشاف: ٤٩٥/٢.
(٢) البحر المحيط: ٣٣٢/٥.
(٣) الكشاف: ٤٥٤/٢.

لاَ يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف/٣٨)، أي ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي، فضلاً أن نشرك به صنمًا لا يسمع و لا يبصر، ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أي على الرسل وعلى المرسل إليهم؛ لأنهم نبهوهم عليه، وأرشدوهم إليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث إليهم (لا يشكرون) فضل الله فيُشْرِكون و لا يتنبهون[1].

أما (بل) فهو على معنى الإضراب عن الأول تركًا له وأخذًا بغيره لمعنى يظهر له، كما أنه حرف عطف مشركًا ما بعده مع ما قبله في اللفظ دون المعنى لأن الفعل لأحدهما دون الآخر، سواء كان الأول منفيًا أو موجبًا[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/١٨)، فـ "أبو حيان" يقدر أن هناك كلامًا محذوفًا قبل (بل) تقديره: على لسان "يعقوب" مضربًا عن كلام إخوة يوسف: (لم يأكله الذئب)، بل سهلت لكم أنفسكم صنع أمر قبيح[3]. وقد تسبق بموجب كما جاء على لسان إخوة "يوسف" من قولهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف/٨٢) فكان رد "يعقوب" غير مصدق لهم مضربًا عن كلامهم فـ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف/٨٣)؛ والمعنى: بل سولت لكم أنفسكم أمرًا أردتموه وإلا فما أدرى ذلك الرجل، أن السارق يؤخذ بسرقته، لولا فتواكم وتعليمكم، ثم ترجى أن الله يجمعهم

---

(١) الكشاف: ٢/٤٧٠.

(٢) المالقي: ص ١٦٤.

(٣) البحر المحيط: ٥/٢٩٠.

عليه، وهم "يوسف، وبنيامين، وكبيرهم" على الخلاف الذي فيه، وترجي "يعقوب" للرؤيا التي رآها "يوسف"، فكان ينتظرها ويحسن ظنه بالله في كل حال[1].

أما (لكنْ) ساكنة النون فمن معانيها أن تكون عاطفة وهي التي تشترك بين الاسمين والفعلين في اللفظ لا غير، ويقع قبلها النفي لازمًا، ومعناها الاستدراك[2]، نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (يوسف/١١١)؛ فـ(لكن) رابطة للجملة بعدها بما قبلها؛ لكونها مخالفةً لها في المعنى، و (تصديق) مرفوع على تقدير (هو تصديق) وقيل منصوب على إضمار (كان)؛ والتقدير (كان تصديقًا)[3].

د- الربط السببي:

ويراد به الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر، ويكون بالعناصر (الفاء، ولام التعليل، والباء، ومن، ولعل). أما (الفاء) فتلزم معنى السببية بالإضافة إلى معنى الترتيب والتعقيب، ولا يكون ذلك إلا في اقترانها بجواب الطلب؛ فتنصب ما بعدها من الأفعال المستقبلية بإضمار (أن)[4]، نحو قوله تعالى: ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف/٥)، والمعنى أن "يعقوب" -عليه السلام- لما سمع رؤيا "يوسف" نهاه عن أن يقصها على إخوته حتى لا يفسروها فيزداد حسدهم ليوسف؛ فيكون ذلك سببًا في الكيد له، والفعل (يكيدوا) منصوب بإضمار (أن) في جواب النهي[5]. وقد تفيد (الفاء) معنى التسبب دون وقوعها في

---

(١) البحر المحيط: ٥/٣٢٣.

(٢) المالقي: ص٢٩٧.

(٣) البحر المحيط:٥/٣٤٩.

(٤) المالقي: ص٤١٤.

(٥) البحر المحيط: ٥/٢٨١.

جواب طلب متقدم كأن يقال: (ضربته فبكى، وأعطيته ففرح)، ومنه قوله تعالى: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ (يوسف/٦٣)؛ فكأن المانع من الكيل هو عدم وجود "بنيامين" معهم؛ ولذا طلبوا إرساله معهم ليكون سببًا في الاكتيال(١)، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف/٨٧)؛ فـ(الفاء) أفادت معنى السبب والغاية؛ فكأن المعنى- والله أعلم- أذهبوا إلى الأرض التي تركتم فيها يوسف وأخاه من أجل أن تتحسسوا خبرهما.

أما (اللام) فتكون بمعنى (من أجل)، ويقال لهذه اللام لام العلة ولام السبب(٢)، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ (يوسف/٢١) فـ(اللام) في (لنعلمه) تعليلية سببية والفعل بعدها منصوب بـ(أن) مضمرة بعد اللام عند البصريين، ومنصوب بـ(اللام) نفسها عند الكوفيين، وعلة إضمار (أن) بعدها أنها مختصة بالأسماء؛ ومن ثم فهي تعمل الجر، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف/٢٤)، والمعنى (لكي نصرف عنه السوء بسبب أنه من عبادنا المخلصين)(٣). وقد تحذف (اللام) وتبقى دلالة التعليل والسببية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنْ الْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف/٢٩)، والمعنى- والله أعلم- (لأنك كنت من الخاطئين)؛ فالجملة المؤكَّدة في موضع التعليل(٤).

---

(١) البحر المحيط: ٥/٣٢٠، وروح المعاني: ١٠/١٦.

(٢) المالقي: ص٢٤١.

(٣) روح المعاني: ١٠/٢١٧.

(٤) روح المعاني: ١٠/٢٢٥.

أما (الباء) فمن معانيها السببية، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (يوسف/٣)؛ أي بسبب إيحائنا إليك[١].

أما (من) فقد تفيد السببية، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ (يوسف/٢٨)، أي ناشيء من احتيالكن أيتها النساء ومكركن ومسبب عنه وهذا تكذيب لها وتصديق له -عليه السلام- وكذلك قوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ (يوسف/٨٤)؛ أي بسببه وهو في الحقيقة سبب للبكاء والبكاء سبب لابيضاض عينه؛ فإن العَبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته إلى بياض كدر فأقيم سبب السبب مقامه لظهوره[٢].

أما (لعل) فقد تأتي بمعنى (لام) التعليل في إفادة معنى السببية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/٢)؛ أي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع أو تستعملوا فيه عقولكم... وقيل إن المعنى أنزله لتعقلوا معانيه في أمر الدين فتعرفوا الأدلة الدالة على توحيده وما كلفكم به[٣].

هـ- الربط الزمني:

وهو علاقة بين مفردين أو جملتين متتابعتين زمنيًا، ويكون بـ(الفاء، وثم) وهما من الحروف، و(بعد، وقبل) من الظروف.

أما (الفاء) فهي حرف ربط للمفردات والجمل وتفيد الترتيب والتعقيب، فإذا جاءت عاطفة للجمل فمُشْرِكةٌ في الكلام خاصة، ويجوز أن يكون قبلها جملة

---

(١) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته عبد الرازق غالب المهدي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت٤/٦.

(٢) روح المعاني: ١٠/٢٤٢، و١٣/٥٧.

(٣) روح المعاني: ١٠/١٧٥.

خبرية وبعدها طلبية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف/٦٩)، والمعنى: يقول "يوسف" لأخيه لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير[١]. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (يوسف/١٧)؛ فـ(الفاء) أفادت حدوث أكل الذئب دون مضي زمان، فقد وقع عُقيب ترك "يوسف" عند المتاع فكأنهم قالو: إنا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأى منا وما فارقناه إلا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان[٢] ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ (يوسف/١٩)؛ فـ(الفاء) في (أرسلوا) أفادت الترتيب والتعقيب، وترتب على ذلك الإدلاء بالدلو لإتيان الماء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (يوسف/٦٦)؛ فـ(الفاء) في (فلما آتوه) تفيد الترتيب والتعقيب؛ لوقوعها بعد كلام محذوف تقديره (فأجابوه إلى ما طلبه فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل)[٣].

وقد تأتي (الفاء) رابطة مضمنة الكلام معنى الشرط فتجعله في قوة الشرط، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (يوسف/١٠٩)؛ فالكلام بجملته في قوة (إن) فلو قيل: وما أرسلنا من قبلك إلا

---

(١) البحر المحيط: ٣٢٥/٥.

(٢) روح المعاني: ١٩٩/١٠.

(٣) البحر المحيط: ٣٢٢/٥.

رجالاً من البشر أمثالك فكذبوا فهلك مكذبوهم وأخذوا كل مأخذ، فإن شاء هـؤلاء فليسيروا؛ فالكلام من حيث معناه في قوة الشرط والجزاء فورد بـ(الفاء)، وليس موضع (الواو)[1].

ويتأكد الفرق بين (الواو) و(الفاء) في الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ (يوسف/٥٩) ثم قال سبحانه بعد أن استطاع "يوسف" -عليه السلام- أن يستبقي أخاه بنيامين عنده بالحيلة التي صنعها، قال: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ (يوسف/٧٠) حيث دار الكلام بين (الواو، والفاء) مع أن فعل التجهيز في كلتا المرتين واحد، غير أن "يوسف" -عليه السلام- كان في تجهيزه لهم في المرة الثانية أسرع من المرة الأولى وكأنه في المرة الأولى أبطأ في تجهيزهم ليتعرف أخبارهم في طول المدة من حيث لا يشعرون، ولذلك لم يعطف بـ(الفاء)، وأسرع في تجهيزهم في هذه المرة قصدًا إلى انفراده بأخيه من غير رقيب بالحيلة التي دبرها. ولذلك أتت (الفاء) في قوله: (فلما جهزهم) أي أعجله جهازًا وأحسنه (بجهازهم)[2].

أما (ثم) فهي حرف ربط وتراخي تربط مفردًا بمفرد وجملة بجملة، ويكون تشريكهما في الخبر أو العطف أو فيهما من غير مراعاة لاسمية على فعلية أو العكس[3]، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (يوسف/٧٠)؛ فـ(ثم) هنا أفادت المهلة فالمعنى أنهم ارتحلوا وأمهلهم "يوسف" حتى انطلقوا، ثم أمر بهم

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ت/ سعيد الفلاح، ط دار الغرب الإسلامي، ٦٨٢/٢.

(٢) نظم الدرر: ٧٦/٤.

(٣) المالقي: ص١٨٧.

فأدركوا وحُبسوا [1] ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف/٤٨،٤٩)؛ فـ(ثم) جاءت في ابتداء الكلام ويمكن أن يكون من باب عطف الجمل، ومعنى الإمهال والتراخي ظاهر فيه فالمعنى- والله اعلم- هو أن "يوسف" يفسر الرؤيا بأنه سيأتي عليهم سبع سنين شداد يأكلن ما حصده أهل مصر من زراعة سبع سنين خصب، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس بالمطر والنماء، ومثلها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥)، ونلاحظ اقتران (ثم) بالظرف (بعد) لإفادة المهلة الزمنية مع الترتيب.

أما (قبل) فهو ظرف مبهم يفسر بما بعده، ويدل على الترتيب الزمني، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف/٣)، والمعنى: وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه، ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ (يوسف/٣٧)؛ والمعنى أن "يوسف" وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت، فيجدانه كما أخبرهما[3]، ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف/٦٤) فهو استفهام إنكاري

---

(١) الكشاف: ٢/٤٩٠.

(٢) الكشاف: ٢/٤٤١.

(٣) الكشاف: ٢/٤٧٠.

والمراد- والله أعلم- أي ما ائتمنتكم عليه إئتماناً مثل ائتماني إياكم على"يوسف" من قبل[1].

(٢) الشرط:

وهو التركيب الذي يشتمل على أداة شرط وجملتين يكونان بمنزلة جملة واحدة، الأولى جملة فعل الشرط والأخرى جملة جواب الشرط،[2]، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف/٢٢)؛ فـ(لما) أداة الشرط و(بلغ أشده) جملة فعل الشرط، و(أتيناه حكمًا وعلمًا) جملة جواب الشرط، والفعلان في محل جزم لكونهما ماضيين. وباستقراء سورة "يوسف" تبين بعض تراكيب الشرط، والتي سنحللها فيما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ (يوسف/٣٣)؛ فـ(إن)عملت الجزم في فعل الشرط (تصرف) وجوابه (أصْب)؛ فجزم أولهما بالسكون والثاني بحذف حرف العلة؛ لكونهما مضارعين؛ وفيه معنى طلب الصرف والدعاء، وكأنه قال: (رب اصرف عني كيدهن)[3]. كما قد تدخل على فعلين أولهما مضارع، وثانيهما ماضٍ؛ فتعمل في الأول ولا تعمل في الثاني لأنه مبني، وقد دخلت (الفاء) في الجواب لتصدره بـ(قد)، ودخولها هنا دخول لازم [4]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ

---

(١) روح المعاني: ١٧/١٣.

(٢) د. محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، ط، مكتبة الآداب، ص٧١.

(٣) البحر المحيط، ٣٠٦/٥.

(٤) المالقي، ص١١١.

سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف/٧٧)، فيرى "أبو حيان" أن التركيب هنا لا يدل على الجزم بأنه سرق، بل أخرجوا ذلك مخرج الشرط، أي: إن كان وقعت منه سرقة، فهو يتأسى بمن سرق قبله، فقد سرق أخ له من قبل، والتعليق على الشرط أن السرقة في حق بنيامين وأخيه ليس مجزومًا بها، كأنهم قالوا: إن كان هذا الذي رُمي به بنيامين حقًا فالذي رُمي به "يوسف" من قبل حق[1]. أما إذا كان الجواب متصدرًا بـــ(الفاء) ولم تذكر فيه (قد)؛ فالنحاة على كونها محذوفة لفظًا لا معنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف/٢٧)؛ والتقدير– والله أعلم – (فقد كذبت). كما اختلف الجمهور في دخول أداة الشرط على الفعل الناقص (كان) هل هي باقية على مضيها، ولم تقبلها أداة الشرط، أو المعنى: أي يتبين كونه، فأداة الشرط في الحقيقة إنما دخلت على هذا المقدر وجواب الشرط (فصدقت، و فكذبت) وهو على إضمار(قد)، أي (فقد صدقت، وفقد كذبت)، ولو كان فعلاً جامدًا، أو دعاءً لم يحتج إلي تقدير(قد) [2].

ب- وقد ذكر النحاة شروطًا لابد من توفرها في جملة فعل الشرط؛ ففضلاً عن كونها فعلية، فعلها غير جامد، لا يكون ماضيًا حقيقةً، فيمتنع أن يُسبق الفعل بـــ(قد)، أو بحرف تنفيس أي(السين أو سوف)، أو بشيء له الصدارة كأدوات الاستفهام والشرط أو بحرف من حروف النفي (ما، ولن، وإن)، ويجوز اقترانه بـــ(لم، أو لا) إن كان مضارعًا، واقتضى المعنى نفيه بأحدهما، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلاَ

---

(١) البحر المحيط، ٣٢٩/٥.

(٢) السابق نفسه: ٢٩٧/٥.

تَقْرَبُونِ﴾ (يوسف/٦٠)، فـ(لا تقربون) فيه وجهان: أحدهما: أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزومًا، عطفًا على محل قوله (فلا كيل لكم) كأنه قيل: (فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا)، وأن يكون بمعنى النهي، ودخول(الفاء) هنا لازم؛ لكون جواب الشرط جملة اسمية[١]، وقد يحذف جواب الشرط للعلم به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف/٤٣)، والتقدير- والله أعلم- (فعبروا رؤياي)، وقيل إن الجواب متقدم في قوله تعالى: (أفتوني في أمري).

ج- **أما (مَنْ):** فهي اسم شرط يعمل الجزم في فعلي الشرط إذا كانا مضارعين، فهي تعلق الجواب بالجزاء، كما أنها تعمل على توليد معنى جديد مضافًا إلى معنى الشرط، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف/٩٠)، فـ (يتق) فعل الشرط، و(يصبر) له إعرابان إما الجزم بالعطف على فعل الشرط وذلك بإشراك (الواو) بين الفعلين، وإما الرفع على الانقطاع بينه وبين فعل الشرط، وهذا خلاف مجيء الفعل متأخرًا عن الجزاء وجوابه؛ فلا يكون فيه إلا الرفع كما في قولهم: (من يأتني فهو خير له وأكرمه)[٢]، وقد قرأ "قنبل" (يتقي) بإثبات (الياء) على الإشباع[٣]. ودخلت (الفاء) في الجواب لعدم صلاحية قيام جملة جواب الشرط مقام فعل الشرط.

---

(١) الكشاف: ٤٨٤/٢.

(٢) د.مازن الوعر: جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، ط لونجمان، ١٩٩٩م، ص ٢٢ بتصرف.

(٣) د. شعبان صلاح: مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ط دار غريب، ٢٠٠٤، ص٣٠٢.

د- أما (إذا): فهي من أدوات الشرط التي تعلق الجواب بالجزاء وهو تعليق نحوي، كما تولد معنىً جديدًا خارجًا عن معنى الشرط، وهو دلالتها على وقت معلوم، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. على حين تدل (إن) على الإبهام بالرغم من كونها أم الباب، أي أنها غير محددة زمانيًا؛ فإذا قلت: (آتيك إذا احمر البُسر) يعد حسنًا؛ لأننا ربطنا الإتيان وهو الجواب بوقت محدد. ولكن إذا قلت (آتيك إن احمر البُسر) يعد قبيحًا؛ لأننا ربطنا الإتيان وهو الجواب بوقت مبهم ومشكوك فيه[1]. أما إذا جاءت (إذا) في جملة الجواب فهي رابط كـ (الفاء) إلا أنها تختص بالجملة الاسمية غير الطلبية[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (يوسف/٦٢)، لاحظنا أن (لعلّهم يعرفونها) جواب الطلب في (اجعلوا) وهو مرتبط بالرجوع بواسطة (إذا)، و(لعلهم يرجعون) معلق بترجي معرفة البضاعة للرجوع إلى "يوسف"[3].

هـ- أما (أما): فهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد بمعنى (مهما يكن من أمر)، وإن كانت لا تعمل عملها، ودخلت (الفاء) في جوابها كما تدخل في أجوبة الشرط، وفيها اختصاص بالتفصيل. ومن النحاة من يرى أن (أما) نابت مناب أداة الشرط وفعله ولكن لما تغير سياق الكلام خرجت (الفاء) عن محلها من ابتداء الجملة وصارت في الخبر، ولا يلزم تكريرها خلافًا لبعضهم، فإنه يرى أن التفصيل لا يكون إلا بتكرار الفصل بينه وبين

---

(١) جملة الشرط: ص١٤.

(٢) المالقي: رصف المباني ص ٦٧.

(٣) البحر المحيط: ٣٢٠/٥.

الأول، وهذا غير لازم، اللهم (إن كان في اللفظ فنعم، وأما في المعنى فلا يلزم[١])، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف/٤١).

و- **أما (لو):** فهي حرف شرط بمنزلة (إن) إلا أنها لا يجزم بها، ولا يكون جوابها بعدها إلا محذوفًا غالبًا لدلالة الكلام عليه. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف/١٧)، والمعنى (وإن كنا صادقين)، ونلاحظ أن (لو) تختص بالدخول على الماضي لفظًا ومعنى، أو معنى دون لفظ[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف/١٠٣)؛ فجواب (لو) محذوف يقدره "الزمخشري" بقوله: (ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم فما هم بمؤمنين)[٣]. على حين قدره "أبو حيان" بقوله: (فلو حرصت لم يؤمنوا، إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه ... وفيه توبيخ للكفرة)[٤].

ز- **أما (لولا):** فهي حرف امتناع لوجوب عند النحاة وقيل إنها مركبة من (لو) الشرطية، و(لا) النافية وذلك إذا كان ما بعدها جملتين موجبتين، ودخول (اللام) في جوابها زائدًا للتوكيد، ثم الاسم بعدها لا يخلو أن يكون ظاهرًا أو مضمرًا، فإن كان ظاهرًا ارتفع بالابتداء عند البصريين، وكذلك إن كان مضمرًا رفع، وقيل إن الخبر بعده محذوف دائمًا، نحو قولك: (لولا زيد

---

(١) المالقي: ص ١٠٤،١٠٥

(٢) السابق نفسه: ص ٣١٥.

(٣) الكشاف: ٢/٥٠٨.

(٤) البحر المحيط: ٥/٣٤٤.

لأكرمتك)، والتقدير: (لولا زيد موجود لأكرمتك). أما الكوفيون فيرفعـون الاسم بعدها على الفاعلية لنيابة (لا) عن فعل محذوف والتقدير عندهم: (لو انعدم زيد)؛ ودليلهم أنه إذا زالت (لا) ولِيَ (لو) الفعل ظـاهرًا أو مقـدرًا، وإذا دخلت (لا) كان بعدها الاسم، فهذا يدل على أن لا نائبة مناب الفعـل، كما يؤيد رأي الكوفيين أن الخبر الذي يقدرونه محذوفًا لم يظهـر مطلقًـا؛ فدل ذلك على أن الفعل في موضع (لا) أولى، كما يؤيد مـذهبهم مجـيء (أنّ) المفتوحة بعد (لولا) ولا يقع في موضع المبتدأ إلا المكسورة[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَـمَّ بِهَـا لَـوْلاَ أَنْ رَأى بُرْهَـانَ رَبِّـهِ**﴾ (يوسف/٢٤) وذلك بفتح همزة (أن) بعدها؛ فـ (أن) وما بعـدها مـؤول بتأويل مصدر تقديره: (لو انعدم رؤيةُ برهان ربه لخالطها) فحذف الجواب لأن قوله (وهم بها) يدل عليه[2]. وعلى مذهب البصريين يكون التقـدير: (لولا رؤية برهان ربه لخالطها)، وقيل إن الجواب هو نفسه (وهـم بهـا) وهو ليس ببعيد، وقد أُعترض عليه لعدم وجود اللام فيه، و"أبو حيان" يرى أن (اللام) ليست بلازمة، لجواز أن ما يأتي جواب (لولا) إذا كان بـصيغة الماضي اقترن باللام وبغير اللام؛ وعلى هذا فالكلام قد تم في قوله: (ولقد همت به) وإن جواب (لولا) في قوله (وهم بها)؛ والمعنى (لـولا أن رأى البرهان لَهَّم بها)[3].

ح- **أما (لما)**: فهي حرف وجوب لوجوب تفيد تعلق جملة الجواب وترتبها على جملة الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًـا وَعِلْمًـا**

---

(١) المالقي: ص ٣١٨، ٣١٩.

(٢) الكشاف: ٢/٤٥٦.

(٣) البحر المحيط: ٥/٢٩٥.

وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف/٢٢)؛ فالإتيان مترتب على بلوغ الأشد ومرتبط به، والجملتان هنا موجبتان، ومعنى الشرط لازم فيهـا أبـدًا لا يفارقها ولا تدخل إلا على الماضي لفظاً ومعنىً أو معني دون لفظ ، نحـو قوله تعالي: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْـدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف/٢٨)، وقوله تعالي: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْـدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف/٣١)، وكونها حرفًا هو مذهب الجمهور، وأما "أبو على الفارسي" فذهب إلي كونها اسمًا بمعنى (حين)، وهي مبنية للزومها الجملة كـ(إذا، و إذ)، والأظهر فيهـا مذهب الجمهور؛ لأن الاسمية فيها متكلفة و الحرفية غير متكلفة، و كـل مبني لازم البناء فالحكم عليه بالحرفية إلا إن دلت دلائل مقوية له في حيز الأسماء، فـ(لما) وإن كانت بمعنى (حين) لا يخرجها هذا المعنـى إلـى الاسمية. ومما يضعف مذهب "أبي علي الفارسي" أنها لـو كانـت اسـمًا بمعنى (حين) لكان الفعل الواقع جوابًا لها غير جزاء، وكان عاملاً فيهـا، ولزم من ذلك أن يكون الفعل واقعًا فيها، وأنت تقول: (لمـا قمـت أمـس أحسنت إليك اليوم) فدل على أنها ليست بمعنى (حين)[1]. أما "الكفوي" فقد أورد لـ(لما) معنيين:

أولهما: نفي الماضي وتقريب الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ﴾ (آل عمران/١٤٢).

---

(١) المالقي: ص ٣٠٨،٣٠٩.

ثانيهما: الدلالة على الظرفية كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ (يوسف/٩٦) وتختص باستغراق أزمنة الماضي من وقت الانتفاء إلى وقت التكلم بها[١].

(٣) ما يحمل على الشرط:

جواب الطلب: ويراد به الفعل المترتب على تحقيق طلب سابق، نحو (لا تهمل تُوفق في عملك) ويكون الفعل (توفق) مجزومًا. وإن اقترن بفاء السببية أو (واو) المعية كان منصوبًا، نحو: (لا تكذب فيثق فيك الناس)[٢]؛ وباستقراء سورة "يوسف" تبين اشتمالها على أمثلة لجواب الطلب بقسميه الأمر والنهي.

أ- **فمن الأمر:** قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف/٩) فهي على معنى الشرط، والتقدير -والله أعلم- (إن تقتلوا يوسف يخل لكم وجه أبيكم)، و(أو) هنا قد تكون للتخيير و قد تكون للتنويع فما بعدها معطوف على ما قبلها ويشركه في الحكم أي قال بعضهم: (اقتلوا يوسف)، وقال بعضهم (اطرحوه)[٣]، وقد وضع "الفراء" قاعدة لجزم جواب الطلب مجملها: (أنه إذا وجد بعد الأمر اسم نكرة بعده فعل يرجع بذكره أو يصلح في ذلك الفعل إضمار الاسم جاز فيه الرفع والجزم، نحو قولهم: (علمني علمًا أنتفع به)؛ فالرفع على معنى (علمني الذي أنتفع به)، وإن جزمت (أنتفع) على أن تجعلها شرطًا للأمر وكأنك لم تذكر (العلم) جاز

---

(١) الكليات: ٧٩٠.

(٢) معجم المصطلحات: ص٨٢.

(٣) البحر المحيط: ٥/٢٨٤.

ذلك. فإذا حذفت (به) لم يكن إلا جزمًا؛ لأنه لا يجوز أن تقول: (علمني علمًا انتفعه)؛ ولذلك لم يجز في الآية إلا الجزم أيضًا؛ لأن (يخل) لم يعد إلى ذكر الأرض، ولو كان (أرضًا تخل لكم) جاز الرفع والجزم[1]. وقيل إن الجواب على معنى العلة والتفسير؛ فيكون المراد –والله أعلم– (اقتلوه أو اطرحوه حتى يخلو يعقوب بالاهتمام بإخوة يوسف)[2]، و(تكونوا) مجزوم بالعطف على (يخل) ويحتمل النصب على إضمار (أن) بعد (الواو). وأما قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ (يوسف/١٢)؛ فـ(يرتع) جُزِم لأنه في جواب الطلب، و(يلعب) معطوف عليه مجزوم أيضًا؛ وعلة جزمهما ترجع إلى قول النحاة إنه إذا وقع بعد الأمر اسم معرفة بعده فعل مرتبط به، فالوجه فيه الجزم، نحو قولهم: (ابعث إلّي أخاك يُصب خيرًا)؛ لكون (الأخ) معرفة والمعرفة لا تُوصل[3]، ومثله قوله تعالى: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف/٥٤)؛ فالجواب مجزوم ليس غير، والمعنى–والله أعلم– (إن تأتوني به استخلصه لنفسي)، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف/٦٣)؛ (فنكتل) مجزوم في جواب الأمر وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يوسف/٩٣) فـ(يأت) مجزوم في جواب الأمر.

ب- **وأما النهي**: فمنه قوله تعالى: ﴿**لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا**﴾ (**يوسف/٥**)؛ فالفعل (يكيدوا) منصوب بإضمار (أن) وجوبًا

---

(١) معاني القرآن: ٢/٣٦.

(٢) الرازي: التفسير الكبير، ط إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ١٨/٩٤..

(٣) السابق نفسه: ١/١٠٨.

بعد (فاء) السببية؛ لكونها جوابًا للنهي[1]، وقد أفاد النهي هنا النصح والإرشاد لعلم "يعقوب"-عليه السلام- بتأويل الرؤيا وخاف أن يقصها على إخوته فيفهموا تأويلها ويحصل منهم الحسد له وقد يجتمع النهي والأمر ويكون جوابهما مجزومًا أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ (يوسف/١٠)؛ فـ(يلتقطه) جُزم لكونه جوابًا للأمر لأنه الأقرب له وجواب النهي محذوف ناب عنه جواب الأمر، وجاز أن يكون الجواب لهما جميعًا والمراد من النهي استجلاب شفقتهم عليه، والقائل هو "يهوذا".

(٤) القسم:

يراد به الجملة المتضمنة القسم والجواب، فجملة القسم جملتان بمنزلة جملة واحدة، وهي تشتمل على ثلاثة أركان:

أ- جملة مؤكِّدة وهو فعل القسم.

ب- جملة مؤكَّدة وهو جواب القسم.

ج- اسم مقسم به وهو كل اسم من أسماء الله تعالى وصفاته، ونحو ذلك مما يعظم. نحو: (اقسم بالله لأتبعن الحق، وأحلف بالله لمحمد على حق)؛ فالنوع الأول مؤكِّد لما بعده. أما القسم في الجملة الثانية فقد وقع على الخبر؛ لكون الجواب جملة أسمية[2]. وباستقراء سورة "يوسف" تبين لي ما يلي:

---

(١) البحر المحيط: ٢٨١/٥.

(٢) معجم المصطلحات: ص٧٥.

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ (يوسف/٨٥) فـ(التاء) حرف قسم ينوب مناب (واو) القسم؛ ومن ثم فهو يلزم درجة ثالثة لكونه محمولاً على (واو) القسم، و(الواو) محمولة على (باء) القسم؛ وقد رجح "المالقي" ذلك لعدة أسباب:

أولها: اختصاصها باسم الله خاصة وشذ قولهم: (ترب الكعبة). على حين تدخل (الواو) على اسم الله وغيره من الأسماء، بينما تدخل (الباء) على كل مقسم به ظاهر أو مضمر.

ثانيها: أن (التاء) بدل (الواو) في (أولج، وأتلج، واتعد، واتزن) .

ثالثها: أن (الواو) مفتوحة، و(التاء) مفتوحة، و(الباء) مكسورة، فهي أقرب إلي (الواو) بهذا الشبه منها إلي (الباء)؛ ومن ثم فـ(التاء) ثانية عنها مبدلة منها تعمل الخفض فيما بعدها [1]. وجملة (تالله) هي جملة القسم، وهي فعلية مقدرة، والتقدير: (أقسم تالله)، وهذه الجملة تكون مؤكِّدة للجملة التالية (جملة جواب القسم) ومقوية للمراد منها. أما جملة (تفتأ) فهي جواب القسم علي حذف (لا) النافية، والتقدير (لا تفتأ) لئلا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من (اللام والنون) والمعني: (لا تزال)[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ (الأنبياء/٥٧)؛ ووجب اقتران الجواب هنا باللام وإن؛ لكون جملة الجواب فعلية فعلها مضارع مثبت. أما إذا جاءت جملة جواب القسم فعلية فعلها ماض فالأغلب أن تصدر بـ(اللام، وقد)، كما في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف/٩١) والمراد- والله أعلم- (أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين) .

---

(١) المالقي: ص ١٨٥، ١٨٦

(٢) الكشاف: ٢/٤٩٨، ٤٩٩

ومثله قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾ (يوسف /٧٣)؛ فجملة الجواب مصدرة بـ(اللام، و قد)؛ لكونها فعلية فعلها ماض مثبت متصرف.

وهناك شواهد لم يصرح فيها بفعل القسم، وإنما ذكر ما يجري مجراه، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥)؛ فـ(ليسجننه) جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره: (قائلين)[١]. وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ (يوسف/٦٦)، فلما كان "يعقوب"-عليه السلام- غير مختار لإرسال ابنه، وألحوا عليه في ذلك، علق إرساله بأخذ الموثق عليهم وهو الحلف بالله، إذ به تؤكد العهود وتشدد، و(لتأتنني به) جواب للحلف؛ لأن معني (حتى تؤتون موثقا) حتى تحلفوا لي لتأتنني به[٢].

(٥) اجتماع الشرط و القسم:

لما كان غرض الشرط التعليق الذي يحوطه الشك في أغلب الأحيان لأن السبب قد يقع وقد لا يقع، فهو موسوم بالاجتماعية التي لا تفارقه؛ لذلك جيء بالقسم لإزالة ذلك الشك ورفع تلك الاحتمالية إلى التوكيد[٣]. وقد ورد منه في سورة "يوسف" قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف/٣٢)؛ فـ(اللام) في (لئن) موطئة للقسم؛ سميت بذلك لأنها

---

(١) البحر المحيط: ٣٠٧/٥

(٢) البحر المحيط: ٣٢٢/٥

(٣) د.علي أبو القاسم عوف: أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم، ط جامعة الفاتح ١٩٩٢، ص٢٤٤.

وطأت الجواب للقسم، أي مهدته له، وتسمى المُؤذِنة لأنها تُؤْذن بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على شرط. قال "الزجاج": (هذه اللام يسميها بعضهم لام الشرط للزومها حرف الشرط واستقبالها بالجزاء مؤكدًا، وهي في الحقيقة لام القسم كأن قبلها قسمًا مقدرًا هذا جوابه) وهي تدل على جملة القسم التي تحذف عند وجود هذه (اللام) غالبًا وتمهد الجواب للقسم، وتشعر أن الجواب للقسم لا للشرط، وهي تفيد التأكيد لأنها دلت علي جملة تأكيد، وهي جملة القسم[1].

فمن المعروف عند اجتماع الشرط والقسم أن يكون الجواب المذكور للمتقدم منهما وينوب هذا الجواب مناب الجواب المحذوف؛ وعلي ذلك يكون (ليسجنن) جوابا للقسم بدليل توكيده بالنون الثقيلة، وكذلك (ليكونا) قد أكد بالنون الخفيفة، وهما قد نابا مناب جملة جواب الشرط المحذوفة. أما قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف/١٤)؛ فجملة (إنا إذًا لخاسرون) جواب القسم وهي جملة اسمية مثبتة وقد نابت مناب جملة جواب الشرط المحذوفة؛ وذلك لتقدم القسم علي الشرط؛ فالتقدير – والله أعلم – (والله إن أكله الذئب)، و(اللام) موطئة للقسم، والمراد أنهم حلفوا له لئن كان ما خافه من خَطْفَة الذئب أخاهم من بينهم إنهم إذًا لقوم خاسرون[2]، وفائدة اللام هنا أن كلمة (إن) تفيد كون الشرط مستلزمًا للجزاء؛ فقد دخلت هذه (اللام) لتأكيد الاستلزام.

ومن خلال تحليل أسلوبي الشرط والقسم تبين اتفاقهما في بعض الجوانب، واختلافهما في جوانب أخرى. **فمن أوجه الاتفاق بينهما ما يلي:**

١) كل منهما يتركب من جملتين.

---

(١) كتاب اللامات: تحقيق د. مازن المبارك، ط المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٩م، ص ١٦٠.

(٢) الكشاف: ٤٤٩/٢

٢) جملة القسم لا تفيد دون جوابه، وكذلك جملة الشرط لا تفيد دون جزائه؛ فشدة الارتباط بين جملتيهما من خصائص كل منهما.

٣) كل من جوانب القسم والشرط يتميز بعلاقة أو أكثر.

٤) لا يجوز تقدم الجواب على جملة القسم فإن كلام يُظن أنه الجواب فليس هو الجواب، وإنما هو دليل الجواب المحذوف، وكذلك لا يجوز تقدم الجزاء على الشرط إلا عند الكوفيين.

أما أوجه الاختلاف بين الأسلوبين فتتمثل في:

١) القسم يكون في أغلب الأحيان إنشائيًا، فهو من الإنشاء غير الطلبي، والشرط من الأساليب الخبرية.

٢) يكثر الحذف في أسلوب القسم، ويقل في أسلوب الشرط لأن الأول أكثر استعمالاً.

٣) لا يجوز حذف جملتي القسم وجوابه معًا، ويجوز ذلك في الشرط إن كان في الكلام ما يدل عليهما.

٤) الأساس الذي يقوم عليه القسم هو التوكيد والتحقيق، والذي يقوم عليه الشرط الشك والاحتمال في أغلب الأحيان[1].

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

---

(١) أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط: ص٢٤٧-٢٤٩ بتصرف.

٢. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: ملاك التأويل القاطع بـذوي الإلحـاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفـلاح، ط دار الغرب الإسلامي، د.ت.
٣. الأخفش الأوسط: معاني القرآن، تحقيق د. هـدى محمـود قراعـة، ط الخانجي، ١٩٩٠م.
٤. الأشموني: في حاشيته، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
٥. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م .
٦. ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط بيروت المكتبة العصرية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٧. أبو البقاء الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط٣مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.
٨. البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته عبد الـرازق غالب المهدي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٩. د. تمام حسان:
- البيان في روائع القرآن، "دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآنـي"، ط عالم الكتب، ١٩٩٣م.
- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، ط عالم الكتب، ٢٠٠٦م.
- مبحث نحو الجملة ونحو النص، ط جامعة أم القرى، ١٩٩٥م.
١٠. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمـد علـى النجـار، ط دار الكتـب المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.
١١.أبو حيان:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى النماس، ط١مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٤-١٩٨٩م.
- تفسير البحر المحيط: دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد النوني ود.أحمد النجولي الجمل و قرظه أ.د.عبد الحي الفرماوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٢. خليل حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.

١٣.دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا) ، ترجمة أ. شاكر عبد الحميد، ط أكاديمية الفنون، ٢٠٠٢م.

١٤.الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، ط١ عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

١٥.الزجاجي: كتاب اللامات: تحقيق د. مازن المبارك، ط المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٩م.

١٦.الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه مصطفى حسين أحمد، ط دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

١٧.د. سمير أحمد معلوف: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، ط منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٦م.

١٨.سيبويه: الكتاب، تحقيق أ. عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

١٩.السيوطي:
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الأشباه والنظائر النحوية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
- المطالع السعيدة، تحقيق د. طاهر سليمان حمودة، ط الدار الجامعية، ١٩٨١م.
٢٠. د. شعبان صلاح: مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ط دار غريب، ٢٠٠٤.
٢١. د.طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط الدار الجامعية، إسكندرية، د. ت.
٢٢. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ط دار الغد العربي، د. ت.
٢٣. د.عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق "دراسة قرآنية لغوية وبيانية"، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٤. د. عباس حسن: النحو الوافي، ط دار المعارف، ١٩٩٦م.
٢٥. عبد العزيز الموصلي: شرح ألفية بن معطي، تحقيق علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض ١٩٩٠م.
٢٦. العكبري: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءآت في جميع القرآن، ط ميمنة مصر، ١٣٢١هـ.
٢٧. د.علي أبو القاسم عون: أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم، ط جامعة الفاتح ١٩٩٢.
٢٨. الفراء: معاني القرآن: تحقيق أ. محمد علي النجار، ط٣ دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٩.ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صـــقر، ط المكتبـــة العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
٣٠. د.مازن الوعر: جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضـــوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، ط لونجمان، ١٩٩٩م.
٣١.المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق د. سعيد صالح مصطفى زعيمة، ط دار بن خلدون، د. ت.
٣٢. د. محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، ط مكتبة الآداب، د.ت.
٣٣. د. مصطفى حميدة: نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ط لونجمان، ١٩٩٧م.
٣٤. د. نادية رمضان النجار:
-التضام والتعاقب في الفكر النحوي، بحث بمجلة علوم اللغـــة، ع٤، م١٢، ٢٠٠٠م.
-قواعد الحذف والمنهج التحويلي،مجلة كلية الآداب،اســكندرية،م٤٩، ٢٠٠٠م.
-مبحث الزيادة في الفكر النحوي ، مجلـــة كليـــة الآداب،اســـكندرية، ٢٠٠١م.
- بحث علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة نموذجًـــا) ، مجلة علوم اللغة م٢، ع٣٤، ٢٠٠٦م.
٣٥. ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، ط محمد على صبيح، مطبعة المدني، د.ت.

٣٦. أبو هلال العسكري: الصناعتين في الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٣٧. د. يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ط عالم الفكر، م٢٠، ع٣، ١٩٨٩م.
٣٨. ابن يعيش: شرح المفصل، ط عالم الكتب، بيروت، د. ت.

تنبيهات البطليوسى على غير الجائز صرفيا ونحويا من خلال كتابه شرح أبيات الجمل

د. فايز صبحى عبد السلام تركي
محاضر العلوم اللغوية ، ورئيس قسم اللغة العربية
بكلية المعلمين - جامعة سبها
ليبيا - وادى الحياة - الغريفة

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين ، حمد الشاكرين الموحّدين ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهديهم ، واتّبع طريقهم إلى يوم الدين ، أمّا بعد ، :

فإنّه لّما كان من المتفق عليه أنَّ شروح الدواوين الشعريّة تمثِّل ثروة ، لا يُستهان بها في مجالات اللغة ، صوتًا وصرفًا ونحوًا ودلالةً ، وهو ما ينسحب على كتب الأمالي وكتب الشروح التي وضعها اللغويون والنحاة شرحًا على الأبيات الشعرية الواردة في مؤلف ما لأحد اللغويين أو النحاة أيضًا ، نحو شرح السيرافي على أبيات سيبويه ، وشرح ابن سيده على أبيات الجمل للزَّجّاجيّ ، وشرح البطليوسي على أبيات هذا الكتاب أيضًا [1] ، وأمالي ابن الشجري ، وبخاصة حديثه عن زلّات مكّيّ بن أبي طالب في «مُشكل إعراب القرآن» ، وذلك في المجلسين ، الثمانين والحادي والثمانين ، وشرح البغدادي على أبيات مغني اللبيب ، وغير ذلك ، أقول : لّما كان ذلك كذلك ، فينبغي النظر فيها مرة بعد مرة .

والملاحظ أنَّ الشارح في مثل هذه الكتب كثيرًا ما كان يناقش قضايا صرفيةً أو نحويةً منبِّهًا على الخطأ أو الغلط في أمر ما ؛ ومن هنا كان غير الجائز صرفيًا ونحويًا

في أمهات الكتب –ومن بينها الشروح– يشكّل ثروةً لا يُستهان بها في التعرُّف على الفكر الصرفي والنحوي ؛ ومن ثمّ استخدام هذا الجانب المعرفي – الذي يعدُّ معينًا لا ينضب صدد التعرض للتحليل النّصيّ لنص ما ، تحليلاً لغويًا في ضوء علم اللغة النصيّ ، وهو الأمر الذي يتفق مع كون اقتضاء المنهجية العلمية والموضوعية في الدرس اللغوي عدم الاقتصار في أخْذ العلم الصرفي والنحوي واللغوي عامةً من الكتب المقصورة على هذا التأليف ، نحو الكتاب ، والمقتضب والخصائص والمنصف للمازني وشَرْحه لابن جني ، وغير هذا ، وذلك على الرَّغْم من أنَّ هذه الكتب قد تضمنت زيداً من هذا النحو من العرض لغير الجائز صرفيًا ونحويًا ، وهو ما أبرزه أساتذتي من قبل ، نحو دراسة أستاذي الدكتور محمود سليمان ياقوت ، والمعنونة بالتراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه «دراسةٌ لغويّةٌ» ، ودراسة الدكتور أحمد علم الدين الجندي بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بالجزأين الحادي والسبعين والثاني والسبعين ، بعنوان «في التركيب اللغوي ، تراكيب بين القبول والرفض» .

وانطلاقًا مما سبق ، وبالإضافة إلى مالفت انتباهي من تركيز البَطَلْيَوسيّ – أبو محمد عبد الله بن السِّيد البَطَلْيَوْسِي ، المولود في مدينة بَطَلْيَوْس بالأندلس ، سنة أربعمائة وأربع وأربعين ، والمتوفى سَنة خمسمائة وإحدى وعشرين من الهجرة[٢] – على غيَر الجائز والتعليل له بكلّ ما أوتي من علْم ، فقد وقع اختياري على كتابه كتاب شرح أبيات الجمل ، كي أشارك بلبنة في فَهم البناء المعرفي اللغويّ . وقد عبَّر البطلَيوسي عن هذه الأخطاء والأغلاط الصرفية والنحوية بقوله : وهذا خطأ ، وذلك غلط ، ولا يجوز ، ولا يلزم . . . إلخ . وتجدر الإشارة إلى أنَّ المقصود بغير الجائز صرفيًا ونحويًا هو غير الجائز عند البطليوسي ، أو ما نصّ عليه هو بخصوص عدم الجواز عند النحويين أو عند أحد بعينه ممن ذكر أسماءهم .

ولَمَّا كان الصرف والنحو وثيقي الصلة ببعضهما ، حيث إنَّ الأول يبحث في بنية الكلمة والثاني في التراكيب ، فقد كان هذا البحث بعنوان «تنبيهات البطليوسي

على غير الجائز صرفيًا ونحويًا من خلال كتابه شرح أبيات الجمل» ، وذلك بالوصف والتحليل في ضوء ما كتبه القدماء قبل البطليوسي أو بعده ، بالإضافة إلى ما أدلى به المحدثون فيما عُولج في ثنايا البحث من قضايا . وهنا أشير إلى أنَّ هذا البحث على الرَّغْم من أنَّه قد يبدو قديمًا في موضوعاته ، فإنَّ الجديد فيه يبدو في طريقة التناول ، المبنية على الوصف والتحليل ، ومحاولة ربْط فكرة غير الجائز بالمعنى في كثير من المواضع ؛ ومن ثَمَّ ثراء المعنى النَّصيِّ للبيتَ موضع ملاحظة البطليوسي في سياقه النَّصيِّ ، أضف إلى ذلك بيان رأيه فيما يتعلق بالقضايا المطروحة ومناقشتها من خلال فكرة غير الجائز ، وبناءً على استقراء مصدر الدراسة ، فقد اقتضى البحث أن يكون مقسّمًا على أحد عشر مبحثًا ، أولها لغير الجائز صرفيًا ، والبقية فيما يتصل بغير الجائز نحويًا .

المبحث الأول

ما يتّصل بغير الجائز في جمع «فاعل الصفة»

تعرض البطليوسي لغير الجائز صرفيًا في جمع (فاعل) الصفة ، والجدير بالذكر الإشارة إلى أنَّ (فاعلاً) قد يكون اسمًا مذكرًا ومؤنثًا ، وقد يكون صفةً ، فإنْ كان اسمًا فجمعه قد يأتي على فَوَاعلَ ، نحو كواهل في جمع كاهل ، وقد يأتي على فُعْلانَ ، وفِعْلانَ . أمَّا إذا كان (فاعلاً) صفةً ، فإنّ هذه الصفة تُجمع على (فُعَّل) و(فُعَّال) غالبًا ، نحو جمع جاهل على جُهَّل وجُهَّال ، وقد تُجمع على (فَعَلة) وعلى (فُعَلة) في المعتل العين ، وعلى (فُعُل) وعلى(فُعَلاء) وعلى (فُعْلان) و(فعَال) و(فُعُول) .

أمَّا مجيء جمع (فاعل) للمذكر العاقل في الصفات على فواعل ، فشاذٌّ ، نحو فوارس جمع فارس ، وإذا كان (فاعل) صفةً لغير العاقل جُمِع قياسًا على (فواعل) مثل شارب وشوارب وصاهل وصواهل ، وإذا كان (فاعل) مؤنّثًا فإنّه يُجمع على فواعل وفُعَّل ، سواءٌ أكان بالتاء ، نحو نائمة ونوائم ونُوَّم ، أم كان بغير التاء ، نحو حائض وحوائض وحُيَّض (٣) .

هذا ، وقد أشار البطليوسي إلى غير الجائز صرفيًا أو إلى ما يعدُّ من باب الخطأ أو الغلط فيما يتصل بجمع (فاعل) الصفة في تعليقه على ما أنشده أبو القاسم الزَّجّاجي – رحمه الله – في باب النعت من قول خِرْنِق بنت هَفّان القيسيّة ، أخت طرفة المالكي لأمّه في قولها(٤) : (من الكامل)

لا يَبْعَدَنْ قَومِي الذينَ هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزُرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ

قال : «والعداةُ جمع عاد ، وهو العدوُّ بعينه ، ولا يجوز أنْ يكون جمع عَدُوٍّ ؛ لأنَّ (فعُولاً) لا يُجْمع على (فُعَلَة) ، وقد حكى أبو زيد : لا أشمَتَ اللهُ عَاديكَ ، أي عَدُوَّكَ»(٥) .

فالبطليوسي في تعليقه هذا يشير إلى أنَّ كلمة (العُداة) الواردة في بيت الخِرْنق جمع (عاد) ، ومن غير الجائز صرفيًا أنْ تكون جمع (عَدُوٍّ) ؛ وذلك لأنَّ (عَادَ) على مثال (فاعل) معتل العين ، وهو صفةٌ ، وجمعه (عداة) على مثال (فُعَلَة) ، أضف إلى ذلك أنَّ المعنى في بيت الخِرْنق يؤيِّد وجْهة نَظَر البطليوسي ، فهي تعني أنَّهم حَتْفُ مَنْ عاداهم ، يُتْلفون أعداءهم كإتلاف السُّمّ لهم ، وهم آفة الإبل ؛ لَمَا ينحرونها للأضياف ، و«النازلون بكلِّ معترك» يعني النازلون بمواضع القتال والاعتراك ، والغاشون للحروب ، و« الطيبون معاقد الأُزْر» يعني أنَّهم أعفاء ، يقال : فلانٌ طيّب معقد الإزار ، وهو كناية عن العفّة(٦) ، وهاهو الدرس الصرفيّ يخبرنا بأنَّ (فاعلاً) الصفة «يُجْمَع على (فُعَّل) و(فُعَّال) غالبًا ، كما يُجْمع جاهلٌ على جُهَّل وجُهَّال ، ويُجْمَع على (فَعَلَة) كثيرًا كفَسَقَة ، في جمع فاسق ، وعلى (فُعَلَة) في المعتل العين ، نحو : قُضَاة ، في جمع قاضٍ»(٧) ، وعُداة جمع عاد . وقد علّل البطليوسي لإشارته هذه بعدم كون (العُداة) جمعً (عَدُوٍّ) بأنَّ (فعولاً) لا يُجْمع ، أي لا يُكسَّر على (فُعَلَة) ، وذلك مرجعه في الدرس الصرفي إلى أنَّ الصفة في الثلاثي الذي ثالثه مدةٌ زائدةٌ ، وكانت هذه المدة واوًا ، نحو : فَعُول ، فإنَّه يُكسَّر على (فُعُل)

بضم الفاء والعين – غالبًا – وليس على (فُعَلَة) ، نحوُ صبور وصُبُر ، وقد يُجْمع على فُعَلاء ، نحوُ وَدُود ، وَوُدَدَاء ، وعلى أفعال ، نحوُ عَدُوٍّ وأعداء[٨] .

المبحث الثاني

ما يتَّصل بغير الجائز في مرجعية ضمير الغائب

الأصل في ضمير الغائب أن يعود على مفسرٍ (مرجع) متقدِّم عليه ، نظرًا للإبهام الموجود في الضمير ؛ وذلك «ليُعْلَم المعنيّ بالضمير عند ذكره بعد مفسِّره»[٩] ، وقد يكون المرجع متقدِّمًا لفظًا ورتبةً ، وقد يكون متقدِّمًا لفظًا لا رتبة ، نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[١٠] ، فالضمير في (ربُّه) يعود على (إبراهيم) ، وقد تقدَّم عليه في اللفظ ، لكن رتبته التأخير ؛ لكونه مفعولاً به ، وقد يكون المرجع المتقدم متقدِّمًا رتبةً لا لفظًا ، وقد يكون المرجع متأخِّرًا ، وقد يتعدد ، وغير ذلك من الأمور[١١] . والأصل في كلِّ هذا أنْ يعود الضمير على أقرب مذكور ، وقد يعود على أبعد مذكور ، والغالب أنْ يكون المرجع ملفوظًا به كما تقدَّم ، وقد يكون غير ملفوظ به[١٢] ، وفي هذا يقول السيوطي : «المفسر إمَّا مُصرَّحٌ بلفظه ، وهو الغالب كزيد لقيته ، وقد يُسْتغنى عنه بما يدل عليه»[١٣] .

والجدير بالذكر أنَّ هذا المرجع غير الملفوظ به صراحةً في الكلام يُسْتدلُّ عليه بقرائن ، ذكرها النُّحاة[١٤] ، أضف إلى ذلك أنَّه يمكن القول : إنَّ هذا الضمير قد حلَّ محل الاسم الظاهر ، محقِّقًا ما ترنو إليه اللغة من إيجاز ، وهنا أجدني توَّاقًا إلى ذكْر قول الأستاذ علي النَّجدي ناصف – وهو مالا أملُّ من تكراره – : «وللضمير مزايا تُذْكر له ، وأثرٌ يُطلب من أجله ويُراد عليه في التعبير ، فهو يرفع اللبس ، ويُكَنِّي عن الظاهر ، ويعين على الاختصار . . . ويبدو أنَّ الظاهر أقدم عهدًا وأسْبق ظهورًا في اللغة من الضمير ؛ لأنَّ الضمير كما تقدَّم بديلٌ منه وكنايةٌ عنه»[١٥] .

ولا يعدُّ من نافلة القول الإشارة إلى أنَّ ضمير الغائب يأتي رابطًا في جملة الحال والصفة والصلة والخبر ، وهو ما اصطُلِح عليه بربط الجملة بما هي خبرٌ عنه ، وذلك باعتبار أنَّ الضمير عنصرٌ إحاليٌّ ، وهو ما يترتب عليه الإسهام في التماسك النَّصيِّ (١٦) .

نأتي إلى عرْض البطليوسي للخطأ أو غير الجائز فيما يتَّصل بمرجعية الضمير ، فنجد أنَّ ذلك كان في تعليقه على قول الأعشى (١٧) : (من الطويل)

لَقَدْ كَانَ في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ تَقَضّي لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

فقال : «وثواءٌ بدلٌ من (حوْل) ، وثويْتَه جملةٌ لها موضعٌ من الإعراب ؛ لأنَّها في مكان الصفة لثواء ، وهي صفةٌ جرت على غير مَنْ هي له ، ولو صَيَّرتها اسمًا لقُلتَ : ثاويَهُ أنت ، فانفصل الضمير المتصل ، وبرز . ويجب أنْ يكون في هذه الجملة ضميران عائدان ، عائدٌ إلى (الثواء) من صفته ، وعائدٌ إلى موصوفها ، وحُكْم بدل الاشتمال وبدل البعض من الكل أنْ يكون في كلٍّ واحد منهما ضميرٌ يعود إلى المبدل منه ؛ فالهاء في ثويته تعود إلى (الثواء) ، والعائد إلى الحول مقدَّرٌ ، كأنَّه قال : ثواءٌ ثَويْتَه فيه . ونظير هذه المسألة من مسائل النحو : نفعني عبد الله علمٌ أفادَنيه ، أي أفادَنيه هو ، فالهاء في (أفَادَنيه) عائدةٌ إلى (علْم) ، (هو) المضمر عائدٌ إلى (عَبد الله) . وقَد قال بعض مَن شرح أبيَات الجمل من مشَايخ عصرنا - وهو أبو الحسن بن سيدَه - رحمه الله - : إنَّ الهاء من ثويْتَه يجوز أن تعود على الثواء ، ويجوز أن تعود على (الحَوْل) ، وذلك خطأٌ ؛ لأنَّه إذا أعاد الهاء من ثويتَه على (الحَوْل) ، بقي الموصوف لم يَعُدْ إليه من الجملة التي هي صفةٌ عائدٌ» (١٨) .

ومن خلال هذا النص يُلاحظ أنَّ البطليوسي قد أشار إلى أنَّ كلمة (ثواء) بدلُ اشتمال من (حول) ، وجملة (ثويته) في محل جر على الصفة لثواء ، والهاء في (ثويته) تعود على (الثواء) ، وبذلك تكون الجملة قد ترابطت مع موصوفها عن طريق هذا الضمير ، فكان رابطًا بين المفهومين ، أعني مفهوم الموصوف ، ومفهوم

جملة الصفة ، وهو الأمر الذي أسهم في حُسْن السَّبك والحبك . وأشار البطليوسي أيضًا إلى أنَّ العائد على المبدل منه (الحول) من البدل (ثواء) مقدَّرٌ ، وتقديره : ثواءٌ ثويته فيه ، وذلك على نحو : نفعني عبد الله علمٌ أفادنيه ، أي أفادنيه هو ، فالهاء في جملة (أفادنيه) عائدةٌ من جملة الصفة على بدل الاشتمال من (عبد الله) وهو كلمة (علْم) ، أمَّا العائد على كلمة (عبد الله) فهو الضمير المضمر المقدَّر في قوله : أي أفادَنيه هو .

ونتيجة لعرضه هذا ، ولَمَّا كان كتاب الجمل للزجّاجي قد شرحه أكثر من شارح[19] ، نحو شَرْح أبي الحسن بن سيدَه ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وهو متقدِّمٌ على البطليوسي ، فإنَّ البطليوسي قد أشارَ إلى خطأ ذكره ابن سيدَه ، وهو قوله : إن الهاء من (ثويته) يجوز أن تعود على (الثواء) ، ويجوِّز أن تعودَ على (الحول) ، وقد برَّر البطليوسي الخطأ في هذا القول بالجواز بأنَّه إذا أعدنا الهاء من(ثويته) على (الحول) بقي الموصوف (ثواء) بدون عائد من الجملة التي هي صفته ، وإذا جعلنا الهاء عائدة على (الثواء) بقي المبدل منه (الحول) بدون عائد عليه من المبدل (الثواء) ؛ ومن ثمَّ كان لابدّ من تقدير ضمير آخر على نحو ما سبق ، أضف إلى ذلك أنَّ الأصل في الضمير أنْ يعود على أقربِ مذكور ، وليس ثمّة دليلٌ من اللغة أو المقام يسوِّغ عَوْد الضمير من (ثَوَيْتُهُ)على كلمة (حَوْل) ، والمرجع (حَوْل) ليس مضافًا ، نحو قوله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[20] ، حيث إعادة الضمير في قوله (تُحصوها) على الأبعد ، وهو (نعمة) ؛ لأنَّه مضافٌ[21] .

وهو الأمر الذي يؤيده الواقع اللغوي - وما نؤيده نحن - المبني على فهمٍ للموروث اللغوي ، الذي في إشارته ضمن شروط جملة الصفة أنْ تشتمل على رابط يربطها بالموصوف إشارةٌ إلى التنبُّه لإسهام هذا العائد الرابط في حُسْن السبك والحبك ، وهو الصحيح على نحو مابُيِّن ، حيث إنَّ الروابط الإحالية - ومن بينها الضمائر - لا تلتزم بالحدود التركيبية ، فقد تربط بين تركيبين منفصلين ، نحوُ الربط بين التركيب المكتنف للموصوف وتركيب جملة الصفة ، فهي بنيةٌ عابرةٌ للتركيب ،

وهذه المرونة جعلتها من أهم عناصر الدلالة في النصوص [٢٢] . وحول هذا الرابط في جملة الصفة يقول سيبويه : «وإذا كان الفعل في موضع الصفة . . . وذلك قولك أزيد أنت رجلٌ تضربه ، وأكُلَّ يوم ثوبٌ تلبسه ، فإذا كان وصفًا فأحسنه أنْ يكون فيه الهاء ؛ لأنَّه ليس بموضع إعمالٍ ، ولكنه يجوز فيه كما جاز في الوصل ؛ لأنَّه في موضع ما يكون من الاسم» [٢٣] .

فالجدير بالذكر أنَّ الصحة النحوية والمعنى يؤيِّدان كَون الضمير في (ثويته) عائدًا على (ثواء) ، والعائد على (حَوْل) ضميرٌ مقدَّرٌ ، تقديره : ثويته فيه ، فمن حيث الصحة النحوية تبين فيما سبق أنَّه لابد أنْ يكون الضمير عائدًا على (ثواء) حتى يكون رابطًا بين الموصوف وصفته ، وهو الأمر الذي يتصل بالمعنى أيضًا ، فالشاعر قبل هذا البيت بدأ قصيدته بقوله :

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لامَ لائمُ غَدَاةَ غَدٍ أمْ أنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ

أي أنَّه بدأ مخاطبًا نفسه بتَرْك هريرة ، وإنْ لام اللائمون ، ثم عاد مخاطبًا نفسه ، وكأنَّها لم تستجب لأمره الصارم العنيف : مالك لا تفعل؟ أأنت حزينٌ كئيبٌ لفراقها؟ ثم استكمل في البيت الثاني موضع حديثنا قائلاً لنفسه متعجِّبًا : ألَمْ يكْفك عامٌ طويلٌ قد أقمته معها ؟ فثمة إقامةٌ أقمتها معها لمدة عام ، فيها شفاءٌ للغَرام ، وقضاءٌ للحاجة ، وسأمٌ للإقامة ، ولكنك لمفارقتك إيَّاها واجمٌ وعلى المقام معها عازمٌ ![٢٤] ؛ ومن ثَمَّ فقد تحقق حُسْنُ السبك في ظاهر النص ، والاستمرارية الدلالية (الحبك) في عالم النصِّ [٢٥] .

المبحث الثالث

ما يتصل بغير الجائز في زيادة كان

ممّا لا شك فيه أنَّ الزيادة في الدرس النحوي تُعدُّ إحدى القضايا التي تدخل التراكيب ، مؤثِّرة فيها من الناحية الدلالية ، فكلُّ زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى [٢٦] ، أي أنَّ الكلمة الزائدة في التركيب هي الكَلمة التي تُزاد من الناحِية

النحوية ، وتفيد معنى زائدًا عن معناها الأصلي ، الذي انسلخت منه ، فيُؤتى بها لتأكيد الكلام أو تبيينه ، والتي لا يتأثر الكلام بسقوطها ، نحو زيادة (كان) بين الصفة والموصوف ، وبين ما وفعل التعجب ، وبين المسند والمسند إليه ، ونحو زيادة حرف الجر ، وزيادة الاسم كما هو الحال في ضمير الفصل ، ولا تكون الكلمة الزائدة عاملةً أو معمولاً فيها(٢٧) . وكما انفردت الزيادة بأهمية بين القدماء - على الرَّغْم من إنكار البعض لها من القدماء والمحدثين أيضًا(٢٨) - فقد نالت مكانتها في الدرس التوليدي التحويلي ، وعلم اللغة النَّصي"(٢٩) ، فعندما تبدو لله في البناء الظاهري فلابد لها من فائدة ، كأنْ تكون تقويةً أو تأكيدًا أو تمحيصًا للمعنى المستفاد من التركيب ، لا أنْ تقتصر وظيفتها على استقامة الوزن وتصحيح القافية في النص الشعري على سبيل المثال(٣٠) .

نأتي إلى زيادة (كان) - وهي ما نحن بصدد الحديث عنه عند البطليوسي - فيمكن الإشارة إلى أنَّ لزيادتها مواضعَ ، نصَّ عليها النحاة ، بين ما وفعل التعجب ، وبين الصفة والموصوف ، وبين العاطف والمعطوف ، وبين الجارِّ والمجرور ، وبين المسند والمسند إليه ، وبين الموصول وصلته ، وبين اسم الشرط وفعله ، وبين ما المصدرية وما في خبرها(٣١) ، وهنا أشير إلى قول السيرافي : «وقولنا : تكون زائدةً ، ليس المعنى بذلك أنَّ دخولها كخروجها في كلِّ معنى ، وإنَّما يعني بذلك أنَّه ليس لها اسمٌ ولا خبرٌ ولا هي لوقوع شيء مذكور»(٣٢) .

هذا ، وقد أشار البطليوسي إلى غير الجائز نحويًا فيما يتصل بزيادة (كان) ، وردِّه لهذا الكلام بقوله : (لا يلزم) ، في تعليقه على قول الفرزدق في مقدمة مَدْحه هشام بن عبد الملك وهجائه جريرًا وبني كُلَيب(٣٣) : (من الوافر)

فَكَيْفَ إذَا مَررْتُ بِدارِ قَومٍ   وَجِيرَانٍ لنا - كَانُوا - كِرامِ ؟

فقال : «وسلك أبو القاسم في بيت الفرزدق مسلك الخليل وسيبويه ، فجعل كان فيه زائدةً ، وكان أبو العبّاس المبرد يردُّ ذلك ، ويقول : الواو في (كانوا) اسم كان ، و(لنا) خبرها ، كأنّه قال : وجيرانٌ كرامٌ كانوا لنا ، وتابع أبا العباس على ذلك

جماعةٌ من النحويين، وقالوا: كيف تُلْغَى (كان) في هذا البيت، والضمير قد اتصل بها؟! وهذا الذي قالوه لا يلزم؛ لأنَّ (ظننت) تُلْغَى عن العمل مع اتصال الضمير بها في نحو قولك: زيدٌ منطلقٌ ظننت. وقد ذكرنا في الكتاب الأول ما احتجَّ به أبو علي الفارسي، وابن جنيّ للخليل، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا، فموضع (لنا) خفضٌ على مذهب الخليل؛ لأنَّها في موضع الصفة لجيران، وهو في موضع نصب على مذهب أبي العبّاس؛ لأنَّه في موضع خبر كان»(٣٤).

فالبطليوسي في هذا النص يرى أنَّ أبا القاسم الزَّجّاجي جعل (كان) في بيت الفرزدق زائدةً، سالكًا مسلك الخليل وسيبويه، إذ يقول سيبويه: لله وقال الخليل: إنَّ من أفضلهم كان زيدًا، على إلغاء كان، وشبَّهه بقول الشاعر، وهو الفرزدق:

فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بِدارِ قَومٍ وَجِيرَانٍ لنا - كَانُوا - كِرامِ؟(٣٥)

ثم أشار إلى أن أبا العبّاس المبرد قد ردَّ زيادة (كان) في هذا البيت بناءً على أنَّ الواو في (كانوا) اسم كان، و(لنا) خبرها، كأنَّه قال: وجيرانٌ كرامٌ كانوا لنا(٣٦) ثم نصَّ على أن جماعة من النحويين تابعوا المبرد في هذا البيت قائلين: كيف تُلْغَى (كان) في هذا البيت، وقد اتصل بها الضمير؟!

وأمام إنكار هؤلاء النحاة لزيادة (كان) في هذا البيت أشار البطليوسي إلى أنَّ قولهم هذا لا يلزم، أي كأنَّه غير صحيح نحويًا - وهو الأمر الذي أوافقه عليه - معلّلاً ذلك بأنَّه إذا كان قوله (كانوا) قد أُلْغِي متأخِّرًا متصلاً بالضمير، فإنَّ (ظنَّ) تُلْغَى عن العمل متأخرةً مع اتصال الضمير بها أيضًا، نحو قولنا: زيدٌ منطلقٌ ظننتُ، وفي هذا يقول سيبويه في باب الأفعال التي تُستعمل وتُلْغى: «فهي ظننتُ، وحَسبتُ، وخلتُ، وأُريتُ، ورأيتُ، وزعمتُ، وما يتصرف من أفعالهن . . . فإنْ أَلغيت قلتَ: عبد الله أظنُّ ذاهب، وهذا إخالُ أخوك، وفيها أُرَى أبوك، وكلّما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى، وكلٌّ عربيٌّ جيِّد»(٣٧). ولعلّه من المفيد هنا الإشارة إلى أنَّه لمّا كان نصُّ سيبويه المذكور آنفًا نقلاً عن الخليل، فإنِّي ما كدت أفرغ من هذا

البحث حتى عثرت على نصٍّ للخليل في كتابه « الجمل في النحو » يؤيِّد القول بزيادة كان في بيت الفرزدق ، وذلك قوله : « وتقولُ : مررتُ بقومٍ ، كانوا ، كرامٍ . ألغيت «كان» وأردت : مررت بقومٍ كرامٍ ، قال الفرزدق :

فَكَيْفَ إذَا مَــرَرْتُ بِدارِ قَــومٍ   وَجِـيـرَانٍ لنا - كَـانُوا - كِـرامِ ؟[٣٨]

هذا ، وقد أشار البطليوسي إلى أنَّه ذكر في الكتاب الأول له ، وهو إصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل ما احتجَّ به أبو علي الفارسي وابن جنيّ للخليل ، وهو ما أغنى عن إعادته في شرح أبيات الجمل ، فقال هناك : «واحتج ابن جني للخليل بأنْ قال : وجه زيادتها في هذا البيت أنْ يُعتقد أنَّ الضمير المتصل وقع موقع المنفصل ، والضمير مبتدأ ، ولنا الخبر ، ولكنك لَمَّا وصلت أعطيت اللفظ حقّه ولم تعتقد أنَّ الواو مرفوعةٌ بكان . وقال أبو علي الفارسي في التذكرة : كان في هذا البيت لغوٌ ؛ لأنَّ لنا قد جرى صفةً على الموصوف الذي هو جيران ، فلا يجوز أنْ يُقدَّر فيه الانتزاع من موضعه كما لم يجز في قولك : مررت برجل معه صقرٌ صائداً به غداً ؛ لأنَّ معه صقرٌ صفةٌ لرجل ، قال أبو علي : فإنْ قلت : كيفَ تُلغى كان ، وقد عملت في الضمير ؟ قلنا : تكون كان لغواً ، والضمير الذي فيها تأكيدٌ لِمَا في لنا ؛ لأنَّه مرتفعٌ بالفاعل ، ألا ترى أنَّه خبرٌ له ، قال فإنْ قال قائلٌ : كيف جاز أنْ تَلغيه وقد عمل؟ قلنا : لا يمتنع إلغاؤه وإنْ عمل ، ألا ترى أنَّك تلغي ظننت الجملة بأسرها ، وقد عمل ما تلغيه في الاسم ، فكذلك يجوز أنْ تلغي كان وحدها في قوله : كانوا كرام ، كما جاز إلغاء الجملة بأسرها في ظننت . . . وجاز إلغاء كانوا ؛ لأنَّه لم يقع أولاً ، إنَّما وقع بين صفة وموصوف فجاز إلغاؤه كما جاز إلغاء هو لَمَّا كان واقعاً بين الخبر والمُخبر عنه»[٣٩] .

ومن خلال هذا الحديث في كتب اللغة والأدب يمكن أنْ يُقال : إنَّ الحاصل في (كان) في البيت قولان من حيث الإعمال والإهمال ، لله وفي كلّ واحد منهما قولان : فعلى الإهمال قيل : الأصل (لَنَا هُمْ) ثمَّ وُصل الضمير بـ (كانَ) الزائدة إصلاحًا للفظ ؛ لئلا يقع الضمير المرفوع المنفصل إلى جانب الفعل ، وقيل بل

الضمير توكيدٌ للمستتر في (لنا) على أنَّ (لنا) صفةٌ لجيران ، ثم وُصل لَمّا ذُكر . وعلى الإعمال قيل : إنَّ الضمير معمولٌ لـ (كان) بالحقيقة على أنَّها ناقصةٌ ، و(لنا) خبرها ، وقيل تامة ، وأنَّها تعمل في الفاعل كما يعمل فيه العامل المُلْغَى ، نحوُ زيدٌ ظننت عالم»(٤٠) .

وإني لأميل إلى قول البغدادي في خزانة الأدب - بجانب قول الخليل وسيبويه ، ومَن رأى رأيهما - وأخصُّ البطليوسي - إذ يقول : «والصواب ما وجَّه به الشارح المحقق ، وهو أنَّ (كان) زيدت مع الفاعل ؛ لأنَّه كالجزء منهما ؛ لأنَّهم قالوا : والفاعل كالجزء من الفعل»(٤١) . وكذلك قول ابن مالك : «وتختص كان بجواز زيادتها بلفظ الماضي ، متوسطة بين مسند ومسند إليه ، نحو : ما كان أحسنَ زيدًا ، أو : لم يُرَ كان مثلُهم ، أو بين صفة وموصوف ، كقول الشاعر :

فَكَيْفَ إذَا مَرَرْتُ بِدارِ قَومٍ وَجِيرَانٍ لنا - كَانُوا - كِرامِ ؟

ولا يمنع من زيادتها إسنادها إلى الضمير ، كما لم يمنع من إلغاء ظنَّ إسنادها في نحو : زيدٌ ظننت قائم ، هذا مذهب سيبويه»(٤٢) .

والجدير بالذكر أيضًا ما ذكره صاحب التصريح من قول المرادي في شرح التسهيل ، إذ يقول المرادي : «وقال بعضهم لا يعني الخليل وسيبويه ما فهمه النحويون ، إنَّما أراد بالزيادة أنَّه لو لم تدخل هذه الجملة بين جيران وكرام ، لَفُهِمَ أنَّ هؤلاء القوم كانوا جيرانه فيما مضى ، وأنَّه فارقهم ، فالجيرة كانت في الزمن الماضي ، فجيء بقوله (كانوا لنا) لتأكيد ما فهم من المُضي قبل دخولها ، فأطلق الخليل الزيادة بهذا المعنى ، ويدلُّ على أنَّه يصف حالاً ماضية قوله قبل هذا :

هَلْ أَنْتُم عَائِجُونَ بِنَا لَعَنَّا نَرَى العَرَصَاتِ أو أَثَرَ الخِيامِ؟»(٤٣)

فالمرادي يرى أنَّ جملة (كانوا لنا) بأكملها زائدةٌ ، لكني أرى أنَّ (كانوا) زائدة دون (لنا) ؛ لتأكيد ما فُهم من المُضي قبل دخولها ؛ ومن ثم يمكن طرحها من التركيب ، فنقول : وجيران لنا كرام ؛ وذلك لأنَّها « لا تؤسِّس الدلالة على الزمن

الماضي ، بل تؤكِّده وتقويه»(٤٤) . أمَّا إذا كانت دالةً على الزمن الماضي في التركيب – وهو ما لا نؤيده هنا ، حيث إنَّ الدلالة على الماضي مفهومة قبل دخولها – فليس دخولها كخروجها ، وهنا تكون زائدةً لازمةً ، لا يُسْتغنى عنها(٤٥) ؛ ومن ثم فإنَّ (كان) زائدةٌ لتأكيد الماضي وتقويته ، وهذا كما يقول أبو عبيدة مُعمّر بن المُثنّى : «على معنى وديارَ جيران كرام كانوا لنا فيما مضى»(٤٦) . أضف إلى ذلك أنَّه كان بإمكان الشاعر أَنْ يؤخِّرها إلَى مكان القافية ، ويقول : وجيران لنا كرام كانوا ، لكنَّه أتى بها على صورتها الحالية حتى يستقيم وزن الوافر وتصح القافية ، بجانب ما أراده من دلالة على نحو ما سبق ، وهو الأمر الذي يمكِّننا من القول : إنَّ هذه الزيادة في مكانها هذا مكَّنت النظام النحوي من توافُقه مع النَّسْج الشعريّ .

المبحث الرابع

ما يتصل بغير الجائز في الفصل بين المصدر ومنصوبه

يُعدُّ الفصل النحوي إحدى القضايا التي تدخل بناء الجملة ، متصلاً بقضية إعادة الترتيب في الدرس النحوي ، ويُعَرَّف في الاصطلاح بأنَّه الفصل بين المتلازمين بما دون الجملة أو بجملة غير أجنبية(٤٧) ، «ويُلاحظ أنَّه يكون بعنصر ليس ركنًا من أركان الجملة ؛ لأنَّه إذا كان الفاصل ركنًا من أركانها فلا يُعدُّ فصلاً ، بلّ يُعدُّ من قبيل تقديم الكلام بعضه على بعض . ولَمَّا كان الفصل يمكن دراسته في ضوء وضع كلّ كلمة في موضعها الصحيح ، الذي يترتب عليه الحصول على المعنى»(٤٨) ، فإنَّ عدم وضعها في مكانها الصحيح يترتب عليه وجود تراكيب غير صحيحة نحويًا(٤٩) ، وهو الأمر الذي دعا دي بوجراند إلى اعتبار الفصل من عناصر الترابط في البناء السطحي(٥٠) . هذا ، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أنَّ الاعتراض أو ما يُسَمَّى بالفصل البلاغي يكون بجملة أجنبية كاملة(٥١) ، وأنَّ ثمة مواضعَ ، لا يجوز فيها الفصل النحوي ، وما ورد منه فهو من لغة الشعر ، التي تَوَافق فيها النظام النحوي مع النسج الشعري غالبًا ، وهو ما اصطلَح عليه القدماء بضرورة الشعر – وهو المصطلح

الذي أُصرُّ على طرْحه جانبًا واستخدام لغة الشعر بدلاً منه - نحو الفصل بين صيغة المبالغة وما عملت فيه ، والفصل بين العامل والمعمول بحرف الاستفهام ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وبين لا والمنفي ، وبين الفعل المضارع ونواصبه وجوازمه ، وبين الجارّ والمجرور(٥٢) . وقد أشار البطليوسي إلى غير الجائز نحويًا فيما يتصل بالفصل بين المصدر ومنصوبه في تعليقه على قول الشمّاخ بن ضرار : (من الطويل)

وَهُنَّ وُقُوفٌ يَنْتَظِرْنَ قَضَاءَهُ بضَاحِي عَذَاةٍ أَمْرَهُ وَهْوَ ضَامِزُ(٥٣)

فقال : «وقوله : ينتظرن قضاءهُ : جملةٌ في موضع الحال من الضمير في (وقوف) ، أو في موضع الصفة لوقوف . وقوله : وهو ضامزٌ : جملةٌ في موضع الحال أيضًا . والباء في قوله : بضاحي : بمعنى في ، والتقدير : وهنَّ وقوفٌ في ضاحي عَذَاة . هذا هو المعنى ، ولكن لا يجوز أنْ تحمله على هذا ؛ لأنك تحول بين الصلة والموصول ؛ لأنَّ ما بعد القضاء من صلة المصدر ، فيجب أنْ يكون ظرفًا للقضاء لا للوقوف»(٥٤) .

والواضح من خلال هذا النص أنَّ البطليوسي يرى أنَّه من غير الجائز نحويًا الفصل بين المصدر أو الموصول (وقوف) والصلة أو ما يتعلَّق به المصدر (بضاحي) ؛ وذلك ترتيبًا على أنَّ المعنى أو التقدير : وهنَّ وقوفٌ في ضاحي عذاة ، مشيرًا إلى أنَّه بناءً على هذا التقدير فإنَّ الجار والمجرور بعد (القضاء) يكون متعلّقًا بالمصدر (وقوف) . ولمَّا كان ذلك من غير الجائز ، حيث الفصل بين المصدر ومتعلّقه بأجنبيٍّ ، فقد أوجب أنْ يكون قوله (بضاحي) متعلّقًا بالمصدر (قضاء) لا بالوقوف ، وهو ما يترتب عليه انعدام القول بأنَّ ثمة فصلاً بين المصدر (قضاء) ومنصوبه (أمره) بأجنبيٍّ(٥٥) .
وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ ابن الشجري قد أشار إلى ما تقدم من مضمون قول البطليوسي ، لكنه جعل الظرف (بضاحي) متعلّقًا بوقوف أو ينتظرن ، محمّلاً المفعول (أمره) على فعلٍ مضمرٍ تقديره (يقضي) ، فقال : «وفي البيت فصلٌ بالظرف الأجنبيّ بين المصدر ومنصوبه ؛ لأنَّ قوله : «بضاحي عذاة» متعلّقٌ بوقوف أو

ينتظرن ، فهو أجنبيٌّ من المصدر الذي هو «قضاء» ، فوجب لذلك حَمْل المفعول على فعل الآخر ، كأنَّه لمَّا قال : «ينتظرن قضاءه بضاحي عذاة» أضمر «يقضي» ، فنصب به (أمره)»(٥٦) .

وأمام هذا التقدير من ابن الشجري يقف ابن هشام مشيرًا إلى أنَّ «الباء متعلقةٌ بقضائه لا بوقوف ولا بينتظرن ، لئلا يُفصَل بين قضائه و(أمر) بالأجنبيّ ، ولا حاجة إلى تقدير ابن الشجري وغيره (أمْرَهُ) معمولاً لقضى محذوفًا لوجود ما يعمل»(٥٧) . وماكدت أفرغ من قول ابن هشام هذا حتى عثرت له على نصٍّ ينقض كلامه هذا في كتابه شرح قصيدة بانت سعاد ، حيث قال بعد أنْ أنشد هذا البيت : «وأمره منتصبٌ بقضائه محذوفًا ، مبدلاً من قضائه المذكور ، ولا ينتصب بالمذكور ؛ لأنَّ الباء ومجرورها متعلقان بينتظرن ، ولا يُفْصَل المصدر من معموله»(٥٨) .

لكنِّي من خلال ما تقدم عَرْضُه آخذٌ بوجْهة نظر البطليوسي القائلة بأنَّ الظرف (بضاحي) يتعلَّق بقضائه ، حتى لا يُفْصَل بين المصدر ومنصوبه بأجنبيٍّ ، ولا حاجة إلى تقدير ابن الشجري لوجود ما يعمل ، وهو المصدر (قضاء) ، مُشْبِهًا الفعل ، مقدَّرًا بحرف المصدر والفعل ، وهو (أنْ يقضي) ، دالاً على الحال ، وليس مفعولاً مطلقًا(٥٩) . وفي هذا الصدد يقول ابن مالك أيضًا معلِّقًا على هذا البيت : «فقد يُظَنُّ أنَّ بضاحي غداة متعلقٌ بينتظرن ، وقد فصل بين قضائه وأمره ، وليس كذلك ، بل الواجب أنْ يُجعلَ قضاؤه متعلِّقًا به الجار والمجرور ، فلا يكون بينه وبين منصوبه فصلٌ بأجنبيٍّ»(٦٠) . هذا ، ويؤيد ذلك أيضًا المعنى ، فالشاعر قبل هذا البيت يقول :

كَأنَّ قُتُودي فَوْقَ جَأبٍ مُطَرَّدٍ مِنَ الحُقْبِ لاحَتْهُ الجِدَادُ الغَوارِزُ
طَوَى ظمْأهَا في بَيْضَةِ القَيْظِ بَعْدَمَا جَرَتْ في عِنَانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأمَاعِزُ
فَظَلَّت بِأعْرَافٍ كَأنَّ عُيُونَهَا إلى الشمس هل تَدْنُوركِيٌّ نواكِزُ

فهو يصف حمير وحش ، قد عطشت ، واحتاجت إلى ورود الماء ، وهي واقفةٌ تنتظر فحلها الساكت ، الذي أَغلق فاه مُمْسكًا أنْ يقضي أمْرَه بهذا المكان المرتفع من الأرض (ضاحي عذاة) - حيث إنَّ الباء للظرفية[61] - وهو النهوض ليلاً ، حيث إنَّ حمير الوحش لو وردت الماء نهارًا لَهَمَّ بها القانص[62] ؛ ومن ثَمَّ فإنَّ الأمر (القضاء) بالنهوض ليلاً في هذا المكان المرتفعْ من الأرض . فالانتظار لقضاء الأمر بضاحي عذاة ، وليس الانتظار بضاحي عذاة لقضاء الأمر ؛ لأنَّ قضاء الأمر يتعلق بكون هذا المكان المرتفع من الأرض ورؤية القانص لهذه الحمير .

المبحث الخامس
ما يتصل بغير الجائز في معنى كأنَّ

من المعروف في الدرس النحوي أن الحرف (كأنَّ) من أخوات (إنَّ) ، ومعناه التشبيه ، نحو قولنا : «كأنَّ هذا بشْرٌ منطلقًا . . . وفي كأنَّ تشبِّهه إنسانًا في حال ذَهابه كما تمنيتَه إنسانًا في حال قِيام»[63] ، وهو المشهور عند جمهور النحاة . وقد عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل بمعنى (كأنَّ) في تعليقه على قول حسّان بن ثابت[64] : (من الوافر)

كَأنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيتِ رأْسٍ ... يكُونُ مِزاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

فقال : «وأمَّا خبر كأنَّ الذي وقع عليه التشبيه ففي بيت آخر بعد هذا ، وهو قوله :

عَلى أنْيَابِهَا أو طَعْمُ غَضٍّ ... مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرَه اجْتِنَاء

وقد جرت عادة النحويين أنْ يجعلوا (كأنَّ) للتشبيه حيث وقعت ، وليس ذلك بصحيح ، وإنَّما يكون تشبيهًا محضًا إذا وقع في خبرها اسمٌ يُمَثَّل به اسمها ، ويكون الخبر أرفع من الاسم أو أحطَّ منه ، كقولك : كأنَّ زيدًا ملكٌ ، أو كأنَّ زيدًا حمارٌ . وأمَّا إذا كان خبرها فعلاً ، أو ظرفًا أو مجرورًا ، أو صفةً من صفات أسمائها ، فإنَّها يدخلها حينئذٍ معنى الظن والحسبان ، كقولك : كأنَّ زيدًا قائمٌ ، أو

كـأنَّ زيدًا في الدار ، فلست تشَبِّـه زيدًا بشيء هاهنا ، إنَّمـا تظن أنَّه قـائمٌ ، وأنَّه في الدار ، وكذلك قول الشاعر :

وَدَاويتُـهـا حـتَّى شـتَتْ حـبشـيَّـةً كـأنَّ عليـهـا سُنْدُسًـا وسُـدُوسـا

ولها أيضًا معانٍ أخَرُ ليس هذا موضع ذكرها»[٦٥] .

فابن السِّيد من خلال هذا النص يرى أنَّه من غير الجائز نحويًا الاقتصار على كون معنى (كأنَّ) التشبيه فقط ، وهذا ما جرت عادة النحويين عليه ، ويرى أنَّها تكون للتشبيه إذا كان خبرها اسمًا يمكن التشبيه به ، سواءٌ أكان هذا الخبر أرفع من اسم (كأنَّ) أم أحط منه ، نحو قولنا : كأنَّ زيدًا ملكٌ ، أو كأنَّ زيدًا حمارٌ . أمَّا إذا كان خبرها فعلاً ، نحو كأنَّ الأطفال يلعبون ، أو ظرفًا نحو قولنا : كأنَّ السيارة أمام المنزل ، أو جارًا ومجرورًا ، نحو قولنا : كأنَّ زيدًا في الدار ، أو صفةً من صفات أسمائها ، نحو قولنا : كأنَّ زيدًا قائمٌ ، فإنَّ معناها في كلٍّ هذا يدخله الظن والحسبان ، ثم أشار إلى أنَّ لها معاني أُخر .

وبخصوص هذه المعاني الأُخر أشير إلى أنَّ من النحويين - أعني الكوفيين والزَّجّاجي - مَن رأى أنَّها تكون للتحقيق[٦٦] ، نحو قول الشاعر : (من الوافر)

فَأصبحَ بَطْنُ مكّةَ مُقْشَعِرًا كـأنَّ الأرضَ ليس بها هِشَامُ

وقد خُرِّج هذا البيت في كتب النحاة على أنَّه محمولٌ على التشبيه ؛ لأنَّ الأرض ليس بها هشام حقيقة ، بل هو مدفونٌ فيها[٦٧] ، وقد تكون للتقريب[٦٨] ، «وقد تدخل كأنَّ للتنبيه والإنكار والتعجب ، تقول : فعلتُ كذا وكذا كأنِّي لا أعلمُ ، وفعلتم كذا وكذا كأنَّ الله لا يعلم ما تفعلون»[٦٩] .

هذا ما قيل عن معاني (كأنَّ) ، لكن مَن الذي وافق رأيه رأي ابن السِّيد البطليوسي أيضًا ؟ لقد رأى الكوفيون والزَّجّاجيّ أيضًا وابن الطراوة[٧٠] « أنَّها إذا كان خبرها اسمًا جامدًا كانت للتشبيه ، نحو : كأنَّ زيدًا أسدٌ ، وإذا كان مشتقًا كانت للشك بمنزلة ظننت ، وتوهمت ، نحو : كأنَّ زيدًا قائمٌ ؛ لأنَّ الشيء لا يُشَبَّه بنفسه .

وأُجيبَ بأنَّ الشيء يُشَبَّه في حالة ما به في حالة أخرى ، فكأنك شبّهت زيدًا ، وهو غير قائم به قائمًا ، أو التقدير : كأنَّ هيئة زيد هيئة قائم»(٧١) .

وأمام كلّ ما سبق يمكن القول بأنّه إذا كان قول الشاعر : فأصبح بطن مكة . . . إلخ ، قد خُرِّج على أنَّ هشامًا وإنْ مات فهو باق ببقاء مَن يخلفه بسيره . . . إلخ ، فإنّه على الرَّغْم من ذلك لا داعي للتعصب لوجهة النظر البصرية القائلة بأنَّ (كأنَّ) لا يفارقها التشبيه ؛ لأنَّ الواقع اللغوي من خلال كلام الكوفيين والزَّجّاجي وابن الطراوة والبطليوسي يشير إلى معان أُخر لهذا الحرف غير التشبيه ، ولا داعي للتقدير على نحو ما قُدِّر في نحو : كأنَّ زيدًا قائمٌ ، حيث قيل إن التقدير كأنَّ هيئة زيد هيئة قائم ؛ ومن ثَمَّ ، فإنِّي لا أرى بأسًا من الأخْذ بوجهة النظر القائلة بأنَّ الحرف (كأنَّ) - بجانب كونه للتشبيه - قد يأتي بمعنى الظَّن والحسبان ، أو التقريب ، نحو قولنا : كأنَّك بالشتاء مقبلٌ ، أو الإنكار والتعجب ، وهو الأمر الذي يترتب عليه تأييدي للبطليوسي فيما قاله .

المبحث السادس

ما يتصل بغير الجائز في التقديم والتأخير

يُعدُّ التقديم التأخير من القضايا التي لا يكاد يخلو منها نصٌّ من النصوص ، سواءٌ أكان نثرًا أم شعرًا ، فهو «بابٌ كثير الفوائد ، جمُّ المحاسن ، واسع التصرُّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويقضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ، ولطُف عندك أنْ قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظ إلى مكان»(٧٢) . لكن تحويل اللفظ من مكان إلى مكان ليس بالأمر المطلق ، فثمة مواضعُ لا يجوز فيها التقديم عند جمهور النحاة ، نحو تقديم التمييز على عامله ، وتقديم الصلة على الموصول . . . إلخ(٧٣) ؛ وذلك حتى لا تتحول التراكيب إلى تراكيب غير صحيحة نحويًا ، وهذا ما تحدّث عنه القدماء كثيرًا والمحدثون من العرب والتوليديين

التحويليين ، وكلُّ مَن اشتغل بالتحليل النصيّ ، أضف إلى ذلك حديثهم عن علاقة الصحة النحوية وعَدَمها بالمعنى[٧٤] ، فالتقديم والتأخير يصلح «إذا كان الكلام موضحًا عن المعنى ، نحو ضرب زيدًا عمرو ؛ لأنَّك تعلم بالإعراب الفاعل والمفعول»[٧٥] .

وفي إطار غير الجائز نحويًا فيما يتصل بالتقديم والتأخير كان عرْضُ البطليوسي لذلك في موضع من شرحه بخصوص تقديم التمييز على العامل المتصرف ، وذلك في تعليقه على قول المخبّل السعدي : (من الطويل)

أتَهْجُرُ لَيْلَى لِلْفِراقِ حَبِيبَها ... وَمَا كَانَ نَفْسًا بالفِراقِ تَطِيبُ[٧٦]

فقال : «وهذا البيت أنشده أبو عثمان المازني شاهدًا على جواز تقديم التمييز على العامل فيه ، إذا كان العامل فيه فعلاً متصرِّفًا ، فأجاز قياسًا على هذا عَرَقًا تصبَّبتُ ، وشحمًا تفقَّأتُ ، ولا حجة فيه عند أصحابنا ؛ لوجهين : أحدهما أنَّ هذا لم يُسْمع إلاّ في الشعر ، وما تفرَّد به الشعر ليس بأصل يُقاس عليه ، وإنما يُوَجَّه إلى الضرورة ، ويجب أنْ يُقال له : إذا أردت أن تجعل هذا البيت حجة ، فاجعل قول الآخر حُجة على جواز تعريف التمييز ، وهو :

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ جِلادَنَا رَضِيتَ ... وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا بَكْرُ عَنْ عَمْرُو

فكما أنك لا ترى هذا البيت حُجَّةً في جواز تعريف التمييز ، أنه هو عندنا وعندك جار مجرى الضرورة فكذلك هذا البيت ، وإلا فمن أين فرَّقت بينهما ، وكل واحد منهماً مما انفرد به الشعراء . والوجه الثاني أن أبا إسحاق الزَّجّاج - رحمه الله تعالى - قال : إنما الرواية : وما كان نفسي بالفراق تطيب»[٧٧] .

ومن خلال هذا النص يُلاحظ أنَّ البطليوسي يرى أنَّ جواز المازني تقديم التمييز (نفسًا) على عامله المتصرِّف (تطيب) في البيت المذكور غير جائز نحويًا ، وهذا أمرٌ خلافيٌّ بين النحاة ، فهم يجمعون على مَنْع تقديم التمييز المنقول على عامله إذا لم يكن فعلاً متصرِّفًا ، فإنْ كان فعلاً متصرِّفًا فسيبويه[٧٨] وأكثر البصريين

والكوفيين وكثيرٌ من المتأخرين يمنعونه ، فعلاً كان العامل أو معنى . وأشيرُ هنا - على سبيل المثال - إلى الفرَّاء وابن السرَّاج وابن جنيّ ، والأنباري ، والرضي ، وابن عصفور ، وابن هشام ، وهؤلاء المانعون يرون أنَّ الناصب للتمييز هو الفعل ، لكنَّ هذا الفعل لم يَقْوَ قوة غيره مما قد تعدى إلى مفعول ، أو أن الناصب له ليس هو الفعل ، وإنَّما هو الجملة بأسرها ، أو أنَّه منصوبٌ بفعل مقدَّر ، كأنَّ الشاعر في البيت موضع الحديث قال : أعني نفسًا ، أو أنَّه جاء في الشعرِ قليلاً على طريق الشذوذ ، فلا حُجَّة فيه ، أو أنَّ الغالب في التمييز المنصوب بفعل متصرف أنْ يكون فاعلاً في الأصل ، وقد حُوِّل الإسناد عنه إلى غيره لقصد المبالغةِ ، فلا يُغَيَّر عمّا كان يستحقه من وجوب التأخير ، أو أنَّ رواية البيت هي (وما كان نفسي بالفراق تطيب) ، أخْذًا برواية الزَّجّاجي وإسماعيل بن نصر والزَّجّاج ، أو أنَّ البيت ضرورةٌ . . . إلخ [٧٩] .

أمَّا الكسائي والجرمي والمازني والمبرد والسيرافي والأعلم الشنتمري وابن الشجري وابن عصفور ، وبعض الكوفيين ، ومن قال بقولهم ، نحو ابن مالك وأبي حيّان ، فيجيزون تقديم التمييز على عامله المتصرف باستثناء الفعل (كفى) ، نحو كفى بزيد رجلاً ، فلا يُقال : رجلاً كفى بزيد ، وحجتهم في ذلك النقلُ والقياس على سائرِ الفضلات المنصوبة بفعل متصرف ، والتقدير في بيت المخبّل : وما كان الشأن والحديث تطيب سلمى نفسًا . وإنْ قيل إنَّ مميز هذا النوع فاعلٌ في الأصل ، وقد أوهن بجعله كبعض الفضلات ، ولو قُدِّم لازداد إلى وهنه وهنا ، فَمُنِع ذلك ؛ لأنَّه إجحافٌ ، فقد ردَّ ابن مالك في شرح التسهيل ذلك بوجوه ستة [٨٠] ، وكلُّ ما تقدم - سواءٌ أكان إجازةً أم منْعًا مع تفنيد حجج المجيزين - مبسوطٌ في مصادره ، لا أريد الخوض فيه منعًا للإطالة .

أعود إلى البطليوسي مرة أخرى لبيان موقفي مما قاله ، فأشير - بخصوص قوله : إنَّ هذا لم يُسمع إلاَّ في الشعر ، وما تفرَّد به الشعر ليس بأصلٍ يُقاس عليه ، وإنَّما يوجَّه إلى الضرورة - إلى أنَّ هذه الضرورة ، التي قال بها هو وغيره من النحاة تُعدُّ من خصائص لغة الشعر ، والشعر من فصيح الكلام ، وما كان قولهم بالضرورة

إلاّ لخلطهم بين لغة الشعر ولغة النثر في التقعيد النحوي[٨١] ، وأنّه لو لم يكن من الجائز في النثر أنْ نقول : عَرَقًا تصبَّبت ، وشحمًا تفقأتُ - على الرَّغْم من جوازه[٨٢]- فإنّه في الشعر يجوز ، على نحو ما ورد في بيت المخبّل ، وغيره مما دار من أبيات في المصادر المختلفة ، ويُعدُّ من لغته ، لا من ضروراته ، ولاسيما أنَّ لله الشعر لغةٌ انفعاليةٌ ، يلجأ فيها الشاعر تحت تأثير الانفعال إلى ألفاظ وتراكيب ، يعتقد أنّها أدلُّ على المعنى من غيرها ، ومادامت لغة الشعر انفعالية ، فليس من الممكن وضع قواعد صارمة لها تتسم بالاطراد والاستمرار»[٨٣] .

والجدير بالذكر «أنَّ اللغة الانفعالية - ولغة الشعر ممثلة لها - لا تنفصل انفصالاً تامًا عن غيرها[٨٤] ، فالأسلوب الانفعالي يشبه في نظامه ما يجري عليه الشعر من التحرُّر من قيود النظام المألوف في النثر»[٨٥] . ولعل في هذا ما يفسِّر تقديم التمييز على عامله المتصرف في مثل هذه الشواهد التي توصف بأنّها ضرورةٌ أو شاذّة ، هذا بالإضافة إلى أنّه لو لم يتقدم التمييز على عامله لما استقام الوزن ولما صحّت القافية في بيت المخبّل ، وكلاهما جزءٌ من إنتاج المعنى[٨٦] . وما قاله البطليوسي بخصوص جَعْلِ قول القائل :

رَأَيْتُكَ لَمَّا رَأَيْتَ جِلادَنَا رَضِيتَ ... وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا بَكْرُ عَنْ عَمْرُو

حُجَّة على جواز تعريف التمييز إذا قيل بجواز تقديمه على عامله المتصرف ، لا وجه فيه للمقارنة ؛ لأنَّ تعريف كلمة النفس قد حوّلها من مفعول فيه إلى مفعول به ؛ ولذا فلا مجال فيها للتمييز من ناحية الشكل ، على الرَّغم من أنّها تمييزٌ في المعنى ، أضف إلى هذا أنّه «ربما اضْطُر الشاعر فأدخل الألف واللام في هذا الباب ، وهو يريد طَرْحهما . . . أراد وطبت نفسًا ، غير أنّه أدخل عليها الألف واللام لمّا علم أنّه يريد نفسًا بعينها ، وهي نفسَ المخَاطب»[٨٧] .

هذا عن الوجه الأول في نصِّ البطليوسي ، أمّا عن الوجه الثاني الذي احتجَّ به ، وهو أنَّ رواية الزَّجّاج : وما كان نفسي بالفراق تطيب - وهو ما وجِدَ عند غير

الزَّجّاج على نحو ما تقدم - فإنَّه يمكن الإشارة هنا إلى أنَّ تفضيل رواية على أخرى - أيًا كان مصدر هذه الرواية أو تلك - أمرٌ دعت إليه الخصومة المذهبيةُ من جانب ، والمعيارية وتحكيم القياس من جانب آخر ، ويمثِّل الخصومة المذهبية ما أُثِر عن البصريين والكوفيين من رفْضِ كلٍّ فريقٍ لِمَا يرويه الآخر»(٨٨) .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ من الرواة والنحاة(٨٩) «مَن كان يغيِّر في الدواوين المكتوبة ليعذر بها عند الخلاف ، ويقيم منها الحجة على الرواية الصحيحة»(٩٠) ، فربما تكون الرواية الأخرى لبيت المخبّل قد غُيِّرت لدحض وجهة نظر مَن أجازوا تقديم التمييز ، وهو الأمر الذي يمكن القول معه : إنَّه ينبغي قبول الروايتين للبيت ، فإحداهما تؤيِّد تقديم التمييز ، والأخرى ليس فيها تقديم ، أضف إلى ذلك أنَّه قد وردت شواهد أخرى تؤيِّد التقديم ، على نحو ما ذكره ابن مالك في شرح التسهيل ، وخالد الأزهري في التصريح ، والأشموني في شرحه على ألفية ابن مالك(٩١) ، بالإضافة إلى ما ورد من حجج للمجيزين في المصادر المشار إليها آنفًا على مدار الوصفِ والتحليل . وفي كلٍّ ما تقدَّم ما يؤيِّد جواز تقديم التمييز على عامله ، إذا كان فعلاً متصرِّفًا - وإنْ كان سيبويه لم يُجزْه - لكثرة ما ورد من الشواهد الدالة على ذلك في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح - والشعر له لغته الخاصة ، التي ينبغي طَرْحُ مصطلح الضرورة معها جانبًا ، والتعامل مع ما ورد من ذلك على أنَّه من لغة الشعر لا من ضروراته(٩٢) - وقياسًا على سائر الفضلات المنصوبة بفعلٍ متصرِّفٍ .

المبحث السابع

ما يتصل بغير الجائز في تعلُّق شبه الجملة

من المعروف في الدرس النحوي أنَّ شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) لابدَّ له من متعلق ، قد يكون مذكورًا ، أو محذوفًا ، أي أنَّه «لابد من تعلُّقهما بالفعل ، أو ما يشبهه ، أو ما أُوِّل بما يشبهه ، أو ما يشير إلى معناه ، فإنْ لم يكن شيءٌ من هذه الأربعة موجودًا قُدِّر»(٩٣) ، ويستثنى حرف الجر الزائد من التعلُّق ؛ «لأنَّ معنى

التعلُّق الارتباط المعنوي ، والأصل أنَّ أفعالاً قصُرت عن الوصول إلى الأسماء ، فأُعينت على ذلك بحروف الجر ، والزائد إنَّما دخل في الكلام تقويةً له وتوكيدًا ، ولم يدخل للربط»[٩٤] .

وقد عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل بتعلُّق شبه الجملة في تعليقه على قول كُثيّر عزة[٩٥] : (من الطويل)

أَلَمْ تَسْمَعِي أيْ عَبْدَ في رَوْنَقِ الضُّحَى بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ

قال : «والهدير ، والهديل ، بالراء واللام : صوت الحمام ، يُقال : هَدَرَ يَهْدُرُ هديرًا ، وهدل يَهْدِلُ هديلاً . و(في) متعلِّقة بتسمعي ، ولا يجوز أنْ تتعلَّق بالبكاء ؛ لأنَّك تقدِّم الصلة على الموصول»[٩٦] .

فالبطليوسي أشار في تعليقه هذا إلى أنَّ الجار والمجرور (في رونق) يتعلَّق بالفعل المتقدم (تسمعي) ، ثم أشار إلى أنَّه من غير الجائز نحويًا أنْ يتعلَّق بكلمة (بكاء) بعده ؛ والعلة أنَّ القول بذلك يؤدي إلى تقدُّم الصلة على الموصول (بكاء) ، وتقديم الصلة على الموصول غير جائز نحويًا عند النحاة[٩٧] ، ويؤيِّد ذلك أنَّ المعنى في بيت كثيّر على أنَّ رونق الضُّحى ظرفٌ للسماع ، وليس للبكاء ذاته .

المبحث الثامن
ما يتصل بغير الجائز في اللازم والمتعدي

تُعدُّ قضية اللازم والمتعدي من القضايا المنتشرة في اللغة ، حيث نجد أفعالاً لازمة اكتفت بمرفوعها ، وأفعالاً لازمةً تعدت بوسيلة من وسائل التعدية المعروفة . أمَّا الأفعال المتعدية بنفسها ، فمنها ما يتعدى إلى مفعول به واحد أو مفعولين ، أصلهما المبتدأ والخبر أو ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، ومن المتَعدي أيضًا ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، وإنْ كنت أرى أنَّ المفعول الثالث في مثل هذه الجمل ليس مفعولاً ، إنَّما هو حالٌ ، وهنا يمكن ذكْر قول الدكتور عبد الرحمن أيوب : «يجب ألاّ تُطبَّق القواعد النحوية على إطلاقها ، وألاّ تُحكَّم الاعتبارات المنطقية في التحليل اللغوي ، بل

ينبغي أن نفهم أنَّ اللغة لا تُبْنى على المنطق ، وأنَّ الصدفة التاريخية قد تُخلُّ بكثير من الواقع المنظّم للغة ؛ ومن أجل هذا فلابدَّ من أنْ يكون إعرابنا للجملة متمشِّيًا مع طبيعتها ، وقابلاً لعدم ضرورة تطبيق القاعدة على كل مثال ، بل يجب أنْ نُدخل في اعتبارنا وجود التركيبات الخاصة ، التي تخرج عن القواعد»[٩٨] .

وبجانب ما سبق فإنَّ السياق قد يفصح عن أفعال لازمة تُسْتعمل في السياق متعدية ، وأفعال متعدية تصير في السياق لازمة ، وأفعال تتعدى بحرف جرٍّ ما ، وترد في السياق متعدية بغيره . . .إلخ[٩٩] .

هذا ، وقد عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل باللازم والمتعدي في تعليقه على قول ذي الرُّمَّة في مدحه لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري : (من الوافر)

سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالاً[١٠٠]

فقال : «وزعم الفارسي في الإيضاح أنَّ (سَمِع) يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان ممّا يُسْمَع كقولك : سمعت قول زيد ، وإنْ كان ممّا لا يُسْمع يتعدى إلى مفعولين ، كقولك : سمعتُ زيدًا يقول كذا وكذا ، فيقول عنده في موضع المفعول الثاني . وهذا من مسائله التي غلط فيها ؛ لأنَّ سَمِعْتُ لو كان ممّا يتعدى إلى مفعولين لم يخلُ أنْ يكون من باب ما يتعدى إلى مفعولين لا يجوز السكوت على أحدهما ، وهو من باب ظننت وأخواتها ، أو يكون من باب ما يجوز فيه السكوت على أحد المفعولين ، وليس في العربية بابٌ آخر له حكمٌ ثالث ، فلا يجوز أنْ يكون من باب (ظننتُ) ؛ لأنَّهم قد عَدّوه إلى مفعول واحد ، فقالوا : سمعتُ كلام زيد .

ولا يجوز أنْ يكون من باب (أعطيتُ) ؛ لأنَّ باب (أعطيتُ) لا يجوز أنْ يكون المفعول الثاني فيه إلاّ اسمًا مَحْضًا ، ولا يجوز أنْ يقع موقعه فعلٌ ، ولا جملةٌ ، وأنت تقول : سَمِعْتُ زيدًا يتكلم ، وسمعت زيدًا وهو يتكلم ، فتأتي بعده بفعل وجملة . فإذا بطل أنْ يكون (سَمِع) من باب (ظننتُ) ، ومن باب (أعطيتُ) ثَبت أنّه ممّا

يتعدى إلى مفعول واحد ، وأنّك إذا قلت : سمعتُ زيدًا يقول ، فـ(يقول) في موضع الحال ، لا في موضع المفعول الثاني ، وأنَّ تقديره : سمعتُ كلام زيد يقول ، فتكون حاسّة السمع بمنزلة سائر الحواس في تعدِّيها إلى مفعول واحد ، كقَولك : أبصرتُ الرجل ، وشَممْتُ الطِّيب ، وذقت الطعامَ ، ولَمَسْتُ الشيءَ»(١٠١) .

فالبطليوسي يشير في نصِّه هذا إلى خطأ قول أبي علي الفارسي في الإيضاح(١٠٢) بتعدِّي الفعل (سمع) إلى مفعولين إنْ كان ممّا لا يُسْمَع ، نحو : سمعتُ زيدًا يقول كذا وكذا ، حيث إنَّ (يقول) عند أبي على مفعولٌ ثان . وقد علّل تخطيئه هذا بأنَّ الفعل (سمع) ليس من باب (ظننتُ) وأخواتها ، أو من باب (أعطيتُ) ؛ لأنَّ المفعول الثاني في باب (أعطيت) لا يكون إلاّ اسمًا محضًا ، ولا يجوز أن يقع موقعه فعلٌ ، ولا جملةٌ ، ونحن نقول : سمعتُ زيدًا يتكلم ، وسمعتُ زيدًا وهو يتكلم ، وأشار إلى أنَّ جملة (يتكلم) أو (يقول) في موضع الحال لا في موضع المفعول الثاني ، وبناءً على ذلك تكون حاسّة السمع بمنزلة سائر الحواس في تعدِّيها إلى مفعول واحد .

والحقيقة أنَّ جمهور النحاة على أنَّ (سمع) ممّا يتعدى إلى مفعول به واحد ، أمّا تجاه نَصْبه مفعولين مثل (عَلِمَ) ، فمنهم مَنْ يُقرُّ بنَصْبه المفعولين ، جاعلاً إيَّاه ممّا يدخل علَى المبتدأ والخبر ؛ «لأنَّ الحواس الظاهرة لَمّا أفادتَ الإدراك والعلم ، إذْ كانت طريقًا له ، أجْرَوها مُجرى (رأى ، وعَلِمَ) لذلك ، فأعملوها عملها»(١٠٣) ، ومنهم الرضيّ ، فيقول : «ممّا ينصب المبتدأ والخبر سَمِعَ المعلق بعين ، (أي العامل في اسم ذات كالكاف في قوله سمعتك) ، نحو : سمعتُك تقول كذا ، ومفعوله مضمون الجملة ، أي سمعْتُ قولكَ ، ويجوز تصدير الجملة بأنَّ ، نحو سمعت أنَّك تقوم ، قالوا : وإذا عَمِلَ في المبتدأ والخبر ، لم يكن الخبر إلاّ فعلاً دالاً على النُّطق ، نحو : سمعتُك تنطقَ بكذا أو تتكلم ، وأنا لا أرى منعًا من نحو : سمعتُك تمشي ، لجواز سمعتُ أنَّك تمشي ، اتفاقًا ، قال :

سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالاً

بنَصْب الناس ، وقد رُوي برفعه ، على حكاية الجملة»[١٠٤] .

أمَّا الفريق الآخر - وهو الغالب ، وهو ما أنضمُّ إليه - فيرى أنَّها لا تنصب مفعولين ، وأنَّ جملة (الناس ينتجعون) في بيت ذي الرُّمَّة مبتدأٌ وخبرٌ على حكاية الجملة - على الرَّغْم من وجود مَن يرى أنَّ البيت من شواذّ حكاية المفرد[١٠٥] - والتأويل «سمعتُ مَن يقول : الناسُ ينتجعون غيثًا ، فحكى ما قال ذاك ، فَرَفَعه ، فقال : سمعت هذا الكلام ، وعلى هذا تقول : قرأتُ الحمدُ لله ربّ العالمين ، لا يجوز إلاّ ذلك ؛ لأنَّه حكى كيف قرأ ، وكلُّ عامل ومعمول فيه هذا سبيلهما»[١٠٦] ، وفي هذا الصدد يقول الخليل أيضًا : «كلُّ شيءٍ من القَول فيه الحكاية فارفعْ ، نحو قولك : قلتُ عبدُ الله صالحٌ ، وقلتُ الثوبُ ثوبُكَ . . . والحروف التي يُحْكى بها أربعة : سَمِعْتُ ، وقرأتُ ، ووجدتُ ، وكتبتُ ، قال ذو الرُّمَّة :

سَمِعْتُ : النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ : انْتَجِعي بِلالا

ويُروى : «ينتجعون غيثًا ، ويُروى : وجدتُ : الناسُ ، رَفَعَ «الناسُ» على الحكاية »[١٠٧] .

وعلى الرَّغْم من قول البغدادي في الخزانة : «وقد روى النصب في البيت جماعةٌ ثقاتٌ ، منهم ابن السيد (في أبيات المعاني) ، ومنهم الفارقي (في شرح أبيات الإيضاح) ، ومنهم الزمخشري وغيره . وقد أورده بالرفع الزمخشري أيضًا في أوّل سورة البقرة ، على أنَّ جملة الناسُ ينتجعون محكيٌّ ، والحكاية إمَّا بقول مقدَّر على مذهب مَنْ اشترط في الحكاية القول ، أو بسَمِعْتُ على خلاف ، وتقديره كثيرٌ . واعلم أنَّ نحو سمعت زيدًا يقول كذا ، اختُلِفَ فيه ، فعند الأخفش وأبي علي الفارسي (في الإيضاح) وابن مالك ، وصاحبَ الهادي ، وجمٌّ غفير ، أنَّه يتعدى إلى مفعولين ؛ الأول الذات والثاني الجملة المذكورة بعدُ»[١٠٨] .

أقول : على الرَّغْم من هذا ، فإنِّي لا أرى أنَّه متعد إلى مفعولين ، لا في البيت الذي معنا لذي الرُّمَّة ، ولا في غيره ، وأنَّ الجملة بعد المفعول حالٌ ، نحو : سمعْتُ

زيدًا يقول ، وبعد النكرة صفةٌ ، نحو قوله تعالى : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ (١٠٩) ؛ ومن ثَمَّ فإنِّي مع رواية رَفْع (الناس) على جَعْل البيت من حكاية الجملة (١١٠) ، ولاسيّما أنَّ نَصْبَ الناس على المفعولية يجعل الانتجاع ممّا يُسْمع ، وما هو بذلك (١١١) .

المبحث التاسع
ما يتصل بغير الجائز في الإعمال وعَدَمِه

عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل بالإعمال وعَدَمه في موضعين من شَرْحه ، أولهما يتصل بإعمال المصدر المعرَّف بالألف واللام ، والثاني يختص بالنصب على نَزْع الخافض ، وذلك كما يلي :

(أ) ما يتصل بإعمال المصدر المعرّف بالألف واللام :

يعمل المصدر عمل فعله المأخوذ منه ، سواءٌ أكان لازمًا أم متعديًا بنفسه إلى مفعول أو أكثر أم متعديًا بحرف جرٍّ ، بشرط أنْ يكون مقدّرًا بأنْ المصدرية والفعل ، أو ما والفعل - وهو المراد هنا ، حيث إنَّ المصدر يعمل عَمَل فعْله أيضًا إنْ كان نائبًا عنه ، نحو : احترامًا أباك - بالإضافة إلى كَونه مظهرًا ومفردًا وَغير مُصغَّر ، وألاّ يُتْبع بتابع قبل أخْذ متعلقاته ، وألاّ يكون محدودًا ، فلا يجوز عجبتُ من ضَرْبَتك محمدًا ، وإنّما عَمِل المصدر عَمَل فعله ؛ لأنّه في معنى الفعل (١١٢) .

وعملُه كذلك على ثلاثة أضرب ، الأول أنْ يكون منوّنًا ، وهو الأقيس ، نحو : أعجبني ضربٌ محمدٌ خالدًا ، أو عجبت من ضَرْب زيدٌ عمرًا ، أو أعجبني ضَرْبٌ خالدًا محمدٌ ، أو عجبت من ضَرْب عمرًا زيدٌ ، على تقديم المفعول ، بخلاف فيه (١١٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (١١٤) . والثاني أنْ يكون مضافًا ، سواءٌ أكانت الإضافة إلى الفاعل ، نحو : سرَّني ضَرْبُ محمد خالدًا ، أم إلى المفعول ، نحو : سرَّني ضَرْبُ خالد محمدٌ ، لكن إعمال المضاف أكثر من المنوَّن ؛ لأنَّ الإضافة تجعل المضاف إليه كالجزء من المضاف ، وإعماله منوّنًا أكثر من إعماله معرَّفًا بأل ؛ لأنَّ فيه شبهًا بالفعل المؤكد

بالنون الخفيفة[١١٥] . والثالث أنْ يكون معرَّفًا بأل ، وهو أضعفها ؛ «لأنَّ الألف واللام لا تكون في أسماء الأجناس ، التي هي الأصول إلاّ معرفة ؛ فلذلك ضعُف إعمالها ، وإنَّما قلنا في أسماء الأجناس تحرُّزًا من الأعلام ، فإنَّ الألف واللام قد تدخلها لا لمعنى التعريف ، نحو الحسن والعبَّاس»[١١٦] ، والمعرَّف بأل فيه مذاهب على ما سنرى في التحليل .

هذا ، وقد عرض البطليوسي لِمَا يتصل بذلك صدد تعليقه على قول المرَّار الأسدي[١١٧] : (من الطويل)

لَقَدْ عَلِمَتْ أُولَى المُغِيرَةِ أَنَّنِي لَحِقْتُ فَلَمْ أَنْكُلْ عَنْ الضَّرْبِ مِسْمَعَا

فقال : «والمغيرة : الخيل ، تُقال بكسر الميم وضمِّها . ومعنى (أنكل) : أجبُنُ وأتأخر ، وأنشد سيبويه هذا البيت شاهداً على إعمال المصدر ، وفيه الألف وللام . ومن النحويين من لا يجيز إعمال المصدر ، وفيه الألف واللام ، وينصب (مِسْمَعًا) بلحقت ، لا بالضرب ، وحجتهم أنَّ الألف واللام يُبَعِّدان المصدر عن شَبَه الفعل ويُقرِّبانه إلى شبه الاسم ، وكذلك اسم الفاعل عندهم لا يعمل شيئًا إذا كان فيه الألف واللام ، وينصبون ما بعده بفعل مضمر ، أو على التشبيه بالمفعول به . ويُروى : (كَرَرْتُ فَلَمْ أنكُلْ) ، وهذا أقرب إلى أنْ يكون حجَّةً لنصب (مِسْمَع) بالضرب ؛ لأنَّه لو عدَّى إليه (كررت) لقال : على مِسْمَع . وقد يَسُوغ لمن أنكَر هذا أنْ يحتجّ بأنَّ الشاعر حذف حرف الجر ، كما قالوا : نُبِّئْتُ زيداً ، يريدون : عن زيد ، كقول الشاعر :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

على أنَّ أبا علي الفارسي قد علَّل هذا بأنْ قال : إنَّ حرف الجر لا يُحذف ما وجدَت عنه منوحة»[١١٨] .

فالبطليوسي في نصِّه هذا يشير إلى أنَّ من النحويين مَن لا يجيز إعمال المصدر المعرَّف بأل ، وعلى هذا يكون المفعول (مِسْمعا) منصوبًا بلحقتُ لا بالضرب ،

والحجة في ذلك بُعْدُه عن الشَّبَه بالفعل ، وقُربُه إلى شبه الاسم ؛ لاقترانه بالألف واللام ، وهو الأمر نفسه عندهم في اسم الفاعل المقترن بأل ، فلا يعمل فيما بعده ، فينصبون ما بعده بفعل مضمر ، أو على التشبيه بالمفعول به . وهؤلاء النفر هم الكوفيون والبغداديون وبعض البصريين ، كابن السرّاج (١١٩) ، وهم بجانب رؤيتهم أنَّ ما ظهر بعد المصدر من معمول ، فهو لعامل يفسِّره المصدر كما في المنوَّن ، أجازوا خفْض الاسم بعده على تقدير مصدر محذوف ، وقالوا : قالت العرب : يُعجبني الإكرامُ عندك سعدٌ بَنيه ، أي : أكْرَم سَعدٌ بَنيه (١٢٠) ، وذلك مردودٌ (١٢١) .

لكنه يشير إلى أنَّ البيت يُروى : (كَرَرْتُ فَلَمْ أنكُلْ) مؤيِّدًا نَصْب (مسمع) بالضرب ، وهذا مفهومٌ من قوله : «وهذا أقرب إلى أنْ يكون حجّة لنصب (مَسْمع) بالضرب ؛ لأنَّه لو عدَّى إليه (كررت) لقال : على مسْمَع» ، وهذا مذهب سيبويه والخليل في جواز الإعمال بدون قُبْح كالمصدر المنوَّن ، فيرفع به الفاعل وينصب المفعول على نحو ما تقدَّم (١٢٢) . وينضم إليهم - أي إلى الخليل وسيبويه والبطليوسي - المبرد ، فيقول : «أراد عن ضرْب مسْمع ، فلمّا أدخل الألف واللام امتنعت الإضافة ، فعمل عمل الفعل» (١٢٣) ، وهذا رأيٌ صريحٌ للمبرد في إعمال المعرَّف بأل عمل فعله ، بخلاف مَن ينسب إليه مَنْع عمل هذا المصدر ، لاستفحال الاسمية فيه ؛ ومن ثَمَّ خلافه مع سيبويه ، أضف إلى ذلك أنَّ المبرد في نَقْده لكتاب سيبويه لم يعرض لنقد شيء ممّا قاله سيبويه في هذه المسألة (١٢٤) ، ويضافُ إلى هذا الفريق أيضًا مَنْ اختار الإعمالَ كابن يعيش وابن مالك والسيوطي وغيرهم (١٢٥) .

ويرى البطليوسي بعد هذا التأييد أنَّه قد يَسُوغ لمن أنكر هذا أنْ يحتجّ بأنَّ الشاعر حذف حرف الجرِّ ، كما قالوا : نُبِّئتُ زيداً يريدون عن زيد ، وقول الشاعر : (من البسيط)

أمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

لكنه يُرْدفه بالنصِّ على أنَّ أبا علي الفارسي قد علَّل هذا بأنْ قال : إنَّ حرف الجرِّ لا يُحذف ما وجدت عنه مندوحة ، وهذا ردٌّ على مَن يتخذ من القول بحذْف

حرف الجرِّ مسوِّغًا لإنكار نصْب (مسْمع) بالضرب ، يقول ابن يعيش : «فإنْ قيل : ولا يكون أيضًا في رواية مَن روى كَررت حجةً لاحتمال أنْ يكون المراد كررت على مسْمع فلم أنكل عن ضرْبه ، بحذف الجارِّ ، قيل : لا يحسن ذلك ؛ لأنَّ حذْف حَرف الجرِّ وإعمال الفعل اللازم قبله باب ضرورة ، وطريقه السماع ، فلا يُحمل عليه ما وجد عنه مندوحة»(١٢٦) . ولمَّا كان الشيء بالشيء يُذكر ، فإنَّه بمناسبة تعليل أبي علي الفارسي على هذا النحو ، فإنَّه يمكن الإشارة إلى أنَّه قد أجاز الإعمال على قُبح ، وكذلك جماعة من البصريين(١٢٧) ، وفيما تقدم مجمل ثلاثة مذاهب ، هي عدمُ الجواز ، والجواز كالمصدر المنوَّن ، والجواز على قبح .

بقي لنا الإشارة إلى أنَّ ثَمَّة مذهبًا رابعًا ، فيه تفصيلٌ بين أنْ يعاقب الضمير (أل) فيجوز إعمال المصدر ، أو لا يعاقب فلا يجوز ، وهو مذهب ابن الطراوة وأبي بكر بن طلحة ، واختاره أبو حيّان(١٢٨) ، أي أنَّه في البيت الذي معنا بناء على هذا يجوز إعمال المصدر ؛ لأنَّ المعاقبة تصحُّ ، فنقول : فلم أنكل عن ضربي مسْمعا . والخلاصة أنِّي مع جواز إعمال المصدر المعرَّف بالألف واللام عمل فعْله فيمَا بعده ، على ضَعْفه ؛ وذلك لأنَّ الألف واللام بمنزلة التنوين ، فعملُه وفيه الألف واللام كعمله وفيه التنوين(١٢٩) ، والمعنى في بيت المرَّار على سبيل المثال يؤيِّد عمل المصدر (الضرب) .

(ب) ما يتصل بالنصب على نزع الخافض :

النصب على نزْع الخافض قال به كلٌّ من البصريين والكوفيين ، لكن البصريين يرون أنَّ العامل بعد حَذْف حرف الجرِّ هو الفعل ، قال الخليل : «وقال الله عزَّ وجلَّ في الأعراف : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ أي : من قومه ، ونصب سبعين بإيقاع الفعل عليه ، ونصب رجلاً على التفسير . . . وقال الفرزدق :

نُبِّئتُ عَبْدَ اللهِ ، بالجَوِّ ، أَصبَحَتْ كِرامًا مَواليها لئامًا صَميمُها

أي : عن عبد الله»(١٣٠) ، أمَّا الكوفيون فيرون أنَّ المجرور منصوبٌ لسقوط حرف الجرِّ دون أنْ يعمَل فيه عاملٌ آخر غير حرف الجرِّ(١٣١) . وقد عرض

البطليوسي لما يتصل بغير الجائز نحويًا من وجهة نظر البصريين في هذا الأمر صدد تناوله لبيتين ، يدوران في المصادر ، للاستشهاد بهما على أكثر من أمر ، وهما قول النابغة الذبياني[١٣٢] :

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلانًا أُسائلُها عَيَّت جَوابًا ومَا بالرَّبْعِ منْ أحَدِ
إلاَّ أوارِيَّ لأيًا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمظْلُومَةِ الجَلَدِ

فقال : «و(جوابًا) ينتصب على وجهين :أحدهما :أنْ يريد :أعيت بجواب ، فحذف حرف الجرّ ، ونصب كما قال :

أمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ مَا أُمِرْتَ به فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَال وَذَا نَشَبِ

ومنهم مَن رأى أنَّ نصْبه إنَّما هو لسقوط الخافض فقط ، دون أنْ يعمل فيه عاملٌ آخر ، غير الساقط ، وهو مذهب الكوفيين ، وهو عند البصريين خطأٌ ؛ لأنَّه لو كان سقوط الخافض موجبًا للنصب ، لوجب لكلٍّ ما سقط منه حرف الجر أنْ ينتصب ، ونحن نجد حروف الجر تسقط ، ويرتفع ما كان مجرورًا بها ، كقولك : ما جاءني من رجل ، وقوله تعالى : ﴿وكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[١٣٣] ، ألا ترى أنَّ هذين الجارَّين إذا سقطا ارتفع ما كان مجرورًا بهما ؟ . وكذلك مَن زعم أنَّ العامل الساقط هو الذي ينصب دون عاملٍ آخر ، فقوله خطأٌ ؛ أنَّه يلزم من ذلك أنْ يكون الفعل في حال وجوده يتعدى بواسطة ، وفي حال عدمه يتعدى بغير واسطة ، والشيء في حال وجوده أقوى منه في حال عدمه ؛ فإذا كان في أقوى حالَيْه لا يتعدى إلاّ بواسطة ، فكيف يتعدى في أضعف حالَيْه بغير واسطة ؟ . ويدلُّ على استحالة هذا ارتفاع بعض المجرورات ، إذا سقط الجارُّ ، كقولك : ما جاءني من أحد ، ثم تقول : ما جاءني أحدٌ ، فيجب أنْ تكون (منْ) تخفض في حال ظهورها ، وترفع في حال سقوطها»[١٣٤] .

وفي هذا النصِّ نرى أنَّ (جوابًا) منصوبٌ على أنَّه تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل ، أي : عيَّ جوابها ، ثُمَّ أُسند الفعل إلى ضمير الدار ، الذي لا يجوز ظهوره في البنية

السطحية للجملة ، والتقدير : عيَّت هي جوابًا ، ثم أُسند الفعل إلى ضمير الدار .
ويجوز أنْ يكون منصوبًا بنزع الخافض ، أي عيَّت بجواب أو أعيت بجواب (١٣٥) ، وذلك نحو قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي : (من البسيطِ)

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

فلمَّا كان الفعل (أمَر) مقصودًا به الدُّعاء إلى أمر - كما يقول سيبويه - لم يجاوز مفعولا به واحدًا ، فنقول : أمرتك بالخير ، لكنَّ لمَّا حُذف حرف الجر عمل الفعل (١٣٦) ، وهذا رأي البصريين .

وبناءً عليه فإنَّ وجهة نَظَر الكوفيين - القائلة بأنَّ النصب إنَّما هو لسقوط الخافض فقط دون أنْ يعمل فيه عاملٌ آخر ، مثل الفعل (عيّت) في البيت الذي معنا ، والتي عرض لها البطليوسي في النص السابق - خطأٌ عند البصريين ، ويدلِّل البطليوسي على أنَّ هذا غير جائز نحويًا من وجهة نَظَر البصريين ووجهته أيضًا بأنَّ سقوط حرف الجرِّ لو كان موجبًا للنصب ، لَوجب في كلِّ ما سقط منه حرف الجرِّ أنْ ينتصب ، أي أنَّه لو كان فقدان الخافض ينصب ، لكان ينصب في كل حال (١٣٧) .
وفي الموروث اللغوي ما يشير إلى حَذْف حرف الجر وارتفاع ما بعده ، نحو : ما جاءني من رجل ، وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ، حيث إنَّ حرف الجر لو سقط من المثال والآية لارتفع ما كان مجرورًا بهما ، وهو ما يراه كلٌّ من سيبويه والمبرِّد والسيرافي والأنباري (١٣٨) ، فيقول المبرِّد : «فلمَّا حُذف حرف الإضافة ، وُصِلَ الفعل فعمل . . . وقال الآخر :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ (١٣٩)

هذا ، وقد أشار البطليوسي أيضًا إلى أنَّ مَن زعم أنَّ العامل الساقط هو الذي ينصب دون عاملٍ آخر ، فَزَعْمُهُ خطأٌ ، معلِّلاً هذا بأنَّه يلزم أنْ يكون الفعل في حال وجوده يتعدى بواسطة ، وفي حال عدمه يتعدى بغير واسطة ، والشيء في حال وجوده أقوى منه في حال عدمه ، فإذا كان في أقوى حَالَيْه لا يتعدى إلاّ بواسطة ،

فكيف يتعدى في أضعف حالَيْه بغير واسطة ، مدلِّلاً على استحالة هذا بارتفاع بعض المجرورات إذا سقط حرف الجرِّ على نحو ما تقدَّم في : ما جاءني من أحد ، فبعد الحذف نقول : ما جاءني أحدٌ ، فيرى - وهو ما أراه أيضًا - أنَّه إذا كان ذلك كذلك ، فيجب أنْ تكون (من) جارَّةً في حال ظهورها ، رافعة في حال سقوطها ؛ لأنَّه لابدَّ من عاملٍ رافعٍ غير الساقط ، فدلَّ ذلك على ضَعْف رأي الكوفيين .

المبحث العاشر
ما يتصل بغير الجائز في الممنوع من الصَّرْف

من المعلوم في الدرس النحوي أنَّ كل ما لا ينصرف من مذكّر أو مؤنّث ، عربي أو أعجمي ، قلَّت حروفه أو كثرت في المعرفة ، فإنَّه ينصرف في النكرة ، إلاَّ خمسة أشياء ، فإنَّها لا تنصرف في معرفة ولا نكرة ، ومن بينها ما كان مختومًا بألف التأنيث المقصورة أو الممدودة ، نحو سكْرى ، وغَضْبى ، وحمراء ، وصفراء ، وصحراء ، وقُوَباء ، وفُقَهاء . لكن ما كان على وزن (فُعْلاء ، وفعْلاء) من أوزان ألف التأنيث الممدودة الزائدة للإلحاق ، فإنَّه مصروفٌ في النكرة والمعرفة ، نحو : حرْباء ، وعلْباء ، وقُوبَاء[140] ، وبناءً على هذا فإنَّ «كلَّ فَعْلاءَ في الكلام لا ينصرفُ ؛ لأنَّ هذَا المثَال لا ينصَرف في الكلام البتة ، كما أنَّك لو قلت : هذا رجلٌ أفْعَلُ ، لم ينصرف ؛ لأنَّك مثَّلته بما لا ينصرف ، وهي الصفة ، فأفْعَلُ صفةٌ كفَعْلاءَ »[141] .

هذا ، وقد عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل بمَنْع صَرْف المختوم بألف التأنيث الممدودة أو عَدَم مَنْعه في موضعين من شرْحه لأبيات الجمل ، أولهما في تعليقه على قول مزاحم بن الحَارث العقيلي[142] : (من الطويل)

غَدَتْ منْ عَلَيْه بَعْدَمَا تَمَّ ظمْؤُها تَصلُّ وَعَنْ قَيْض بزَيْزَاء مَجْهَل

فقال : «ويُروى : (بزيزاء مَجْهَل) بإضافة الزيزاء إلى المجهل ، ويكسر الزاي . ويُروى : (بزيزَاءَ) بفتح الهمزة ، فيكون (مَجْهل) على هذه الرواية صفةً لزيزاء ، ولم يُجزْ البصريون ذلك . وألف (فعْلاَء) المكسورة الفاء لا تكون عندهم إلاَّ للإلحاق ،

وكذلك (فُعْلاء) المضمومة الفاء ، وإنَّما تكون الهمزة للتأنيث عندهم في (فَعْلاَء) المفتوحة الفاء ، نحو حمراءَ ، وصفراءَ ، واحتجَّ الكوفيون بقول الله عزَّ جلَّ : ﴿مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾(١٤٣) ، في قراءة مَنْ كَسر السين . فقال البصريون : ليس امتناعها من الصرف من أجْل أنَّها للتأنيث ، إنَّما ذلك من أجل أنَّها ذهبت بها إلى الأرض أو البقعة»(١٤٤) .

والبطليوسي في هذا النص يشير إلى أنَّ (زَيزاء) كما رُوي في البيت بفتح الزاي ، فإنَّه يُروي أيضًا بكسرها ، وذلك على إضافتها إلى (مَجْهل) ، والتقدير : بزيْزاء مكان مجهل ، أي على تقدير حَذْف الموصوف (مكان) وإحلال الصفة مَحلَّهَ . ويشِّير أيضًا إلى أنَّه يُروى (بزيزاءَ) بفتح الهمزة ، فيكون (مَجْهل) على هذه الرواية صفةً لزيزاء الممنوعة من الصَرف تبعًا لهذه الرواية ، بناءً على أنَّ الهمزة للتأنيث ، مشيرًا إلى أنَّ البصريين يجعلون هذا من غير الجائز نحويًا ؛ لأنَّ ألف (فعْلاَء) المكسورة الفاء لا تكون عندهم إلاَّ للإلحاق ، وكذلك (فُعْلاَء) المضمومة الفَاء - على نحو ما سنرى فيما بعد في (قُوبَاء) - وإنَّما تكون الهمزة للتأنيث عندهم في (فَعْلاَء) المفتوحة الفاء ، نحو حمراءَ وصفراءَ .

هذا ، وقد اقتصر المبرِّد على الكسر ، مشيرًا إلى أنَّ الزِّيزاء ما ارتفع من الأرض ، وهو ممدودٌ ، منصرفٌ في المعرفة والنكرة إذا كان لمذكّر كالعلباء والحرباء ، أي أنَّ الألف الممدودة فيه ليست للتأنيث ، إنَّما هي للإلحاق بنحوِ حملاق كالعلباء ، فوزنه فعْلال ، وكذلك للإلحاق بنحو سرْداح ، وهو مَا أشار إليه المَازني قبل المبرِّد ، وابن جَنيّ بعد المبرِّد أيضًا(١٤٥) .

ويقول ابن يعيش : «والزيزاء الأرض الغليظة المستوية ، التي لا شجر فيها ، واحدتها زيزاءة ، وقيل هي المفازة ، التي لا أعلام فيها ، وهمزته للإلحاق بنحو حملاق وسرداح ، وهي في الحقيقة منقلبة عن ألف منقلبة عن ياء ، يدلُّ على ذلك ظهورها في درحاية ، لَمَّا بُنيَت على التأنيث عادت إلى الأصل ، ولغة هذيل زيزآء بفتح الزاء كالقلقال ، وهمزته على هذا منقلبة عن ياء ، ووزنه فعلال ، والأول فعلاء ، وقولهم في الجمع زيازٍ على أنَّ العين ياء ، وروى سيبويه ببيداء ، وهي

الأكمة ذات الحجارة ، والجمع بيدٌ ، والمجهل القفر ، الذي لا علامة فيه ، وهي صفةٌ لبيداء ، ومَن روى زيزَاء إضافة إلى المجهل ، وقد حذف الموصوف ، أي مكان مجهل»(١٤٦) .

ولمّا كان ذلك كذلك ، فإنَّ البطليوسي قد أشار أيضًا إلى أنَّ الكوفيين احتجوا على وجهة نَظَر البصريين بقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ في قراءة مَن كسر السين ، حيث إنَّ (سيناء) تُقرأ بفتح السين أيضًا ، قال الفرَّاء : «وقرأ أهل الحجاز (سينَاء) بكسر السين والمدّ ، وقرأ عاصم وغيره (سَيْنَاء) ممدودة مفتوحة السين»(١٤٧) .

وإزاء هذا لم يفت البطليوسي الإشارة إلى ما ردَّ به البصريون بأنَّه ليس امتناعها من الصرف منَ أجل أنَّها للتأنيث ، إنَّما ذلك من أجل أنَّها ذهبت بها إلى الأرض أو البقعة ، أي أنَّها (سيناء) اسمٌ للمكان المسمى بذلك بمصر ، يقول الزَّجّاج : «وقوله : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ شجرة منصوبة ، عطفٌ على قوله : ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي وأنشأنا لكم به شجرة . ويُقْرأ (من طور سَيْنَاء) بفتح السين ، وبكسر السين ، والطور الجبل ، وقيل إنَّ سيناء حجارةٌ ، وهو – والله أعلم – اسمٌ لمكان . فمن قال سَيْنَاء ، فهو على وصْف صحراء ، لا ينصرف ، ومَن قال سِينَاء – بكَسر السين – فليس في الكلام على وزن فِعْلاَء على أنَّ الألف للتأنيث ؛ لأنَّه ليس في الكلام ما فيه ألف التأنيث على وزن فِعْلاَءَ ، وفي الكلام نحو عِلْبَاء منصرفٌ ، إلاّ أنَّ سيناء ههنا اسمٌ للبقعة فلا ينصرف»(١٤٨) .

وبناءً على ما تقدم ، فإنَّ ألف (زيزاء) للإلحاق بنحو حملاق وسرداح ، وليست للتأنيث ؛ ومن ثَمَّ فهي ليست ممنوعةً من الصرف ، و(مجهلَ) مضافٌ إليه ، لا صفة ، أي أنَّه يريد النصَّ على أرض مرتفعة خالية ممّا يُهتدى به فيها ، بعينها دون غيرها ، وهي أرض جبل (شَرَوَرَى) في الطَّريق بينَ مكةَ والكوفة . فالشاعر قبل هذا البيت يقول :

قَطَعْتُ بشَوشاة كأنَّ قُتُودَها ... على خَاضِب يَعْلُو الأَمَاعِزَ مُجْفِلِ
أَذلِك أَمْ كُدْرِيَّةٌ ظَلَّ فَرْخُها ... لَقىً بشَرَوْرَى كاليَتِيمِ المعيَّلِ

أي أنَّه قطع الصحراء على ناقة خفيفة ، كأنَّ خشب رحْلها قد اعتلى ذَكر النعام ، الذي أكل الربيع ، فاحمرَّ ساقَاه ، يقتطع الصحراء نافرًا ، ويتساءل الشاعر أتلك الناقة تشبه ذلك الخاضب (ذَكر النعام) أم تشبه قطاةً أقامت على فَرْخها ، الذي أفرختـه لتوِّها ، حتى عطشت ، ونفد صبرها على الماء ، فطارت مصوِّتةً بسبب تصويت حشاها من يُبْس العطش ، مُشْرعةً في طيرانها خوفًا عليه في هذه الأرض الخالية ممّا يُهتدى به فيها بجبل شَرَوْرَى(١٤٩) .

أمَّا الموضع الثاني ، فكان في تعليقه على قول ابن قنان(١٥٠) : (من الرجز)

يا عَجَبًا لِهَذه الفَلِيقَةْ   هلْ تُذْهِبَنَّ القُوَبَاءَ الرِّيقَةْ

فقال : «و(القُوَبَاء) بفتح الواو وتسكينها : الحَزَازةُ ، فمن فتح واوها جعل الهمزة للتأنيث ، فلم يصرفها . ومَن سكَّن واوها جعل الهمزة للإلحاق ، فصرفها ، وأجاز الكوفيون تَرْك صرْفها ، مع سكون ألفها للتأنيث ، ولا يجيز ذلك البصريون» .

وفي هذا النص يشير البطليوسي إلى أنَّ (القُوَباء) بفتح الواو وجَعْل همزتها للتأنيث غير مصروفة ، ومَنْ سكَّن الواو جعل الهمزة للإلحاق ؛ ومن ثَمَّ صرفها ، ثُم أشار إلى أنَّ الكوفيين أجازوا تَرْك صَرْفها مع سكون الواو ، وكون الألف للتأنيث في الوقت نفسه ، وهذا ما يعدُّ غير جائز نحويًا عند البصريين ، يقول سيبويه : «هذا باب ما لحقته ألف التأنيث بعد ألف ، فمنعه ذلك من الانصراف في النكرة والمعرفة ، وذلك نحو حمراءَ ، وصفراءَ ، وخضراءَ ، وصحراءَ ، وطرفاءَ ، ونُفساءَ ، وعُشراءَ ، وقُوَباء . . . واعلم أنَّ من العرب مَن يقول : هذا قُوبَاءٌ كما ترى ؛ وذلك لأنَّهم أرادوا أنْ يُلحقوه ببناء فسطاط»(١٥١) .

وفي هذا ما يُفسِّر أنَّ (قُوَباء) على وزن (فُعَلاءَ) محرَّكة الواو ممنوعةٌ من الصرْف ، وأنَّها مع سكون الواو تكون الألف للإلحاق ببناء فسطاط ، وليست للتأنيث ، كما أنَّ علباءً ملحقٌ بسرداح ، وتكون مصروفة ، فنقول : هذا قُوْباءٌ ؛ ومن ثَمَّ فإنَّه من غير الجائز نحويًا منْعُ صَرْفها مع سكون الواو وجَعْلِ ألفها للتأنيث .

المبحث الحادي عشر

ما يتصل بغير الجائز في الإعراب

عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل بالإعراب في إعراب المضارع المعتل وإجرائه مُجرى الصحيح ، وفي إعراب بعض الكلمات في مواضع كثيرة من كتابه ، يمكن عرْضها على النحو التالي :

(أ) فيما يتصل بإعراب المضارع المعتل :

من المعروف في الدرس النحوي أنَّ المضارع المعتل الآخر عند جزمه تكون علامة جزمه حذف الألف أو الواو أو الياء ، نيابة عن السكون ، لكن لغة الشعر «ما اصطلح عليه بالضرورة» تشير إلى أنَّه من أوجه الإعراب في المضارع المعتل الآخر تقدير الجزم والاكتفاء بتقدير طرآن السكون مسبوقًا بحركة في الضرورة ، أي جَعْل سكون الياء عَلَم الجزم ، كقول الراجز :

إذا العجُوزُ غَضِبَت فطَلِّق ... ولا تَرَضَّاها ولا تَمَلَّق

وكقول قيس بن زهير العبسيّ : «من الوافر»

ألَمْ يَأتِيكَ والأنباءُ تَنْمِي ... بِمَا لاقَت لبُونُ بني زيَاد ؟

وذلك حملاً للمعتل على الصحيح في جميع أحواله[١٥٢] ، أضف إلى ذلك أنَّ الخليل قال : «وربّما تُركت الواو والياء في موضع الجزم استخفافًا»[١٥٣] .

هذا ، وقد عرض البطليوسي للخطأ فيما يتصل بذلك صدد تعليقه على قول قيس بن زهير ، السابق ذكره ، فقال : «وأجرى (يأتيك) مُجْرى الأفعال الصحيحة ، فحَذَف الضمة للجزم ؛ لأنَّه لو اضْطُرَّ في غير جزم لحرَّكها بالضم ، وقول أبي القاسم - رحمه الله تعالى - (إنها لغةٌ) خطأٌ»[١٥٤] .

فالبطليوسي قد أشار في نصه هذا إلى أنَّ الشاعر لم يحذف حرف العلة من (يأتي) إجراءً له مُجرى الفعل الصحيح في الاكتفاء بحذف الحركة وظهور السكون

على حرف الإعراب ، فحذف الضمة للجزم ، وأصبحت علامة الجزم سكون الياء بعد حذف الضمة المقدرة على الياء ، وذلك إجراء للمعتل مُجرى الصحيح ، ثم ذكر بعد ذلك أنَّ قول أبي القاسم (الزَّجّاجيّ) بأنَّ ذلك لغةٌ ليس بصحيح ، وإنّما هو خطأٌ .

والحقيقة أنّه من خلال تَتبُّع هذا البيت في المصادر المختلفة ، التي سبق الإشارة إليها ، تبين أنَّ ثمة قولين تجاه الياء في (يأتيك) ، فهناك مَن أشار إلى أنّها لام الفعل أُجريت مُجرى الصحيح ، على نحو ما تقدم ، نحو سيبويه ، حيث علّق عليه بقوله : «فجعله حين اضطُرّ مجزومًا من الأصل»(١٥٥) ، وهو ما أشار إليه الفرّاء أيضًا(١٥٦) . وهناك مَن أشار إلى أنَّ الشاعر اضطر لإقامة وزن الوافر ، فأشبع الكسرة ، فنشأت الياء ، نحو ابن جنّي في الخصائص(١٥٧) ، أضف إلى ذلك أن كثيرًا من المصادر ذكرت القولين معًا على نحو قيل ، وقيل(١٥٨) .

وفي القول بأنَّ ذلك ضرورة وجهة نظر أودُّ الإشارة إليها ، فالبيت من الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) والجزء الأول كما ورد في البيت هو (ألم يأتيـْ/ مفاعلْتن) لو ورد محذوف الياء هكذا : ألم يأت (مفاعيلُ) ، لكان جائزًا على القول بدخول الكف ، وأقوى قياسًا ، فلم تدعه الضرورة من جهة الشعر إلى إثبات الياء(١٥٩) ، قال ابن جني : «ولكن اعلم أنَّ البيت إذا تجاذبه أمران : زيغ الإعراب ، وقُبح الزحاف ، فإنَّ الجفاة الفصحاء لا يحفلون بقبح الزحاف إذا أدى إلى صحة الإعراب ، كذلك قال أبو عثمان ، وهو كما ذكر . وإذا كان الأمر كذلك ، فلو قال في قوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمي

ألم يأتك والأنباء تنمي ، لكَان أقوى قياسًا ، على ما رتّبه أبو عثمان ، ألا ترى أنَّ الجزء كان يصير منقوصًا : ألم يأت (مفاعيل) . . . فإنْ كان ترك زيغ الإعراب يكسر البيت كسرًا ، لا يزاحفه زحافًا فإنّه لابد من ضعف زيغ الإعراب واحتمال ضرورته»(١٦٠) .

وقد ذكر البغدادي قولاً في هذا الأمر ، فقال : «وقال ابن خلف : هذا البيت أنشده سيبويه في باب الضرورات ، وليس يجب أنْ يكون من باب الضرورات ؛ لأنَّه لو أنشد بحذف الياء لم ينكسر ، وإنّما موضع الضرورة مالا يجد الشاعر منه بدّاً في إثباته ، ولا يقدر على حَذْفه لئلا ينكسر الشعر ، وهذا يسمَّى في عروض الوافر المنقوص ، أعني إذا حُذف الياء من قوله : ألم يأتيك»(١٦١) .

وليس ذلك فحسب ، بل إن الفرَّاء خرَّج الفعل (تخشى) من قوله تعالى : ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾(١٦٢) في أحد الوجوه على إثبات الياء في موضع الجزم ، وأشار إلى أن قراءة حمزة بنية الجزم في (ولا تخشى) مع إثبات الياء صوابٌ ، لو كان ينوي ذلك(١٦٣) .

وهنا يحضرني وضْعُ السيرافي لقاعدة مهمة - على حد قول أستاذي الدكتور محمد حماسة - مكرِّرًا إيَّاها أكثر من مرة في شرحه لسيبويه قائلا(١٦٤) : «ما كان في القرآن مثله لا يُقَال له ضرورة»(١٦٥) ، وأشار بعد ذلك إلى أن ما «جاء مثله في القرآن ، وقرأت به القرَّاء لم يدخل مثله في ضرورة الشعر»(١٦٦) ؛ وذلك لأنَّه «ليس في القرآن ضرورة»(١٦٧) ، وهو الأمر الذي دعا الدكتور محمد حماسة إلى قوله لله ولست أعلم أحداً من النحاة عارض هذا المبدأ المهم»(١٦٨) ؛ ولذلك قال أيضًا فيما بعد ، صدد معالجته للضرورة : «كل ما كان له نظيرٌ في القرآن الكريم وقراءاته المختلفة ، لن نعده ضرورةً بناء على ما قرّره النحاة وسبقت الإشارة إليه»(١٦٩) .

ولَمَّا كان ذلك كذلك ، وأنَّه قد وردت أبياتٌ أخرى تنحو هذا المنحى(١٧٠) ، فإنَّه آن لنا أنْ نقول إنَّ ما ورد في بيت قيس بن زهير لغةٌ لبعض العرب ، على نحو ما قال الزَّجّاجيّ في الجمل وابن جني في المنصف(١٧١) - لا على نحو ما قاله البطليوسي - وأنَّ الشاعر سار في ركب المطولين من العرب ، ولاسيما أنَّ إعطاء الصوت حقه والوفاء به كان في مناطق القبائل التي يغلب عليها سحنة الحضر كما في قبائل أهل الحجاز ، وليس في مناطق البدو الذين يميلون إلى السهولة والسرعة

في النطق ؛ ومن ثَمَّ الحذف ، نحو تميم وهذيل (١٧٢) ، وفي هذا تفسيرٌ لتعليق الخليل على بيت زهير حيث قوله : « قال : يأتيكَ ، فترك الياء استخفافًا» (١٧٣) ، أضف إلى ذلك أنَّ الشاعر عَبْسِيٌّ ، وعبس أحد بطون قيس ، وقيسٌ كانت تسكن الحجاز (١٧٤) .

والقول بأنَّ هذا لغةٌ هو ما قال به أيضًا الأستاذ عبد السلام هارون ، حيث قال : «وهي لغةٌ لبعض العرب ، يجرون المعتل مُجرى السالم في جميع أحواله ، فاستعملها هنا للضرورة» (١٧٥) ، وإن كنت مازلت أرى أنّه لا ضرورة فيه على نحو ما سبق ، ينضاف إليه أن ما جاء في الشعر مما عدّه النحاة ضرورة ، ليس إلا خصائص لهجية تسربت إلى اللغة الأدبية المشتركة ، التي تغذيها جميع اللهجات ، فأصبحت بذلك جزءًا منها . وقد قصرت قواعد النحاة عن شمولها ، فنسبوها إلى أصحابها حينًا ، واكتفوا بالقول بأنّها (لغة قوم) حينًا آخر ؛ هروبًا من عدم اتساقها مع القاعدة ، التي يريدون لها الاطراد ، وبعض هذه الاستعمالات قد يكون من لهجة الشاعر الخاصة ، ولم يستطع التخلص منه . وتحقيق هذه المسألة يحتاج إلى دراسة مستويات الشعر نفسه ، فأمّا ما قاله الشاعر لينشده في الأسواق العامة ، التي كانت تُعْقَد لهذا الغرض ، وليسمعه مستمعون من قبائل متعددة ، وما نال شهرة خاصة كالمعلقات وغيرها ، وما جاء من شعر المختارات كالمفضليات والأصمعيات مثلاً ، فينبغي أنْ يُقبل بكلٍّ ما فيه من خصائص على أنّه يمثّل اللغة الأدبية المشتركة » (١٧٦) .

وإلى أنْ تُحَقَّق مثل هذه الأمور في ضوء دراسة مستويات الشعر نفسه فإنِّي أرى هنا أيضًا – بناء على أنَّ ذلك لغةٌ – أنَّ القول بإثبات الياء إشباعًا لكسرة التاء له صلةٌ بالمعنى النَّصِّيِّ ، وهو الدلالة على أنَّ نبأ إبل بني زياد – وعلى وجه التحديد إبل الربيع بن زياد العبسي – قد شاع وانتشر ، وهو ما يتناسب مع تطويل الصوت وإعطائه حقه . فالبيت من قصيدة دالية ، تحدَّث فيها الشاعر عن نبأ هذه الإبل ، وأنَّ ما لاقته منه بمثابة ما لاقاه من حَمَلَ بن بَدْر ، الذي اتفق معه قيس على كون نقطة ذات الإصاد نهاية السباق بين داحس والغبراء ، فجعل حَمَل فتيةً عند نهاية السباق لردِّ داحس ؛ ومن ثم فوز الغبراء ، وهو ما حدث بالفعل ؛ فهاجت

بسبب ذلك الحرب المعروفة باسم داحس والغبراء . . .إلخ . وقد قالها قيس بسبب قصة حادثة الدِّرع بين قيس بن زهير والربيع بن زياد ، وكلاهما من بني زياد ، وهم الربيع الكامل ، وعمارة بن زياد ، وقيس الحفاظ ، وأنس الفوارس ، وجميعهم من عَبْس ، وقد ذاع صيت كلٍّ منهم بصفة لزمته على هذا النحو .

أعود إلى قصة حادثة الدِّرع ، فأشير إلى أنَّ الربيع بن زياد العبسيّ قد عدا على درع لقيس بن زهير ، يُقال لها : ذات المَواسي ، فأخذها ، ورفض أنْ يردها ، فاستاق قيس إبلاً للربيع ، بعد أنْ خَلَّى سبيلَ قيس أُمَّ الربيع ، وأتى بالإبل مكة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان بأدراع وسيوف ، فكأنَّ قيسًا أراد أنْ يقول للربيع : إذا كنت قد أخذت الدرع ، ورفضت ردَّها ، فإنَّ نبأ أخْذي إبلك ، وبَيْعها بأدراع وسيوف كثيرة قد ذاع وانتشر ، ألَم يأتيك خبر هذه الإبَل ، إبل بني زياد وما صُنِعَ بها؟ ! فحَذَف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه(١٧٧) .

ولا غرابة في ذلك ، فالعرب إذا أخبرت عن الشيء غير مُعْتَمدته ولا مُعْتَزِمَة عليه ، أسرعت فيه ، ولم تتأنَّ على اللفظ المعبِّر به عنه ، ولَمَّا كان قَيَس متعمَداً الحديث هنا عن هذا الأمر ، فقد أراد أنْ يلفت نظر المتلقي وخاصةً الربيع بن زياد إلى أنَّ هذا موضع موعظة ، وتنبيه ، وإيقاظ ، وتحذير لمن تُسوِّل له نفسه فعْل هذا الأمر مرةً أخرى ، أضف إليَّ ذلك أنَّ فيه استعظَامًا للأمْر ، وتعجُّبًا منه ، ودلَالةً على أنَّه قد ملك عليه لفظه وخاطره ، وهو ما يمكن معه القول : إنَّه أراد من وراء ذلك أنْ يفيد السامعُ منه ذهاب الصورة بالناطق(١٧٨) ، أي إعلام السامع بالحسِّ الدلاليّ والجماليّ من وراء إثبات الياء(١٧٩) ، وهنا يحضرني قَولُ الدكتور أحمد علَم الدين الجندي : «لم يعُد مقبولاً الآن أنْ نُخَطِّئ التراكيب القبلية اللغوية التي جرت على ألسنة القبائل ؛ لمجرد مخالفتها للغة المشهورة ، فكلُّ ما يشيع من وجوه التراكيب يكفي في قبوله أنْ نجد شاهداً أو نجد له تخريجًا ، وإنْ كان مرجوحًا ، ومن الخطأ أنْ يُخَطِّئ النحاة أصحاب اللغة ، ولو كان كلام أهل هذه اللغة خارجًا عن القياس»(١٨٠) .

(ب) فيما يتصل بإعراب المضاف إلى (بين) :

أجاز النحاة إضافة الظرف (بين) دون (بينما) إلى المصدر ، مستشهدين بقول أبي ذؤيب الهذلي الآتي [181] ، والذي عرض البطليوسي في تعليقه عليه لغير الصحيح نحويًا فيما يتصل بإعراب المضاف إلى (بين) ، حيث يقول أبو ذؤيب [182] :
(من الكامل)

بَيْنَا تَعَنُّقُهُ الكُمَاةَ وَرَوْغِهِ ... يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيءٌ سَلْفَعُ

وقد علّق عليه البطليوسي بقوله : «ووقع في بعض نُسَخ الجمل : تَعَانُقه ، بألف وهو خطأٌ ، والصواب (تَعَنُّقُه) ، وكذا وقع في شعر أبي ذؤيب ؛ لأنَّ (تعانَق) لا يتعدى إلى مفعول ، إنَّما يُقال : تَعَانق الرجلان ، والمُعانقةُ ، والاعْتنَاق ، والتَّعَنُّقُ هي المتعدية ، والاعتناق : آخر مراتب الحرب ؛ لأنَّ أول الحرب الترامي بالسهام ، ثم المطاعنة بالرماح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق ، وهو أنْ يتخاطف الفارسان ، فيسقطا إلى الأرض معًا . . . وأراد أبو ذؤيب : أنَّ الشجاع لا يعصمه من الهلاك جراءته وشجاعته ، وأنَّ كُلَّ مخلوق فالفناء قُصَاراه وغايته» [183] .

فالبطليوسي في نصه هذا يشير إلى أنَّ رواية البيت بقوله : (تعانقه) بألف ، وكونه مجرورًا خطأٌ ، والصواب تعنُّقه بالرفع . وقد علّل ذلك بردٍّ لا يخصُّ رواية الجرِّ ، إنَّما يخصُّ اللازم والمتعدي ، فأشار إلى أنَّ الفعل (تعانق) لا يتعدى إلى مفعول ، فيقال : تعانق الرجلان ، وأضاف أنَّ المتعدي هو (التَّعنُّق) من (اعتنق) . وفي هذا الصدد أشير إلى أنَّ ابن منظور قال : لله وعانقه معانقةً وعناقًا : التزمه فأدنى عُنُقه من عُنُقه ، وقيل : المعانقة في المودة والاعتناق في الحرب ، قال :

يطعنهم ، ومَا ارْتَمَوا ، حتى إذا اطّعنُوا ... ضَارَبَ ، حتى إذا ما ضاربُوا اعْتَنَقَا

قد يجوز الافتعال في موضع المفاعلة ، فإذا خصّصت بالفعل واحدًا دون الآخر لم تقُل إلا عانقه في الحالين ، قال الأزهري : وقد يجوز الاعتناق في المودة ، كالتعانق ، وكلٌّ في كلٍّ جائز» [184] .

ولمّا كان ذلك كذلك ، فإنّني أشير أيضًا إلى ما أثبته ابن هشام في الردّ على البطليوسي ، نقلاً عن ابن عصفور ، حيث قال : «ونقل ابن عصفور عن ابن السِّيد أنه قال في قول أبي ذؤيب :

بَيْنَا تَعَنُّقُهُ الكُمَاةَ وَرَوْغِهِ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيءٌ سَلْفَعُ

إنَّ مَن رواه بجر التعانُق مُخطئٌ ؛ لأنَّ تفاعل لا يتعدى ، ثم ردَّ عليه بأنَّه إنْ كان قبل دخول التاء متعديًا إلى اثنين ، فإنَّه يبقى بعد دخولها متعديًا إلى واحد ، نحو عاطيْتُه الدراهم وتعاطينا الدراهم ، وإنْ كان متعديًا إلى واحد ، فإنَّه يصير قاصرًا ، نحو تضارَبَ زيدٌ وعمرٌو ، إلا قليلا ، نحو جاوزتُ زيدًا وتجاوزته ، وعانقته وتعانقته ، أهـ . وإنَّما ذكر ابن السِّيد أنَّ تعانق لا يتعدى ، ولم يذكر أنَّ تفاعل لا يكون متعديًا ، وأيضًا فلم يخص الرد برواية الجر ، ولا معنى لذلك»[185] ، ثُم قال ابن عصفور : «وهذا الذي ذهب إليه باطلٌ - أي البطليوسي - ووجهه عندي أنْ لا تقدَّر التاء داخلة على (فاعَل) ، بل أصلٌ بنفسها ، فكذلك (تعانق) يكون من هذا القبيل ، إلا أنَّ ذلك يكون ممّا يُحفظ ولا يُقاس عليه»[186] .

واكتفاءً بما سبق أشير إلى أنَّ كلاً من رواية الجر والرفع صحيحٌ ، فالجرُّ على تقدير : بين أوقات تعانقه ، وبذلك يكون شاهدًا على جواز إضافة الظرف (بين) لَمّا وصلَ بالألف إشباعًا إلى المصدر المفرد ، والرَّفع على أنَّه خبرٌ لمبتدأ محذوف . لكن الرَّفع أعرف على تقدير : تعنُّقُه حاصلٌ ، أو تعنُّقه وروغه حاصلان ، أو بينا تعنُّقُه الأبطال حاصلٌ معهودٌ ، ومعتمدٌ مألوفٌ أُتيح له يومًا رجلٌ جريءٌ ، وبذلك تكون الإضافة إلى الجملة[187] .

(جـ) فيما يتصل بإعراب الكلمات في سياق الجملة وإعراب الجمل وأشباهها :

عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًا فيما يتصل بإعراب الكلمات في سياق الجملتين ، الاسمية والفعلية ، وفي سياق أسلوب النداء وأسلوب الشرط ، وكذلك إعراب الجمل ، وأشباهها ، وذلك في عشرة مواضع ، سأذكر موضعًا منها ، مُحيلاً على بقية المواضع[188] . وهذا الموضع عرض فيه البطليوسي لغير الجائز

نحويًا فيما يتصل بمحل جملة من الجمل ، وكذلك فيما يتصل بإعراب كلمة من الكلمات في سياق الجملة الاسمية ، وذلك في تعليقه على قول النابغة الذبياني [١٨٩] :

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلانًا أُسَائِلُها عَيَّت جَوابًا ومَا بالرَّبْعِ منْ أحَدِ
إلاَّ أوارِيَّ لأيًا مَا أُبَيِّنُها والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمظْلُومَةِ الجَلَدِ

فقد بدأ تعليقه عليه بقوله : «وقوله : (أسائلها) في موضع نَصْب على الحال ، ولك في هذه الحال أنْ تجعلها حالاً من التاء في (وقفتُ) ، فتكونُ حالاً جارية على مَن هي له ، ولك أنْ تجعلها حالاً من الضمير الذي في (فيها) ، فتكون حالاً جارية على غير مَنْ هي له . وإنَّما جاز ذلك ؛ لأنَّ في (أسائلها) ضميرًا راجعًا إلى السائل ، وضميرًا راجعًا إلى المسئول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير مَنْ هي له ؛ لأنَّ الفعل يَسْتتر فيه ضمير الأجنبيّ ، وغير الأجنبيّ لقوته في الإضمار . ولو صيّرت الجملة حالاً محضة ، لقلت : إذا كانت الحال من التاء : (وقفتُ فيها أُصَيْلانًا مُسَائِلُها) ، وإذا كانت حالاً من ضمير الدار قلت : مُسَائِلُها أنا ، فأظهرت الضمير ، ولايجوز أنْ تكون الجملة في موضع الحال من الضميرين جميعًا على حدِّ قولك : لقيتُه راكبين ؛ لاختلاف العاملين ، ولِمَا في ذلك من التناقض» [١٩٠] .

وفي هذا النص يرى البطليوسي أن قول النابغة (أسائلها) جملةٌ في موضع النصب على الحال من التاء في (وقفت) ، فتكون حالاً جارية على مَن هي له ، ويجوز أنْ تكون حالاً من الضمير في (فيها) فتكون حالاً جارية على غير مَنْ هي له ، حيث إنَّ الضمير في (فيها) يعود على (دار ميّة) المذكورة في البيت السابق على هذا البيت ، وهو مطلع القصيدة ، الذي يقول فيه :

يَادَارَ مَيَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ يَادَارَ مَيَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ

وقد علّل ذلك بأنَّ في (أسائلها) ضميرين ، أحدهما يرجع إلى السائل ، والآخر يرجع إلى المسئول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير مَن هي له ؛ لأنَّ الفعل يستتر فيه ضمير الأجنبي وغير الأجنبي لقوته في الإضمار .

هذا ، وقد تعرض البطليوسي لمسألة إظهار الضمير أو عدم إظهاره عندما تكون الحال جاريةً على مَنْ هي له ، فأشار إلى أنَّه إذا كانت الحال من التاء قلنا : (وقفتُ فيها أُصيْلانًا مُسائلها) ، وإذا كانت حالاً من ضمير الدار ، جارية على غير مَنْ هي له قلنا : وقفت فيها أُصَيْلانًا مُسَائلها أنا ، بإظهار الضمير ، وهو رأي البصريين في هذه المسألة ، وهذا ما يُتَّبع أيضًا إذا كان كلٌّ من الخبر أو النعت جاريًا على غير ماهو له(١٩١) .

وبعد ذلك أشار - وهو مانحن بصدده - إلى أنَّه من غير الصحيح نحويًا أن تكون جملة (أسائلها) حالاً من الضميرين في آن واحد ، على حدِّ قولنا : لقيته راكبين ؛ وذلك لاختلاف العاملين ، ولمَ في ذلكَ من التناقض ، ففي حالة كونها جارية على مَنْ هي له يكون العامل فيها الفعل (وقف) ، وفي حالة كونها جارية على غير مَنْ هي له يكون العامل فيها ما بمعنى الفعل ، أو ما يُسْتنبط منه معنى الفعل ، وهو الجارُّ والمجرور (فيها)(١٩٢) .

وبعد هذا النص عرض لجانب آخر يتصل بغير الجائز نحويًا في إعراب كلمة (أواري) في البيت الثاني ، فقال : «وقوله : (إلاَّ أواريَّ) فيها وجهان : النصب على الاستثناء . والرفع على البدل من موضع (من أحد) ؛ لأنَّ (من) زائدةٌ ، و(أحد) مرفوعٌ في المعنى ، وإن كان مخفوضًا في اللفظ ، وليست ببدَل من موضع الجارِّ وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولكنها بدلٌ من موضعهما معًا . ويُروى عن الكسائي أنَّه أجاز خَفْض (الأواري) على البدل من لفظ (أحد) ، وهذا عند البصريين خطأٌ ؛ لأنَّه يصير التقدير : ومابالربع من أواريّ ، فتكون (من) زائدةً في الواجب ، و(من) لا تُزاد إلا في النفي ، ولو أنَّها (من) التي تدخل على الموجب والمنفي ، لجاز ذلك ، كقولك : ماأخذت من أحدٍ إلا زيدٍ درهمًا»(١٩٣) .

وفي هذا النص يشير البطليوسي إلى أنَّ كلمة (أواري) يجوز فيها وجهان ، أولهما النصب على الاستثناء المنقطع على لغة أهل الحجاز ، على اعتبارها من غير جنس الأحدين ، فيكون الكلام مُستأنفًا ، والتقدير : ولكن الأواري ، والخبر على

هـذا محذوفٌ . والوجه الآخر هو الرفع على البدل من موضع كلمة (أحد) على اعتبارها من جنس الأحدين ، اتساعًا ومجازًا في المستثنى منه ، وجَعْله مشتملاً على المستثنى ، والإتباع من كلام تميم في الاستثناء المنقطع ، وقد صرّح ابن يعيش بأنَّ الوجه النصب ، وعليه أكثر الناس[١٩٤] . وقد علّل كون (أواري) مرفوعة على البدل من موضع (من أحد) بأنَّ (من) زائدةٌ ، و(أحد) مرفوعٌ في المعنى ، وإن كان مخفوضًا في اللفظ ؛ لأنَّه مبتدأٌ مؤخّرٌ ، وقوله (بالربع) خبرٌ مقدّمٌ ، ثم أشار إلى أنَّها ليست بدلاً من موضع الجارِّ وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولكنها بدلٌ من موضعهما معًا ، منوِّهًا إلى أنَّه رُوي عن الكسائي أنَّه يجيز خَفْض (الأواري) على البدل من لفظ (أحد) ، وهذا غير جائز نحويًا عند البصريين ؛ لأنَّ ذلك يجعل التقدير : ومابالربع من أواري ، والمراد : مابالربع أحدٌ إلا أواريّ ، على اعتبارها من جنس الأحدين اتساعًا . وهنا يحضرني قول الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد :«وليس عجيبًا أنْ تجعل المستثنى من هذا النوع داخلاً في جنس المستثنى منه ، فقد جرت عادة العرب في كلامهم أنْ يجعلوا الشيء من جنسٍ غير جنسه توسُّعًا ، انظر إلى قول أبي ذؤيب الهذليّ :

فــإن تُمسِ في قـبـر برهوة ثاويا ... أنيسُكَ أصـداءُ القـبُـورِ تَصِـيحُ

فقد جعل أصداء القبور أنيسًا ، وليست في الأصل من جنس الأنيس . . .»[١٩٥] .

وقد أردف البطليوسي تعليله بعدم جواز خفض (أواري) على البدل من لفظ (أحد) أيضًا بأنَّ (من) ستصير زائدةً في الواجب ، ومن لا تزاد إلا في النفي ، وهو رأي البصريين[١٩٦] ، بخلاف مايراه الكوفيون ، حيث يرون أنّها تُزاد في النفي والإيجاب ، والنكرة والمعرفة[١٩٧] .

وبناءً على ما سبق ، فإنّه من الصحيح نحويًا أن تكون (أواريُّ) بالرفع على البدل من موضع قوله (من أحد) الواقع فاعلاً للظرف (بالربع)[١٩٨] ، وهو ماقال به الأعلم الشنتمري أيضًا[١٩٩] ، وأنَّه من غير الصحيح نحويًا أنْ تكون مرفوعة على

البدل من موضع (من) وحدها ، أو من موضع (أحد) وحدها ، والمعنى يؤيد ذلك ؛ ومن ثم فإن في إشارة البطليوسي هذه مايسهم في ثراء المعنى النَّصِّيّ ، وتحليله على الصورة التي أرادها النابغة .

ولعلّه من المفيد هنا الإشارة إلى أنَّ تعليل البطليوسي لرأيه في هذا الموضع وغيره من المواضع على مدار البحث أمرٌ ليس بدعًا ، بل متجذِّرٌ في الفكر الإنساني ، متأصِّلٌ فيه ، وذلك منذ أقدم أثر لغويٍّ وصل إلينا ، وأعني بذلك الكتاب لسيبويه ، فكلَّما أردنا أن نتعمق في فهم قضيَّة ما أو ظاهرة ما ، نجد أنفسنا نبحث عن أصل ما أو عن علَّة معينة تعضِّد رأينا . وهنا أضيف أنَّه ينبغي أنْ يكون حال المعلِّل كما أخبرنا الزَّجّاجيّ نقلاً عن الخليل الاعتلال بما عنده أنَّه علَّةٌ ، فإنْ كان قد أصاب العلَّة ، فهذا الذي التمسه ، فإن سنح لغيره علَّةٌ لما علَّله من النحو هو ٱلْيَق مما ذكره بالمعلول فليأت بها ؛ ومن ثَمَّ عدم غَلْق الباب أمام مَن أراد أن يعلِّل ، وهذا كلامٌ مستقيمٌ ، وإنصافٌ من الخليل - رحمة الله عليه - كما قال الزَّجّاجي(٢٠٠) .

الخاتمـة :

لَمَّا كان لكلِّ عملٍ خاتمةٌ - على الرَّغْم من إيماني بأنَّ البحث بكلِّ مباحثه عبارة عن نتائج ، توصلَ إليها الباحث ، فجاء مُنْجَزًا في ثوبه هذا - فإنِّي فيما يلي ساردٌ لأهمِّ هذه النتائج -على الرَّغْم من طُولها ؛ لأنَّها مرتبطةٌ بأبيات معيّنة - في النقاط التالية :

- لوحظ استخدامُ البطليوسي التعليل في جُلِّ مواضع تنبيهاته على غير الجائز صرفيًا ونحويًا ، غير تارك الأمر مُرسلاً - بغض النظر عن إصابته في التعليل من عدم إصابته - وهو الأمر الذيّ كان له أثرٌ كبير في التناول ؛ ومن ثمَّ الوصف والتحليل من جانب الباحث ، وذلك من منطلق إيمان البطليوسي بأنَّ التعليل يمثِّل ركنًا أساسيًا من مناهج البحث في العلوم .

- لَمَّا كانت كلمة (عاد) على مثال (فاعل) معتل العين صفةً ، فإنَّ جمعها (عداةٌ) على مثال (فُعَلَة) ، ولا يجوز صرفيًا أن تكون (العداة) جمعًا لكلمة (عدُوٍّ)

- وهو ما نبّه عليه البطليوسي - حيث إنَّ (فاعلاً) الصفة يُجمع على (فُعَّل) و (فُعَّال) غالبًا ، كما يُجمع جاهل على جُهَّل وجُهَّال ، ويُجمع على (فَعَلَة) كثيرًا (كَفَسَقَة) ، في جمع فاسق ، وعلى (فُعَلَة) في المعتل العين ، نحو قُضَاة ، في جمع قاض ، وعداة في جمع عاد . وقد علّل البطليوسي ذلك - أي عدم جواز كون (العداة) جمعًا لكلمة (عَدُوٍّ) في بيت الخِرْنق بنت هَفَّان القيسيّة -بأنَّ (فعولاً) لا يُجْمع ، أي لا يُكسَّر على (فُعَلَة) ، وذلك مَرجعه في الدرس الصرفي إلى أنَّ الصفة في الثلاثي الذي ثالثه مدة زائدة ، وكانت هذه المدة واوًا ، نحو : فَعُول ، فإنّه يُكَسَّر على (فُعُل) بضم الفاء والعين - غالبًا - وليس على (فُعَلَة) ، نحوُ صبور وصُبُر ، وقد يُجْمع على فُعَلاء ، نحوُ وَدُود ، وَوُدَدَاء ، وعلى أفعال ، نحوُ عَدُوٍّ وأعداء .

- على الرَّغْم من أنَّ الإيجاز يعدُّ سمةً مهمةً ، يتمتع بها الضمير في اللغة ، وذلك من منطلق أنّه يحل محل الظاهر الراجع إليه ، فإنَّه في بعض الأحيان قد يوقع القول برجوعه إلى مرجع ما في حقل غير الجائز نحويًا ، وذلك نتيجة عدم تحديد المرجع بدقة ، وهو الأمر الذي قد يتنافى مع ما قعّده النُّحاة بناء على ما كان بين أيديهم من موروث لُغويّ ، مضافًا إلى ذلك منافاته للمعنى النَّصِّيّ ؛ ومن ثَمَّ يتخلخل المعنى ، وذلك نحو الخطأ الذي خطَّأ فيه البطليوسي ابن سيدَه بخصوص جواز عَوْد الهاء من (ثويته) على (ثواء) وعلى (حَوْل) في قول الأعشى :

لَقَد كَان في حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُهُ ... تَقَضّي لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

وهذا مرجعه أنّه إذا عادت الهاء على كلمة (ثواء) بقي الموصوف بدون عائد من جملة الصفة (ثويته) ، وإذا عادت على (ثواء) بقي المبدل منه (الحَوْل) بدونَ عائد عليه من المبدل (الثواء) ؛ومن ثَمَّ كان لابدَّ من تقدير ضمير آخر ، تقديره ثواء ثويتهُ فيه ، وهو الأمر الذي يؤيّده المعنى والصحة النحوية .

- لمّا كانت الزيادة مقصودًا بها الزيادة من الناحية النحوية دون الدلالية ، وذلك من منطلق أنَّ زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى ، وأنَّ (كان) تُزاد حشوًا أو

آخرًا ، فقد رأى البطليوسي - وهو ما وافقته عليه - أنَّ (كان) زائدة مع اتصال الضمير بها في قول الفرزدق :

فَكَيْفَ إِذَا مَــررْتُ بِدارِ قَــومٍ وَجِيــرانٍ لنا - كَانُوا - كِرامِ؟

وأنَّه من غير الجائز نحويًا القول بعدم زيادتها ؛ لأنَّ (ظنَّ) تُلْغى عن العمل متأخرة مع اتصال الضمير بها أيضًا ، والفاعل في (كانوا) كالجزء منها بمنزلة الفاعل من الفعل ، أو أنَّ الأصل : لنا هُمْ ، ثم وُصلَ الضمير بـ (كان) الزائدة إصلاحًا للفظ ؛ لئلا يقع الضمير المرفوع المنفصل إلى جانب الفعل ، أو أنَّ الضمير توكيدُ للمستتر في (لنا) على أن (لنا) صفة لجيران ، ثم وُصل لما ذُكر ؛ ومن ثَمَّ كانت زيادتها لتأكيد ما فُهم من المُضيِّ قبل دخولها وتقويته ، حيث إنَّ الدلالة على الماضي مفهومةٌ قبل دخولها ، أضف إلى ذلك أنَّ زيادتها في هذا المكان دون كونها زائدةً متأخرةً قد أسهم في توافُق النظام النحوي مع النَّسْج الشعريّ .

- تبين من خلال البحث أنَّ من غير الجائز نحويًا الفصل بين المصدر ومنصوبه بأجنبيٍّ ، أضف إلى ذلك كَوْن المعنى مانعًا من هذا الفصل ، وقد بدا هذا الربط بين غير الجائز نحويًا والمعنى في تعليق البطليوسي على قول الشَّمَّاخ بن ضرار :

وَهُنَّ وُقُــوفٌ يَنْتَظِرْنَ قَــضَــاءَهُ بِضَاحِي عَذَاةٍ أَمْرَهُ وَهْوَ ضَامِزُ

فقد رأى أنَّ قوله (بضاحي) متعلّقٌ بالمصدر (قضاء) لا بالوقوف ، حتى لا يُفْصل بين المصدر (قضاء) ومنصوبه (أَمْرَهُ) بالأجنبيّ (بضاحي) ، بناء على القول بأنَّه متعلّقٌ بالوقوف ، أضف إلى ذلك أنَّ المعنى النَّصِّيّ للبيت في سياق النَّص يؤيِّده ما سبق على نحو ما ورد في ثنايا البحث .

- لَمَّا كان من المشهور عند النحاة أنَّ الحرف (كأنَّ) معناه التشبيه ، فقد أثبت البحث صحة ما ذهب إليه البطليوسي أنَّه من غير الجائز نحويًا جَعْلُها للتشبيه حيث وقعت ، فهي للتشبيه إذا كان خبرها اسمًا يمكن التشبيه به ، سواءٌ أكان الخبر أرفع من اسمها أم أحط منه ، وقد يدخلها الظنُّ والحسبان ، وذلك إذا كان خبرها فعلاً أو ظرفًا

أو جارًا ومجرورًا أو صفةً من صفات أسمائها ، وقد تكون للتحقيق أو للتقريب أو للتنبيه أو للإنكار والتعجب ، وفيما سبق وافق كلٌّ من الكوفيين والزَّجّاجي وابن الطراوة البطليوسي وغيرهم من المتأخرين ؛ ومن ثَمَّ فلا داعي للتعصب لوجهة النظر البصرية القائلة بأنَّ (كأنَّ) لا يفارقها التشبيه ، بناء على الاحتكام إلى الواقع اللغوي .

- لمَّا كانت مسألة تقديم التمييز على عامله - فعلاً متصرِّفًا كان العامل أو معنى - مسألةٌ خلافية بين النحاة ، فقد أدلى البطليوسي بدلوه فيها على نحو ما سبق في تعليقه على قول المخبَّل السعدي :

أَتَهْجُرُ لَيْلَى لِلْفِرَاقِ حَبِيبَهَا ... وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

ورأى أنَّ هذا التقديم غير جائز نحويًا ، آخذًا مسلك الكسائي والجرمي والمازني والمبرِّد وابن الشجري وبعض الكوفيين ومَنْ قال بقولهم ، نحو ابن مالك وأبي حيّان ، فهم يجيزون التقديم ، وقد أخذت بوجهة نظر المجيزين مخالفًا البطليوسي ؛ لأنَّ ما ورد في الشعر على نحو ما ورد في بيت المخبَّل ليس بضرورة على خلاف ما يراه البطليوسي ، وإنَّما هو من لغة الشعر ، أضف إلى ذلك أنَّ حجته ورودُ البيت برواية مختلفة ، وهي «وما كان نفسي بالفراق تطيب» ؛ ومن ثَمَّ فإنَّ تفضيلها أمرٌ دعت إليه الخصومة المذهبية من جانب ، والمعيارية وتحكيم القياس من جانب آخر ، فربما تكون الرواية الأخرى لبيت المخبَّل قد غُيِّرت لدحض وجهة نظر مَن أجازوا تقديم التمييز ، وهو الأمر الذي ينبغي معه قبول الروايتينِ للبيت ، ولاسيما أنَّ ثمَّة شواهد أخرى تؤيِّد التقديم في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح ، قياسًا على سائر الفضلات المنصوبة بفعلٍ متصرِّف .

- تبين من خلال البحث أنَّ تقديم الصلة على الموصول غير جائزٍ نحويًا ، وهذا ما بدا في تعليق البطليوسي على قول كُثَيِّر عزة :

أَلَمْ تَسْمَعِي أَيْ عَبْدَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ

فقد رأى أنَّ الجار والمجرور «في رونق الضحى» متعلّقٌ بالفعل «تسمعي» وأنَّه من غير الجائز نحويًا أنْ يتعلّق بكلمة «بكاء» ؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى تقديم الصلة على الموصول ، ولاسيما أنَّ المعنى يؤيِّد ذلك ، فبيت كُثير على أنَّ رونق الضحى ظرفٌ للسماع ، وليس للبكاء ذاته .

- تنبه البطليوسي إلى خطأ أبي علي الفارسيّ في قوله بأنَّ الفعل (سمع) يتعدى إلى مفعولين اثنين إنْ كان ممَّا لا يُسْمَع ، كقولنا : سمعت زيدًا يقول كذا ، وكان تنبيه البطليوسي على هذا في تعليقه على قول ذي الرُّمَّة :

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا   فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالاَ

وقد علّل تخطيئه هذا ببطلان كَوْن (سمع) من باب ظننت أو من باب أعطيت ؛ ومن ثَمَّ فهو يتعدى إلى مفعول واحد ، وأنَّ جملة (يقول) في موضع الحال ، لا في موضع المفعول الثاني ؛ ولذلكً فلا ينصب هذا الفعل مفعولين ، وقد أيّدت رأي البطليوسي وغيره ممن يرون هذا الرأي ، وأنَّ جملة (الناس ينتجعون) في بيت ذي الرُّمَّة مبتدأٌ وخبرٌ على حكاية الجملة ، ولاسيما أنَّ نَصْب الناس على المفعولية يجعل الانتجاع مما يُسمع ، وما هو بذلك . وبناءً على ما سبق يمكن القول إنَّ الجملة بعد المفعول في جملة الفعل (سمع) حالٌ ، نحو سمعت محمدًا يقول ، وبعد النكرة صفة ، نحو قوله تعالى : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ ، وهو الأمر الذي ينعكس على المعنى ، فالمعنى مع كون الجملة حالاً يختلف عن معنى كونها صفة .

- لمَّا كان المصدر يعمل عمل فعْله المأخوذ منه ، سواءٌ أكان فعله لازمًا أم متعديًا بنفسه إلى مفعول أو أكثر أم متعديًا بحرف جرٍّ ، وذلك سواءٌ أكان منونًا - وهو الأقيس والأكثر إعمالاً من المعرف بأل - أم مضافًا إلى الفاعل أو المفعول - وهو الأكثر إعمالاً من المنون - أم معرَّفًا بأل ، وهو أضعفها ؛ ولذلك فإنَّ من النحويين مَن لا يجيز إعمال المعرَّف بالألف واللام ، أقول لمَّا كان ذلك كذلك كانت إشارة البطليوسي إلى عدم الجواز عند هؤلاء ، ورأى أنَّ هذا المصدر يعمل عمل الفعل ، منضمًا بذلك إلى الخليل وسيبويه والمبرِّد وكثير من المتأخرين ، وكان ذلك في تعليقه على قول المرّار الأسدي :

لَقَــدْ عَلِمَتْ أُولَى المُغِــيــرَةِ أَنَّنِي   لَحِقْتُ فَلَمْ أَنْكُلْ عَنْ الضَّرْبِ مِسْمَعَا

ودلّل على أنَّ (مسمعًا) منصوبٌ بالضرب بوجود رواية أخرى للبيت ، وهى (كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا) ، والتي تؤيِّد نصبَ (مسمع) بالضرب لا بالفعل (لحقْتُ) ؛لأنَّه لو عدّى إليه (كررتُ) لقال : على مسمع ، وبناء على ما سبق انتهيت إلىَ تأييدي جواز إعمال المصدر المعرَّف بالألف واللام عَمَل فعله فيما بعده على ضَعْفه ؛ لأنَّ الألف واللام بمنزلة التنوين ، فعمل وفيه اللف واللام كعمله وفيه التنوين ، ويؤيِّد ذلك المعنى في بيت المرّار الأسدي .

- لمَّا كانت مسألة النصب على نَزْع الخافض من القضايا المُختلف فيها بين البصريين والكوفيين - حيث إنَّ البصريين يرون أنَّ العامل بعد حذف حرف الجرِّ هو الفعل ، والكوفيون يرون أنَّ المجرور منصوبٌ لسقوط الخافض دون أنْ يعمل فيه عاملٌ آخر غير حرف الجر - فقد عرض البطليوسي لتخطئة البصريين للكوفيين ، مؤيِّدًا رأي البصريين ، معلّلاً لاستحالة وجهة نظر الكوفيين بأنَّ بعض المجرورات ترتفع إذا سقط الجارُّ ، نحو قولنا : ما جاءني من أحد ، والذي يتحوّل إلى ما جاءني أحدٌ ، وأضاف أنَّ سقوط حرف الجرِّ لو كان موجبًا للنصب لوجب في كلٍّ ما سقط منه حرف الجرِّ أنْ ينتصب ، وكان هذا في تعليقه على قول النابغة :

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلاَنًا أُسَائِلُهَا   عَيَّت جَوابًا ومَا بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

فقد نصَّ على أنَّ (جوابًا) منصوبٌ على أنَّه تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل ، ويجوز أن يكون منصوبًا على نزع الخافض ، والتقدير : عيّت بجواب أو أعيت بجواب ؛ ومن ثَمَّ فالفعل هو الناصب دون حرف الجرِّ - في رأي الباحث أيضًا - وهو الأمر الذي يمكن معه القول بأنَّ هذا هو الصحيح نحويًا .

- تبين أنَّ ألف (فعْلاء) المكسورة الفاء لا تكون عند البصريين إلاَّ للإلحاق ، نحو (زيزاء) ، فإلحاقها بنحو حملاق وسرداح كالعلباء ، وكذلك ألف (فُعْلاَء) المضمومة الفاء ، نحو (قُوبَاء) ، وإنَّما تكون الهمزة للتأنيث عندهم في (فَعْلاء)

المفتوحة الفاء ، نحو حمراءَ وصفراءَ . وبناء على هذا أشار البطليوسي إلى أنَّ (زيزاء) ليست ممنوعة من الصرف ، وأنَّ مَنْعها لا يجيزه البصريون ، ويجيزه الكَوفيون ، محتجين بقوله تعالى : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ في قراءة مَن كسر السين ، وهو ما دحضه البصريون ، وأشار إليه البطليوسي ، حيث إنَّ (سيناء) ليست ممنوعة من أجل أنَّها للتأنيث ، وإنَّما من أجل كَونها اسمًا للمكان المسمّى بذلك ، ويؤيِّد ما سبق صَرْفُ (زَيزَاء) في بيت مزاحم بن الحارث العقيلي في ثنايا البحث ؛ ومن ثَمَّ علاقة ذلك بالمعنى . وبناء على ذلك أيضًا فإنَّ (قُوْباء) لا تُمْنع الصرف مع سكون الواو ، وكَون الألف للتأنيث في الوقت نفسه ، وهو ما يعدُّه البصريون غير جائز نحويًا بخلاف الكوفيين .

- تبين أنَّ المضارع المعتل الآخر قد يجري مُجرى الصحيح ، فيبقى حرف العلة دون حذف ، ففي سياق تعليق البطليوسي على قول قيس بن زهير العبسي :

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنباءُ تَنْمِي ... بِمَا لاقَت لبُونُ بني زِيَاد

أشار إلى أنَّ قول أبي القاسم الزَّجّاجيّ - بأنَّ ذلك لغةٌ - خطأٌ ، وبالبحث تبين أنَّ هذا ليس بخطأ ، وإنَّما هو لغةٌ لبعض العرب ، وأنَّه ليس بضرورة أيضًا .

- رأى البطليوسي أنَّ الفعل (تعانق) لا يتعدى إلى مفعولين ، إنَّما المتعدى (اعتنق) ، وذلك صدد تعليقه على قول أبي ذؤيب الهذلي :

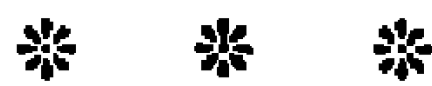
بَيْنَا تَعَنُّقُهُ الكُمَاةَ وَرَوْغِهِ ... يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيءٌ سَلْفَعُ

وذلك على الرَّغْم من أنَّه ليس هو الهدف الأساسي من تنبيهه على الخطأ ، فهدفه النَّص على أنَّ البيت ورد في بعض نسخ الجمل بـ (تَعَانُقه) مجرورًا ، وأنَّ الصواب (تَعَنُّقُه) بالرفع ، وقد توصلت إلى أنَّ كلاً من رواية الجرِّ والرفع صحيحٌ ، فالجر على تقدير : بين أوقات تعانقه ، وبذلك يكون شاهدًا على جواز إضافة الظرف (بين) لَمّا وصلَ بالألف إشباعًا إلى المصدر المفرد ، والرفع على أنَّه خبرٌ لمبتدأ محذوف . لكن الرفع أعْرَف على تقدير : تعنُّقُه حاصلٌ ، أو تعنُّقه وروغه

حاصلان ، أو بينا تعنُّقُه الأبطال حاصلٌ معهودٌ ، ومعتمدٌ مألوفٌ أُتيح له يومًا رجلٌ جريءٌ ، وبذلك تكون الإضافة إلى الجملة .

- عرض البطليوسي لغير الجائز نحويًّا فيما يتصل بإعراب بعض الكلمات في سياق الجملتين الاسمية والفعلية ، وفي سياق أسلوب النداء ، وكذلك إعراب الجمل وأشباهها ، وذلك في عشرة مواضع ، ربط فيها بين غير الجائز والمعنى - على نحو ما مثَّلت في ثنايا البحث بموضعين اثنين مجتزءًا بهما عن بقية المواضع ، مع ملاحظة أنَّني استقريت بقية المواضع - وهو الأمر الذي يسهم في ثراء ووضوح المعنى النَّصِّيّ ، وتحليله على الصورة التي أرادها المبدع .

وبعدُ ، فهذه محاولةٌ أخذت منِّي وقتًا وجهدًا ، فما كان فيها من توفيق فمن الله وحده ، وما كان فيها غير ذلك فمن نفسي ، وحسبي أنِّي اجتهدت ، واللّه من وراء القصد .



المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية :

١- القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

- ارتشاف الضرب ، لأبي حيّان الأندلسيّ «ت ٧٤٥ هـ » ، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد ، ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٨ .
- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د .ت .
- الأسلوب والأسلوبية «مدخل نظري ودراسة تطبيقية» ، للدكتور فتح الله سليمان ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، وضع حواشيه غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .
- إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجّاجي ، لأبي محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي ، تحقيق الدكتور حمزة النشرتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م .
- إصلاح المنطق ، لابن السكّيت ، شرح وتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٦م .
- أصول التفكير النحوي ، للدكتور علي أبو المكارم ، منشورات الجامعة الليبية ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٧٣ .
- الأصول في النحو ، لابن السراج ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٨ .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة ساسي ، وكذلك الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د . ت .
- إعراب الجمل وأشباه الجمل ، للدكتور فخر الدين قباوة ، دار الأوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٦ .
- الإعراب ظاهرة جمالية ، للدكتور عبد الحميد إبراهيم ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء السابع والخمسون ، نوفمبر ١٩٨٥م .
- الإعراب في شرح القصائد السبع الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري لله دراسة وصفية لله ، للدكتور علي محمد المدني ، مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد السابع ، الآداب (أ) ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م .
- الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، للفارقي لله ت ٤٨٧ هـ لله ، تحقيق سعيد الأفغاني ، جامعة بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

- ألكني إليها السلام ، وألكني إليها بالسلام ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثاني والثلاثين ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، للأنباري «ت ٥٥٧ هـ» ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦١ .
- أمالي ابن الشجري ، لأبي السعادات بن حمزة الحسني العلوي «ت ٥٤٢ هـ» ، تحقيق ودراسة الدكتور محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د .ت
- إنباه الرواة على أنباء النحاة ، لأبي الحسن على بن يوسف ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م .
- الإيضاح العضدي ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٨ .
- الإيضاح في علل النحو ، لأبي القاسم الزَّجّاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- البارع في اللغة ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفي٣٥٦ هـ ، تحقيق هاشم الطعّان ، مكتبة النهضة ببغداد ، ودار الحضارة العربية ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ م .
- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د .ت .
- البعد التداولي عند سيبويه ، مقبول إدريس ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، المجلد ٣٣ ، الكويت ، يوليو - سبتمبر ٢٠٠٤ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- بناء الجملة العربية ، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ .
- البناء الصرفي للأسماء والأفعال في العربية « دراسة وصفية تاريخية» ، للدكتور عبد الرحمن أيوب ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد السابع ، المجلد الثاني ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ .
- البيان في روائع القرآن ، للدكتور تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، لمصطفى صادق الرافعي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٠ م .
- تحصيل عين الذهب من معدن الأدب وجوهر كلام العرب ، للأعلم الشنتمري ، بأسفل كتاب سيبويه ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣١٦ هـ .
- التراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه ، للدكتور محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ .
- التصريح بمضمون التوضيح على ألفية ابن مالك في النحو لابن هشام ، للشيخ خالد الأزهري ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧ .

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، د .ت .
- الجملة الاعتراضية في التركيب النحوي لله مواضعها وأحكامها لله ، للدكتور مدحت محمد السيد زيادة ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر ، العدد الخامس عشر ، ١٩٩٧ .
- الجملة في الشعر العربي ، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٠ .
- الجمل في النحو ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، انتشارات الاستقلال ، طهران ، إيران ، ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- الجمل في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجّاجي ، المتوفى ٣٤٠ هـ ، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- جمهرة اللغة ، لابن دريد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د .ت .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، وآخر ، ١٩٨٣ .
- حاشية يس على التصريح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د .ت .
- حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم ، للدكتور عبد الرحمن تاج ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الثلاثون ، نوفمبر ، ١٩٧٢ .
- حروف المعاني ، للزجاجي ، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- خزانة الأدب ، للبغدادي ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٤ .
- الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ، للدكتور محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١م .
- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ .
- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٨ .
- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- ديوان الخرنق بنت هفّان ، تحقيق الدكتور حسين نصّار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ديوان ذي الرُّمَّة ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .
- ديوان الشمّاخ بن ضرار ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د .ت .
- ديوان كثير بن عبد الرحمن لله كثير عزةلله ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦١ .
- ديوان مزاحم بن الحارث العقيلي ، تحقيق كرنكو ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٩٢٠ .

- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ديوان الهذليين ، تحقيق عبد الستار فرّاج ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٥٠ .
- رصف المباني ، للمالقي ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دمشق ، ١٩٧٥ .
- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، قدّم له الدكتور فتحي حجازي ، وحققه أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د . ت .
- شرح أبيات الجمل ، لأبي محمد عبد الله بن السِّيد البطلَيوسي لله ت ٥٢١هـ لله ، دراسة وتحقيق عبد الله الناصير ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
- شرح أبيات سيبويه ، للسيرافي ، تحقيق الدكتور محمد الرَّيح هاشم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، د . ت .
- شرح التسهيل ، لابن مالك لله ت ٦٧٢ هـلله ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ .
- شرح جمل الزجّاجي ، لابن عصفور ، قدّم له فوّاز السعّار ، إشراف الدكتور إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هت - ١٩٩٨م .
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ، تأليف أبي علي أحمد بن الحسن المرزوقي لله ت ٤٢١ هـلله ، علّق عليه وكتب حواشيه غريد الشيخ ، ووضع فهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- شرح الرضيّ على الكافية ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ١٩٩٦ .
- شرح شافية ابن الحاجب ، لأبي الفضائل الاستراباذي لله ت ٧١٥ هـلله ، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل ، للسلسيلي ، تحقيق الدكتور الشريف عبد الله الحسيني ، مكة ، السعودية ، ١٩٨٦ .
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، لابن مالك ، تحقيق الدكتور عدنان الدوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- شرح كتاب سيبويه ، للسيرافي ، الجزء الثاني ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ ، والجزء الثالث تحقيق الدكتور فهمي أبو الفضل ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م ، والجزء الرابع تحقيق الدكتور محمد هاشم عبد الدايم ، دار الكتب المصرية ، ١٩٩٨م ، والجزء الخامس تحقيق الدكتور محمد عوني عبد الرءوف ، دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٣م ، والجزء السادس تحقيق الدكتور محمد عوني عبد الرءوف ، دار الكتب المصرية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

- شرح كعب بن زهير بن أبي سلمى «بانت سعاد» ، لابن هشام ، نشرة الدكتور محمود أبو ناجي ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق - بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤ .
- شرح المفصل ، لابن يعيش ، تحقيق وضبط أحمد السيد سيد أحمد ، وإسماعيل عبد الجواد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د .ت .
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د .ت .
- الصِّحاح « تاج اللغة وصحاح العربية » ، للجوهريّ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ضرائر الشعر ، لابن عصفور ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ، د .ت .
- ظاهرة الزيادة في الدراسات النحوية ، للدكتور فتحي ثابت علم الدين ، رسالة ماجستير غير منشور ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ .
- الظرف «خصائصه ، وتوظيفه النحوي» ، للدكتور المتولي على الأشرم ، مكتبة جزيرة الورد ، المنصورة ، مصر ، د .ت .
- العربية والوظائف النحوية «دراسة في اتساع النظام والأساليب» ، للدكتور ممدوح الرمالي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٩٩٦ .
- العقد الفريد ، لابن عبد ربّه ، تقديم خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٩٩م .
- العلامة الإعرابية بين القديم والحديث ، للدكتور محمد حماسه عبد اللطيف ، نَشْر جامعة الكويت ، ١٩٨٣ .
- العلامة في النحو العربي ، للدكتور محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ .
- علم اللغة النَّصيّ بين النظرية والتطبيق ، للدكتور صبحي الفقي ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، قدّم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهواري ، والأستاذة هدى عودة ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ .
- فلسفة الضمير ، لعلي النجدي ناصف ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العشرون ، القاهرة ، ١٩٦٦
- في التركيب اللغوي لله تراكيب بين القبول والرفض لله ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الحادي والسبعون ، نوفمبر ١٩٩٢م .
- في أدلة النحو ، للدكتورة عفاف حسانين ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ .
- القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، للدكتور فايز صبحي تركي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣ .
- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ، للدكتور محمود سليمان ياقوت ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- القول في الباء التي تُزاد في فصيح الكلام ، للدكتور عبد الرحمن تاج ، مجلة مجمع اللغة العربية ،

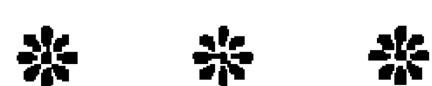
القاهرة ، الجزء الحادي والثلاثين ، ١٩٧٣ .
- الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، عارض أصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- كتاب الحماسة البصرية ، للعلاّمة صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصريّ « المتوفى ٦٥٦ هـ » ، تحقيق وشرح ودراسة الدكتور عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- كتاب النقائض «نقائض جرير والفرزدق» لأبي عُبيدة مُعمّر بن المثنى التيمي البصري «المتوفى سنة ٢٠٩ هـ» ، باعتناء المستشرق الإنكليزي بيفان ، طُبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٩٠٧ م ، نشر دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د .ت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشري ، رتبه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .
- كَشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .
- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق الأستاذ عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، د .ت .
- لغة الشاعر ، للأستاذ عزيز أباظة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الخامس والعشرون ، نوفمبر ، ١٩٦٩م .
- لغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية» ، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- اللامات ، للزجاجي ت ٣٣٧ هـ ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٥ .
- اللغة العربية والحداثة ، للدكتور تمام حسان ن مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- اللغة وبناء الشعر ، للدكتور محمد حماسة ، المكتب الفني للتجهيزات والطباعة ، ط١ ، ١٩٩٢ .
- اللهجات العربية في التراث ، القسم الثاني لله النظام النحوي لله ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ .
- ما النافية ودراستها في القرآن الكريم ، للدكتور علي حسن علوان ، مجلة كلية اللغة العربية ، المنوفية ، العدد التاسع ، ١٩٨٩ .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، لابن جني ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م .
- مرجع الضمير في القرآن الكريم لله مواضعه وأحكامه وأثره في المعنى والأسلوب ، للدكتور محمد حسنين صبره ، دار الهاني ، سبرا الخيمة ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- مرجع الضمير وأثره في اختلاف القراءات القرآنية ، للدكتور خال محيي الدين ، مجلة كلية اللغة

العربية بالأزهر ، بإيتاى البارود ، ٢٠٠٠ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، شرح وتحقيق محمد جاد المولى وآخرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر ، للدكتور محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- معاني الحروف ، للرماني ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د .ت .
- معاني القرآن ، للفرّاء ، الجزء الأول تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار والثاني تحقيق محمد علي النجار ، دار السرور ، بيروت ، لبنان ، د .ت .
- معاني القرآن للكسائي ، أعاد بناءه وقدم له الدكتور شحاتة عيسى ، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨ .
- معجم الشعراء ، للمرزباني « المتوفى سنة ٣٨٤ هـ» ، صحّحه وعلّق عليه الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- مغني اللبيب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الشام للتراث ، بيروت ، لبنان ، د .ت .
- المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، د .ت .
- الممتع في التصريف ، لابن عصفور ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٩ م .
- من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٨ م .
- من أشكال الربط في القرآن الكريم لله تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النص لله ، ضمن كتاب دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، للدكتور سعيد حسن بحيرى ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، د .ت .
- المنصف ، لابن جني ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن ط١ ، ١٩٩٩ .
- نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل ، لمحمد بن محمد بن أبي بكر المرابط الدلائي ، مع دراسة شخصية مؤلفه ، تحقيق الدكتور مصطفى الصادق العربي ، نَشْر الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع ، بنغازي ، ليبيا ، د .ت .
- نحو أجرومية للنص الشعري ، للدكتور سعد مصلوح ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، ١٩٩١ .
- النحو العربي والدرس الحديث ، للدكتور عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- النحو والدلالة «مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي» ، للدكتور محمد حماسة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣ .

- نسيج النص «بحثٌ فيما يكون الملفوظ به نصًا» ، للأزهر الزنّاد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٩٣ .
- النص والخطاب والإجراء ، لروبرت دي بوجراند ، ترجمة الدكتور تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ .
- نظرية اللغة في النقد العربي ، للدكتور عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- همع الهوامع ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د .ت .
- وفيات الأعيان ، لأبي العباس بن خلكان ، حقق أصوله وكتب هوامشه الدكتور يوسف علي الطويل والدكتورة مريم قاسم طويل ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .

ثانيًا- المراجع الأجنبية :

BACH,Emmon.
- An introdction to transformational Grammar ,U.S.A , 1964 .
R.H.Robbins .
-General linguistics , An introductory surrey, first edition, 1964 .



الهوامش

(١) تجدر الإشارة إلى أنَّ البطليوسي قد وضع كتابًا آخر على كتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجّاجي ، المتوفى سنة ٣٤٤هـ ، وهو « إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل ، وقد بلغت شروح» جمل الزَّجّاجي وأبياته تسعةً وخمسين شرحًا ، وقد ذُكرَ كتاب شَرْح أبيات الجمل للبطليوسي في مؤلّفات القدماء تحت اسم آخر أيضًا بجانب هذا الاسم ، وهو«الحُلل في شرح أبيات الجمل» ، فهما اسمان لكتاب واحد . يُنْظَر : وفيات الأعيان ٣/ ٧٩ - ٨١ ، وكَشْف الظنون ١/ ٤٧٣ - ٣٧٤ ، ومقدمة الجملَ في النحو للزجاجي ص ٢٥ - ٣٣ للمحقق ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ، ص ٢٨ - ٣٠ حيث مقدمة المحقّق أيضًا .

(٢) يُنْظَر :وفيات الأعيان ٢/ ٧٩ - ٨١ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٤٣ ، وبغية الوعاة ٢/ ٥٥ --٥٦ ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٤ - ٣٩ ، حيث عَرَضَ المحقق لاسمه ومولده ونشأته ووفاته وشيوخه - ومنهم ابن سيده صاحب المخصص - وتلاميذه ومؤلّفاته اللغوية - ومنها الاقتضاب في شرح أدب الكتاب وإصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل وكتاب المسائل والأجوبة - والأدبية والدينية والفلسفية ، وكذلك عَرْضُه لكتابه موضع هذا البحث وموضع التحقيق ، وهوالأمر الذي أغنى عن إعادة الحديث هنا .

(٣) يُنْظَر :شرح شافية ابن الحاجب لأبي الفضائل ١/ ٤٥٨-٤٦٣ ، وهمع الهوامع ٣٦١-٣٦٢ .

(٤) هذان البيتان من شعر رثت به زوجها بشر بْن عمرو بن مَرْثَد ، ومَن قُتل معه من بنيه وقومه . يُنْظر : ديوان الخِرنق بنت بدر بن هفان ص ٢٩ ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٦ ، وكذلك هامش ١ للمحقِّق ، والبيتان بالكتاب ١/ ١٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٨ ، والمحتسب ٢/ ٢٤٢ ، والأمالي لأبي علي القالي ٢/ ١٥٨ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٠٢ ، والإنصاف ٢/ ٤٨ ، وخزانة الأدب ٢/ ٣٠١ ، ومعنى لا يبعَدَنْ : لايهلكن ، وهودعاءٌ خرج بلفظ النهي ، وإنْ كان ليس بنهي ، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر ، وإن كان ليس بأمر ، إذا قلت : اللهم اغفر لزيد ، وذلك على الرَّغْم من أنَّهم قد ماتوا ؛ وعلّة ذلك أنَّ العرب قد جرت على عادتها باستعمال هذه اللفظة (البَعَدُ) في الدعاء للميّت ، استعظامًا للرجل الجليل ، أو إرادة بقاء ذكْره ، وسُمُّ العداة : أي أنَّهم كانوا في حياتهم سُمًا لأعدائهم ، والجُزْر : الإبل ، وآفة الجزر : أي أنهم كانوا ينحرونها لأضيافهم ، والأزْر جمع إزار . يُنظر : شرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٦ -٩ . والجدير بالذكر أنَّ الشاعر نصب «النازلين والطيِّبين» على المدح ، ويَروي بعضهم «والنازلون والطَّيِّبون» ، أي برفعهما من منطلق أنَّ الرفع أحسن وأكثر في كلِّ شيء كان تعظيمًا ؛ لأنَّك إذا أثنيت على قوم فإنَّما تقول : هم كذا ،

ويروى بنَصْب إحداهما ورفع الآخر ، والرفع على هُم ، والنصب على أعْني ، وذلك أذهب في معنى الثناء ، فكلّما اختلفت الجمل كان الكلام أفانين وضروبًا ، فكان أبلَغ منه إذا أُلزم شرحًا واحدًا . يُنْظر : الجمل في النحو ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ص ٦١ - ٦٢ ، والجمل في النحو للزّجّاجي ص ١٥ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٦ / ١٤٣-١٤٤ ، ١٥١ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ص ٢٧ - ٢٨ ، والمحتسب ٢ / ٢٤٢ .

(٥) شرح أبيات الجمل للبطليوسي ، ص ١١ .

(٦) يُنْظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤ / ١١٧ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ص ٢٨ .

(٧) شرح الشافية ، لأبي الفضائل ١/ ٤٦٠ ، ويُنْظَر : أمالي ابن الشجري ١/ ٤٣٤ .

(٨) يُنْظَر : شرح الشافية ، لأبي الفضائل ١/ ٤٥١ .

(٩) همع الهوامع ١/ ٢٦٣ .

(١٠) سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

(١١) يُنْظَر : أمالي ابن الشجري ٣/ ١١٥ ، ومغني اللبيب ٢/ ٤٨٩ - ٤٩٨ ، وهمع الهومع ١/ ٢٦٣ - ٢٧٤ .

(١٢) يُنْظَر في كلّ ذلك : همع الهوامع ١/ ٢٦٣ ، ومرجع الضمير وأثره في اختلاف القراءات القرآنية ، ص ٧٦٥ - ٨٢٠ .

(١٣) همع الهوامع ١/ ٢٦٣ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٨٩ ، ١٦٩ ، ٢٤٣ ، ٢/ ٥٠٣ .

(١٤) يُنْظر : السابق ، نفسه ، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١١٧ ، ١٥٤ .

(١٥) فلسفة الضمير ، ص ٢٣ ، ٢٤ ومابعدهما ، ويُنْظَر : الكتاب ٢/ ٣٥١ -٣٥٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨١ ، والعلامة في النحو العربي ، ص ٣٢ - ٣٣ ، وقضايا التقدير النحوي ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة ص ١٥٨ - ١٨٠ ، ومرجع الضمير في القرآن الكريم ، ص ٩ ومابعدها .

(١٦) يُنْظر : مغني اللبيب ٢/ ٤٩٨ - ٥٠٢ ، ومن أشكال الربط في القرآن الكريم ، ص ٨٠ -٩٥ ، والإعراب في شرح القصائد السبع الجاهليات ص ٥٦ .

(١٧) البيت من الطويل ، للأعشى في ديوانه ١٢٧/ ٢ ، والملاحظ أنّه ترخّص في فتحة الفعل (يسأم) وجاء مكانها بالضمة ؛ لأن حقه النصب . يُنْظَر في هذا : الجمل في النحو للخليل ص ١٤٣ - ١٤٤ ، والكتاب ١/ ٤٢٣ ، والمقتضب ١/ ٢٧ ، ٢٨ ، ٢/ ٢٦ - ٢٧ ، وشرح التسهيل ١/ ٢٢٤ ، ٣/ ١٩٦ ، وارتشاف الضرب ٤/ ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، والإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، وخصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٤٧٥ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(١٨) شرح أبيات الجمل ، ص ١٩ ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزَّجّاجي ص٢٦ .

(١٩) يُنْظر مقدمة دراسة شرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٢٨ - ٣٠ ، حيث ذكر المحقق إحصاءً بشرّاح الجمل للزجّاجي .

(٢٠) سورة إبراهيم ، الآية ٣٤ .

(٢١) يُنْظر : الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨٤ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٦٣ ، ومرجع الضمير في القرآن الكريم ، ص ٢٥ .

(٢٢) يُنْظر : نسيج النص ص ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٧١ ، ولغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية ص ٢٢٩ ومابعدها ، ومن أشكال الربط في القرآن الكريم ص ٨٤ - ٩١ ، وعلم اللغة النصي ١/ ٧١ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ١٦٥ .

(٢٣) الكتاب ١/ ١٢٨ ، ويُقصد بكلمة (الوصل) جملة الصلة ، وقوله : «لأنه في موضع ما يكون من الاسم «يعني أن الصفة والموصوف كالشيء الواحد ، فالصفة بعض الموصوف .

(٢٤) يُنْظر :ديوان الأعشى ص ١٢٦ ، حيث شَرْح الدكتور محمد محمد حسين ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ١٨ .

(٢٥) يُنْظر : نحو أجرومية للنص الشعري ، ص١٥٤ ، نقلاً عن :

Robert Allin de Beaugrand and Wolfgong Ulrich Dresslar , " Introduction to tex linguistics" Longman , New York , p .3 ...

(٢٦) يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٣٩٥ .

(٢٧) يُنْظر : الكتاب ١/ ٥٠ ، ٢/ ٥٣ ، والمقتضب ٤/ ١٠٣ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥ ، ٤ / ٧٦ ، والخصائص ٢/ ٢٨٤ ، والأصول في النحو ٢/ ٢٥٥ - ٢٦٠ ، وشرح المفصَّل ٣/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، وظاهرة الزيادة في الدراسات النحوية ص ٤٦ - ٤٨ ، والقول في الباء التي تزاد في فصيح الكلام ص ٢٦ ، وقضايا التقدير النحوي ص ٢٧٧ - ٢٩٧ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ٢٢ - ٢٦ .

(٢٨) يُنْظَر : البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٧٧ ، ١٧٨ ، وجامع البيان عن تأويل آى القرآن ١/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، وظاهرة الزيادة في الدراسات النحوية ص ٦١ ومابعدها .

(٢٩) يُنْظَر : النحو العربي والدرس الحديث ص١٥٢ - ١٥٣ ، و اللغة وبناء الشعر ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ٥٢ ، حيث الفصل الثاني الذي عقده أستاذي الدكتور محمد حماسة ، والمعنون بالتحليل النصيّ للقصيدة «قصائد قديمة» .

(٣٠) يُنْظَر : حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم ص ٢٧ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ٢٥ ، ولمزيد من الاطلاع يُنْظر أيضًا : الخصائص ٢/ ٢٨٤ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٢٦ ، ٢٥٨ ، وشرح المفصَّل ٣/ ٣٦٥ ومابعدها ، وأصول التفكير النحوي ص ٣٠٦ -

٣٢٨ ، والعلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ص ٣٤٧ ومابعدها ، وظاهرة الزيادة في الدراسات النحوية ص ٤٤ - ٤٨ .

(٣١) يُنْظَر في ذلك : الكتاب ١/ ٧٣ ، ٢/ ١٥٣ ، والخصائص ١/ ٣١٧ ، والأصول في النحو ٢/ ٢٥٨ ، وشرح المفصل ٣/ ٣٦٥ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٤٠١ .

(٣٢) شرح كتاب سيبويه ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٣٣) البيت في ديوان الفرزدق ٢/ ٢٩٠ ، وروايته : فكيف إذا رأيت ديار قومي ، وهومن قصيدة يمدح فيها سليمان بْنَ عبد الملك بْنَ مروان ، ويهجو جرير بْنَ الخَطَفى ، وقيل : إنَّها في هشام بنَ عبد الملك وهجائه جريرًا وبني كُلَيب . يُنْظر : كتاب النقائض «نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة مُعَمَّربن المثنى ٢ / ١٠٠٤ .

(٣٤) شرح أبيات الجمل ص ٤١ ، والمقصود بالكتاب الأول كتابه «إصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل» ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزَّجّاجي ص ٤٩ .

(٣٥) الكتاب ٢/ ١٥٣ .

(٣٦) يُنْظر : المقتضب ٤/ ١١٧ ، والهامش بالصفحة نفسها للمحقق ، وشرح المفصل ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٥ ، وشرح عمدة الحافظ وعُدة اللافظ ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣٧) الكتاب ١/ ١١٨ ، ١١٩ ، ويُنْظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢ / ٣٦١ ، ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وشرح التسهيل ، لابن مالك ١/ ٣٤٢ ، وشرح الأشموني ٢/ ٥٥ - ٥٧ .

(٣٨) الجمل في النحو ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣٩) إصلاح الخلل الواقع في الجمل ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ويُنْظر : الخصائص ١/ ٣١٧ حيث قال : إنَّ «الحروف تُزَاد لضرب من الاتّساع ، فإذا كانت للاتّساع كان آخر الكلام أولى بها من أوله ، ألا تراك لا تزيد (كان) مبتدأً ، وإنَّما تزيدها حشوًا أو آخرًا» ، ويُنْظر أيضًا : التصريح بمضمون التوضيح ١/ ٦٢٤ ، حيث ذكر الشيخ خالد الأزهري رأي الفارسي وابن جنيّ في الاحتجاج للخليل وسيبويه ، ويُنْظر أيضًا : شرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ١/ ٣٩٧ - ٤٠١ .

(٤٠) التصريح بمضمون التوضيح ١/ ٦٢٦ ، ويُنْظر المصدر نفسه ١/ ٦٢٣ - ٦٢٦ ، وشرح التسهيل ١/ ٣٤٢ ، وشرح الكافية ٤/ ١٩٢ ، ومغني اللبيب ١/ ٢٨٧ ، وخزانة الأدب ٩/ ٢١٧ - ٢٢٤ .

(٤١) خزانة الأدب ٩/ ٢١٩ .

(٤٢) شرح التسهيل ١/ ٣٤٢ .

(٤٣) التصريح بمضمون التوضيح ١/ ٦٢٥ ، وعائجون يعني عاطفين ، ولَعَنَّا في معنى لعلَّنا ، والعرصات واحدها عَرْصَةٌ ، وكل متَّسع حوله رَبْوٌ ليس فيه بناءٌ يُقال له عَرْصَةٌ . يُنْظر : كتاب النقائض «نقائض جرير والفرزدق» ٢ / ١٠٠٤ ، ونصُّ المرادي في شرحه على التسهيل ص ٣٦٩ ، وهو رسالة دكتوراة ، تحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الله ، بكلية اللغة العربية ، بجامعة

الأزهر ، القاهرة . يُنْظر : هامش ٣ ، ١/ ٦٢٥ من التصريح بمضمون التوضيح ، للمحقّق الدكتور عبد الفتاح بحيري .

(٤٤) ظاهرة الزيادة في الدراسات النحوية ص ١٩٥ .

(٤٥) يُنْظَر : السابق نفسه ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤٦) كتاب النقائض «نقائض جرير والفرزدق» ٢ / ١٠٠٤ .

(٤٧) يُنْظَر : اللغة العربية والحداثة ، للدكتور تمام حسّان ص ١٤٠ .

(٤٨) قضايا التقدير النحوي ص ٣١٢ .

(٤٩) يُنْظر : أ - التراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه ص ١٢٦ .

B-Bach : An Introduction to transformational Grammar , P.11 - 12 .

(٥٠) يُنْظر : النص والخطاب والإجراء ، ص ٣٤ .

(٥١) يُنْظر : الخصائص ١/ ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، والبيان في روائع القرآن ص ١٧٦ ، وبناء الجملة العربية ص ٧٠ ، والجملة الاعتراضية في التركيب النحوي ص ١٢٨ وما بعدها ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

(٥٢) يُنْظر : الكتاب ١/ ١١٥ ، ٢/ ٢٧٩ على سبيل المثال ، وضرائر الشعر ، لابن عصفور ، ص ١٩٢ ومابعدها ، والتراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه ص ١٢٦ - ١٣٤ .

(٥٣) البيت للشمّاخ في ديوانه ص ١٧٧ ، ومعاني الحروف للرماني ص ٣٦ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٩٦ ، ولسان العرب (ضمز) ، والضامز : الساكت الذي أغلق فاه ممسكًا وكذلك الناقة ، فلا تسمع لها رُغاء ، يُقال : ضَمَزَ البعير يضمز ضمزًا إذا أمسك عن جرَّته في فيه ولم يجترّ ، وكلٌّ ساكت ضامزٌ وضموزٌ ، وضاحي عذاة : موضع ، والضاحي من الأرض : البارز الذي لا تكاد الشمسُ تغيب عنه ، والعذاة : الأرض الطيبة التربة ، والشاعر في وصف حمير وحش ، أعني عَيْرًا وأُتُنه ، قد عطشت ، واحتاجت إلى ورود الماء ، فهي واقفةٌ تنتظر أنْ ينهض فحلها ، فتنهض بنهوضه ، وهو ساكتٌ ، وحمير الوحش لا تنهض لورود الماء نهارًا ؛ خشية القانص ، فهي تنتظر إقبال الليل ، فينهض ، فتنهض بنهوضه ؛ ولذلك قال قبل هذا البيت :

كَأَنَّ قُتُودي فَوْقَ جَابٍ مُطَرَّدٍ مِنَ الحُقْبِ لاحَتْهُ الجِدادُ الغَوارِزُ

يُنْظر : جمهرة اللغة لابن دُريد مادة زَضَمَ ٣/ ٤ ، والصحاح باب الزاي فصل الصاد مادة ضمز ٣/ ٨٨٢ ، ولسان العرب ، المواد (ضمز ، ضحى ، عذا) ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ١١٢ .

(٥٤) شرح أبيات الجمل ، ص ١١٣ -١١٤ ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ١٢٢ .

(٥٥) يُنْظر : المقتضب ١/ ١٥ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٢ / ١١٦ - ١١٧ .

(٥٦) أمالي ابن الشجري ١/ ٢٩٦ .

(٥٧) مغني اللبيب ٢/ ٥٤٠ .

(٥٨) شرح قصيدة بانت سعاد ، ص ٩٤ ، ويُنْظر : أمالي ابن الشجري ، ص ١/ ٧٨ ، حيث مقدمة التحقيق للدكتور محمود محمد الطناحي .

(٥٩) يُنْظر : شرح الكافية ٣/ ٤٠٥ .

(٦٠) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ٤٠٥ .

(٦١) يُنْظر : معاني الحروف للرماني ، ص ٣٦ .

(٦٢) يُنْظر : شرح أبيات الجمل ص ١١٢ - ١١٣ ، وديوان الشمّاخ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٦٣) الكتاب ٢/ ١٤٨ ، ويُنْظر : المقتضب ٤/ ١٠٨ ، والخصائص ١/ ٣١٨ ، والإنصاف ١/ ١٩٧ ، وشرح المفصل ٣/ ٥٩٣ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٢٣٨ ، ومغني اللبيب ١/ ١٩١ ، ١٩٢ ، حيث ذكر المعاني الأخرى لكأنَّ ، ومنها مايراه البطليوسي ، وشرح الأشموني ١/ ٤٠٨ .

(٦٤) دار هذا الشاهد في كتب اللغويين والنحاة في معرض الحديث عن كون اسم يكون نكرة والإخبار عنه بالمعرفة ، والوجه كما يرى الخليل أنْ تُجْعل المعرفة اسمًا والنكرة خبراً ، لكن ابن جنِّي في المحتسب يرى أنَّ نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ، وأنَّه إنَّما جاز ذلك من حيث كان عسل وماء هما جنسين ، فكأنَّه قال : يكون مزاجهَا العسل والماء . وخبر كأنَّ في البيت التالي ، حيث يقول حسّان : (من الوافر)

عَلى أنْيَابِها أو طَعْمُ غَضٌ ... منَ التُّفَّاحِ هَصَّرَه اجْتِنَاء

وهو ما رآه السيرافي من قبلُ ، فالذي يستفيده المخاطبَ بعسلٍ وماء منكورين هو الذي يستفيده منهما معروفين ؛ لأنَّهما نوعان متشابها الأجزاء ، ودار الشاهد فيَ بعضها الآخر بخصوص زيادة مضارع كان ، واختلاف الرواية في (مزاجها) بين الرفع والنصب ، وقوله : كأنَّ سبيئة ، يُقال : سبأتُهَا إذا اشتريتها سباء ، يعني الخمر ، أو هي المصونة المضنون بها ، والسابئ : الخمَّار ، ويروى : كأنَّ سُلافةً وقوله : «مَن بيت رأس» يعني موضعًا أو خمّاراً ، كما يُقال : حَارثُ الجَوْلان ، والبيت موضع الحديث والتالي له من القَصيدة الأولى في ديوان حسان ، قالها في يوم فَتح مكّة ، وأوّلها :

عَفَتْ ذَاتُ الأَصابِعِ فَالجوَاءُ ... إلى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ

يُنْظر : ديوان حسّان ١/ ١٧ ، والجمل في النحو للخليل ص ١٢٠-١٢١ ، والكتاب ١/ ٤٩ ، والمقتضب ٤/ ٩٢ ، والكامل في اللغة والأدب ١/ ١٠٦ ، والجمل في النحو للزَّجّاجي ص ٤٦ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢ / ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ - ٣٨٠ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١٧٥ - ١٧٦ ، والأصول في النحو ١/ ٦٧ ، ٨٣ ، والمحتسب ١/ ٣٩٥ ، وشرح المفصل ٧/ ٩١ ، ٩٣ ، وشرح الكافية ٤/ ١٩٣ ، ٢٠٧ ، وكتاب الحماسة البصرية ٤ / ١٦١٩ وهامش ١ للمحقق من الصفحة نفسها ، وشرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٣٨ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، وخزانة الأدب ٩/ ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ .

(٦٥) شرح أبيات الجمل ، ص ٣٢ - ٣٣ ، والبيت الأخير من بحر الطويل ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزَّجّاجي ص ٤٦ .

(٦٦) يُنْظر : حروف المعاني للزجاجي ص ٢٨ - ٢٩ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٢٣٨ ، ومغني اللبيب ١/ ١٩٢ ، وهمع الهوامع ١/ ٤٨٦ .

(٦٧) يُنْظر : شرح التسهيل ١/ ٣٣٨ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ١/ ٤٥٣ ، والتصريح ٢/ ١١ - ١٢ ، ومغني اللبيب ١/ ١٩٢ .

(٦٨) يُنْظر : شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٥٣ ، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٥٧٣ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٢٣٩ - ١٢٤٠ ، ومغني اللبيب ١/ ١٩٢ .

(٦٩) ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٤٠ ، ويُنْظر : شرح الكافية ٣/ ١٢٥ ، وهمع الهوامع ١/ ٤٨٦ .

(٧٠) يُنْظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٢ ، وحروف المعاني للزجاجي ص ٢٩ ، وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٥٣ ، والجنى الداني ص ٥٧٢ ، وهمع الهوامع ١/ ٤٨٦ .

(٧١) همع الهوامع ١/ ٤٨٦ ، ويُنْظر : ارتشاف الضرب ١/ ١٢٣٨ - ١٢٣٩ .

(٧٢) دئل الإعجاز ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٧٣) يُنْظر : الأصول في النحو ٢/ ٢٢٢ - ٢٤٧ ، والخصائص ٢/ ٣٨٤ - ٣٩١ ، والمحتسب ٢ / ٢٦٠ .

(٧٤) يُنْظر : الكتاب ١/ ٩٨ ، ٩٩ ، ٢/ ١٣١ ، ٣/ ٦٦ ، ٧٢ ، ١٣٥ على سبيل المثال ، والمقتضب ٣/ ٢٠٢ ، ٤/ ١٦٤ ، والخصائص ٢/ ٣٨٤ - ٣٩٠ ، واللغة العربية والحداثة ص ١٤٠ ، واللغة وبناء الشعر ص ٤٨ - ٤٩ ، والتراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه ص ١١١ وما بعدها ، وكذلك :

Robins : General Linguistics,p.212.

(٧٥) المقتضب ٣/ ٩٥ .

(٧٦) البيت من الطويل ، وله روايةٌ أخرى ، حيث جاءت (سلمى) مكان(ليلى) ، و(بالفراق) مكان (للفراق) ، وورد : وماكان نفسي بالفراق تطيب ، وكلٌّ يستقيم الوزن معه ، ويُنْظر في ذلك : الجمل في النحو للزجاجي ص ٢٤٣ ، والخصائص ٢/ ٣٨٦ ، والإنصاف ٢/ ٨٢٨ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨ ، وشرح المفصل ١/ ٤١١ ، وشرح التسهيل ٢/ ٣٠٣ .

(٧٧) شرح أبيات الجمل ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وينظر أيضًا ص ١٣ من المصدر نفسه ، لارتباطها بهذا الموضع من جهة نصِّه على أنَّ الكوفيين يجيزون كَون التمييز نكرة ومعرفة ، لجواز الانفصال في =المعرفة ، ولا يجوز عند البصريين أن يكون إلا نكرة وذلك في إعرابه لـ «مَعَاقد الأُزْر» في بيت الخرنق بنت هفّان ، الوارد بأول هذا البحث ، حيث رأى أنّها منصوبةٌ على التشبيه بالمفعول به ، والكوفيون يجيزون نصبها على التمييز لما سبق ذكره .

(٧٨) يُنْظر : الكتاب ١/ ٢٠٤ ، ٢١١ .

(٧٩) يُنْظر : السابق نفسه ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٧٩ ، والأصول في النحو ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠ ، والجمل في النحو للزجاجي ص ٢٤٢ - ٢٤٣ حيث أشار ضمن حديثه إلى أنَّ البيت ينشد : وما كان نفْسٌ ، والخصائص ٢/ ٣٨٦ ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، والإنصاف ٢/ ٨٢٨ ، وشرح الكافية ٢/ ٧١ ، وشرح المفصل ١/ ٤١٠ ، وشرح جمل الزَّجَاجي لابن عصفور ٢/ ٤٢٧ ، وارتشاف الضرب ٤/ ١٦٣٤ ، ومغني اللبيب ٢/ ٤٦٢ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٤٧ .

(٨٠) يُنْظر : المقتضب ٣/ ٣٦ - ٣٧ وحاشيته بهاتين الصفحتين ، وتحصيل عين الذهب ١/ ١١٢ ، وشرح كتاب سيبويه ٤ / ١٣٩ - ١٤٣ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٥٠ ، والإنصاف ٢/ ٨٢٨ - ٨٣١ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨ ، وشرح التسهيل ٢/ ٣٠٢ ، وارتشاف الضرب ٤/ ١٦٣٥ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٥٠ ، والتصريح ٢/ ٧١١ ، وهمع الهوامع ٢/ ٣٤٣ .

(٨١) يُنْظر : من أسرار اللغة ص ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ولغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية» ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٨٢) يُنْظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤ / ١٣٩ .

(٨٣) لغة الشعر ، ص ٣٧٨ .

(٨٤) السابق ، ص ٣٧٦ .

(٨٥) من أسرار اللغة ، ص٢٤٥ ، ويُنْظر : ص ١٣٨ ، ١٥٢ ، ٣٣٩ من المرجع نفسه ، ويُنْظر : لغة الشعر ، ص ٣٧٦ .

(٨٦) يُنْظر : الجملة في الشعر العربي ، ص ٣٦ ومابعدها .

(٨٧) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤ / ١٤٢ - ١٤٣ .

(٨٨) لغة الشعر ، ص ٣٤٤ .

(٨٩) يُنْظر : السابق ، ص ٣٤٧ .

(٩٠) تاريخ آداب العرب للرافعي ١/ ٣٨٩ ، ويُنْظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونَقْده ٢ / ٣٦٧ ، والْمزهر ١ / ٢٦١ ، ٢ / ٤٠٦ - ٤٠٧ ولغة الشعر ، ص ٣٤٧ .

(٩١) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ٣٠٢ - ٣٠٣ ، والتصريح ٢/ ٧٠٩ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٤٨ - ٣٥٢ ، ولغة الشعر ، ص ٣٢٩ - ٣٤٨ ، حيث حديث الدكتور محمد حماسة عن تعدد الروايات في شواهد الضرورة ، ومن بينها بيت المخبّل السعدي .

(٩٢) يُنْظر : لغة الشعر ، ص ٣٠٢ -٣٠٣ ، ٣٦٨ ، والجملة في الشعر العربي ، ص ٢١ ، ونظرية اللغة في النقد العربي ص ٤٥ ، والمستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر ، ص ١٢٦

ومابعدها ، حيث يرى الدكتور محمد عيد أيضًا أنّه لا ضرورة في لغة الشعر ، ولغة الشاعر ص ٤٢ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ٤٣ - ٤٤ ، ٤٥٠ - ٤٥١ .

(٩٣) مغني اللبيب ٢/ ٤٣٣ ، ويُنْظر : قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ص ٨١ - ٩٤ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل ص ٢٧٣ - ٢٩٣ .

(٩٤) مغني اللبيب ٢/ ٤٤٠ ، ويُنْظر بقية ما يستثنى من التعلُّق في مغني اللبيب أيضًا ٢/ ٤٤٠ -٤٤٢ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل ص ٣٢٢ - ٣٤٥ .

(٩٥) البيت لكُثير عزَّة «كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن امرئ القيس البطريق بن يعرُب بن قحطان» في ديوانه ١/ ٢٣١ ، والجمل في النحو للزجاجي ص ١٥٥ ، ومعاني الحروف للرماني ص ٨٠ ، ومغني اللبيب ١/ ٧٦ في حديثهما عن كون (أي) بالفتح والسكون حرفًا لنداء البعيد أو القريب أو المتوسط على خلاف في ذلك ، وهمع الهومع ٢/ ٣٤ ، ولسان العرب ، والتاج (رنق) ، ويُنْظر : معجم الشعراء ص ٢١٦ - ٢١٧ ، و «عَبْدَ» : اسم امرأة ، مرخّمٌ ، وبعد هذا البيت يقول كثيّر :

بكَيْنَ فَهَيَّجْنَ اشْتِيَاقِي ولَوْعَتِي وَقَدْ مَرَّ مِنْ عَهْدِ اللّقَاءِ دُهُورُ

(٩٦) شرح أبيات الجمل ، ص ١٤٢ .

(٩٧) الأصول في النحو ٢/ ٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٩٨) البناء الصرفيّ للأسماء والأفعال في العربية «دراسة وصفية تاريخية» ، ص ٨٧ .

(٩٩) يُنْظر : الخصائص ٢/ ٣٠٨ ومابعدها ، ٢/ ٤٢٥ ، وشرح المفصل ٣/ ٣١٤ ، وضرائر الشعر لابن عصفور ، ص ٢٣٣ - ٢٦٦ ، ومغني اللبيب ٢/ ٥٢٣ - ٥٢٧ ، ٦٨٥ - ٦٨٦ ، وألكني إليها بالسلام وألكني إليها السلام ص ١٠ ، والبيان في روائع القرآن ص ٩١ ، وبناء الجملة العربية ص ١٠ ، والنحو والدلالة ص ١٥٥ ، والأسلوب والأسلوبية «مدخل نظري ودراسة تطبيقية» ص ٩٠ - ١٠٦ ، والعربية والوظائف النحوية ص ١٠٩ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ١٨١ - ١٩٠ .

(١٠٠) صَيْدَح : اسم ناقة ، يُنْظر : لسان العرب (صدح) وكذلك (نجع) ، والبيت لذي الرُّمَّة في ديوانه ٣/ ١٣٥ .

(١٠١) شرح أبيات الجمل ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ٣٢٩ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ١/ ٢٧٧ .

(١٠٢) يُنْظر : خزانة الأدب ٩/ ١٦٩ ، والإيضاح ص ١٧٠ .

(١٠٣) خزانة الأدب ٩/ ١٧٠ .

(١٠٤) شرح الكافية ٤/ ١٧٤ ، ويُنْظر : شفاء العليل ١/ ٣٩٦ ، وارتشاف الضرب ٤/ ٢١٠٦ حيث يوجد رأي الأخفش في هذا الأمر ، والإيضاح ص ١٧٠ حيث يوجد رأي الفارسي .

(١٠٥) التصريح ٤/ ٥٢٤ .

(١٠٦) المقتضب ٤/ ١٠ - ١١ ، ويُنْظر : معاني القرآن للكسائي ص ٥٩ ، والكشاف ١/ ٣٣ - ٣٤ ، والتصريح ٤/ ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(١٠٧) الجمل في النحو ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ٣٢٩ .

(١٠٨) خزانة الأدب ٩/ ١٦٩ ، ويُنْظر : الإيضاح ص ١٧٠ ، وشرح التسهيل ٢/ ١٦ ، وهامش ١ من خزانة الأدب ٩/ ١٦٩ ، حيث يشير الأستاذ عبد السلام هارون إلى أنَّ المقصود بالهادي هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني ، صاحب تصريف العزِّي ، المتوفى سنة ٦٥٥ هـ ، وكتابه الهادي في النحو والصرف ، وشَرْحه ، ويُسمَّى شَرْحه بالكافي ، وقد قام بدراسته وتحقيقه محمود فجال سنة ١٣٩٨ هـ في رسالة دكتوراه .

(١٠٩) سورة الأنبياء ، الآية ٦٠ .

(١١٠) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ١٦ ، وشرح جمل الزّجّاجي لابن عصفور ١/ ٢٧٧ ، وارتشاف الضرب ٤/ ٢١٠٥ ، والتصريح ٤/ ٥٢٥ هامش ١ ، وحاشية يس على التصريح ٢/ ٢٨٢ ، وخزانة الأدب ٩/ ١٦٨ - ١٧١ .

(١١١) يُنْظر : خزانة الأدب ٩/ ١٦٨ ، حيث نقل البغدادي هذا التعليل - وهو ما أوافقه عليه - عن الشارح المحقق في درة الغواص .

(١١٢) يُنْظر في كلٍّ ذلك : الكتاب ١/ ١٨٩ - ١٩٣ ، والمقتضب ١/ ١٤ - ١٥ ، والإيضاح العضدي ص ١٨٦ ، والأصول في النحو ١/ ١٣٧ ، وشرح المفصل ٣/ ٩٢ - ٩٨ ، وشرح التسهيل ٢/ ٤٣٤ - ٤٥٢ ، وشرح الكافية ٣/ ٤٠٢ - ٤١٢ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٥٣ - ٢٢٦٣ ، والتصريح ٣/ ٢٥٢ - ٢٥٩ ، وهمع الهوامع ٣/ ٥٤ - ٦٥ ، وشرح الأشموني ٢/ ٥٤١ - ٥٤٩ ، وخزانة الأدب ٨/ ١٢٧ - ١٢٨ .

(١١٣) يُنْظر : الأصول في النحو ١/ ١٣٧ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٥٩ .

(١١٤) سورة البلد ، الآيات ١٣ - ١٥ .

(١١٥) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ٤٤٢ - ٤٤٣ ، وهمع الهومع ٣/ ٥٨ .

(١١٦) شرح المفصّل ٣/ ٩٤ .

(١١٧) نُسبَ هذا البيت في بعض المصادر السابق ذكرها في أول العرض إلى الشاعر الجاهلي مالك بن زُغَبة ، أحد بني باهلة ، وأنشده كلٌّ من سيبويه والأشموني (٢/ ١٧٨) في باب التنازع ، وإعمال المصدر أيضًا ، والبيت في ديوان المرار الأسدي ، وبعده :

ولو أنَّ رُمْحي لَمْ يَخُنِّي انْكسَاره   لَغَادَرْتُ طَيرًا تَقْتَفيه وأضْبُعَا

ويُروى (لقيت) في مكان (لحقت) وكذلك (كررت) ، وذلك صدد الحديثَ عن وقْعة ، أُصيب فيها مسمع بن شيبان بن قيس بن ثعلبه ، وأولى المغيرة : أوّل المغيرة ، صفةٌ لموصوفٍ محذوف ، أي

الخيل المغيرة أو الجماعة المغيرة ، والمراد الفرسان المغيرة . وأنكل : من النكول ، وهو الرجوع في القتال جُبْنًا وخوفًا ، والمعنى : قد علم أوّل مَن لقيت من جماعة الفرسان المغيرين أنّني شجاعٌ ، قد صرفتهم عن وجوههم ، هازمًا لهم ، ولحقت سيِّدهم مسمع ، فلم أتراجع عن ضربي إيّاه بسيفي .

(١١٨) شرح أبيات الجمل ص ١١٥ ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ١٢٤ حيث أشار إلى أنَّ «مسمعًا» يجوز أنْ يكون منصوبًا بوقوع الضرب عليه ، وأنْ يكون منصوبًا بـ «لَحِقْتُ» كأنّه قال : لَحِقْتُ مسمعًا فلم أنْكُلْ عن الضرب ، ويُنْظر أيضًا : معاني الحروف ، للرماني ص ٨٧ ، وشَرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢ / ٣٠٥ ، والأشباه والنظائر في النحو ٢ / ١٧١ .

(١١٩) يُنْظر : الأصول في النحو ١/ ١٢٥ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤ / ٩٤ – ٩٥ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦١ .

(١٢٠) يُنْظر : ارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦١ .

(١٢١) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ٢٤٤ ، والتصريح ٣/ ٢٥٨ – ٢٥٩ ، وشرح المفصل ٣/ ٩٨ حيث قال : «والصواب أنّه منصوبٌ بالمصدر المذكور على ضَعْفه ؛ وذلك لأنَّ الألف واللام بمنزلة التنوين ، فعمل وفيه التنوين ، فاعرفه» . والجدير بالذكر هنا أنَّ من النحويين مَن يدلِّل على ضَعْف عمل المعرَّف بأل بقوله : ولا أعلمه جاء في التنزيل ، نحو الفارسي في الإيضاح العضدي ، ص ١٨٦ ، وابن يعيش في شرح المفصل ٣/ ٩٧ . لكن ابن مالك في شرح التسهيل ٢/ ٤٤٣ رأى أنَّ ذلك – وهو ما أوافقه عليه – محتملٌ في موضع واحد من القرآن الكريم هو قوله تعالى : ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ النساء ، ١٤٨ ، فيحتمل أنْ يكون «مَن» في موضع رفْع بالجهر على تقدير لا يحبّ الله أنْ يُجاهر بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم ، ويحتمل أنْ يكون قد تم قبل «إلاّ» وتكون في موضع نصْب على الاستثناء ، وهذا ما أشار إليه الرضيّ أيضًا في شرحه على الكافية ٣/ ٤٠٩ .

(١٢٢) يُنْظر : الكتاب ١/ ١٩٢ – ١٩٣ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦١ .

(١٢٣) المقتضب ١/ ١٥ ، ويُنْظر : هامش الصفحة نفسها للمحقق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة .

(١٢٤) يُنْظر : شرح الرضي على الكافية ٣/ ٤١٠ ، وخزانة الأدب ٨/ ١٢٨ .

(١٢٥) يُنْظر : شرح المفصل ٣/ ٩٨ ، وشرح التسهيل ٢/ ٤٤٢ – ٤٤٣ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦١ – ٢٢٦٢ ، وهمع الهوامع ٣/ ٥٨ ، وشرح الأشموني ٢/ ٥٤١ – ٥٤٢ .

(١٢٦) شرح المفصل ٣/ ٩٨ .

(١٢٧) يُنْظر : الإيضاح العضدي ، ص ١٦٠ ، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦١ ، والتصريح ٣/ ٢٥٨ .

(١٢٨) يُنْظر : ارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦١ ، والتصريح ٣/ ٢٥٨ ، حيث ذكرا رأي ابن طلحة .

(١٢٩) يُنْظر : شرح المفصل ٣/ ٩٨ .

(١٣٠) الجُمل في النحو ، ص ٩٥ – ٩٦ ، ويُنْظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤ / ٥٧ ، ٧١ .

(١٣١) يُنْظر : الكتاب ١/ ٣٨ ، ١٥٩ ، ٣/ ١٢٧ ، ١٣٥ ، ٤٩٧ ، والمقتضب ٢/ ٣٥ - ٣٧ ، ١١٨ ، ٣٢١ ، ١٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ١/ ٢٧٩ - ٢٨٥ ، و «ما النافية ودراستها في القرآن الكريم» ، ص ٦٧٩ - ٦٨٠ .

(١٣٢) دار البيتان في المصادر حول الاستشهاد بنصب الأواري على الاستثناء المنقطع ، على لغة أهل الحجاز ، على اعتبارها من غير جنس الأحدين ، واعتبار الكلام مُسْتأنفًا ، وبرفعها على البدل ، على لغة تميم ، على اعتبارها من جنس الأحدين اتساعًا ومجازًا ، وكذلك الاستشهاد على زيادة (من) في قوله (من أحد) ، وزيادة (ما) في قوله (ما أبينها) ، وكذلك الجمع بين ثلاثة أحرف للنفي على رواية الفرَّاء (ما إن لا أبينها) ، وكذلك تصغير (أصيل) على أُصَيْلان وأُصَيْلالاً ، بإبدال النون لامًا ، وأصيلانًا مصغر أصيل على غير قياس ، وفيه وجوه أخرى ، يمكن الرجوع إليها في هامش ٢ من المقتضب ٤/ ٤١٤ - ٤١٥ ، والتصريح ٥/ ٣٦٢ ، والأواري : جمع الآري ، وهو محبس الدابة ، والنؤي :حُفَيرة حول البيت من تراب لمَنْع الماء ، والمظلومة : الأرض التي حُفِر فيها ، وليست بموضع حفر ، والجلد : الأرض الصلبة الغليظة ، والشاعر هنا في وصْفه للسيل كما يرى ابن السكِّيت في اللسان «شبّه داخل الحاجز بل الحوض بالمظلومة ، يعني أرضًا مرُّوا بها في بريَّة فتحوَّضوا حَوْضًا فسقوا فيه إبلهم ، وليست بموضع تحويض أو حفر ، يُقال : ظَلَمْتُ الحوض إذا عَملتَه في موضعٍ لا تُعْمَل فيه الحياض ، قال وأصل الظلم وضْعُ الشيء في غير موضعه» . لسان العرب ، مادة (ظلم) ، ويُنْظر في كل ما تقدم :الكتاب ٢/ ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٨٨ ، ٤٨٠ ، والمقتضب ٤/ ٤١٤ ، والجمل في النحو للزجاجي ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ومعاني الحروف للرماني ص ٩٧ - ٩٨ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ص ٥٤ - ٥٥ ، والإيضاح العضدي ، ص ٢١١ ، والبارع في اللغة ص ٦٢٧ ، والإنصاف ١/ ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٦٩ ، وشرح المفصل ١/ ٤٢٣ ، وشرح الكافية ٢/ ١٨٦ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٠٠ ، والتصريح ٥/ ٣٦٢ - ٣٦٤ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٥٥ - ٢٥٦ ، وخزانة الأدب ٤/ ٦ ، ١٢١ ، ١١/ ٣٦ ، وديوان النابغة ٢- ٣ .

(١٣٣) سورة النساء ، الآية ٧٩ .

(١٣٤) شرح أبيات الجمل ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وقد أشار البطليوسي فيما بعد إلى الوجه الثاني ، وهو النصب على التمييز المنقول عن الفاعل ، فيكون من باب تَفَقَّأَ زيدٌ شحمًا ، وقوله تعالى : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ، كأنَّه أراد : عَيَّ جوابها ، ثم نقل الفعل عن الجواب إلى الدار ونصب ، ويدل على صحة هذا الوجه أنَّهم صرَّحوا بذلك في نحو قول أبي صخر الهذلي :

وَقَفْتُ بِرَسْمِهَا فَعَيَّ جَوَابُهَا ... قُلْتُ وَعَيْنِي دَمْعُها سَرِبٌ هَمْرُ

يُنْظر : ص ٢٣٤ من شرح أبيات الجمل ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ١/ ٢٧٩ - ٢٨٥ .

(١٣٥) يُنْظر : هامش ٢ من المقتضب ٤/ ٤١٤ - ٤١٥ ، حيث كلام المحقق ، والمراد بقوله (عيّت جوابًا)

في بيت النَّابغة أنَّ الدار عجزت عن الجواب ، ولم تُجب عمّا سألها عنه ، وهو الحبيبة ، وما بالدار من أحد .

(١٣٦) يُنْظر : الكتاب ١/ ٣٧ – ٣٨ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢ / ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، والمحتسب ١ / ١٣١ ، ٣٨٦ حيث يرى ابن جنّي أيضًا – وهو بصريٌّ – أنّه لَمّا حُذف حرف الجرّ وصلَ الفعل فعمل ، كقوله عزَّ اسمه : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ أي : من قومه .

(١٣٧) يُنْظَر : الإيضاح في علل النحو ، ص ١٣٩ .

(١٣٨) يُنْظر : الكتاب ١ / ٣٧ – ٣٨ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢/ ٣٠٣ ، والإيضاح في علل النحو ٣/ ٣٨ .

(١٣٩) المقتضب ٤/ ٣٣٠ – ٣٣١ ، ويُنْظر : أمالي ابن الشجري ٢/ ١٣٣ ، والأصول في النحو ١/ ١٧٨ ، والإنصاف ١/ ١٦٧ – ١٧٢ ، وشرح المفصل ١/ ٣٤٦ .

(١٤٠) يُنْظر : الكتابَ ٣/ ٢١٣ – ٢١٤ ، والمقتضب ٣/ ٣١٩ ، ٤/ ٣ – ٤ ، وهامش ٣ من التصريح ٤/ ٧٨٧ للمحقق .

(١٤١) الكتاب ٣/ ٢٠٦ ، ويُنْظر : المقتضب ٣/ ٣٨٥ .

(١٤٢) دار الاستشهاد بهذا البيت في كتب التراث على أنَّ حرف الجر (على) قد يأتي اسمًا بمعنى (فوق) ، وليس هذا بضرورة ، خلافًا لابن عصفور ، وذلك إذا دخل عليه (من) ، ورُوي (خمْسها) مكان (ظمؤها) ، وبيداء مكان (زيزاء) ، فمن روى ببيداء جعل المجهل صفةً لها ، ومن روى (بزيزاء) أضافها إلى المجهل ، على الرَّغْم من أنَّ البعض روى المجهل على أنَّها نعتٌ لزيزاء ، نحو ابن مالك في شرح التسهيل والأشموني في شرحه . وغدت : أي انصرفت القطاة من فوق فرخها ، والظمء : مدة صبرها عن الماء ، وتصل : تصوِّت ، والقيض : قشر البيضة الأعلى ، والذي يَلْبَس البيضة فيكون مابينها وبين قشرها الأعلى ، يُقال له : الغرْقِئ ، والزيزاء : ماارتفع من الأرض أو ما غلظ منها ، والمجهل : الخالية ممّا يُهْتدى به . يُنْظَر : الكتاب ٤/ ٢٣١ ، والمقتضب ٣/ ٥٣ ، والكامل ٣/ ٧٤ – ٧٥ ، ومعاني الحروف للرماني ص ١٠٧ – ١٠٨ ، والجمل في النحو للزَّجّاجي ص ٦١ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٥ / ١٦ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٣٧ ، وشرح المفصل ٣/ ٢٥٧ ، وشرح التسهيل ٣/ ١١ ، وشرح الكافية ٤/ ٣٢٣ ، وضرائر الشعر لابن عصفور ، ص ٣٠٥ ، وارتشاف الضرب ٤/ ١٧٢٢ ، ٥/ ٢٤٥٤ ، ومغني اللبيب ٢/ ١٤٥ – ١٤٦ ، والأشباه والنظائر في النحو ٢ / ٧ ، والتصريح ٣/ ٧٤ ، وشرح الأشموني ٢/ ٤١٣ ، والصحاح باب الزاي فصل الزاي مادة زأز ٣/ ٨٨٠ ، وخزانة الأدب ٣/ ٥٣٥ ، ١٠/ ١٤٧ – ١٥٦ ، والبيت لمزاحم العقيلي في ديوانه ص ١١ .

(١٤٣) سورة المؤمنون ، الآية ٢٠ .

(١٤٤) شرح أبيات الجمل، ص ٥٣، ٥٤ .

(١٤٥) يُنْظر : خزانة الأدب ١٠/ ١٥٤، والكامل ٣/ ٧٥، والكتاب ٣/ ٢١٤ – ٢١٥، والمنصف ٤٢٩ – ٤٣٠، والتصريح ٣/ ٧٤ – ٧٥، ويُلاحظ أنَّ الهمزة في علباء منقلبة عن ياء، وفي حمراءَ منقلبةٌ عن ألف ؛ ولذا لم يشتركا في اللفظ، فكانت حمراء ممنوعةً من الصرف . يُنْظر : الكتاب ٣/ ٢١٤ – ٢١٥ وهامش ٨ من الكتاب ٣/ ٢١٤ أيضًا، والعلباء : عرْقٌ في العنق، والحملاق : ماغطّى الجفون من بياض المقلة، والسِّرداح : الناقة الطويلة، وقيل كثير اللحم . يُنْظر : لسان العرب، كلٌّ في مادته .

(١٤٦) شرح المفصل ٣/ ٢٥٦ – ٢٥٧، والدرحاية : الرجل كثير اللحم، القصير، السمين، ضخم البطن، لئيم الخِلْقة .

(١٤٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٣٣ .

(١٤٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠، ويُنْظر : شرح التسهيل ٣/ ١١، وخزانة الأدب ١٠/ ١٥٥ – ١٥٦ .

(١٤٩) يُنْظر : خزانة الأدب ١٠/ ١٥٠ – ١٥٣ .

(١٥٠) هذا البيت ورد في المصادر مُسْتشهدًا به في نداء المتعجب منه، ومعاملته معاملة المستغاث، وجواز الاستغناء عن اللام بالألف، والفليقة : الداهية، والقوباء : بثرٌ يظهر في الجسد فيقال : هي القُوَبَاء يافتى ، فهي تُقَوِّب الجلد مثل التقوير، ومن ذلك سُمِّيت القوباء التي تخرج بجلد الإنسان فتُداوى بالريق، وجمعها قوباوات وقوابي على غير قياس، والريقة : ريق الإنسان، والمعنى أنَّ أعرابيًا أصابته قوباء، فقيل له اجعل عليها شيئًا من ريقك وتعهدْها بذلك، فإنَّها ستذهب، فتعجب من هذا الأمر . يُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ١٦٦، والبارع في اللغة ص ٥٠٥ – ٥٠٧، ولسان العرب (قوب)، واللامات للزجاجي ٨٢، وإصلاح المنطق ٣٤٤، ٣٥٣، والمنصف ٦٠٨، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٢/ ٢١٣، ومغني اللبيب ٢/ ٣٧٢، والتصريح ٤/ ٧٨ .

(١٥١) الكتاب ٣/ ٣١٣ – ٣١٥، ويُنْظر : المقتضب ٣/ ٣٨٥ – ٣٨٦، ٤/ ٣ – ٤، والبارع في اللغة ص ٥٠٥ – ٥٠٧، والمنصف، ص ٦٠٨ .

(١٥٢) يُنْظر : الكتاب ٣/ ٣١٦، ومعاني القرآن للفرّاء ١/ ١٦١، ٢/ ١٨٨، والأصول في النحو ٣/ ١٦٤، ومعاني الحروف للرماني ص ٣٨، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ص ٣٢٣ – ٣٢٤، والخصائص ١/ ٣٣٤، والمحتسب ١/ ١٤٩، ٣٠٠، ٣٤٥، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٢٦ – ١٢٨، والإنصاف ١/ ٣٠، وشرح المفصّل ٣/ ٥٠٥، وشرح التسهيل ١/ ٢٨٥، ٢٨٦، ٣/ ٢٣، وشرح الكافية ٤/ ٢٥ – ٢٦، والممتع في التصريف ٢/ ٥٣٧، وارتشاف الضرب ٤/ ١٧٠٢، ١٧٠٣، ٥/ ٢٣٨٧، ومغني اللبيب ١/ ١٠٨، والأشباه والنظائر في النحو ١/ ٢٠٩، والتصريح ١/ ٢٨٥ – ٢٨٧، وشرح الأشموني ١/ ١١٨ – ١٢٠، وخزانة

الأدب ٨/ ٣٦١ - ٣٨٤ ، ٩/ ٥٢٤ ، . . . إلخ . وبيت قيس الذي نحن بصدده دار في هذه الكتب وغيرها منسوبًا له في بعضها ، وغير منسوب في بعضها الآخر ، واستُشْهد به على عدم حذف حرف العلة في الجزم ، وزيادة الباء في قوله (بما لاقت) حملاً على المعنى ، وذلك لمّا كان معناه ألم تسمع بما لاقت لبونهم ، وكون (ما) فاعل يأتيك ، وخُرِّج على التنازع ، حيث تنازع على (ما) يأتيك وتنمي ، فأُعْمل الثاني ، وقصة البيت مشهورةٌ ، يمكن الرجوع فيها إلى خزانة الأدب ٨/ ٣٦٤ - ٣٧٢ ، وبعده قال :

ومَحْبسُها على القُرَشي تُشْرَى ... بأدْرَاعٍ وأسْيَافٍ حِدَادِ
كَمَا لاقَيْتُ مَنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ ... وإِخْوته على ذاتِ الإِصَادِ
فَهُمْ فَخَرُوا عَلَيَّ بِغَيْرِ فَخْرٍ ... وَرَدّوا ، دُونَ غَايَته جَوَادِي

(١٥٣) الجمل في النحو ، ص ٢٠٣ ، ويُنْظر : العمدة في محاسن الشعر ونَقْده ٢ / ٤١١ .

(١٥٤) شرح أبيات الجمل ، ص ٣٠٧ ، ويُنظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ٣٧٢ ، وإصلاح الخلل الواقع في الجمل ص ٣٥٢ حيث قال البطليوسي - وهو ما لا أوافقه عليه لمّا سيأتي في التحليل - في تعليقه على هذا البيت بتصرف منّي : «هذا الذي قاله صحيحٌ إلا أنَّ مثل هذا لا يُجعل لغة كما قال - أي الزَّجّاجي - إنَّما يُسمّى لغةً ما كان مستعملاً في الكلام ، وأما ماينفرد به الشعر ، فإنَّما يُسمّى ضرورةً» .

(١٥٥) الكتاب ، ٣/ ٣١٦ ، ويُنْظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢ / ١١٨ ، وشرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٣ / ١٦٩ .

(١٥٦) يُنْظر : معاني القرآن ١/ ١٦١ ، ولسان العرب ، مادة (أتي) حيث يرى ابن منظور والمازني أنَّ هذا هو الأصل .

(١٥٧) يُنْظر : الخصائص ، ١/ ٣٣٤ ، والإنصاف ١/ ٣٠ ، ولسان العرب (أتي) .

(١٥٨) يُنْظر : شرح التسهيل ١/ ٢٨٦ ، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٦ ، والممتع في التصريف ٢/ ٥٣٧ ، وخزانة الأدب ٨/ ٣٦١ - ٣٦٦ ، ونتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل ، المجلد الأول ١/ ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(١٥٩) يُنْظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣ / ١١٢ .

(١٦٠) الخصائص ١/ ٣٣٤ ، ويُنْظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٨٠ - ٨١ ، ٢/ ١٧٦ ، وفي أدلة النحو ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(١٦١) خزانة الأدب ٨/ ٣٦٢ ، وقد علّق البغدادي على ذلك بقوله : «هذا كلامه ، ولا يخفى أن مافسَّر به الضرورة مذهبٌ مرجوحٌ ، والتحقيق عند المحققين أنها ماوقع في الشعر ، سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا» .

(١٦٢) سورة طه ، الآية ٧٧ .

(١٦٣) يُنْظر : معاني القرآن ١/ ١٦١ ، ٢/ ١٨٧ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢ / ١٠٠ ، ١١٩ - ١٢٠ ، ويُنْظر : نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل ، المجلد الأول ١/ ٣٣٦ حيث أشار إلى أنَّ قوله تعالى : ﴿لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى﴾ استدل به بعضٌ على الاقرار بكونه يراه نهيًا ، وأوّله السيرافي على أنّه مجزومٌ بحذف الألف ، والموجودة إنَّما جيء بها رعايةً للفواصل ، كهي في «الظنونا «الأحزاب ، الآية ١٠ ، و «السبيلا » - الأحزاب ، الآية ٦٧ - في قراءة مَن أثبت ، ويُنْظر : شرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٣/ ١٥١ ، ١٦٩ - ١٧٠ .

(١٦٤) يُنْظر : لغة الشعر ، ص ١٣٦ .

(١٦٥) شرح كتاب سيبويه ٢ / ١٣٢ ، ويُنْظر : لغة الشعر ، ص ١٣٦ .

(١٦٦) السابق ٢ / ١٥٧ ، ويُنْظر :لغة الشعر ، ص ١٣٦ .

(١٦٧) السابق ٢ / ١١٩ ، ويُنْظر : لغة الشعر ، ص ١٣٦ ، واللهجات العربية في التراث ٢/ ٦٨٩ حيث يرى الدكتور أحمد علم الدين الجندي أيضًا أنّه لاضرورة في القرآن ولا في النثر .

(١٦٨) لغة الشعر ، ص ١٣٦ .

(١٦٩) السابق ، ص ١٥٠ .

(١٧٠) يمكن مراجعة هذه الأبيات في المصادر المذكورة بأول هذا العرض .

(١٧١) يُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ٣٧٢ ، والمنصف ص ٣٧٤ ، حيث قال :الله ألا ترى أن الشاعر إذا اضطر أخرجهما على الأصل ؟ قال الشاعر :

أَلَمْ يأْتيكَ والأنباءُ تَنْمي بمَا لاَقَتْ لبُونُ بني زيَاد ؟

فهذا من لغته أن يقول : «يأتِيك ، كما تقولَ : هو يضربُك ، فسكون الياء في يأتيك علامةٌ للجزم ، كما أن سكون الباء في ألم نضربْك علامةٌ للجزم « .

(١٧٢) يُنْظر :اللهجات العربية في التراث ٢/ ٦٨١ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ .

(١٧٣) الجمل في النحو ، ص ٢٠٤ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ص١٧٨ حيث أشار المرزباني إلى أنّه قيس بن زهير بن جذيمة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض ، كان شريفًا حازمًا ، ذا رأي ، وكانت عبس تصدر في حروبها عن رأيه ، وهو صاحب داحس ، وهي فرسه .

(١٧٤) يُنْظَر : الصحاح للجوهري ، باب السين ، فصْل العين ، مادة عبس ، ٣/ ٩٤٥ .

(١٧٥) هامش ٢ من الكتاب ٣/ ٣١٦ ، ويُنْظر :هامش ٢ من الأصول في النحو ٣/ ٤٤٣ ، حيث يرى الدكتور عبد الحسين الفتلي أنَّ ما ورد في بيت قيس لغةٌ لبعض العرب .

(١٧٦) لغة الشعر ، ص ٣٢٧ .

(١٧٧) يُنْظَر :الأغاني ١٦/ ١٩ - ٣٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٠١ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ص٣٢٣ - ٣٢٤ ، وشرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وخزانة الأدب ٨ / ٣٦٤ - ٣٧٢ ، وكتاب الحماسة البصرية ١/ ١٦٣ - ١٦٤ ، ١٩٧ ، حيث توجد أبيات

قيس ، وكذلك تعليق المحقق عليها .

(١٧٨) يُنْظَر : المحتسب ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٦ ، صدد عَرْضه للقراءات في كلمة «يَا حَسْرَةَ» من قوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يس ٣٠ .

(١٧٩) يُنْظَر : الإعراب ظاهرة جمالية ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(١٨٠) في التركيب اللغويّ ص ١٢٤ .

(١٨١) يُنْظر : الخصائص ٣/ ١٢٤ ، وشرح المفصّل ٤/ ٣٤ ، وشرح التسهيل ٢/ ١٣٨ ، وشرح الكافية ٣/ ٢٠٠ ، ولسان العرب مادة بيَن ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٦ ، ومغني اللبيب ٢/ ٣٧١ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٠٦ ، وخزانة الأدب ٥/ ٢٥٨ ، ٧/ ٧١ .

(١٨٢) هذا البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/ ١٨ ، ويقول قبله :

والدَّهْـرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانـه ... مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الحديـد مُقَنَّعُ

تَعْدُو به خَوْصَاءُ يَقْصِمُ جَرْيُهَا ... حَلَقَ الرِّحالة فَهْيَ رَخْوٌ تَمْزَعُ

وذلك في قصيدته المشهورة ، التي رثى بها أولاده الخمسة الذين أصابهم الطاعون . يُنْظر : خزانة الأدب ١/ ٤٢٢ - ٤٢٣ ، ٧/ ٧٢ . والحدثان مصدرٌ بمعنى الحدث والحادثة ، والمستشعر : اللابس ، وحلق الحديد : دروعه ، والمقنع : اللابس المغفر ، وخوصاء : من خَوصت عين الرجل والدابة تخوص خوصًا إذا غارت ، والعين خوصاء ، والجمع خوص ، فالخوص غُؤُورٌ في العينين ، وخوصاء صفةٌ لموصوف محذوف ، أي تجري به فرسٌ في عينيها خوصٌ ، والكماة : جمع كميّ ، وهو الشجاع الذي ستر درعه بثوبه ، وتعنقه الكماة : دُنوه منهم ، والروغ : أن يحيد عن ضرباتهم ، والجريء : الواسع الصدر ، والسلفع : السليط ، والمعنى أن هذا المُسْتَشْعر الدرع حزمًا وقت معانقته للأبطال ومراوغته للشجعان ، قُدِّر له رجلٌ هكذا ، فاقتتلا حتى قتل كلٌّ واحد منهما صاحبه ، ومراده أن الشجاع لا تعصمه جراءته من الهلاك ، وأنّ كلّ مخلوق إلى فناء . يُنْظَر : جمهرة اللغة لابن دريد ، مادة خوص ٢/ ٢٢٨ ، وشرح أبيات الجمل ، ص ٢٦٠ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢ / ١٢٥٢ ، وخزانة الأدب ٧/ ٧٦ ، والأشباه والنظائر في النحو ١/ ١٧٣ .

(١٨٣) شرح أبيات الجمل ، ص ٢٦٠ ، ويُنْظر : إصلاح الخلل الواقع في الجمل ص ٢٨٨ ، والجمل في النحو للزجاجي ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(١٨٤) لسان العرب ، مادة عَنَقَ .

(١٨٥) مغني اللبيب ، ٢/ ٥٢٢ ، ويُنْظر نص ابن عصفور في شرحه لجمل الزَّجّاجي ٢ / ٥٦٨ ، وهو لا يخرج عمّا قاله ابن هشام .

(١٨٦) شرح جمل الزَّجّاجي لابن عصفور ٢ / ٥٦٨ - ٥٦٩ بتصرُّف يسير .

(١٨٧) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ١٣٨ ، وشرح الكافية ٣/ ٢٠٠ ، وخزانة الأدب ٧/ ٧١ - ٧٣ .

(١٨٨) يُنْظر : شرح التسهيل ٢/ ١٣٨ ، وشرح الكافية ٣/ ٢٠٠ ، وخزانة الأدب ٧/ ٧١ - ٧٣ .

(١٨٩) سبق العرض لبيتي النابغة فيما يتصل بالنصب على نَزْع الخافض .

(١٩٠) شرح أبيات الجمل ، ص ٢٣٥ .

(١٩١) يُنْظر : المقتضب ٣/ ٩٣ - ٩٤ ، والخصائص ١/ ١٨٧ - ١٨٨ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٢ ، والإنصاف ١/ ٥٥ - ٥٧ .

(١٩٢) يُنْظر : المقتضب ٤/ ٣٠٠ ، وشرح التسهيل ١/ ٢٩٤ ، ٢/ ٢٦٤ ، وشرح الكافية ٢/ ١٤ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٩٥ .

(١٩٣) شرح أبيات الجمل ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ويُنْظر : الجمل في النحو للزجاجي ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(١٩٤) يُنْظر : الكتاب ٢/ ٣١٩ - ٣٢٠ ، ومعاني القرآن للكسائي ، ص ١٦٠ ، ٢١٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٨٨ ، ٤٨٠ ، والمقتضب ٤/ ٤١٤ ، والإنصاف ١/ ١٧٠ ، ٢٦٩ ، وشرح المفصل ١/ ٤٢٣ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١٥٠٠ ، وخزانة الأدب ١١/ ١٣٦ .

(١٩٥) هامش ١٥٩ من الإنصاف ١/ ٢٧٠ .

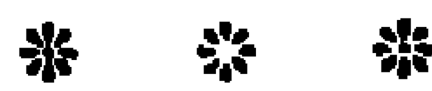
(١٩٦) يُنْظر : الكتاب ٢/ ٣١٦ ، والمقتضب ٤/ ١٣٧ ، ١٦٣ ، ٤٢٠ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ص ٥٤ ، وشرح المفصل ٣/ ٤٨٦ ، والجنى الداني ص ٣١٦ ، ورصف المباني ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٢٢ - ٣٢٣ ، والعلامة الإعرابية ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(١٩٧) يُنْظر : همع الهوامع ، ٢/ ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(١٩٨) تجدر الإشارة إلى أنَّ الجار والمجرور (بالربع) معتمدٌ على نفي ، حيث إنَّ الظرف والمجرور بالحرف إذا وقع بعده اسمٌ مرفوعٌ ، وكان معتمداً على نفي كما في قولنا : مافي الكلية أحدٌ ، أو استفهام أو موصوف أو موصول أو صاحب خبر أو صاحب حال كان الاسم المرفوع بعد الظرف أو المجرور بالحرف فاعلاً عند أكثر النحاة ، وذلك تشبيهًا لشبه الجملة بالفعل في الدلالة على الاستقرار ، ويجوز كونه مبتدأ مؤخرًا ، وقيل كونه فاعلاً أرجح لقوة جانب الفعلية فيه باعتماده على شيء مما ذُكر . . إلخ . يُنْظر في ذلك : الإنصاف ١/ ٥١ - ٥٥ ، وشرح الرضي على الكافية ١/ ٢٤٧ - ٢٤٨ ، وارتشاف الضرب ٣/ ١١٢٢ ، ومغني اللبيب ٢/ ٤٤٣ - ٤٤٤ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل ص ٣٤٩ - ٣٥٢ ، والظرف «خصائصه ، وتوظيفه النحوي لله ، ص ٣٥٥ - ٣٦١ .

(١٩٩) يُنْظر : خزانة الأدب ، ٤/ ٦ ، ١١/ ٣٦ .

(٢٠٠) يُنْظر : الإيضاح في علل النحو ، ص ٦٥ - ٦٦ ، والبعد التداولي عند سيبويه ص ٢٥٩ - ٢٦١ .



التعدية في اللغة السريانية

في ضوء الدلالة التوليدية

د. ماجدة محمد أنور

كلية الآداب، جامعة المنوفية

مقدمة

حظيت "التعدية"، كظاهرة نحوية، باهتمام عديد من الدراسات من المنظـــور النحوي لدى مختلف المدارس قديماً وحديثاً، إلا إن هذه الدراسات ظلت فـــي جانب كبير منها بمعزل عن المعنى، أو عن الدراسات الدلالية.

ويذكر د. أحمد مختار عمر إن الدراسات اللغوية ركزت، منذ وقت مبكر، في دراسة المعنى على المعنى المعجمي، أو دراســـة معنـــى الكلمـــة المفردة باعتبارها الوحدة الأساسية لكل من النحو والدلالة، وقد قُدمت بهـــذا الخصوص مناهج ونظريات متعددة ومتنوعة،[١] ولكن علماء المعاجم درســـوا المعنى المعجمي بطريقة مستقلة عن الدلالة النحوية، مع أن المفردة لا تتحدد دلالاتها إلا في السياق اللغوي من خلال علاقاتها النحوية بعناصر جملتهـــا، ومن خلال سياقها النصي كذلك.[٢]

[1] – د. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص ٥٣

[2] – د. محمد حماسة عبد اللطيف، **النحو والدلالة**، ص ٥٦

ويُرجع د. محمد حماسة عبد اللطيف ذلك إلى أن التفرقة بين الظواهر النحوية والدلالية، أو بين القواعد والمعنى، هي تفرقة موروثة من التفرقة التقليدية بين القواعد من جانب والمفردات المعجمية من جانب آخر، حيث كان يُنظر إلى كل من هذين الجانبين على حدة، على أنه جانب مستقل من جوانب دراسة اللغة، ولذلك حظي كل منهما بدراسات كثيرة ومتنوعة لدى القدماء والمحدثين.[٣]

إلا إن موضوع الدلالة أصبح جزءاً أساسياً من النظرية النحوية في الدراسات اللسانية الحديثة، التي دعت إلى الربط بين الجانب النحوي والجانب الدلالي وعدم التفرقة بينهما، وخاصة عندما ظهرت الفكرة التي دعا إليها تشومسكي بقوله: "إن كل العناصر المستخدمة في التفسير الدلالي يجب أن تُستقى من القواعد النحوية أولاً".[٤] ولذلك اعتمد تشومسكي في بناء نظريته المعروفة باسم "النحو التوليدي التحويلي" Transformational Generative Grammar على أساس البنية العميقة والبنية السطحية للجملة، فالبنية العميقة هي التي تُمثل المعنى والبنية السطحية تمثل النحو، ووجود هذه البنية ضروري لتفسير العلاقة البنيوية الدلالية في الجملة.

ويسعى هذا البحث إلى دراسة ظاهرة التعدية من منظور الدلالة التوليدية، وتطبيق هذه النظرية على اللغة السريانية، بهدف تحديد مفهوم التعدية في اللغة السريانية، وتحديد العلاقات بين الأدوار المختلفة للتعدية في تلك اللغة، وصولاً إلى المعاني الدقيقة لعناصر الجملة. وتتمثل أهمية هذا المسعى في أن هذه النظرية تُعد واحدة من أحدث النظريات اللسانية وتفتح

[3] – المرجع السابق، ص ٤٦

[4] - Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, p. 65

آفاقاً جديدة للبحث اللغوي مما يتيح التعرف بصورة أعمق على جوانب مختلفة من الأداء اللغوي.

وينقسم البحث إلى قسمين، أولهما نظري يقدم عرضاً لنظرية الدلالة التوليدية وتطورها وأدواتها التحليلية، ثم ينتقل إلى دراسة موضوع التعدية في ضوء هذه النظرية، والثاني تطبيقي يتناول نصاً من النصوص السريانية كنموذج، وهو الإصحاح الأول من سفر الخروج، ويقدم حصراً لوسائل التعدية فيه والأدوار الدلالية المختلفة له.

الدلالة التوليدية

انبثقت نظرية الدلالة التوليدية في أواخر الستينات من النظرية النحوية التي قدمها تشومسكي في كتابه **البنى التركيبية** *Syntactic Structures* (1957)، حيث ذهب إلى أن التركيب مستقل تماماً عن المعنى، وأن الصحة النحوية لا تشترط دائماً صحة المغزى الدلالي للجملة[5]. وللتدليل على فرضيته هذه، يسوق تشومسكي الجملتين التاليتين كمثال:

١ـ colourless green ideas sleep furiously

"أفكار عديمة اللون خضراء تنام في غضب"

٢ـ furiously sleep ideas green colourless

"تنام في غضب أفكار خضراء عديمة اللون"

ويرى تشومسكي أنه لا معنى للجملتين من الناحية الدلالية، ولكن أي متحدث بالإنجليزية سيدرك أن الجملة الأولى هي وحدها الصحيحة نحوياً[6]. كما أكد

---

[5] - Chomsky, *Syntactic Structures*, p. 15.
[6] - Ibid.

تشومسكي أن العنصر التركيبي في النحو التوليدي يخصص قواعد لتوليد تراكيب صحيحة نحوياً، ولذلك تبنى نموذجاً أطلق عليه اسم "النموذج التوليدي التحويلي" Transformational Generative قدم من خلاله عدداً من القواعد التي تحدد عناصر بناء الجملة.

وتتمثل هذه القواعد في أربعة أنماط هي: قواعد بنية العبارة Phrase Structure Rules وتُختصر إلى "P Rules"[7]، وقواعد معجمية Lexical Rules وقواعد تحويلية Transformational Rules وقواعد صوتية صرفية Morphophonemic Rules.

قواعد بنية العبارة

هي قواعد تجريدية ذات صبغة شمولية تحدد المكونات الأولية للجملة، ويمكن تمثيل هذه البنية بعدة طرق، منها طريقة "إعادة الكتابة" Rewriting، حيث يبدأ التركيب من الجملة ذاتها، ثم تتفرع الجملة إلى مكونات، يتفرع كل منها

7- نظراً لحداثة تطبيق النظريات اللسانية الجديدة على اللغة العربية، فإن ثمة تبايناً بين الباحثين العرب في ترجمتهم لكثير من مصطلحات علم اللغة الحديث، ومنها هذا المصطلح. فعلى سبيل المثال، يترجم د. محمد علي الخولي هذا المصطلح إلى "قوانين التركيب الأساسي" (**قواعد تحويلية للغة العربية**، ص ٢٢)، ولكنه يستخدم في موضع آخر تعبير "قانون التركيب العباري" كترجمة لنفس المصطلح (**معجم علم اللغة النظري**، ٢١٥). ويترجم د. حلمي خليل مصطلح Phrase Structure إلى "تركيب أركان الجملة" (جون ليونز، **نظرية تشومسكي اللغوية**، ص ١١٣)، بينما يترجم د. الفاسي الفهري هذا المصطلح إلى "البنية المُركِّبية" (**اللسانيات واللغة العربية**، ص ٤٣٣). ويستخدم البحث الحالي كلمة "بنية" أو بناء" كترجمة لكلمة Structure تمييزاً لها عن كلمة "تركيب" Syntax، كما يستخدم كلمة "عبارة" كترجمة لكلمة Phrase تمييزاً لها عن كلمة "جملة" Sentence، وذلك حتى لا يختلط هذا المصطلح بمصطلحات أخرى شبيهة.

إلى مكونات ثانوية، ويستمر هذا التفرع حتى بلوغ المكونات النهائية وهي المكونات التي لا تقبل التفرع إلى مكونات ثانوية أخرى.[8]

ويمكن تطبيق هذه الطريقة على جملة "الولدُ ضرب الكرةَ"، على النحو التالي:

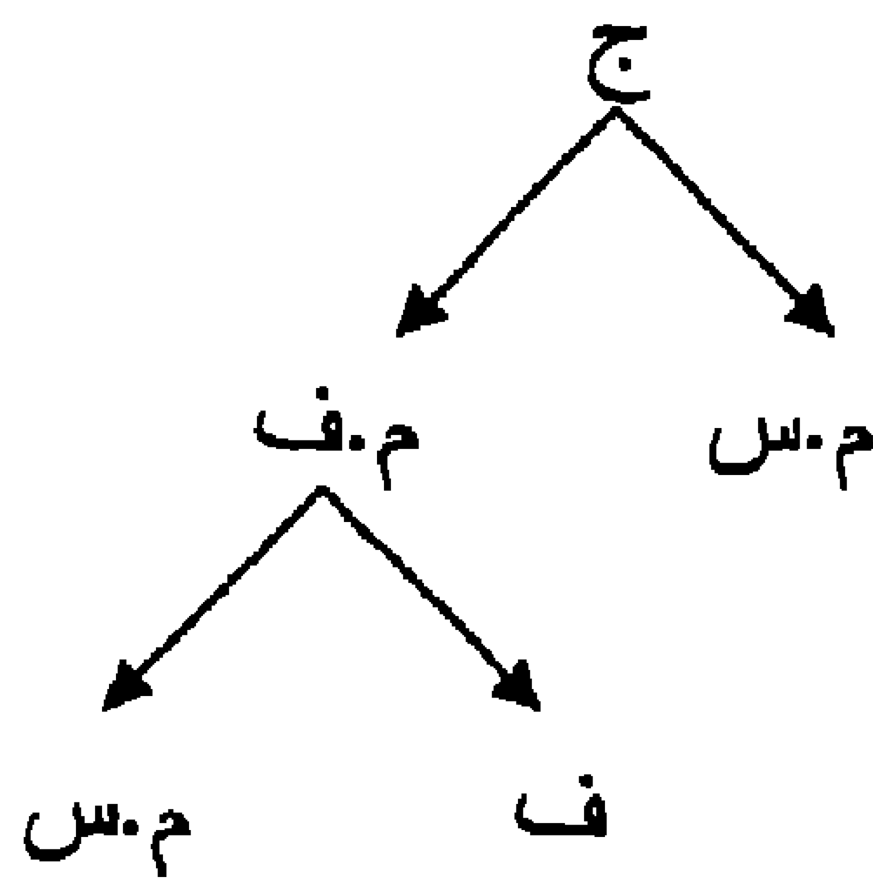
ج ——— م.س م. ف

م. ف ——— ف م.س

م .س ——— ال س[9]

وهناك طريقة أخرى للتمثيل تُعرف باسم "الرسم الشجري" Tree Diagram. ويُستخدم محدد أركان العبارة Phrase marker لوصف العلاقات التسلسلية بين أجزاء الجملة الواحدة. وعادةً ما يبدأ الشكل بالرمز "ج" (أي الجملة)، ثم يتفرع إلى تصنيفات نحوية، وينتهي بمفردات الجملة.[10]

ويمكن تمثيل نفس الجملة السابقة بالرسم الشجري على النحو التالي:



8- د. محمد علي الخولي، **قواعد تحويلية**، ص ٣١.

9 – يُستخدم الرمز "م.س" للإشارة إلى المركب الاسمي، ويرمز "م.ف" إلي المركب الفعلي، و"ف" إلى الفعل، و"س" إلى الاسم، و"ال" إلى أداة التعريف. وهذا الترتيب خاص باللغة الإنجليزية.

10 – د. محمد علي الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، ص ٢١٥.

القواعد المعجمية

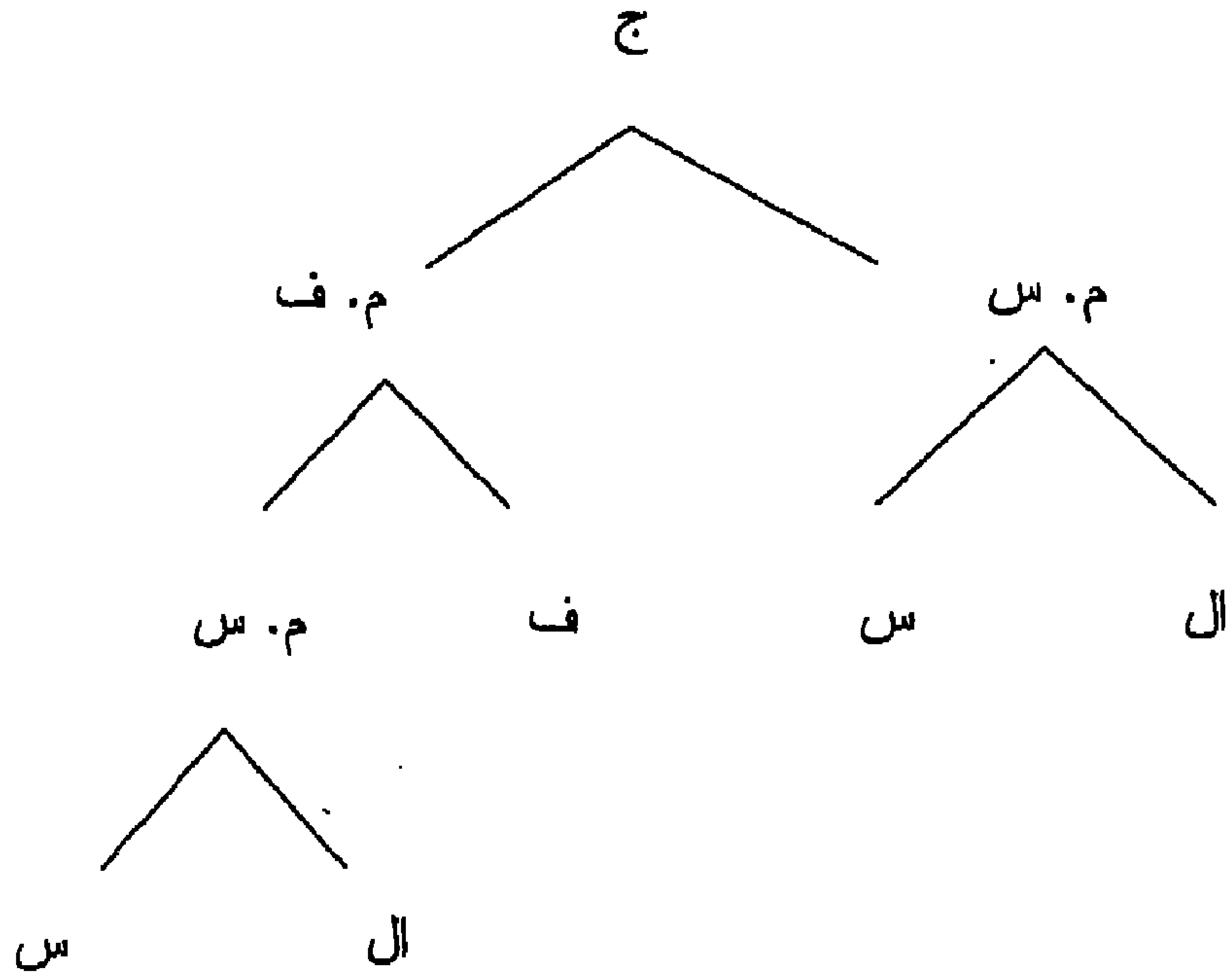
وهي القواعد التي تُستخدم لوصف مفردات اللغة من حيث معناها ومبناها، حيث تُخصص مداخل الوحدات المعجمية لما تحتوي عليه من معنى نحوي ودلالي. ويرى تشومسكي، في ضوء نموذجه التوليدي التحويلي، أن المعجم يضم العناصر التكوينية المختلفة. وتنقسم هذه العناصر إلى قسمين: أولهما يُسمى "العناصر الوظيفية"، مثل: (فاعل، مفعول، شخص، أو عدد.... وما إلى ذلك) وثانيهما يُسمى "العناصر المعجمية" مثل: (الفعل مثل: ضرب، والاسم مثل: الولد والكرة... وما إلى ذلك). وتتوزع العناصر الوظيفية حسب نوع الوحدة المعجمية.

القواعد التحويلية

وهي القواعد التي يتم عن طريقها تحويل البنية العميقة المجردة التي تحتوي على معنى الجملة إلى البنية السطحية المحسوسة التي تُجسد مبنى الجملة وشكلها النهائي. وتنقسم هذه القواعد إلى نوعين، هما القواعد الإجبارية والقواعد الاختيارية.

القواعد الصوتية الصرفية

وهي القواعد التي تضع الكلمات في صورتها النهائية في البنية السطحية. ويمكن تطبيق هذه القواعد على جملة: "الولدُ ضربَ الكرةَ" على النحو التالي:



ال   ولد   ضرب   ال   الكرة

وبذلك، تنتج البنية السطحية للجملة السابقة وهي: "الولد ضرب الكرة".

ورغم الإشارة إلى علاقة المعنى بالتركيب النحوي، فإن تشومسكي لم يقدم في كتابه هذا أية "آليات واضحة لتمثيل واستخلاص المعني، حيث ينصب اهتمامه الأساسي على العناصر التركيبية الشكلية للجملة".[١١]

ويلاحظ كاتز وفودور أن تشومسكي لفت الأنظار إلى أهمية أن يكون المعنى جزءاً من التحليل اللغوي الأساسي، ولكنه لم يُدرج المعنى في مجموعات قواعد النحو التي أشار إليها،[١٢] وهذا يعني أنه ركز على وسائل التحليل الشكلي للغة. ولذلك قدما نظريتهما، التي تُعد من أقدم النظريات

[11]- Ray S. Jackendoff, *Semantic Interpretation in Generative Grammar*, p. 1.
[12]- J. D. Fodor, *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar*, pp. 36, 64.

الدلالية التوليدية من الناحية التاريخية، في كتابهما المعنـون **بنيـة لنظريـة دلالية** *The Structure of a Semantic Theory* (1963)، حيث تناولا فيه علم الدلالة في إطار النحو التوليدي، واهتما بوجوب إدراج المعنى ضمن مكونات النحو، وأضافا المكون الدلالي إلى قواعد المكون الأساسي.[١٣]

وقدم كاتز وفودور نقطتين أساسيتين: أولاهما أن تحديـد تمثـيلات المعنى للجمل، شأنه شأن تحديد البنى التركيبية، يجب أن يحدث نتيجة قواعد متكررة، والثانية أن الربط بين الجمل ليس اعتباطياً ولكنه يعتمد على البنـى التركيبية والمحتوى المعجمي للجمل. وقد افترضا مكوناً تركيبياً مكتفياً بذاته للنحو مما يحدد البنية التركيبية والمحتوى المعجمي لكل جملة فـي اللغـة، وبذلك نظرا للقضية على النحو التالي:

١ـ تقديم محددات معان للعناصر المعجمية.

٢ـ تقديم قواعد متكررة تحدد البنى التركيبية من أجل بناء محددات معنى للعبارات والجمل انطلاقاً من محددات معنى العناصر المعجمية.

٣ـ التأكيد على أن الربط بين العناصر المعجمية وتمثيلات المعنـى معاً هو ما يكون قاموس اللغة، فكل مدخل في القاموس يحتوي على قراءة أو أكثر وتمثل كل قراءة معنى واحداً للعنصر المعجمي، والقواعد المتكررة التي تشكل قراءات لتعبيرات أوسع منبثقة من قراءات مكوناتها تُسـمى بقواعـد الإسقاط Projection Rules.

٤ـ النظر إلى معاني العناصر المعجمية والمكونات الأوسع باعتبارها مفاهيم يمكن تحليلها إلى مفاهيم نووية أبسط تُمثل بمميزات وعلامات دلالية، ومـن

13- J. Lyons, *Semantics*, 11, p. 410

ثم فإن المميزات والعلامات الدلالية تُشكل الحصيلة اللفظية التي تتألف منها القراءات.[14]

وهكذا أضاف كاتز وفودور المكون الدلالي إلى قواعد المكون الأساسي، وأطلقا عليه مصطلح البنية الوظيفية Functional Structure، وهي تهتم بالتوافق الدلالي بين الوحدات المعجمية التي تكون الجملة، ووضعا لذلك قاعدة أطلقا عليها اسم "قيود الاختيار" Selectional Restrictions.

ومن سمات هذه القيود أنها تخص المحمولات (الفعل ومشتقاته والحروف) ومهمتها هي تحديد ما يشترطه المحمول في المفردات التي تلحقه، على اعتبار أن للمحمول موضوعات، وهذه الموضوعات يجب أن تستجيب لما يشترطه المحمول فيها. فالفعل "شرب" يُشترط في فاعله أن يكون [+ حي]، ولذلك لا يمكن أن نقول "شرب المصباح كذا"، كما يشترط هذا المحمول في مفعوله أن يكون [+ سائل] و[+ مشروب]، ولذلك لا يمكن أن نقول "شرب زيد تراباً". والصفة "أزرق" تشترط في موضوعها (أي ما يحمل اللون "أزرق") أن يكون [+ مادي]. ويشترط الحرف بدوره بعض القيود في الموضوع الذي يتعدى إليه، فالحرف "على" مثلاً، يشترط أن يكون موضوعه عبارة عن مساحة مسطحة أو متصوراً كذلك، والحرف "في" يشترط في موضوعه أن يكون مساحة ذات حدود....وهكذا. والخلاصة أن هذه القيود تمنع متكلم اللغة من إنتاج جمل شاذة أو منحرفة من الناحية الدلالية.[15]

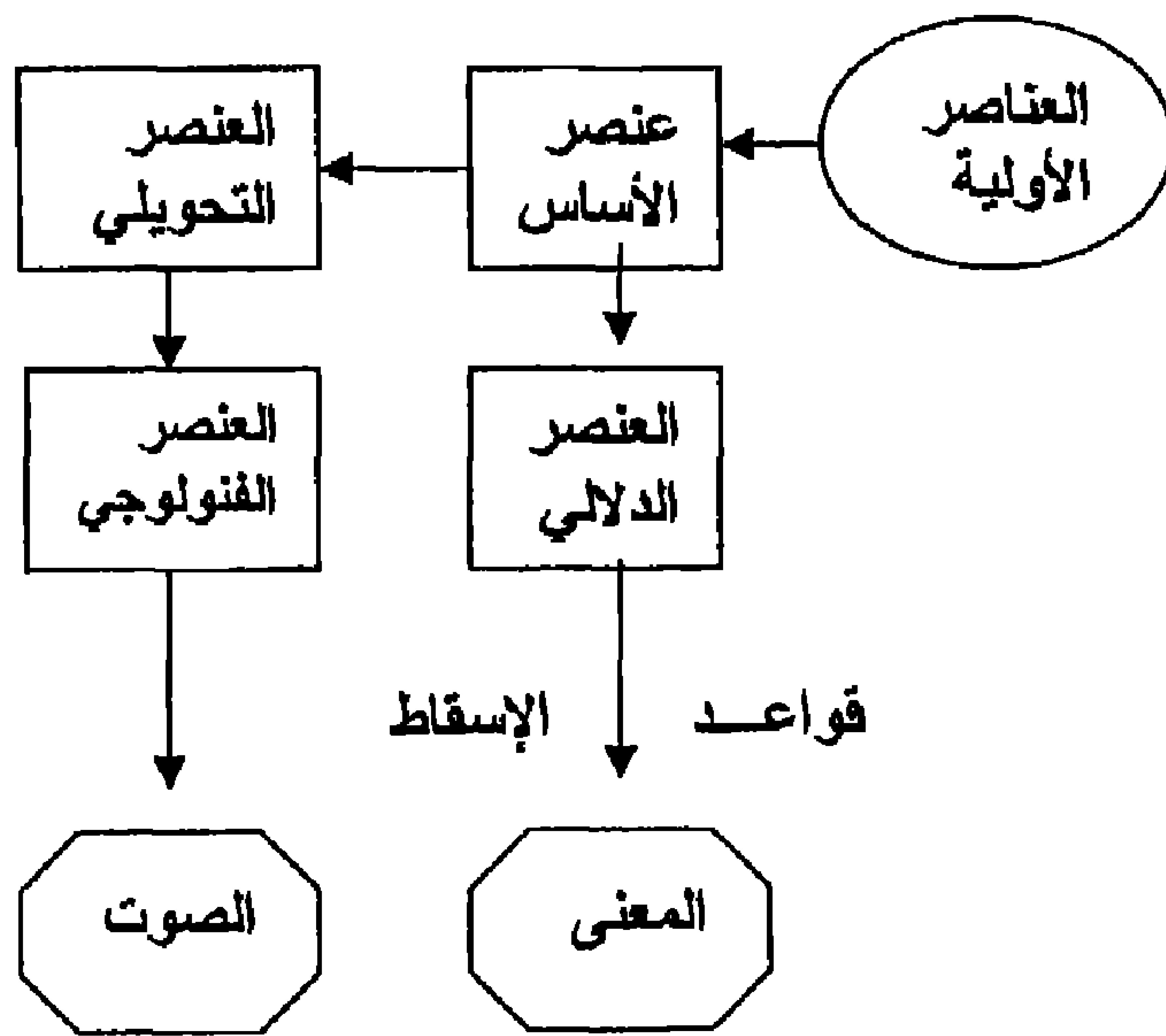
---

[14]- Fodor, *op. cit.* p. 64.

[15] – عبد الحميد جحفة، **مدخل إلى الدلالة الحديثة**، ص ٦٢.

ومن جهة أخرى افترض كاتز وبوستل في كتابهما **نظرية متكاملة للوصف اللغوي** *An Integrated Theory of Linguistic descriptions* (1964) أن البنية الدلالية تتناول المعلومات المتعلقة بـالمعنى التـي تشـرح الأدوار الدلالية التي تسندها المحمولات إلى كل موضوع يلحق بها. وهـذه البنيـة مرتبطة في الأساس بالبنية التركيبية، وليست مستقلة عنها، وهي مجرد بنية تفسيرية، وما يربط بين البنيتين هو قواعد الإسقاط.[١٦]

وقد سُمي هذا المنهج بـالمنهج التفسـيري أو (التـأويلي)، وتبنـاه تشومسكي لاحقاً[١٧]، كما يظهر في كتابه **ملامح النظرية النحوية** *Aspects of the Theory of Syntax* (1965)، وأطلق عليه اسـم "النمـوذج المعيـاري" Standard Model، أوضح فيه أن العنصر الدلالي مسـتقل عـن التركيـب الأساسي، وأنه عنصر تفسيري فقط، وأنه يغذي تركيب الأسـاس بالتمثيـل الدلالي، ويتم ذلك في البنية العميقة، كما هو موضح في الرسم التالي:[١٨]



[16]- Fodor, *op. cit.* p 66
[17]- J. Katz, *Semantic Theory*, pp. 384, 385.
[18]- Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, p. 141.
د. الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ٦٧.

ويُلاحظ في هذا الرسم ما يلي:

١ــ العناصر الأولية: تشمل القواعد المجردة، والقواعد المعجمية.

٢ــ عنصر الأساس: تُستخدم القواعد المجردة لتوليد أركان الجملة طبقاً لمحدد أركان الجملة، ثم تبدأ بعد ذلك عملية الإدراج المعجمي. وتشمل هذه العملية المكونات الدلالية لكل وحدة معجمية، وتحدد قاعدة قيود الاختيار المعجمية ارتباط هذه الوحدات المعجمية في ضوء محدد أركان الجملة.

٣ــ العنصر الدلالي: يشمل البنية الوظيفية، التي تتيح تسجيل العلاقات النحوية والمعلومات اللازمة للتفسير الدلالي. وقد تبنى كاتز وفودور نفس الفكرة، ولكنها أصبحت عند تشومسكي، في كتابه **ملامح النظرية النحوية**، من بين العناصر الأساسية لتوليد الجملة.

٤ــ الدمج بين العنصر الأساسي والعنصر الدلالي يكون عن طريق قواعد الإسقاط.[١٩]

وقد قُدمت أعمال أخرى ذات أهمية تاريخية متميزة في الدلالة المعجمية، وعلى الأخص في دراسة مجموعة الأدوار الدلالية التي ترد في عملية تنظيم المعجم، وتتبع العلاقة بين الدلالة والتركيب. فقد قدم فيلمور (1968) بحثاً طرح فيه ما أسماه "نحو الحالة" *Case Grammar* (1968)، حيث اعتبر أن مفهوم الحالة هو مفهوم أولي Primitive يلعب دوراً مركزياً في نظريته، وهو لا يعني بالحالة المفهوم القديم للتعبير الذي يُشير إلى ما يطرأ على الكلمة من التغيرات الصرفية عند وقوعها في موقع نحوي معين،

---

[19]- J. Katz, *op. cit.*, 109, 110.

د. صلاح صالح حسنين، **محاضرات في الدلالة والتركيب**، ص ٩٤.

كأن تكون فاعلاً أو مفعولاً به مثلاً، بل يقصد مجموعة المفاهيم التي تُمكن الإنسان من إصدار أحكام دلالية عن البنية العميقة للجملة كمعرفة المنفذ الفعلي لحدث ما، والمتأثر بهذا الحدث والأداة التي نُفذ بها الحدث. وهكذا تُصبح هذه العلاقات المعنوية الأساسية في الجمل هي النقطة المركزية التي يجب أن يعالجها التحليل اللغوي ويعمل على تفسيرها وهي علاقات تتجاوز الأدوار النحوية لمكونات الجملة وموضعها في التركيب.[٢٠]

ويمكن تحديد الأحوال بوسيلتين متكاملتين، أولاهما دلالية والثانية تركيبية. ويفترض فيلمور أن هذه الأحوال كلية Universal ولكن تحقيقها قد يختلف من لغة إلى أخرى، وقد تتشابه في بعض اللغات دون غيرها. وهذه الأحوال هي:

١ـ "المنفذ" Agentive: وهو حالة الموضوع الحي Animate القائم بالعمل الذي يدل عليه الفعل.

٢ـ "الأداة" Instrumental: حالة القوة غير الحية Inanimate أو الذات التي تتصل سببياً بالعمل أو بالحالة التي يدل عليها الفعل.

٣ـ "المتأثر" Dative: حالة الكائن الحي المتأثر بالحالة أو بالعمل الذي يدل عليه الفعل.

٤ـ "النتيجة" أو "الواقع" Factive: حالة الذات التي تنتج عن الحدث أو العمل أو الحالة التي يدل عليه الفعل، أو ما يُفهم على أنه جزء من معنى الفعل (كالمفعول المطلق).

---

[20] - C. J. Fillmore, "Case for Case", in Bach and Harms (eds.), *Universals in Linguistic Theory*, 1968, p. 2:4.

٥ـ "المكان" أو "المحل" Locative: حالة تعيين المكان أو الاتجاه الفضائي للحالة أو العمل الذي يدل عليه الفعل.

٦ـ "المفعول به" أو "الموضوع" Objective: وينحصر مفهوم هذه الحالة في الذوات التي تتأثر بالعمل أو الحالة[٢١]. ويرى فيلمور ضرورة التمييز بين هذا المفهوم ومفهوم المفعول المباشر Direct Object.[٢٢]

ويكمن الفرق بين نظرية الدلالة التوليدية وبين نظرية الحالات الدلالية، في اكتساب العناصر الاسمية تلك "الحالات الدلالية". وهذه الحالات ترتب من اليمين إلى اليسار طبقاً لهيكل معين. فالفعل "يعطي"، على سبيل المثال، هو فعل ذو محلات ثلاثة يتطلب فاعلاً (فا) وهو العاطي، ومستفيداً (مس) وهو المستقبِل، وموضوعاً (مو) وهو ما يُعطى. وهذه المحلات تقع في رتب معينة وهي: فا، مس، مو، ويُعد (فا) من أكثر الاختيارات المألوفة ليحلّ في خانة الفاعل النحوي حيثما وقع. وعند غياب (فا) فإن (مس) هو الاختيار الأفضل ليحلّ في خانة الفاعل النحوي. وفي حالة غياب (فا)، و(مس)، فإن "مو" يحل في خانة الفاعل النحوي....وهكذا.[٢٣]

ومن ناحية أخرى، اهتم جروبر بدراسة البنية الدلالية دراسةً مستقلةً عن التركيب النحوي، واستفاد من الحالات التي قدمها فيلمور، ولكنه ركز على أفعال "الحركة" و"الثبات"، باعتبارهما المفهومين الأساسيين اللذين يتيحان تصنيف المحمولات وتنظيم بناها الوظيفية أو الموضوعية، وجعل الدور

---

[21]- د. الفاسي الفهري، **المعجم العربي**، ص ٣٦، ٣٧.

[22]- Fillmore, *op cit*, p. 24, 25.

[23] – د. مازن الوعر، **دراسات نحوية ودلالية وفلسفية**، ص ٦٨.

الأساسي والضروري في كل منهما هو المحور Theme، وهـو موضـوع الحركة أو الثبات، والمكان، وتتمثل الأدوار الأساسية لأفعال الحركة والثبات عند جروبر فيما يلي:

١ـ المحور Theme:

أ- في أفعال الحركة: الموضوع الذي تقع عليه الحركة.

ب- في أفعال الثبات: الموضوع الحال.

٢ـ المحل Location: الموضوع الذي يدل على المحل.

٣ـ المصدر Source: موضع المحور الأول.

٤ـ الهدف Goal: موضع استقرار المحور.

٥ـ المنفذ Agent: الموضوع الذي يعبر عن العمل Action.[٢٤]

ومن النتائج المهمة لعمل جروبر إثبات أن التحليل الدلالي للحركة والثبات يمكن أن يُعمم على حقول دلالية أخرى، ومن هنا اعتبر جروبر أن كل وضع دلالي لابد أن يتضمن محوراً، وأطلق على هذه العلاقات الدلالية اسم "العلائق المحورية" Thematic Relations.[٢٥]

وفي كتابه **التفسير الدلالي في النحو التوليدي** *Semantic Interpretation in Generative Grammar* (1972)، طور جاكندوف فرضية الأدوار المحورية التي وضعها جروبر لأفعال الحركة والثبات، وركز على

---

24 - Jackendoff, *op cit*, pp. 29:31.

د. الفاسي الفهري، **المعجم العربي**، ص ٣٥.

25 – د. الفاسي الفهري، المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٥

أن السمات الداخلية للمحمول هي التي تحدد الأدوار المحورية للموضوع، أو الموضوعات التي يتطلبها المحمول.[٢٦]

التعدية والبنية الدلالية

التعدية هي تجاوز الفعل فعله إلى مفعوله،[٢٧] وتعدية الفعل إما أن تكون بدلالة الفعل المعجمية من غير وسيلة أخرى، أو بوسيلة من وسائل التعدية كالهمزة والتضعيف.[٢٨]

ومن الأفعال ما يتعدى إلى مفعول واحد مثل:

ضربتُ زيداً

ومنها ما يتعدى إلى مفعولين كأفعال المنح والعطاء، فهي أفعال مؤثرة تنفذ من الفاعل إلى المفعول وتؤثر فيه مثل:

أعطى زيدٌ إبراهيمَ درهماً

ومنها ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل مثل:

أعلمتُ محمداً عمراً فاضلاً

ويرى ابن يعيش[٢٩] أن هذه الأفعال منقولة من التعدية إلى مفعولين إلى التعدية لثلاثة مفاعيل مثل: "أعلمت" و"أريت". فالفعل "علم" كان متعدياً إلى مفعولين، ثم دخلت عليه الهمزة، وهي وسيلة من وسائل التعدية، فأصبح متعدياً إلى ثلاثة مفاعيل.

---

[26] - Jackendoff, *op. cit*, p. 3.

[27] – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٦، ص ٦٢.

[28] – د. محمد حماسة عبد اللطيف، **بناء الجملة العربية**، ص ١١٦.

[29] – ابن يعيش، **المفصل**، ج ٦ – ص ٦٥.

وقد ارتبط مفهوم التعدية في الدراسات النحوية الغربية بالسببية Causativity،[٣٠] على اعتبار أن الأفعال المتعدية للمفعول، تملك سبباً ضمنياً، ومسبِّباً ومسبَّباً، فجملة مثل: John rang the bell "جون دق الجرس"، تُحلل على أنها تعني: John caused the bell to ring "جون تسبب في دق الجرس"، على أساس أن "جون" هو المسبِّب causer، و"دق" هو السبب cause، والصوت الناتج هو الأثر effect الذي نتج عما قام به المسبب.[٣١]

وارتبط هذا المفهوم بتحليل فعل مثل "قتل" على النحو التالي:

قتل ← تسبب في – موت

kill ⟶ cause – to – die

ويمكن تمثيله على النحو التالي:

(سبب س (موت ص))

فهذا الفعل السببي مكوّن من محمول مركب من محمولين، أحدهما لفعل السبب وفاعله، والثاني للأثر وفاعله. ويرى ليونز[٣٢] أن فعل Cause ليس فعلاً حقيقياً، وإنما هو فعل مجرد، أو محمول Predicate يدخل في تركيب أفعال أخرى مثل، جعل ووضع وفعل وغيرها، وكلها أفعال تدل على التنفيذ، ففاعلها في التمثيل الدلالي المفترض "منفذ" ويأخذ عدداً متنوعاً من المفاعيل، فتكون البنية التصورية لفعل "قتل" هي:

[سبب س < يموت ص >>]، س منفذ

---

[30] - Fodor, *Semantics*, pp. 91,92.

[31] – بالمر، علم الدلالة، ترجمة صبري إبراهيم السيد، ص ٢٠٢.

[32]- Lyons, *op cit.* p. 488.

كما ارتبط مفهوم التعدية في الدراسات اللغوية الحديثة بمفهوم الكفاءة Valency، [٣٣] أي قابلية الفعل للارتباط بواحد أو أكثر مـــن الأدوار الدلاليـــة، بمعنى أن الفعل المتعدي قد يرتبط بدور واحد وفي هذه الحالة يُطلق عليه اسم "أحادي الكفاءة" Monovalent، مثل فعل die، وقد يرتبط بـــدورين فيســـمى "ثنائي الكفاءة" Bivalent، مثل فعل kill، وقد يرتبط بثلاثـــة أدوار فيســـمى "ثلاثي الكفاءة" Trivalent، مثل فعل give. ويرى ليونز أن "الغالبية العظمى من الأفعال الثلاثية الكفاءة والثنائية الكفاءة تُستخدم مع فاعل منفذ Agentive Subject، وأن معناها عموماً هو معنى سببي، وإن كان ذلك لا يصدق دائماً". ويدلل ليونز على ذلك بقوله إن الفعل ثنائي الكفاءة "يقتل" kill هو سببي فـــي علاقته بالفعل أحادي الكفاءة "يموت" die، وأن الفعل ثلاثي الكفاءة "يعطـــي" give هو سببي في علاقته بالفعل الثنائي الكفاءة "يملك" have. [٣٤]

وترتبط اللسانيات الحديثة ظاهرة التعدية بالأدوار في البنية الدلاليـــة، ويُلاحظ أن التعدية تتضمن موقعين، أو دورين دلاليين، وينصب الاهتمام لدى أتباع نظرية الدلالة التوليدية على تحديد الأدوار الدلالية التي تتطلبها التعدية في الجمل المختلفة.

ويعتمد تحديد الأدوار الدلالية على الحقل الدلالي الذي يـــدل عليـــه الفعل. وقد ذكر تشومسكي أن الفعل قد يدل على حركة أو نشاط أو وضع أو استفادة أو اكتساب أو تغير أو حالة أو شعور [٣٥]، واستناداً إلى ذلـــك يمكـــن استخلاص العلاقات التالية:

---

[33]- Lyons, *op cit*. p. 489.
- Matthews, *Syntax*, pp. 100- 103.

[34] - Lyons, *op cit*, p. 489, 490.

[35]- Chomsky, *Aspects*, p. 111

١- الحقول الدلالية التي يحتاجها المنفذ هي: الحركة، والنشاط، والتحـــول، والوضع.

٢- حقول الأداة هي: الحركة، والنشاط.

٣- حقول المستفيد هي: النشاط والشعور.

٤- حقول المستهدف هي: الحركة، والنشاط، والشعور.

٥- حقول الضحية هي: النشاط، والسبب.

٦- حقول الاستفادة هي: النشاط.

٧- حقول الموضوع هي: حركة، وتحول.

٨- حقول المصدر هي: حركة، وحالة، والوضع.

٩- حقول الغاية أو الهدف هي: الحركة، والنشاط، والوضع، والحالة.

١٠- حقول المكان هي: الحالة.

١١- الحالة: توضح كيف حدث الفعل.

١٢- المصاحبة: تقابل هذه الحالة في التركيب السطحي المفعول معه.[٣٦]

التعدية والبنى المحورية

يُعد د. الفاسي الفهري من أبرز الذين سعوا إلى تطبيق نظريات اللســـانيات الحديثة على كثير من الظواهر اللغوية في العربية، ومن بينها ظاهرة التعدية، حيث قدم تصوراً لتحليل العلاقات الدلالية في حالة التعدية مستنداً في ذلـــك إلى أفكار فيلمور وجروبر وجاكندوف.

---

[36]- George Saad, *Transitivity*, p. 20, 21

ويرى د. الفهري أن التعدية في اللسانيات الحديثة تأخذ أدواراً مختلفة في البنية المحورية، وأن النقل إلى التعدية أو إلى اللزوم يـتم بزيـادة دور دلالي أو طرحه من مجموعة الأدوار التي تُربط نحوياً في بنية معينة.[٣٧]

ويفترض د. الفهري لذلك بناءً تراتبياً لـلأدوار الدلاليـة Semantic Role Hierarchy، يطلق عليها اسم "سُلَّمية"، تتحكم في القواعد التـي تـربط التركيب الدلالي بالتركيب النحوي، بالإضافة إلى قواعد ربط الأدوار إلـى المكونات التركيبية (أو الموضوعات أو المواقع...إلخ)، والقواعد التي تسـند الوظائف النحوية إلى الأدوار الدلالية، وسُلَّمية الأدوار عند الفهري هي:

منفذ (علة) > مصدر > هدف (معان، مستفيد) > أداة > محور > مكان

ويتصور د. الفهري الربط كعلاقة ثلاثية بين دور دلالي وموضـوع أو (وظيفة نحوية) ورابط تركيبي أو صرفي. ويرى أن الربط نوعين همـا الربط النحوي Grammatical Linking والربط الـدلالي Semantic Linking. فالربط النحوي يتم فيه ربط موضـوعات مثـل الفاعـل والمفعـول إلـى محمولاتها، وتُسمى هذه الموضوعات حدوداً Terms، ومن بين هذه الروابط النحوية الإعراب المعمول فيه، والتطابق (بين المحمول والموضوع)، وكذلك الرتبة المتمثلة في البنية الشجرية. أما فـي الـربط الـدلالي فيـتم ربـط الموضوعات إلى الفعل بواسطة، قد تكون هي الحرف، أو الحالات الإعرابية غير المعمول فيها، ولا تُعد الموضوعات المربوطة دلالياً حدوداً.

ويمكن للموضوعات أن تُنقل من وضع حدّ إلى وضع غير حدّ بعملية نزع أو إنزال Demotion. وقد تتم هذه العملية بواسطة لاصقة أو بواسـطة

---

[37] – د. الفاسي الفهري، المعجم، ص ١٣٦.

حرف، وقد تتم ترقية Promotion أحد الموضوعات من وضع غير حدّ إلى وضع حد.[٣٨]

وبخصوص إسناد الوظائف النحوية، يفترض هذا البناء التراتبي أن الفاعل يُربط إلى أعلى دور في البنية المحورية، وأن المفعول يُربط إلى الدور الذي يليه.

التعدية إلى الأدوار الدلالية

١ـ التعدية إلى المكان

يرى الفاسي أن المكان يرد أسفل دور في سلمية الأدوار، فيكون مفعولاً أو فاعلاً بحسب عدد الأدوار المعبر عنها، ومن الأمثلة التي يرد فيها الفعل متعدياً إلى المكان فيجعله مفعولاً ما يلي:

بلغتُ الدارَ

نزلتُ الوادي

فهذه الأفعال مما يتعدى إلى المكان، وقد يكون المكان منزوعاً في الأصل كما في الأمثلة التالية:

نزلتُ إلى الوادي

سكنتُ في الدار

ويظهر الفرق في التركيبين في البنية المحورية، ففي جملة "نزلتُ الوادي"، تتمثل البنية المحورية في:

---

38 – د. الفاسي الفهري، **المعجم**، ص ٤٨، ٤٩.

[< "نزل" مكان > محور]

والبنية المحورية لجملة "نزلت إلى الوادي" هي:

[< "نزل" ٨ مكان > محور]

٢ــ التعدية إلى المحور

المحور هو الدور الذي يكون موضع حركة سواء أكانت حسية أم مجــردة، وقد يكون المحور مربوطاً بالفعل، فيكون فاعلاً أو مفعولاً كما فــي الأمثلــة الآتية:

بلغ السيلُ الزُبى

ذهب الرجل إلى الإسكندرية

فالسيل والرجل محور، ولا دور يعلوه، والزُبى مكان.

٣ــ التعدية إلى الأداة

تأتي الأداة في دور المنفذ (الفاعل) سواء اقتصرت على هذا الدور أو تعدت الفعل إلى غيره، مثل:

كتبَ القلمُ (الرسالةَ)

فتحَ المفتاحُ (البابَ)

فالمفعول هنا محور أو ضحية، وهي أدوار تأتي أسفل مــن دور الأداة فــي البناء التراتبي، وقد تأتي الأداة منزوعة فيرتقي المحور إلى دور الفاعل كما في:

انفتح الباب بالمفتاح

وقد ترد مع المنفذ منزوعة أيضاً مثل:

فتحتُ البابَ بالمفتاح

والأصل في الأداة أن تكون منزوعة.

٤ــ التعدية إلى الهدف

يُربط الهدف إلى وظيفة نحوية أعلى من وظيفة المحور، فيكون مفعولاً أولاً إن كان المحور مفعولاً ثانياً، أو فاعلاً إن كان المحور مفعولاً به، و يتعدى الفعل إلى الهدف على الحقيقة، وإلى الهدف المجرد، ويدخل ضمنه المعـاني Experiencer، والمستفيد Beneficiary، أو المتلقي Recipient، مثل:

منح محمد هندَ كتاباً

فـ"محمد" فاعل منفذ (وهو أيضاً مصدر)، وهند مفعول أول هدف، وكتـاب مفعول ثان محور (لأنه موضوع الحركة المجردة). وقد يُنزع الهدف بحرف اللام كما في الجملتين التاليتين:

بعث الكتابَ لزيد

شكرتُ له (صنيعه)

٥ ــ التعدية إلى المصدر

يأتي المصدر أعلى من الهدف في البناء التراتبي، كما في الجملة التالية:

بعتُه الثوب

ويُلاحظ هنا أن "تاء" المتكلم مصدر فاعل، وقد تكون منفذاً أيضاً، والهاء هدف (أو مستفيد) و"الثوب" محور. وقد يرد المصدر أيضاً منزوعاً بالحرف "من" كما في الجملتين التاليتين:

سلبه دينه

سلب منه دينه

وهناك أفعال لا يرد فيها المصدر إلا منزوعاً كما في التراكيب التالية:

اشتريت منه الكتاب

* اشتريته الكتاب

انتزعت منه الاعتراف

* انتزعته الاعتراف

ففي هذه التراكيب يأتي المصدر مكملاً لوجود المنفذ كأساس يُسند إليه دور الفاعل. وقد يرد المصدر فاعلاً حين لا يكون هناك منفذ، أو حين يكون الفاعل في نفس الوقت منفذاً ومصدراً كما في الجملتين التاليتين:

بعته الثوب

أمرني ربي بهذا

فالفاعل في كلتا الحالتين منفذ ومصدر في الوقت نفسه.

٦ ـــ التعدية إلى المنفذ

ويحتل المنفذ (أو العلة) دوراً أعلى من المصدر في البناء التراتبي، ولا يصير المصدر فاعلاً إلا عندما ينُزع المنفذ كما سبقت الإشارة في الأمثلة التالية:

سلبه دينه

سُلب دينه

سُلب دينه منه

فالضمير المستتر في الجملة الأولى منفذ فاعل، و"الهاء" مصدر، و"الدين" محور، و"الهاء" المستترة في الجملة الثانية مصدر فاعل، و"الدين" مفعول، وفي الجملة الثالثة يُعتبر "الدين" فاعل محور، لأن المصدر نُزع بحرف "من".

ويُلاحظ أن المنفذ لا يمكن أن يكون مفعولاً في بنية متعدية أصلاً، وإنما يكون مفعولاً في بنية منقولة، أو يكون منزوعاً، ونزع المنفذ أو العلة يكون بحرف "الباء" كما في الأمثلة التالية:

أثر فيه أبوه

تأثر بأبيه

أعجبني كلامُك

أُعجبتُ بكلامِك

كما يُنزع المنفذ أيضاً بحرف "من"، وذلك إذا كان التركيب يقبل قراءة "مصدرية" كما في الجملتين التاليتين:

أُمرت منه أن أقوم بهذا

أرسل مبعوث من الملك (أرسل الملك مبعوثاً)

أي أن المنفذات تُنزع بحروف مختلفة هي "الباء" و"اللام" و"من"، ويتحدد نوع الحرف بحسب معاني التركيب والأدوار الثانوية التي يحملها المنفذ.

ومن الواضح أن الذي يحدد هذه الأدوار الدلالية هو المعنى العميق للجملة، وهذا هو ما يميز مفهوم تلك الأدوار في البنية الدلالية الحديثة.

التعدية عند النحاة السريان

لا يظهر مفهوم التعدية فيما وصلنا من أعمال النحاة السريان الأوائل، ولا ترد معالجة مستفيضة لهذه الظاهرة إلا عند ابن العبري في القرن الثاني عشر الميلادي، من خلال كتابه **الأشعة** في النحو السرياني[39]، الذي جاء شاملاً لجميع أبواب النحو سواء تلك التي تناولها النحاة السابقين من قبل أو الأبواب التي لم يتناولوها. ولعل مرجع ذلك هو تأثره بالنحاة العرب،[40] الذين كانوا قد قطعوا شوطاً بالغاً في بحث اللغة العربية ونحوها. وقد قسم ابن العبري الفعل إلى فعل لازم وفعل متعد، وذكر أن الفعل إما أن يكون غير متعد من الفاعل إلى المفعول به ويسمى "اللازم" مثل:

ܐܬܐ ܦܛܪܘܣ "أتى بطرس"، ܐܙܠ ܦܘܠܘܣ "ذهب بولس"، ܝܘܛܐ
ܢܦܠ "سقط يوطاس"، ܩܡ ܡܬܝ "قام متى".

أو متعد من واحد إلى آخر ويسمى "المتعدي"[41] مثل:

ܐܩܝܡ "أقام"، ܐܚܬ "أنزل"، ܐܦܩ "أخرج"، ܐܥܠ "أدخل".

---

39 – استعان البحث بنص كتاب ابن العبري الوارد في *Moberg, Le Livre des Splendeurs*، وبالترجمة العربية لباب الفعل الوارد في: أحمد محمد علي الجمل، "الفعل والحرف من كتاب الأشعة لابن العبري: ترجمة ودراسة"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

40– د. زاكية محمد رشدي، **السريانية: نحوها وصرفها**، ص ٣٥.

41 – يقصد ابن العبري بالتعدية هنا تعدية الفعل بنفسه، ولكن الأمثلة التي ساقها من نوع تعدية الفعل بالهمزة. ويذكر في مكان آخر "في باب اتصال الضمائر بالفعل الأجوف" أن هناك أفعالاً تكون متعدية بطبيعتها مثل: ܕܢ "حكم". ص ١٠١

ثم قسم ابن العبري الأفعال المتعدية إلى ثلاثة أقسام هي:

١ــ أفعال تتعدى إلى مفعول واحد مثل:

ܡܚܐ ܡܪܝܐ ܠܡܨܪܝܐ "ضرب الرب المصريين"

ܣܓܝܐܐ ܗܝܡܢܘ ܒܗ "آمن كثيرون به" [يوحنا ٢: ٢٣]

٢ــ أفعال تتعدى إلى مفعولين مثل:

ܩܕܡܬܗܝ ܒܘܪܟܬܐ ܛܒܬܐ "قدمته بركة خير" [مزامير ٢١: ٤]

والمفعول الأول هنا ضمير عائد على الغائب وهو ܗܝ "ــــه"، والمفعول الثاني هو ܒܘܪܟܬܐ ܛܒܬܐ "بركة خير".

٣ــ أفعال تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل مثل:

ܡܟܪܬܟܘܢ ܓܝܪ ܠܓܒܪܐ ܚܕ ܒܬܘܠܬܐ ܕܟܝܬܐ ܕܐܩܪܒ ܠܡܫܝܚܐ

"خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" [رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١١: ٢]، والمفعول الأول هو الضمير العائد على المخاطبين ܟܘܢ "كم"، والمفعول الثاني هو ܓܒܪܐ ܚܕ "رجل واحد"، والمفعول الثالث هو ܒܬܘܠܬܐ ܕܟܝܬܐ "عذراء عفيفة".

وسائل التعدية عند ابن العبري

يذكر ابن العبري أن هناك سببين للتعدية، هما:

- السبب الأول دخول حرف من حروف ܐܡܢܬ "أمنت"[٤٢] على الفعل، حيث قدم مجموعة من الأفعال اللازمة، ثم وضعها في جمل بعد دخول الحروف السابقة عليها وهي:

---

42 – يقصد ابن العبري بهذه الحروف حروف المضارعة، وهو يركز عليها في معالجته للفعل، ولكنه خلط هنا بين هذه الحروف وتلك التي تؤدي إلى تعدية الأفعال، ومنها همزة الوزن المزيد والتضعيف، وقد ذكر همزة المزيد ضمن حروف المضارعة ولم يفرق بين همزة المضارعة

ܫܟܒ "ضجع"، ܣܛܐ "مال"، ܣܓܕ "سجد"، ܗܡܣ "همس"، ܟܐܒ "تـألم"، ܡܟ "تذلل"، ܗܓܐ "تأمل". وتصبح متعدية على النحو التالي:

ܐܫܟܒ ܐܢܘܢ ܥܠ ܐܪܥܐ "أضجعهم على الأرض" [صموئيل٢ ٨: ٢]

ܐܣܛܝ ܢܫܘܗܝ ܠܒܗ "أمالت نساؤه قلبه" [ملوك ١ ١١: ٣]

ܒܦܘܡܗ ܐܣܓܕܗ ܠܫܢܗ ܓܠܝܐܝܬ "أخضعه لسانه علانية"

ܐܗܡܣ ܪܫܐ ܠܕܝܢܐ "خضعت الرأس للقاضي"

ܟܐܒܐ ܕܚܫܗ ܡܟܐܒ ܠܝ "ألم حزنه يؤلمني"

ܗܫܐ ܡܟ ܐܢܐ ܠܟ ܗܦܘܟܝܬ "الآن أهجو لك بالعكس"

ܘܟܠ ܕܡܥܗܕ ܠܗ ܡܬܗܓܐ "وكل من يتذكرها يرتعب"[43] [إشعيا ١٩: ١٧]

- السبب الثاني: فتح الحرف الأول الساكن بالفتحة القصيرة، ويقصد ابن العبري بذلك التضعيف في اللغة السريانية، حيث قدم بعض الأفعال اللازمة، ثم أدخلها في جمل بعد دخول التضعيف عليها مثل: ܒܨܪ "قل"، ܦܫܪ "زال"، ܬܘܐ "ندم"، ܕܥܟ "ضعف"، ܚܣܪ "خسر" بسكون الحرف الأول،

وهمزة الوزن المزيد، كما اعتبر أن حرف الميم من حروف المضارعة لأنه يدل على المضارع من الوزن المزيد، ويتضح هذا الفرق من خلال الأمثلة التي ساقها.

43 - عُرضت هنا كل النماذج التي ساقها ابن العبري، وذلك، لكي يتضح مفهومه عن الحروف الزائدة التي أشار إليها، ففي النماذج الثلاثة الأخيرة تدل الحروف الزائدة فيها، وهي الميم والنون، على أنها حروف المضارعة، وليست حروف التعدية وهناك فرق بينهما كما يتبين بعد ذلك. أما باقي النماذج فهي مزيدة بالهمزة.

وتصبح متعدية في: ܒܨܰܪ "قلّل"، ܥܰܒܰܪ " أزال"، ܟܰܐܝ "وبخ"، ܪܰܦܝ "أضعف"، ܚܰܣܰܪ "خسّر" بفتح الحرف الأول. مثل:

ܘܟܰܐܝ ܕܘܝܕ ܠܓܰܒܪ̈ܐ ܕܥܰܡܶܗ "فوبخ داود رجاله الذين معه" [صموئيل ١ ٢٤: ٨]

ܘܪܰܦܝܬ ܐܶܢܘܢ ܒܚܶܡܬܝ "وأضعفتهم بغيظي" [إشعيا ٦٣: ٦]

ܡܳܪܝܳܐ ܢܶܪܥܶܝܢܝ ܘܡܶܕܶܡ ܠܳܐ ܢܚܰܣܰܪ ܠܝ "الرب يرعاني فلا يعوزني شيء" [مزامير داود ٢٣: ١]

وهكذا، فقد ركز ابن العبري على سببي التعدية، وهما الهمزة والتضعيف، ولم يذكر أن الفعل المتعدي بنفسه قد يكون سبباً للتعدية، ولذلك ربطهما معاً عندما ذكر "أن الأفعال المتعدية بالأداة تعمل عمل الأفعال المتعدية بطبيعتها".[44] إلا إنه يعود ويشير إلى سبب آخر للتعدية عندما يقول "يتعدى الحدث أحياناً إلى معنى المفعولية بواسطة حروف الإضافة" مثل:

ܐܶܬܦܢܝ ܠܘܳܬܝ ܘܫܡܰܥ ܒܳܥܘܬܝ "التفت نحوي وسمع طلبي"

ܐܶܢܳܐ ܠܚܰܒܝܒܝ ܘܥܠܰܝ ܪܶܓܬܶܗ "أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه" [نشيد الأناشيد ٧: ١١]

ܪܥܝܬ ܡܳܪܝܳܐ ܒܰܐܪܥܳܟ "رضيتَ يارب على أرضك" [مزامير ٨٥: ٢]

ويعلق على هذه النماذج بقوله "إنه بواسطة الحروف السابقة وهي: ܠܘܳܬ "نحوي"، وܥܠܰܝ "إليّ"، و ܒ "الباء" تجاوز الالتفات والاشتياق والرضا من الفاعل إلى المفعول به". ولم يذكر ابن العبري هل يتعدى الفعل بواسطة هذه الحروف فقط أم بكل حروف الإضافة.

44- Moberg, *op. cit*, p. 101

ويستطرد ابن العبري في هذا الباب قائلاً إن أسباب التعدية السابقة قد تدخل على الفعل المتعدي إلى مفعول واحد فتجعله يتعدى إلى مفعولين، مثل هذه الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد: ܝܗܒ "جبا"، ܪܚܡ "أحب"، ܫܒܐ "سبى"، ܣܐܢ "احتذى"، ܒܙ "نهب"، ܐܚܕ "أخذ".[45] وهي تتعدى إلى مفعولين هكذا:

ܐܘܪܬܢ ܝܪܬܘܬܗ "أعطانا نصيبه" [مزامير ٤٧: ٥]

ܗܒ ܠܗܘܢ ܘܪܚܡ ܐܢܘܢ ܠܥܡܡܐ "وهبهم فحببهم إلى الشعوب" [تثنية ٣٣: ٣]

ܘܐܫܒܐ ܫܒܝܟܝ ܒܝܢܝܗܝܢ "وأسبى سباياك بينهن" [حزقيال ١٦: ٥٣]

ܘܐܣܐܢܬܟܝ ܣܐܢܐ "وألبستكِ الأحذية"

ܘܐܢ ܐܡܪܝܢ ܐܢܬܘܢ ܒܡܢܐ ܐܫܝܛܢ ܫܡܟ "وإن كنتم تقولون بم احتقرنا اسمك [حزقيال ١٦: ١٠]

ܘܐܫܠܡܗ ܠܦܠܚܐ "وسلّمه للفلاحين" [متى ٢١: ٣٣]، [لوقا ٢٠: ٩]

واقتصر ابن العبري هنا على التعدية بالهمزة فقط دون التضعيف.

وقد أشار النحاة المستشرقون إلى التعدية الأصلية التي تتعدى لمفعول أو مفعولين بشكل عام في باب تصريف الأفعال ولم يفردوا له فصلاً خاصاً به. فقد ذكر دوفال[46] أن بعض الأفعال التي على وزن ܦܥܠ "فَعَلَ" تأخذ مفعولين مثل: فعل ܡܠܐ "ملأ"، ܥܩܒ "عاقب"، و ܚܦܐ "غطى"، و ܒܥܐ "طلب" كما في الأمثلة الآتية:

ܡܠܘ ܐܢܘܢ ܠܓܪܒܐ ܡܝܐ "إملأوا الأجران ماء" [يوحنا ٢: ٧]

---

45 – الأفعال التي قدمها ابن العبري هنا هي أفعال تتعدى بنفسها وهذه أول إشارة بهذا المعنى.

46 -R. Duval, *Traite de Grammair Syriaque*, p. 327

ܦܪܥܗ ܐܠܗܐ ܠܥܒܘܕܝܗ̇ ܒܝܫܬܐ "عاقب الله فاعلي السوء"

ܘܬܚܦܝܘܗܝ ܢܚܫܐ "وتغشيه بنحاس" [خروج ٢٧: ٢]

وأشار نولدكه[٤٧] أيضاً إلى هذا بقوله "هناك بعض الأفعال تتعدى إلى مفعـولين مثـل: ܕܢܫܐܠܝܘܗܝ ܒܪܗ ܠܚܡܐ "إذا سـأله ابنـه خبـزاً" [متى ٧: ٩]

وأضاف نولدكه[٤٨] قائلاً إن هناك بعض الأفعال تختلف في تعـديتها ولزومها باختلاف تصريفها، فمثلاً فعل: ܛܒܥ ܢܛܒܥ "غرق" فعل لازم مفتوح في المستقبل، ܛܒܥ ܢܛܒܘܥ "طبع" فعل متعدي مضموم في المستقبل.

وسائل التعدية في اللغة السريانية

في إطار سعيه إلى دراسة ظاهرة التعدية في اللغة السـريانية فـي ضـوء الدلالة التوليدية، بهدف تحديد الأدوار الدلالية التي تكتسـبها الكلمـات فـي الجملة السريانية، ينحى البحث منحى الفهري في النظر إلى ظاهرة التعديـة من جوانبها المعجمية والصرفية والتركيبية، وتتبع الأدوار التي يتعدى الفعل إليها، بالإضافة إلى حصر التعدية السببية في كل قسم إن وجدت في النص.

١ـ التعدية بدلالة الفعل المعجمية

ميزت اللغة السريانية بين الأفعال المتعدية والأفعال اللازمـة فـي الـزمن الماضي والمستقبل، فجعلت الأفعال المتعدية مفتوحة العـين فـي الماضـي مضمومة العين فـي المسـتقبل علـى وزن ܩܛܠ "قتـل"، ܢܩܛܘܠ

---
47 - Th. Noldeke, *Compendious Syriac Grammar*, p. 232.
48 - Ibid. p. 112.

"سيقتل"، وجعلت اللازم ممال العين في الماضي، مفتوح في المستقبل على وزن ܚܫܠ "خاف"، ܢܚܫܠ "سيخاف". ولا يشذ في اللازم إلا بعض الأفعال القليلة مثل فعل: ܥܒܕ "عمل"، ܢܥܒܕ "سيعمل، وفعل: ܙܒܢ "أشترى"، ܢܙܒܢ "سيشتري". فهذه الأفعال مفتوحة العين في الماضي، ممالة في المستقبل.[49]

وقد تقاس هذه القاعدة على الأفعال المضاعفة أيضاً، فالأفعال المتعدية منها تكون مضمومة العين في المستقبل، واللازمة مفتوحة العين، مثل: فعل ܒܙ "نهب"، ܢܒܘܙ "سينهب" فهو فعل متعد، والفعل: ܚܛ "أخطأ"، ܢܚܛ "سيخطئ" فهو فعل لازم.

ويصدق ذلك أيضاً على الأفعال المهموزة الأول بالألف مثل: ܐܟܠ "أكل"، ܢܐܟܘܠ "سيأكل"، فهو متعد لأنه مضموم العين في المستقبل، وفعل ܐܡܪ "قال"، ܢܐܡܪ "سيقول" لازم لأنه مفتوح العين في المستقبل. والأفعال المعتلة الآخر بالألف تكون متعدية مثل: ܪܡܐ "رمى"، ܢܪܡܐ "سيرمي"، أما المعتلة بالياء فأغلبها يكون لازماً مثل: ܚܕܝ "فرح"، ܢܚܕܐ "سيفرح"، وكذلك الأفعال المعتلة الوسط تكون لازمة مثل فعل: ܩܡ "قام" ܢܩܘܡ "سيقوم". وهو لازم بالرغم من أنه مضموم العين في المستقبل.[50]

وقد تتعدى بعض الأفعال المبنية للمجهول في اللغة السريانية، لكن ابن العبري يرى أن الأفعال المبنية للمجهول كلها لازمة ولا يوجد بها فعل

---

49 – د. زاكية رشدي، **السريانية: نحوها وصرفها**، ص ص ٨٢، ٨٣.

50 – أشار ابن العبري إشارات متفرقة إلى الفعل المتعدي بنفسه وذلك من خلال تصريف الأفعال، كما أشار إليه بعض النحاة المستشرقين وخاصة نولدكه. انظر في ذلك:

-Moberg, *op. cit*, pp. 106- 121
-Duval, *op. cit*. p. 327
-Noldeke, *op. cit*. p.112
-Phillips, *Syriac Grammar*, p. 73

متعد ولذلك تُسند إلى ضمائر الفاعل فقط.[٥١] وربما يقصد ابن العبـري هنـا بهذه الأفعال، الأفعال المتعدية لمفعول واحد، وفي رأي نولدكه أن "المتعـدي من المجهول نادراً جداً، ولا يمكن تحديد المفعول الأول والمفعول الثاني إلا من خلال السياق، ولا نُصادف هذه التراكيب المتعدية لمفعولين إلا في نطاق محدود الاستخدام" ومنها على سبيل المثـال: ܬܟܣܘܢ ܣܩܐ "سـيغطون (أنفسهم) بالخيش". ويرى دوفال[٥٢]، "أن المبني للمجهول من الأفعال المتعدية للمفعولين يتحول المفعول الأول فيها إلى الفاعل، والمفعول الثـاني يصـبح مفعولاً أولاً مثل:

"ܐܬܡܠܝ ܒܝܬ ܡܫܬܘܬܐ ܣܡܘܟܐ "امتلأ العرس من المتكئـين" [متـى ٢٢: ١٠]

ܗܢܐ ܡܬܠܡܕ ܗܘܐ ܠܐܘܪܚܗ ܕܡܪܝܐ "وكان هذا يُعلم في طريق الـرب" [إعمال الرسل ١٨ : ٢٥]"

وتوجد بعض الأفعال المبنية للمجهول شكلاً ولكنها تدل على المبني للمعلوم، وفي هذه الحالة يأتي الفاعل معها[٥٣] مثل: "ܐܬܕܟܪ "تـذكر"، "ܐܬܚܫܒ "حسب"، "ܐܣܬܟܠ "فهم"، "ܐܫܬܪܪ "تحقق"، "ܐܣܬܪܗܒ "اسـتعجل"، "ܐܬܪܓܝ "اشتهى"، "ܐܬܥܗܕ "ذكر"، "ܐܬܥܛܦ "لبس"، "ܐܫܬܘܕܝ "وعد".

ويذكر فيليب[٥٤] أن من بين هذه الأفعال مـا يـدل علـى المعلـوم والمجهول في نفس الوقت مثل فعل: "ܐܬܚܫܒ بمعنـى "فكـر"، و"اضـطر للتفكير"، وفعل "ܐܬܩܪܒ بمعنى "اقترب"، و"اضطر إلى أن يقترب".

---

51 - Moberg, *op. cit.* p. 138

52 Duval, *op. cit.* p.329, Phillips, *op. cit.* p. 74.

53 Ibid.

54 - Phillips, *op. cit.* p. 74.

وهذه نماذج تطبيقية على التعدية بدلالة الفعل المعجمية كما وردت في النص:

١ ـــ ܘܠܐ ܝܕܥ ܗܘܐ ܠܗ ܠܝܘܣܦ "لـم يكـن يعـرف يوسـف" [خروج ١: ٨]

أ ـــ الأدوار الدلالية لفعل "يعرف" هي:

فعل [+ منفذ + متأثر]

نشاط

فالأدوار الدلالية لفعل ܝܕܥ "يعرف" الدال على النشاط هي المنفذ، وهو الذي السبب في عدم معرفته بيوسف، والمتأثر هنا هو يوسف الذي وقع عليه أثر الفعل، وبتعبير الفهري فإن الفعل هنا يتعدى إلى الهدف، لأن المتـأثر فـرع للدور الدلالي الهدف، وهو يُربط إلى وظيفة نحوية أعلى من وظيفة المحور فهو مفعول أول.

ب ـــ البنية التكوينية

البنية التكوينية للفعل "يعرف" هي: مركب اسمي١ + مركب اسمي٢

وأُسند المركب الاسمي الأول ـــ وهو ضمير المفرد الغائب ـــ للفعـل طبقـاً لقواعد المطابقة، والمركب الاسمي الثاني هنا هو "يوسف" وهو اسم علم.

ج ـــ البنية الدلالية

الفعل "يعرف" يحتاج إلى موضوعين، وهي تخضع لقيود الاختيـار، وهـذه القيود تتطلب أن تكون السمات الدلالية لها هي:

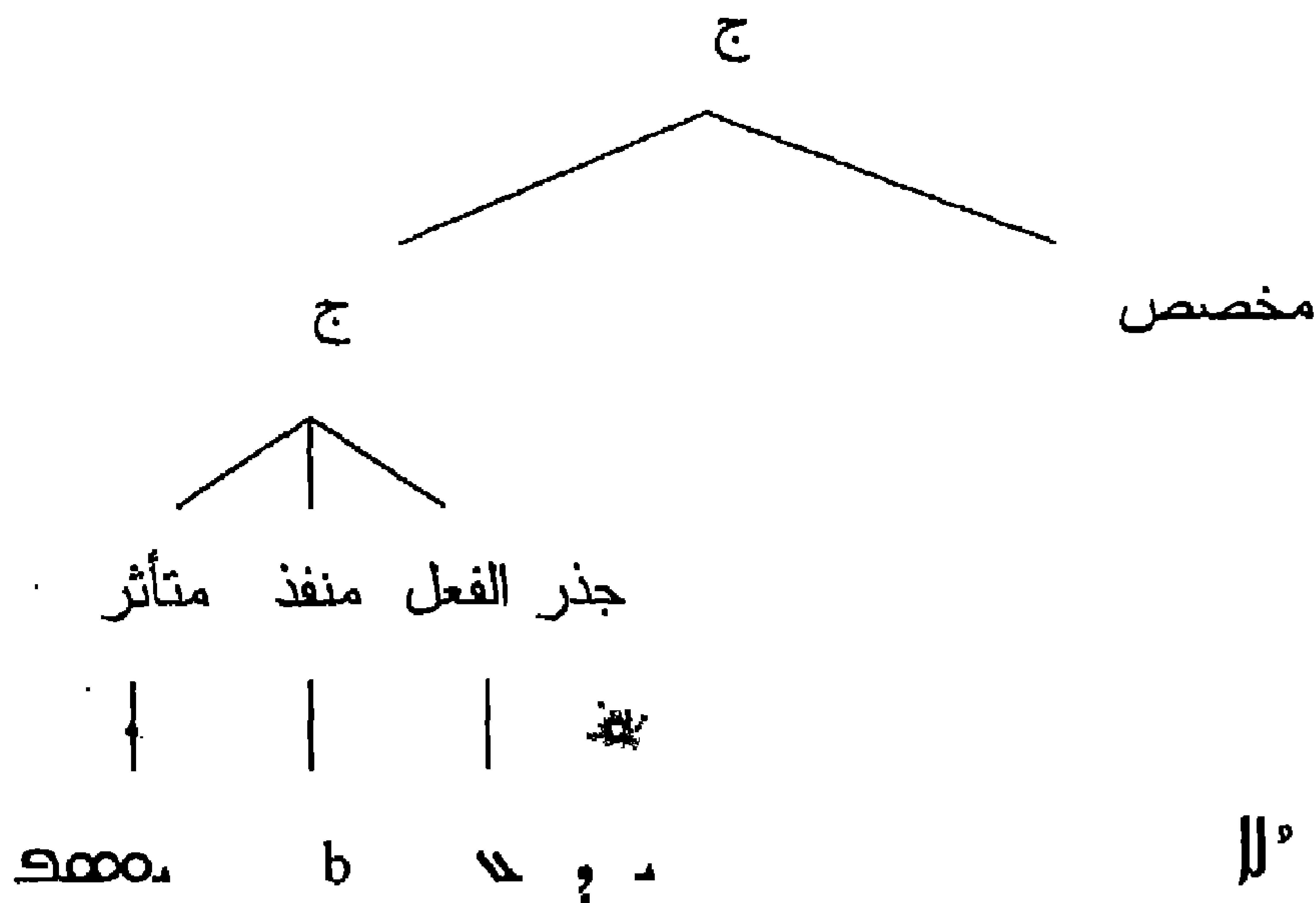
سمات الفعل النحوية هي: + متعد [# فعل + م س١ / م س٢ #[55]]

سمات الفعل الذاتية هي: + نشاط [+ متأثر]

أما سمات الاسم الذاتية فهي: + اسم + علم + حي + عاقل

والسمات الانتقائية هي + معرف + مذكر + مفرد

التحويل: يُقصد بالتحويل طرق نقل البنية من تركيبها العميق إلى التركيب السطحي، بإسناد الوظائف النحوية للمركبات الاسمية حسب ترتيب الأدوار الدلالية لها. فعند التحويل ستُسند وظيفة الفاعل للمنفذ وهو "ضمير الغائب"، لأنه وقع في أعلى دور دلالي، وتُسند وظيفة المفعول ليوسف، لأنه وقع بعد أعلى دور دلالي والرسم الآتي يوضح ذلك:



وتصبح الجملة بعد إسناد الوظائف إليها هي: [illegible] "لم يكن يعرف يوسف".

---

[55] – تشير العلامة # إلى أن السياق مع المتعدي يتحمل م س٢ بالإضافة إلى م س ١

٢ ـ ܘܒܢܝܢ ܗܘܘ ܩܘܪܝܐ ܒܝܬ ܡܫܟܢܐ ܠܦܪܥܘܢ "فبنوا مـدينتين (لتكون) مخازن لفرعون" [خروج ١: ١١]

الأدوار الدلالية لفعل ܒܢܐ "بنى" هي:

فعل [+ منفذ + محور + هدف]

نشاط

وقد سبقت الإشارة إلى أن المحور هو موضوع الفعل، وهو يُربط إلى وظيفة نحوية أسفل الهدف وهو مفعول أول، والهدف هنا مفعول ثان.

٣ـ ܟܠ ܒܪܐ ܕܡܬܝܠܕ ܒܢܗܪܐ ܫܕܐܘܗܝ.

"وكل ابن يُولد، تطرحونه في النهر" [خروج ١: ٢٢]

فعل [+ منفذ + ضحية]

سبب

والبنية العميقة لهذا التركيب هو "تطرحون كل ابن يولد". أما البنية الدلاليـة فهي أن الفعل يدل على عنصر السببية، والضمير هو المسبب، وعبارة "كـل ابن يولد" هي الضحية.

٤ـ ܘܚܙܬܗ ܕܫܦܝܪ ܗܘ "ولما رأته أنه حسن" [خروج ٢: ٢]

فعل [+ منفذ + استفادة]

نشاط + اكتساب

٥ ـ ܘܩܪܐ ܡܠܟܐ ܕܡܨܪܝܢ ܠܚܝܬܐ [56] "فدعا ملك مصر القابلتين" [خروج ١: ١٨]

فعل [+ منفذ + هدف]

[56] – الفعل في هذا التركيب متعد أصلاً، وقد استُخدمت لام المفعولية أيضا معه، وهنـاك نمـاذج أخرى مماثلة ترد لاحقاً.

حركة

٦ــ * ܘܢܣܒ ܠܒܪܬ ܠܘܝ "وأخذ بنت لاوي" [خروج ٢: ١]

فعل [+ منفذ + مستفيد]

حركة

٧ ــ ܐܢ ܕܝܢ ܕܟܪܐ ܗܘ ܗܘܝܬܝܢ ܩܛܠܢ ܠܗ "إن كــان ذكــراً فــاقتلاه"
[خروج ١: ١٦]

وتدل صيغة الفعل هنا على السببية دون مورفيم خاص، ففعــل "قتــل" مــن الأفعال التي اعتبرها النحاة الغربيون المحدثون من الأفعال الســببية، لأنــه يعني "تسبب في الموت".

أ- الأدوار الدلالية لفعل ܩܛܠ "يقتل" هي:

فعل [+ مسبب + ضحية]

سبب

فالأدوار الدلالية لفعل قتل هي مسبب وضحية، والضحية هي هدف.

ب- البنية التكوينية

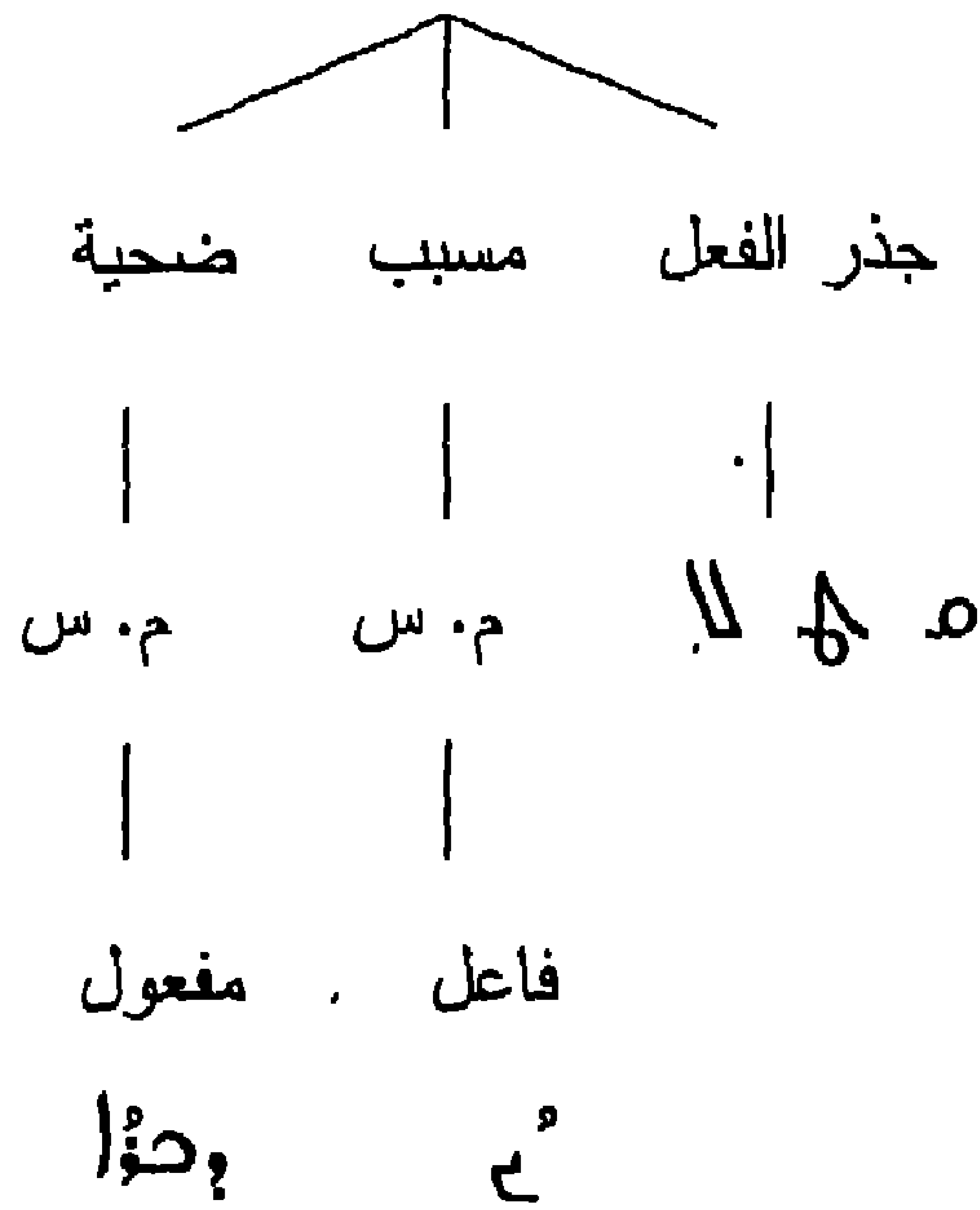
يتكون هذا البناء من محمول، وموضوعين.

جـ البنية الدلالية

ويحتاج الفعل "قتل" إلى موضوعين، وهــذه الموضــوعات تخضــع لقيــود الاختيار، وهذه القيود تتطلب أن تكون السمات الدلالية لهذا الموضــوع [+ عاقل + حي]

د- عند التحويل

ستُسند وظيفة الفاعل للمسبب وهو "ضمير جمع المؤنث المخاطب" لأنه يحتل أعلى دور دلالي، وتُسند وظيفة المفعول للضحية، وهي كلمة "ذكراً" لأنها تقع بعد أعلى دور دلالي والرسم التالي يوضح ذلك:



وبعد التحويل ستصبح الجملة هي: ܗܘܝܬܝܢ ܩܛܠܢ ܠܗ "إن كان ذكراً فاقتلاه".

٨ ـ ܘܠܐ ܥܒܕ̈ ܐܝܟ ܕܐܡܪ ܠܗܝܢ ܡܠܟܐ ܕܡܨܪܝܢ

"ولم تفعلا كما أمرهما ملك مصر" [خروج ١: ١٧]

الأدوار الدلالية لفعل ܥܒܕ "فعل" هي:

فعل [+ منفذ + موضوع]

سبب

والأدوار الدلالية للفعل هنا هي منفذ، ويقع في أعلى دور دلالي، وموضوع وهو هنا جملة تعبر عن الهدف الذي يقع بعد أعلى دور دلالي. وقد اعتبر

الفهري أن هذا الفعل من الأفعال السببية، ومن ثم فهـذا التركيـب يماثـل التركيب السابق. وكذلك الأمر في التركيب التالي:

٩ــ ܡܛܠ ܕܥܒܕ̈ܝ ܨܒܘܬܐ ܗܕܐ "لأنهما فعلا هذا الأمر" [خروج ١: ١٨]

٢ ــ التعدية بالهمزة أو التضعيف (التعدية الصرفية)

سبقت الإشارة إلى أن ابن العبري ربط بين التعدية بدلالة الفعـل المعجميـة والتعدية بالهمزة أو التضعيف.[٥٧] أما النحاة المستشرقون[٥٨] فقد فرقـوا بـين هذين النوعين، حيث ميزوا بين وزن ܐܦܥܠ "أفعـل"، المزيـد بـالهمزة بتسميته بالوزن السـببي Causative، ووزن ܦܥܠ "فعّـل"، المضـعف بتسميته بالوزن المتعدي Transitive. ويرى فيليب[٥٩] أن الـوزن المضـعف أيضاً يدل على السببية في بعض الأفعال مثل فعل ܙܒܢ "اشـترى"، والفعـل المضعف منه ܙܒܢ "تسبب في الشراء"، وقد أضاف هؤلاء النحاة أن الوزن الرباعي ܫܦܥܠ "شفعل" ووزن ܣܦܥܠ "سفعل"، يدل أيضاً على السببية، مثل فعل ܫܥܒܕ "استعبد"، وقد جعله يوسف داود سبباً من أسباب التعدية من اللازم إلى المتعدي.[٦٠]

وهذه نماذج تطبيقية على التعدية الصرفية كما وردت في النص:

أ- الوزن المزيد بالهمزة ܐܦܥܠ "أفعل" الدال على السبب

١ــ ܘܡܪܪܘ ܗܘܘ ܚܝ̈ܝܗܘܢ ܒܦܘܠܚܢܐ ܩܫܝܐ

"ومرّروا حياتهم بالأعمال الشاقة" [خروج ١: ١٤]

---

[57] - Moberg, *op. cit.* p. 109, 122
[58] - Duval, *op. cit.* p. 182, Noldeke, *op. cit.* p.105, Phillips, *op. cit.* p. 73
[59] - Phillips, *op. cit.* p. 73
[60] – يوسف داود، **اللمعة الشهية**، ص ص ٣٣١ــ ٣٣٣

أ- الأدوار الدلالية لفعل "مرَّر" هي:

فعل [+ مسبب + متأثر + أداة]

سبب

وتتمثل الأدوار الدلالية لفعل "مَّرر"، الدال على السبب هنا في المسبب، والمتأثر، والأداة، وهي هنا منزوعة بحرف الباء، وقد سبقت الإشارة إلى أن المتأثر يقع ضمن الهدف.

ب- البنية التكوينية

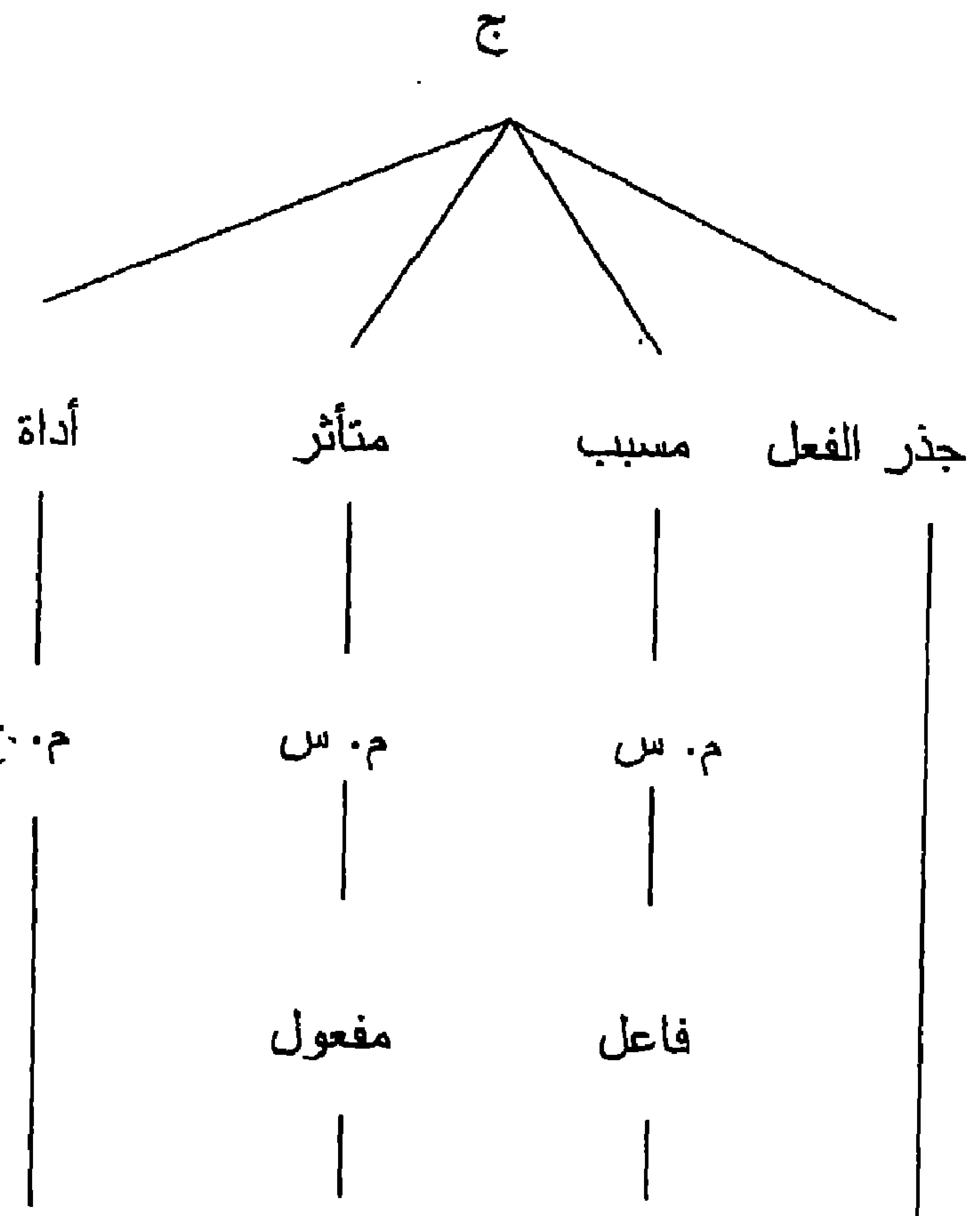
الفعل هنا مسبب يقبل مركبين اسميين. وأُسند المركب الأول لضمير جمع الغائبين، والمركب الاسمي الثاني "حياتهم".

ج- البنية الدلالية

الفعل "مَّرر" يحتاج إلى موضوعين، وهذه الموضوعات تخضع لقيود الاختيار، وهي أن تكون السمات الدلالية للموضوع الأول هي [+ حي + عاقل]، وسمات الموضوع الثاني هي [- حي].

د- التحويل

عند التحويل ستُسند وظيفة الفاعل وهو "ضمير جمع الغائبين" للمنفذ وهو يقع في أعلى دور دلالي، وتُسند وظيفة المفعول وهو "حياتهم" للمتأثر أو الضحية، وهو يقع بعد أعلى دور دلالي، والرسم التمثيلي يُوضح ذلك:



ܦ ܪ ܩ ܫܡܥܘܢ ܒܡܘܠܟܢܐ

٢ـ ܘܡܚܝܢ ܗܘܘ ܠܛܠܝܐ "فاستحيتا الأولاد" [خروج ١: ١٨]

الأدوار الدلالية لفعل ܐܚܝ "أحيا" هي:

فعل [+ مسبب + متأثر]

سبب

٣ ـ ܘܟܠ ܒܪܬܐ ܐܚܝܘܗ̇ "لكن كل بنت تستحيونها" [خروج١: ٢٢]

والأدوار الدلالية لهذا التركيب هي نفسها كما في التركيب السابق.

ب ـ في الوزن المزيد بالتضعيف

١ ـ * ܘܦܩܕ ܦܪܥܘܢ ܠܟܠܗ ܥܡܗ "ثم أمر فرعون جميع شـعبه"
[خروج١: ٢٢]
الأدوار الدلالية لفعل ܦܩܕ "أمر" هي:
فعل [+ منفذ + هدف]
نشاط
٢ ـ ܘܛܫܝܬܗ ܬܠܬܐ ܝܪ̈ܚܝܢ "وخبأته ثلاثة أشهر" [خروج٢: ٢]
الأدوار الدلالية لفعل ܛܫܐ "خبأ" هي:
فعل [+ منفذ + مستفيد + زمن]
نشاط
ج- الوزن الرباعي ܫܥܒܕ "شفعل" الدال على السبب:
١ ـ ܕܢܫܥܒܕܘܢ ܐܢܘܢ ܒܥܒܕܘܬܗܘܢ "ليُسخّروهم بالأعمال الشـاقة"
[خروج١: ١١]
الأدوار الدلالية للفعل ܫܥܒܕ "سخر" هي:
فعل [+ مسبب + ضحية + أداة]
سبب
٢ ـ ܘܟܡܐ ܕܗܘܢ ܡܫܥܒܕܝܢ ܗܘܘ ܠܗܘܢ "ولكن كلما أذلـوهم".
[خروج ١: ١٢]
فعل [مسبب + ضحية]
سبب
٣ ـ ܘܡܫܥܒܕܝܢ ܗܘܘ ܡܨܪ̈ܝܐ ܠܒܢܝ̈ ܐܝܣܪܝܠ ܒܩܫܝܘܬܐ
"فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف" [خروج١: ١٣]
فعل [+ مسبب + ضحية]
سبب

٣ ــ التعدية التركيبية

ذكر ابن العبري أن وسائل التعدية تشمل التعدية بواسطة حروف الإضافة مثل: ܠܘܬ "نحو، إلى" و ܒ "الباء"، و ܥܠ "على"، وأضاف غيره[٦١] حروف ܡܢ "من"، و ܠ "اللام"، ܥܡ "مع"، و ܕ "الدال". ويُلاحظ أن بعض الأفعال في اللغة السريانية لا تتعدى إلا بالحرف[٦٢] مثل:

ܒܙܚ ܒܗ "استهزأ به"، ܪܦܣ ܥܠܘܗܝ "انقض عليه"، ܐܬܐ ܠܘܬܗ "أتاه"، ܙܗܝ ܒܗ "اهتم به"، ܓܚܟ ܒܗ "سخر منه"، ܣܥܪ ܥܠܘܗܝ "هجم عليه"، ܩܪܒ ܠܘܬܗ "دنا منه"، ܢܩܦ ܒܗ "التصق به"، ܐܫܠܡ ܒܗ "سلم به".

ويجوز في هذه الأفعال، عندما تُبنى للمجهول، أن تتعدى بدون الحرف أو تتعدى به[٦٣] كما في: ܐܬܓܚܟ أو ܐܬܓܚܟ ܒܗ "سُخر منه"، ܐܣܬܓܕ أو ܐܣܬܓܕ ܠܗ "سُجد له"، والغالب أن تتعدى بدون الحرف كما يرى ذلك يوسف داود[٦٤] في: ܐܬܓܚܟ "سُخر منه"، ܐܬܐܫܠܡ "تسلم"، ܐܣܬܓܕ "سُجد له"، ܐܬܓܕܦ "جُدف عليه".

كما سبقت الإشارة إلى أن الفعل المبني للمجهول يأتي أحياناً بمعنى المبني للمعلوم[٦٥] وفي هذه الحالة يُذكر معه الفاعل، وحينئذ يأخذ الفاعل أيضاً بعض الحروف كاللام والباء والميم، كما في الأمثلة الآتية:

ܐܬܪܕܝܢ ܡܢ ܐܠܗܐ "أدبنا الله"

---

[61] – جبرائيل القرداحي، المناهج في النحو والمعاني، ص ٢٤، وبولس الخوري، غراماطيق اللغة الآرامية، ص ١٣٢، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤

[62] – يوسف داود، المرجع السابق، ص ٣٣٦، ٣٣٧

[63] – بولس الخوري، المرجع السابق، ص ٣٣٤

[64] – يوسف داود، المرجع السابق، ص ٣٣٦

[65] Phillips, *op. cit.* p. 73

ܡܢܟ ܡܪܝ ܟܠܢ ܢܒܪܟ "منك نبارك يارب كلنا"

ܐܬܟܬܫ ܠܒܥܠܕܒܒܐ ܡܪܝܐ "حارب الأعداء"

ܐܬܟܬܫܘ ܒܝ "حاربوني"

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللغة السريانية تتميز عن غيرها من اللغات السامية الأخرى بوجود ظاهرة لغوية خاصة بحروف "بدول" التي تدخل على أسمائها فتغير حركتها، وتكسبها معنى جديداً، ولا يجوز الفصل بينها وبين هذه الأسماء، ويتميز حرف اللام بدخوله على المفعول المعرف، ولذلك سميت باللام المفعولية، وقد تدخل هذه اللام على المفعول سواء كان متعدياً بوسيلة أخرى أم لا، وهناك قاعدة تنص على أن اللام تُستخدم لتعدية الأفعال اللازمة، ولكن السريانية وسعت نطاق هذه القاعدة فأصبحت تُستخدم مع الأفعال المتعدية.[٦٦]

وهذه نماذج تطبيقية على التعدية التركيبية التي وردت في النص:

أ ـــ في الأوزان المجردة:

١ـــ ܘܗܠܝܢ ܫܡܗܐ ܕܒܢܝ ܐܝܣܪܝܠ ܕܥܠܘ ܠܡܨܪܝܢ

"وهذه أسماء بني إسرائيل الذين دخلوا مصر" [خروج١: ١]

أ ـــ الأدوار الدلالية لفعل ܥܠ "دخل"[٦٧] هي:

---

66 – تُستخدم العلامة * عند الجمل التي تأخذ لام المفعولية مع وسيلة أخرى، وتقتصر النماذج هنا على الحالات التي ورد فيها الفعل المجرد لازماً وأصبح متعدياً بالحرف.

67 – فعل ܥܠ "دخل"، فعل لازم ولا يتعدى إلا بالحرف، وهذا هو الشائع، كما يتعدى أحياناً بالهمزة أو بالتضعيف. وهو يقبل التعدية بحروف ܒ الباء، ܠ واللام، ܠܘܬ وإلى، ܥܠ وعلى، ܩܕܡ "أمام"، ܬܚܝܬ "تحت". انظر: القرداحي، اللباب، ص ٨٧٦، وكذلك Payn Smith, *Syriac Dictionary*, p. 412

فعل [+ محور + ^ مكان]

حركة

والمكان يقع أسفل دور في البناء التراتبي للأدوار، وهو هنا منزوع بحرف اللام، والبنية المخورية لتلك الجملة هي:

[> [illegible] "دخل" ^ مكان > محور] [٦٨]

ب ــ البنية التكوينية

البنية التكوينية للمحور هي "موضوع" وهو هنا مركب إضافي "أبناء إسرائيل"، والمكان هنا "لاحقة" أو موضوع غير حد، وهو مركب حرفي لا يخضع لقيود الاختيار.

ج ــ البنية الدلالية

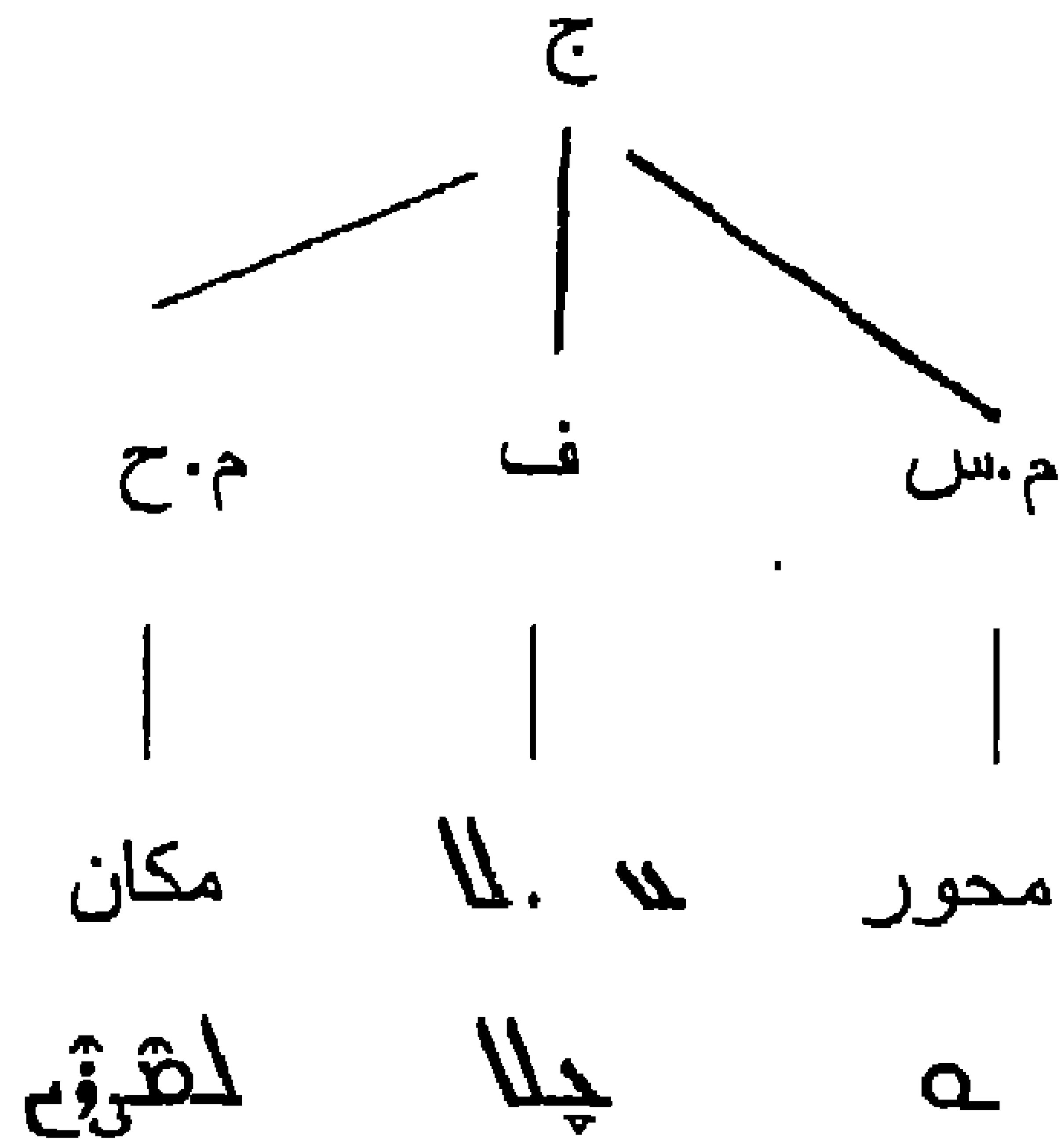
الفعل [illegible] "دخل" يحتاج إلى موضوع، وهذا الموضوع يخضع لقيود الاختيار وهذه القيود تتطلب أن تكون السمات الدلالية لهذا الموضوع + حي.

د ــ عند التحويل

عند التحويل ستُسند وظيفة الفاعل للمحور وهو "أبناء إسرائيل"، واستُعيض عنه هنا بضمير جمع الغائبين المسند للفعل، وهو يقع في أعلى دور دلالي، ويُسند المفعول للمكان وهو [illegible] "إلى مصر"، وهو هنا منزوع بالحرف، وقد وقع بعد أعلى دور دلالي، والرسم التالي يوضح ذلك:

---

68 – يعتبر ليونز أن فعل "دخل" أو "جاء" أو "ذهب"، من أفعال الحركة الثنائية المحل، وهذه الأفعال تأخذ دوراً دلالياً يُحيل إما على مصدر الحركة أو هدفها، كما في البنية التالية:
انتقل (ذات، مصدر ، هدف)، والعبارات التي تفيد المصدر والهدف، والتي يمكن الاستغناء عنها تأتي ملحقات وليست مفعولات. انظر: Lyons, *op. cit.*, p.494



٢ـــ ܘܕܚܠܝ ܚܝ̈ܬܐ ܡܢ ܐܠܗܐ "ولكــن القــابلتين خافتــا الله" [خروج١: ١٧]

فعل [+ هدف + ^ مصدر]

حالة

والمصدر هنا أيضاً منزوع بحرف ܡܢ "من".

ب ــ في الأوزان المبنية للمجهول

٣ ــ ܗܒܘ ܢܬܚܟܡ ܠܗܘܢ "لنتآمر عليهم" [خروج١: ١٠]

فعل [منفذ + ^ ضحية]

نشاط

٤ ــ ܘܢܬܟܬܫܘܢ ܥܡܢ "ويحاربوننا" [خروج١: ١٠]

فعل [+ منفذ + ^ هدف]

نشاط

والهدف هنا منزوع بحرف ܥܡ "مع".

نتائج البحث

- ربطت نظرية الدلالة التوليدية بين البنية الدلالية والبنية التركيبية، حيث أن البنية الدلالية تمثل البنية العميقة للجملة، والبنية التركيبية تمثل البنية السطحية لها وتقوم التحويلات بالربط بينهما. واستناداً إلى ذلك، تتكون الجملة من البنية العميقة والبنية التحويلية والبنية السطحية، وتتكون البنية العميقة من عدد من البنى تتمثل في: البنية الدلالية والبنية التكوينية والبنية الحملية، أما الوظائف النحوية فإنها تُسند للبنية العميقة عند تحويلها إلى البنية السطحية.

- لا يختلف مفهوم التعدية في اللغة العربية عنه في اللغة السريانية، وهو يتمثل في تجاوز الفعل إلى مفعوله، سواء كان أحادي المكان أو ثنائي المكان أو ثلاثي المكان.

- يرتبط مفهوم التعدية في اللسانيات الحديثة بمفهوم السببية والكفاءة. كما تنظر هذه الدراسات الحديثة إلى التعدية على ضوء الأدوار الدلالية المختلفة في البنية العميقة (أو البنية الدلالية)، حسب الحقل الدلالي للفعل الذي يدل عليه.

- ربط النحاة المستشرقون، في دراستهم للغة السريانية، بين التعدية الصرفية ومفهوم السببية، حيث وصفوا الأفعال المتعدية بالهمزة أو بالتضعيف بأنها أفعال تدل على السبب، ولكنهم لم يطلقوا هذا الوصف على الأفعال المتعدية بدلالتها المعجمية.

- من خلال دراسة ظاهرة التعدية في اللغة السريانية، في حالات التعدية بدلالة الفعل المعجمية والتعدية الصرفية والتعدية التركيبية،

يتبين أن الأفعال الدالة على النشاط تتطلب أدواراً كالمنفذ والهدف والمحور، وقد تتفرع عن الهدف أدوار أخرى مثل المتأثر والمستفيد. والأفعال الدالة على الحركة تُسند إليها أدوار المنفذ والمستفيد، أما الأفعال الدالة على السببية فتُسند إليها أدوار المسبب والضحية، أو المتأثر.

- يتبين أن الفعل المبني للمجهول في اللغة السريانية قد يتعدى إلى المفعول إذا جاء بمعنى الفعل المبني للمعلوم.
- تُستخدم اللام كوسيلة للتعدية، ورغم أنها تُستخدم في الأساس لتعدية الأفعال اللازمة، فقد توسعت السريانية في تطبيق هذه القاعدة فأصبحت تُستخدم مع الأفعال المتعدية أيضاً.
- في النص موضوع الدراسة، اقترنت التعدية التركيبية بأدوار منزوعة بالحروف، حيث جاءت معها أفعال تدل على الحركة، والأدوار التي تحتاج إليها هي: محور ومكان وهو منزوع بحرف "اللام"، وأفعال تدل على السبب والأدوار التي أخذتها هي: هدف ومصدر وهو منزوع بحرف "من"، وأفعال تدل على النشاط والأدوار التي أخذتها هي: منفذ وهدف وهو منزوع بحرف "مع".
- غلب على النص موضوع الدراسة أسلوب التعدية بدلالة الفعل المعجمية، حيث ورد في تسع جمل من أصل اثنتين وعشرين جملة، ويليه أسلوب التعدية الصرفية، حيث ورد في ثماني جمل، بينما اقتصر أسلوب التعدية التركيبية على خمس جمل.

- فيما يتعلق بالحقول الدلالية للأفعال التي يتضمنها النص موضوع الدراسة، شاع الحقل الدال على السبب، حيث تكرر في عشر جمل، ويليه الحقل الدال على النشاط، حيث ورد في سبع جمل، ثم الحقل الدال على الحركة، حيث ورد في أربع جمل، ولم يظهر الحقل الدال على الحالة إلا في جملة واحدة.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أحمد محمد علي الجمل، "الفعل والحرف من كتاب الأشعة لابن العبري: ترجمة ودراسة"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

أحمد مختار عمر، **علم الدلالة** (الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢)

ابن يعيش، **شرح المفصل** (بيروت: عالم الكتب).

بالمر، **علم الدلالة، إطار جديد**، ت. د. صبري إبراهيم السيد (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥)

بولس الخوري، **غراماطيق اللغة الآرامية** (بيروت: مطبعة الرهبانية اللبنانية المارونية، ١٩٦٢).

جبريل القرداحي، **المناهج في النحو و المعاني عند السريان** (روما: ١٩٠٣).

جبرائيل القرداحي، اللباب، **قاموس عربي سرياني** (حلب: دار ماردين، الطبعة الثانية، ١٩٩٤)

جون ليونز، **نظرية تشومسكي اللغوية**، ترجمة وتعليق د. حلمي خليل (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥).

د. زاكية محمد رشدي، **السريانية نحوها وصرفها** (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨).
د. صلاح صالح حسنين، **محاضرات في الدلالة والتركيب** (القاهرة: دار الأصول، ٢٠٠٢).
د. عبد القادر الفاسي الفهري، **اللسانيات و اللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية** (المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٨٥).
د. عبد القادر الفاسي الفهري، **المعجم العربي** (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر،١٩٩٩).
عبد المجيد جحفة، **مدخل إلى الدلالة الحديثة** (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٩).
د. مازن الوعر، **دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة** (دمشق: دار المتنبي للطباعة والنشر، ٢٠٠١).
د. محمد حماسة عبد اللطيف، **بناء الجملة العربية** (القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٦).
د. محمد حماسة عبد اللطيف، **النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي ـ الدلالي**
(القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠).
د. محمد علي الخولي، **قواعد تحويلية للغة العربية** (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١).
د. محمد علي الخولي، **معجم علم اللغة النظري** (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢).
يوسف داود، **اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية** (الموصل: دير الآباء الدومينيكي، ١٨٩٦).

ثانياً: المراجع الأجنبية

Chomsky, N. *Syntactic Structures*, (the Hague: Mouton,1957)

_______ . *Aspects of the Theory of Syntax*, (Cambridge,1965)

Duval, R. *Traite de Grammair Syriaque*, (Paris, 1881)

Fillmore, C. J. "Case for Case", in Bach and Harms (eds.), *Universals in Linguistic Theory*, (New York,1968)

Fodor, J.D. *Semantics; Theories of Meaning in Generative Grammar*, (, 1977)

Jackendoff, R. S. *Semantic Interpretation in Generative grammar*, (London, 1972)

Katz, J. *Semantic Theory*, (London, 1972)

Lyons, J. *Semantics*, 11, (Cambridge, 1977)

Matthews, P. H. Syntax, (London, 1981).

Moberg, A. *Le Livre des Splendeurs, La Grande Grammaire de Gregoire Barhebraeus*, (Lund,1922)

Noldeke. T. *Compendious Syriac Grammar*, trans. J. Crichton, (London, 1904)

Saad, G. Transitivity, Causation and Passivization. *A Semantic – Syntactic study of the Verb in Classical Arabic*, (London, 1982)

Smith, Payn. *A Compendious Syriac Dictionary* (Oxford, 1903)

Phillips, G, *Syriac Grammar*, (London, 1866)

مفهوم الألوان ودلالاتها

« رؤية فلسفية »

د. هالة محجوب خضر

مدرس علم الجمال

كلية الآداب ــ جامعة بنى سويف

مقدمــة:

يتناول هذا البحث موضوع " مفهوم الألوان ودلالاتها "رؤية فلسفية " وفـي إعداد البحث كان هناك العديد من التساؤلات التى تحتاج إلى إجابة منها:

١. ما هو تعريف اللون لدى الفلاسفة ؟ ماهى دلالات الألوان ؟
٢. هل للألوان تأثير على نفسية الإنسان وإن كان ذلك كذلك فما هـى هـذه التأثيرات ؟
٣. ما هو موقف كلاً من أفلاطون وأرسطو من الألوان ؟
٤. كيف تناول القرآن الكريم الألوان ؟
٥. هل العلاج بالألوان يعتبر علم قديما أم حديثا ؟
٦. ما هي طرق العلاج بالألوان المختلفة ؟
٧. ما هو التأثير اللوني لكل لون في علاج أعضاء الجسم البشرى ؟

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج التحليلي المقارن فقـد قامـت الباحثة بتحليل مفاهيم ونماذج مختلفة مبرزة من خلالها أثر الألوان على الإنسان.

ويتألف البحث من مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة أما المقدمة فقد قامـت فيها الباحثة بالتعريف ببحثها وتوضيح أهميته والإشارة إلى المنهج المستخدم فـي إعداده كما طرحت فيها بعض التساؤلات الموجهة للدراسة.

وفى البداية يتناول مدخل البحث، تعريف اللون ــ الألوان الرئيسية ــ أنـواع الألوان خواص الألوان ــ دلالات الألوان وقواعد استخدامها ــ تحديد المـدلولات العامة للألوان ــ المؤثرات النفسية للألوان على الإنسان.

وفي المبحث الأول وعنوانه "مفهوم الألوان عند كلاً من أفلاطـون وأرسـطو" ويتناول هذا المبحث فلسفة اللون.أما المبحث الثاني وعنوانه "الألوان ومدلولاتها في القرآن الكريم" فيتناول فيه الألوان في القرآن الكريم أما المبحث الثالـث وعنوانـه "العلاج بالألوان في العلم الحديث فنتناول العلاج بالألوان من خلال مفهوم العلـم الحديث له.

أما الخاتمة فقد دونت فيها أهم النتائج التي انتهت إليها وقد أعقبت الخاتمة بقائمة ضمنتها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد البحث.

*** تعريف الألوان :**

لقد كان للون تعريفات فلسفية عديدة تناولها الفلاسفة والعلماء عبر مدار الفكـر الفلسفي حيث حاول كل فيلسوف أن يعبر من خلال أرائه الفلسفية عن علم الألوان. وكانت تلك الآراء تتصف دائماً بأفكاره ومبادئه التي يعتنقها والمثال على ذلك :

نجد أن الفيثاغوريين [٥٧٢ ــ٤٩٧ ق.م] كانوا يسمون "بسيط الجسم لوناً وأن أجناس الألوان هي الأبيض والأسود والأصفر والأحمر [١]

في حين نجد زينون الرواقي [٤٩٠– ٤٣٠ ق.م] قد عرف اللون بأنه "أول أشكال العنصر [٢] ." وجاء من بعده أنبا دقليس [٤٩٠ ــ ٤٣٠ ق.م] وعرف اللون بأنه "هو الشيء الذي يقع على شعاعات البصر [٣]." أما ديمقـريطس [٤٧٠ ــ٣٦٠ ق.م] فكان يرى أن اللون "يكون من خلال حركة الأجسام حول مركزها [٤]"، وهـذا الرأي أدى به إلى إنكار حقيقة اللون أما أفلاطون [٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق.م] فيـرى أن "اللون هو شعاع في الأجسام له أجزاء مشاركة للبصر [٥]"، وكان لأرسـطو [٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق.م] رأي أخر فهو يرى أن اللون هـو كيفيـة للجسم مدركـة بحـس البصر [٦].

---

(١) فلو طرخس بن أو طوبولس. في الآراء الطبيعية التي ترضى بها الفلاسفة ضمن كتاب أرسطو طاليس في النفس مع الآراء الطبيعية المنسوب إلى فلو طرخس والحاس والمحسوس لابن رشد والنبات المنسوب إلى أرسطو طاليس. تحقيـق/ عبـد الرحمن بدوي، ترجمة: قسطا بن لوقا. المقالة الأولى (ما الطبيعة)[مكتبة النهضة المـصرية ــ القـاهرة ــ ١٩٥٤] ص ١١٧.

(٢) نفس المرجع . ص ١١٧.

(٣) نفس المرجع . ص ١١٧.

(٤) نفس المرجع . ص ١١٧.

(٥) نفس المرجع . ص ١١٧.

(٦) نفس المرجع . ص ١١٧.

إلى أن قام العالم الإنجليزى اسحق نيوتن [١٦٤٣ـ ١٧٢٧] فى العصر الحديث بوضع تعريف للون باستخدام العجلة الملونة من خلال ألوان مرئية للطيف الشمسى وأكد من خلالها "أن اللون هو ذلك التأثير الفسيولوجى الخاص بوظائف أعضاء الجسم الناتج عن شبكية العين سواء كان ناتجاً عن المادة الصبغية الملونة أو عن الضوء الملون(٧)."كما استطاع أن يقوم بتطوير الرسم التوضيحى الدائرى للألوان وذلك فى عام ١٦٦٦ ومنذ ذلك التاريخ والعلماء والفنانون يحاولون أن يدرسوا التغيرات الفيزيقية العديدة لهذا المفهوم. وأن ما توصل إليه اسحق نيوتن يرجع الفضل فيه إلى عالم جليل قدم ملاحظات له حول الألوان وقدمها فى كتاب له يسمى (رسالة فى الرسم) وهو" ليوناردوا دافنشى" [١٤٥٢ ـ١٥١٩] وقد نشر هذا الكتاب عام [١٦٥١].

وتعود المجهودات التى توصل إليها العلماء اليوم إلى ما سبقهم ومنهم على سبيل المثال "جوثان وولفنجانج Johnn wolfgang فى بدايات القرن التاسع عشر، فريدريش ويلهيلم أو ستولد [١٨٥٣ ـ ١٩٣٢] Friedrich Wilhelmos Tawaldوأيضاً ألبرت مينسل [١٨٥٨ ـ ١٩١٨] Albert Munsell اذ يعتبر ما قدموه من أفضل الأنظمة المعروفة(٨)."

* **الألوان الرئيسية:**

ويقصد بها "تلك الألوان التى يمكن أن تستخدم لخلق أى ألوان أخرى" فى نظام لونى والتى هى بنفسها لا يمكن خلقها من ألوان أخرى داخل النظام اللونى(٩)"، والألوان الرئيسية ثلاثة ألوان هى الأحمر ـ الأزرق ـ الأصفر.

* **دلالات الألوان وقواعد استخدامها:**

لقد قام الباحثون بالعديد من الدراسات حول تأثير الألوان على الأشخاص وأيضاً على سلوكهم فى أماكن العمل وفى منازلهم وكذلك حول تأثير ألوان الملابس التى يرتديها الأفراد وإن الحالة العقلية تتأثر تأثراً كبيراً بسبب لون الملابس حيث أن لكل لون مجموعة من الدلالات الرمزية.

---

(٧) موقع الفن التشكيلى لكل العرب، تعريفات اللون.نظريات اللون. www. Fineart 4 arab. net p. 1

(٨) Pile. F. John. Interior design(Harryn. Abrams.. inc. New York.1995) p.261.

(٩) Willrd. F. Pellman. Science desig . stage lighting sound ciestume, nakeup (harber and row pubils hars,inc. New York. 1983) p.102.

وكشفت دراسة أجريت حديثاً فى الولايات المتحـدة الأمريكيـة "إن لـون الملابس الذى يختاره الإنسان فى الصباح قد يؤثر على مزاجه بقيـة اليـوم وأن اختيار ملابس معينة ربما يزيد من التركيز والنشاط والقدرة على التعلم والاستيعاب بنسبة تتراوح بين ٥٥ ـ ٧٨ بالمائة(١٠)."

وللألوان المقدرة علىَ كشف شخصية الإنسان وطباعه الخفية والمجهـول عن النفس وذلك نتيجة تأثير الألوان تأثيراً نفسياً ويتغير المدلول النفسى للون تبعاً لدرجة كثافة اللون وان بعض الناس يبدون وكأنهم يملكون حساً خاصاً للألوان وأن استخدامهم لها يكون سهلاً وبسيطاً من استخدام آخرين لنفس الألوان ويرجع ذلـك لأنه لا توجد قواعد ثابتة تحكم كيفية استخداماتها.

* **تحديد المعاني العامة للألوان:**

يتم ترتيب الألوان تبعاً لأطوالها الموجية وأول هذه الأطوال وأكثرها طولاً هى اللون الأحمر يليه اللون البرتقالى ثم اللون الأصفر ويليه اللون الأزرق وأخيراً اللون البنفسجي ويتم تصنيف الألوان تبعاً لأطوالها الموجية على النحو الأتى:

١- اللون الاحمر طوله الموجى ٧٠٠-٥٦٠.
٢- اللون البرتقالى طوله الموجى ٦٤٠ ـ ٥٩٠.
٣- اللون الأصفر طوله الموجى ٥٨٠ ـ ٥٥٠.
٤- اللون الأخضر طوله الموجى ٥٣٠ ـ ٤٩٠.
٥- اللون الأزرق طوله الموجى ٤٨٠ ـ ٤٥٠.
٦- اللون البنفسجى طوله الموجى ٤٤٠ ـ ٣٩٠(١١)"

وسوف نستعرض هنا الألوان وما يتميز به كل لون عن الأخر،

* **اللون الأحمر:**

يسبب هذا اللون اليقظة والإثارة العالية "وهو لون النار والـدم يـسبب الإحـساس بالحرارة. وان إشعاعاته القريبة من منطقة تحت الحمراء فى المجموعة الطيفيـة تؤكد إنه لون الحيوية والحركة(١٢)" وهو لون مفعم بالحيوية والطاقة ويدفع النـاس للنشاط والانطلاق والسعادة. وهو لون قوى ومناسب لأماكن لعب الأطفال والأماكن التى تحتاج إلى نشاط وحيوية لإنجاز العمل بها.

---

(١٠) www. ta beebe. com. p. 4.

(١١) Pile. F. John. Interior design. (Harry. n. a bram. s. inc. New York. 1992) p.303.

(١٢) يحيى حمودة: نظريه اللون (دار المعارف-القاهرة- ١٩٨١). ص ١٣٣.

* **اللون البرتقالي :**

وهذا اللون ينتج من مزج كل من اللون الأحمر مع اللون الأصفر وهو لون يدعو للدفئ والتحفيز.

* **اللون الأصفر :**

هو لون ضوء الشمس "وهو يساعد على الصفاء الفكري ورؤية الأشياء بواقعية(١٣)"،وهو قادر على تنشيط الدماغ كما أنه يقوى العقل "وهو يعتبر رمزاً للقدرة الفكرية والذكاء والمرح والإبداع فى آن واحد(١٤)" كما أنه مرتبط بالدفء والصحة الجيدة والبهجة وينصح دائماً بأن نجلس وخلفنا قطعة لونها أصفر خاصة لمن يعملون فى أعمال كتابية لأنه يساعد على الإبداع فى الكتابة فيرفع معنوياتنا واحترامنا لذاتنا وهو لون الثقة والتفاؤل بسبب احترام الذات.

* **اللون الأخضر :**

هو لون الطبيعة منعش رطب مهدئ يوحى بالراحة يضفى السكينة على النفس يساعد الإنسان على الصبر(١٥)"، كما يعتبر لون التوازن والسلام "وهو يسبب الشعور بالأمان والرقة والإخلاص(١٦)" وهو مناسب جداً لحجرات النوم.

* **اللون الأزرق:**

وهو رمز للون السماء والمحيطات ويمثل الصبر والأمل والهدوء ويوحى بالوضوح والحذر والصفاء(١٧)"، وهو لون منعش شفاف يناسب أماكن الاجتماعات التى يكثر فيها المحاورات والمشاحنات لأنه يساهم فى تقليلها وتهدئتها وهو لون العالم المفضل.

* **اللون الأبيض:**

هو لون الهدوء والنقاء والوضوح والصفاء "وهو أصدق تعبير عن النظام والترتيب،وهو يوحى بالسلام الداخلى ومن يرتدى هذا اللون يتميز بالمثالية ويهتم

(١٣) www.tabeeb.com.p.4

(١٤) www. tabeeb. com. p.4

(١٥) يحيى حمودة: المرجع السابق، ص ١٣٢.

(١٦) الألوان وتأثيرها على المزاج الشخصى والسلوك . www.al .watan. com. p.4

(١٧) معانى الألوان وقواعد استخدامها www. Qshom alibe th/chem Edu. p. 1.

بالتفاصيل الدقيقة والتسلسل المنطقى للأمور وإذا حصل خطأ مـا نجـد عـشاق الأبيض يميلون إلى حل المسألة بتفكير وروية[١٨]."

* **المؤثرات النفسية للألوان على الإنسان :**

لقد ثبت للباحثين والدارسين أن لكل لون تأثير خاص على الإنسان وعلـى حالتـه النفسية فاللون الذى يخلفه الضوء يثير الأحاسيس النفسية وينبه المشاعر ويؤثر فى السلوك قد أثبتت الأبحاث أن استجابة الإنسان للون تكون موضوعية وذاتيـة[١٩]" وسوف نستعرض كل لون وتوضيح مدى تأثيره النفسى على الإنسان.

١- **اللون الأحمر :**

هو أقوى ألوان الطيف فهو لون الطاقة والحيوية والحرارة كما أنـه يـضفى فـى الأماكن لمسة من التفاؤل ولهذا اللون صور عدة "فهو فى إشارة المرور يحذر من الخطر وعندما يمثل بقعة دم يثير الخوف والغثيان وفى وسط النيران يثير الرعـب والهلع وعلى شفاه حسناء يدعو إلى الفتنة وفى لون تفاحـة حمـراء أو قطعـةمن البطيخ يثير الشهية[٢٠]"، وهو يساعد على رفع مستوى أداء العمل. "ويعتبر رمزاً للرومانسية والعاطفة الجياشة لأنه يزيد الطاقة وحرارة الجسم ولذلك نجد عيد الحب ملىء بالورود والقلوب الحمراء[٢١] "، وهو فى الملابس له معنـى مختلـف فمـن ترتديه من النساء "تكن هجوميات ذات شخصية قيادية لا تكتم ما لا يعجبها بل تعبر عن رأيها بكل حرية[٢٢]" أنه يعطى إحساساً بالثقة والقوة والسطوة. وهـذا اللـون ينصح بتجنبه فى غرف النوم حتى لا يعطى إحساساً بالتوتر لمن ينـام فـى هـذه الغرف.

٢- **اللون البرتقالى :**

"هو لون لديه المقدرة على فتح الشهية ولذلك ينصح باستعماله فى المطـابخ أو المطاعم وكذلك فى غرف الطعام[٢٣]"،كما أنه يساعد على تعديل المزاج وإعطـاء إحساس بالرضا والسعادة وهو أيضاً قادر على تقوية جهاز المناعة لدى الإنسان.

---

(١٨) ملابس تعكس شخصيتك (من حيث الألوان). www. kifee. com. P 4

(١٩) Michel. Lou, light the shape of space. Designing with Space and Light. [International Thomson. Publishing. Inc. New York. 1996] p. 89.

(٢٠) التأثيرات النفسية للألوان. www.mohd kottob.5u.com. p. 1.

(٢١) www. tabeebe. com. p. 4.

(٢٢) www. kifee. com. p. 3.

(٢٣) لغة الألوان. www. arabinow. com. p. 2.

٣- **اللون الأصفر:**

يجمع هذا اللون بين الدفء والمرح كما أنه يساعد على تنشيط الذهن وكذلك فإنه لديه المقدرة على المساعدة على التركيز ولذلك "فهو يعتبر لوناً مثالياً للمكاتب وهذا اللون يعطي الإنسان احساسات مختلفة "فإذا رأيت ورقة ساقطة فى الخريف فإنه يثير فيك إحساساً بالموت والفناء. وإذا نظرت إلى لون الرمال فى صحراء شاسعة فإنه يثير فيك الإحساس بالقحط وفى لون الغلاف الجوى يثير لديك الشعور بقرب عاصفة هوجاء وفى لون فاكهة يثير إحساساً بالنضج والطراوة وإذا نظرت إليه فى لون الذهب فإنه يثير فيك الإحساس بالفخامة والأبهة[٢٤].ولقد قام مجموعة من الباحثين بدراسة أثر البيئة الصفراء الفاتحة فى مطعم بنفق "فوجدوا أن الموظفين يرون الكون حولهم غاضب والزمن سريع وكلما ذهب أحد إلى هناك شعر بالارتباك والبعض يفقد الوعي.

إن اللون الأصفر إذا استخدم كلون داخلي يكون مزعج جداً وخصوصا إذا كانت هناك نوافذ قليلة فى الحجرة[٢٥]."وفى دراسة أخرى قام بها الباحثون وجدوا "أن الأطفال يبكون فى الحجرات الصفراء والزوجات يزددن مشاجرة مع أزواجهن فى المطابخ الصفراء كما أنه ينصح بعدم جعل دفاتر الطلبة باللون الأصفر ولا أن توضع خلفية على شاشة كمبيوتر بهذا اللون[٢٦]."

٤- **اللون الأخضر :**

اللون الأخضر لديه المقدرة على إحداث تناغم بين العقل والجسد والروح فهو يملك تأثيراً مهدئاً للأعصاب. ولقد قام الدكتور النفسى فريلنينج (وهو من أشهر الأطباء النفسيين فى العالم) بأبحاث فى مدينة بافاريا الشمالية من خلال العلاج بالألوان ووجد "أن اللون الأخضر يهدئ من ضربات القلب ويساعد على تحسين الدورة الدموية ولقد قام فى أحد تجاربه بطلاء جدران بعض المصانع التى تستخدم آلات شديدة الضجيج فتبين أن العمال كفوا عن الشكوى من الضجيج بسبب تأثير اللون الأخضر المحيط بهم[٢٧]".

---

(٢٤) التأثيرات النفسية للألوان. www.mohw kottob.5u.com.p.1

(٢٥) كيف تعمل السيكولوجيا الملونة www.colour affects.co.w4.p.21

(٢٦) www.colour.MATTERS.COM P1

(٢٧) التأثيرات النفسية للألوان. www.mohd kottob.5u.com.p.2.

كما أن هذا اللون يعتبر مثالياً فى استخدامه فى غرف العمليات الجراحية ولثياب الجراحين والممرضات وأيضاً مثالياً فى استخدامه وبصورة جيدة فى غرف النوم الخاصة بالأطفال ولقد قام أحد الباحثين بتجربة سميت باسم تجربة (جسر بلاك فرايار) حيث يعرف هذا الجسر باسم (جسر الانتحار) "لأن أغلب حوادث الانتحار تتم من فوقه ولذلك تم تغيير لونه القاتم إلى اللون الأخضر الجميل وتسبب هذا فى انخفاض حوادث الانتحار وبشكل ملحوظ[٢٨]"، فاللون الأخضر مثالى ومريح للبصر.

٥- **اللون الأزرق :**

هذا اللون يوحى بالسلطة والمسئولية ومن يفضلونه "يميلون إلى الأسلوب العقلانى كما أنهم يميلون إلى التواضع[٢٩]"، وهو يعطى إحساساً بالعمق ويخفف التوتر والعصبية عند الإنسان واللون الفاتح منه يشعرك "بأنك جزء من الفضاء والبحر ويضفى عليك حالة من الرومانسية[٣٠]."

٦- **اللون البنفسجي :**

هذا اللون هو دليل على "الغموض والميوعة والتردد فى اتخاذ القرارات ولقد اتخذه العشاق رمزاً لهم فهو يثير خيالاتهم ويدعو إلى العاطفة الهادئة الرقيقة[٣١]."

٧- **اللون الأبيض :**

يعطى إحساسا بالطهر والنقاء والصفاء ولذلك نجد أن "العرائس تتزين به فى حفلات الزفاف رمزاً للعذرية والطهارة[٣٢]"، وأيضاً نجد الحمامة البيضاء ترمز إلى السلام والمحبة "وعندما قام الباحثون بدراسة على مجموعة من العمال يعملون فى مكتب أحمر اللون وأخر أبيض اللون وجدوا تزمر العمال فى المكتب الأحمر واشتكوا من آلام فى الرأس وحالات من الغثيان[٣٣]." أما من يرتدون هذا اللون فهم يتميزون بالبراءة والطيبة.

---

(٢٨) البيئة العلمية فى القرآن والسنة. www.55a.net.p.1.

(٢٩) www.kifee.com. p. 2.

(٣٠) ألوان يعشقها الرجال www.mzumh.com.p. 5

(٣١) التأثيرات النفسية للألوان. www.mokdokottob.5u.com.p.2.

(٣٢) التأثيرات النفسية للألوان. www.modkottob.5u.com.p.2.

(٣٣) الألوان وتأثيرها على المزاج الشخصى والسلوك. www.al.watan.com.p.2..

* **فلسفة اللون:**

إن للألوان اهتماماً فلسفيا منذ قديم الزمن وقد يرجع ذلك إلى سببين:

الأول: أن الألوان تلعب دوراً هاماً وتشتمل على جزء كبيـــر ومهـــم مـــن حياتنـــا الشخصية والاجتماعية والمعرفية، كما أن الأبحاث الفلسفية لمفاهيم الألوان لها تأثيرا كبيرا علينا.

ثانياً : اهتمام علماء الميتافيزيقا بالألوان ومحاولاتهم المستمرة عبـــر التـــاريخ أن يوضحوا توافق أبحاثهم العلمية وانسجامها وسيرها فى نفس الاتجاه الـــذى تقوم عليه التقارير الفلسفية التى يقدمها الفلاسفة والمحتوية على آرائهم بعد دراسة عميقة قاموا بها.

والعلماء الفيزيائيون يرون أن "اللون هو الضوء حيث يشيرون إليهـــا فـــى الجزء المرئى من الطيف الكهرومغناطيسي و انه لا يوجد لون بلا ضوء ولكى نفهم طبيعة اللون يجب أن نفهم طبيعة الضوء. أما الفنانون الرسامون فإنهم يـــرون أن اللون هو الطلاء أو هو المادة الصبغية وان الضوء هو الذى لديه المقـــدرة علـــى كشفه أما علماء وظائف الأعضاء فإنهم يرون أن اللون يتم الإحساس به فى العـــين حيث لا يرى الناس بنفس الطريقة بدليل أن البعض قد يصابون بعمى الألوان بينما يرى علماء النفس أن اللون يكون فى العقل بمعنى أن اللون ما هو إلا نتاج عمليـــة تتم فى المخ البشرى ويستندون فى ذلك إلى أن اللون يمكن رؤيته فى الأحلام(٣٤)".

ولهذا لحق باللون أراء عديدة منذ الاف السنوات من قبل الفلاسفة والعلماء ، فأفلاطون عندما تناول فى محاوراته الألوان ذكر فى البداية أن الألوان الرئيسية أنواعها تسعة وهى تنحدر من الألوان الأساسية إذاً يجـــب أن نـــذكر أن الألـــوان الأساسية عنده هى "الأسود والأبيض واللون الوضاء المتألق اللماع وأخيراً الأحمر أما الألوان الرئيسية التسعة فهى، الأصفر الذهبى ــ الأورجوانى ــ الأسمر الفاقع ــ الأسمر الفاتح ــ الأغبر ــ الأصفر الباهى ــ الأزرق الـــسماوى ــ الأخـــضر المشرب زرقة وأخيراً الأخضر(٣٥)".

---

(٣٤) W. Oren Baker and Harvey, K. smith, scene design and stage lighting [Fourth Edition] [Holt kine hart and Winston. Inc. New York.1974] p.442.

(٣٥) أفلاطون:الطيماوس واكرتيس. ترجمة: الأب فؤاد جرجس بربارة تحقيق وتقـــديم البيرريفـــو[منـــشورات وزارة الثقافـــة والسياحة والإرشاد القومى ــ دمشق ــ ١٩٦٨] ص ١٤٨ ــ ١٤٨.

وعندما قام بالتحدث عن "المدينة الفاضلة" وعن الطريقة التـــى يجـــب أن يتربى بها المحاربين والتى اعتمد فيها اعتماداً أساسياً أولاً على فن الموسيقى ثـــم تبعه بالرياضة البدنية فتناول زى المحاربين الذى اهتم به اهتماماً خاصاً وقـــرر أن يكون اللون الأبيض هو لون زيهم وذكر "فأجمل أبيض ليس الأبـــيض الحـــاوى أو كمية من البياض بل الأبيض الأقل مزجاً[٣٦]" ،فهذا اللون له مكانه خاصة لديه فهو يؤكد على أنه "أنسب لون يليق بالألهة وذلك فى القماش المزين بالصور وفى غيره من المواد الأخرى والأصباغ لا تستعمل إلا من أجل التـــزين العـــسكرى[٣٧]"، إن أفلاطون دائماً ما كان يربط دائما بين بعض الصفات الموجودة فى الأشياء وبـــين لونها.

أما فى محاورة الجمهورية فيذكر "أنك لتعلم أن الصباغين حين يريـــدون أن يصبغوا الصوف بلون قرمزى يختارون من بين كل الألوان لوناً واحداً هو الأبيض فيعدون صوفهم الأبيض بعناية فائقة بحيث يغدو قابلاً لاكتساب كل جمـــال اللـــون القرمزى وعندئذ فقط يبدأون فى صبغه فتكون الصبغة عندئذ ثابتة لا تـــزول إذ لا يزيل لونها غسيل بالماء وحده ولا بالماء والصابون أما لو اختاروا صـــوفاً مـــن الوان اخرى او صوفا أبيض غير مجهز بنفس الطريقة فأنت تعلم ما يحدث له[٣٨]."

ولقد أشار أفلاطون إلى صنوف الألوان وذكـــر أنهـــا "اللـــونين الأســـود والأبيض وأيضاً اللون اللماع أما اللون الأحمر فهو يرى أنه ما هو إلا حقيقة نسبية وذلك لأنه يتولد لا فى جسم الرؤية بل فى العين ذاتها[٣٩]"."وعندما أراد أفلاطون أن يوضح كيفية الحصول على الألوان التى نراها من خلال إحساسنا البصرى ذكر "أن اللون الأبيض ينتج بواسطة التمدد أما اللون الأسود ينتج خلال تقلـــص جـــسيمات صغيرة وهى قادرة على أن تنسجم مع الإحساس البصرى وهى تتميز أيضاً بأنهـــا ذات حركة فجائية عند اتـــصالها بمـــصدر أخـــر مثـــل (النـــار). والنـــار قـــوة

---

(٣٦) أفلاطون: نفس المصدر. ص ١٤٩.

(٣٧) أفلاطون: القوانين ــ ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية د: تيلور، نقله إلى العربية: محمد سليم ظاظا [الهيئـــة المـــصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٨٦] ص ٥٤٦.

(٣٨) أفلاطون: الجمهورية. ترجمة: فؤاد زكريا ــ راجعها على الأصل اليونانى د: محمد سليم سالم [المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٦٨] ص ١٣٤.

(٣٩) أفلاطون: الطيماوس واكريتس ــ المصدر السابق ــ ص ١٤٨.

عقلية[٤٠]."والنار تعتبر مصدرا من مصادر الألوان لأنها عندما تمزج بواسطة الرطوبة عن طريق العين وبدون فلاش ينتج لون مثل لون الدم فنطلق عليه اسم (اللون الأحمر).

ويقوم أفلاطون بعد ذلك بشرح ما قد ينتج من مزج كل لونين مع بعضهما البعض فمثلا "العناصر المشرقة الساطعة التى تمزج مع اللون الأحمر والأبيض تنتج اللون الأسمر المحمر وأيضاً اللون الأحمر عندما يمزج مع اللون الأسود واللون الأبيض يعطى لون تدرج اللون البنفسجي الذى يصبح بعد ذلك بنى مصفر عندما تحفز الألوان وهذا يكون مزج كبيراً مع اللون الأسود[٤١]." أما تدرج لون اللهب فنحصل عليه بطريقة مختلفة تمام الاختلاف فمن خلال مزج اللون الأسمر المحمر والقاتم، القاتم مع الأبيض، الأسود والأصفر والأبيض ـ الأسمر المحمر والأبيض يحضر بتقابله مع الأسود ليصبح لنا اللون الأزرق القاتم، والأزرق القاتم يمزج بواسطة الأبيض ليصبح أزرقا فاتحا أو أزرقا خفيفا وباتحاد اللون مع اللهب والأسود يصنع الأخضر الفاتح[٤٢]."

إلا أنه كان يرى أن اللون الأبيض هو الذى إذا صبغ بأى نوع من الصبغات فإنه لا يفسد ولا يزول لونه فهذا هو السبب الذى جعل أفلاطون يشبه فن الموسيقى والتربية الرياضية باللون الأبيض لأنهما يستطيعان أن "يصبغا أذهانهم بصبغة ثابتة مستمدة من النظم الموضوعة لهم ليكون لهم بفضل طبيعتهم الخيرة وبفضل التربية التى تلقوها رأى لا يمحى ولا يزول عن الأمور التى تخشى عاقبتها عن غيرها[٤٣]." وأكد أيضاً على أن اللذة والألم والخوف والهوى كلها أشياء يستطيع الإنسان أن يقاومها طالما أنه يحتفظ بالرأى الصحيح المشروع ولا يخشى أى نتيجة طالما أنه يتصف بصفة هامة وهى الشجاعة التى شبهها بالصبغة التى لا يمكن أن تزول لأنها صبغة من نوع قوى فهى أقوى من أى غسيل يحاول النيل

---

(٤٠) Plato. Timaeus. Dialogues of Plato. Translated by B. Jowett in 5vols. Volume3 [At the Clarendon. Press- London- 1892] 67.p.368.

(٤١) Ibid. 68. p. 368.

(٤٢) Ibid. 6.8 p. 368.

(٤٣) أفلاطون: الجمهورية ـ المصدر السابق ـ ص ١٣٤.

منها وذلك لأنه لديها القدرة على الاحتفاظ بالرأى المشروع بشأن ما ينبغى أن تخشى عاقبته ولما ينبغى ألا نخشى منه شيئاً[٤٤]."

وفى محاوره مينون ربط أفلاطون بين الألوان وبين الانطباع الذى يخلقه فى النفس الإنسانية.

* **يقول سقراط** :

"حسناً أنا أحاول أن أشرح لك كيف تكون الانطباعات التى تخلق فى النفس أنه الشئ الوحيد الذى يتبع دائماً الألوان.

* **يرد مينون**:

لكن هذه إجابة بسيطة.

* **سقراط**:

لماذا بسيطة.

* **مينون**:

لأنه إذا كان ينسجم معك هذا الانطباع الذى يتبع دائماً الألوان فإنه قد يوجد شخص أخر لا يعرف ماذا يكون اللون أكثر من معرفته عن ماذا يكون هذا الانطباع[٤٥]."

* **ويعود مينون ويسأل أستاذه سقراط** :

"ماذا عسى أن يكون اللون؟"

* **سقراط** :

أنت فاضح يا مينون. لأنه عندما تحدث كارثة لرجل عجوز فقير ليعطى لك إجابة بينما أنت لا تدرك المشكلة التى هو بصددها مثل جيور جياس فى تعريفه للفضيلة.

* **مينون**:

ندما تخبرنى ما سألتك سوف أخبرك أنا يا سقراط.

* **سقراط** :

الرجل الذى يكون معصب العينين إنه يملك حاسة السمع فقط أنت تتكلم وهو سوف يعرف أنك أنت ذلك المخلوق الجميل الوسيم الذى يتكلم وتعطى لنفسك انطباع لديه فى نفسه [٤٦]."

---

(٤٤) نفس المصدر ــ ص ١٣٤.

(٤٥) Plato, meno, dialogues of Plato translated by b. Jowett in 5 Vols.Volume2 [At the clarendon press. London. 1892] 74p.33.

أما الخداع البصرى [optical art] فقد تناوله أفلاطون من خلال أثره على الألوان "وكلمة بصرى مصدرها لاتينى إغريقى optike tekhene وترجمتها بالعربية من الرؤية البصرية وأن علم البصريات هو فرع من فروع علم الفيزياء الذى يعالج خاصيات الضوء والرؤية البصرية(٤٧)."

وحاول أفلاطون من خلال توضيحه للخداع البصرى ان يوضح أن الشئ الذى يبدو لناعن بعد بنفس الحجم هو نفسه الذى يبدو به عن قرب والمثال على ذلك "أن الشئ الذى يكون مستقيماً خارج الماء يبدو منكسراً داخله كذلك فإن الشئ يبدو محدباً أو مقعراً(٤٨)."

والسبب فى ذلك يرجعه أفلاطون إلى الخداع البصرى ويؤكد على أن الخلط الذى يوجد فى نفوسنا وأيضاً الضعف الذى يوجد فى طبيعتنا "هو الذى يستغله الرسم بالضوء والظل وغيره من أنواع الخداع البارعة التى يكون لها فى نفوسنا تأثير أشبه بتأثير السحر(٤٩)."

أما فى محاورة ثياتيتوس فقد تحدث أفلاطون عن الخداع البصرى الذى ينتج عن الألوان وهو ليس خاص بألوان بعينها مثل الأسود والأبيض مثلاً بل هو يشمل جميع الألوان بقوله "يجب أن لا نجعل لشئ ما وجوداً فى ذاته ولذاته فسوف نرى أن الأسود والأبيض وكل الألوان الأخرى إنما تحدث من ملاقاة العينين بنوع معين من حركة النقلة فما تصفه بأنه هذا اللون أو ذاك لا يرجع إلى العين التى تصادفه ولا إلى الحركة التى تصادفنا بل إلى شئ وسط بينهما وهو خاص بكل مدرك من المدركين المتعددين له(٥٠)."و أفلاطون بهذا يقدم أول لونين أساسيين هما اللون الأبيض الذى يمد شعاعنا البصرى والأسود وهو عكسه.

أما عن كيفية الإبصار الصادر من العينين وأيضاً كيفية الرؤية البصرية من خلال التقائها مع اللون فيذكر أفلاطون.

---

(٤٦) Ibid. 75, p.34.

(٤٧) فارس مترى ظاهر: الضوء واللون (بحث علمى وجمالى) [دار العلم- بيروت لبنان ـ ١٩٧٩] ص ١١٠ .

(٤٨) op. cit., 602,p. 371.

(٤٩) Ibid. 602, p. 371.

(٥٠) أفلاطون. ثياتيتوس أو عن العلم. ترجمة د: أميرة حلمى مطر [الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣] ص٥٠.

"إن كل شئ يتحرك غير أن الحركة قد تكون سريعة أو بطيئة وطالما كانت الحركة بطيئة فإنها تدور فى مكانها نفسه وفى حدود ما يجاورها فتولد ناتجاً عنهـا ولكن هذا الناتج بعد أن يتولد على هذا النحو يصبح أكثر سرعة لأنه ينتقل من مكان إلى آخر فبمجرد مثلاً أن تلتقى العين بالموضوع المناسب يتولد البياض والإحساس به معاً وكلاهما ما كان ليوجه ما لم يحدث التقاء بـين العـاملين المتـسببين فـى حدوثهما فبفضل الحركة التى تتم فى مكان متوسط بين البصر الصادر عن العينين والبياض الصادر عن الشئ المنتج للون ، تمتلئ العين بالرؤية فهى تبصر عندئـذ وتصير عيناً مبصرة فى حين أن الفاعل الآخر فى إنتاج اللون يمتلئ بالبياض فـلا يصبح بياضاً بل شيئاً أبيض سواء كان خشباً أو حجراً أو أى سطح قابل لأن يتلون بهذا اللون وكذلك ينبغى أن يكون الأمر فيما يتعلق بالجاف وبالحار وبكل الصفات التى ينطبق عليها نفس التفسير إذاً لا شئ فيها له وجودة فى ذاته وبذاته كما سـبق أن ذكرنا[٥١]."

وعندما تسأل بروتوجوراس فى محاورة فيليبوس؟ ما هى السعادة ، أجابـه سقراط إجابة قد تكون بعيدة عن تخيلنا وذلك لأنه ربط بين السعادة الحقيقية وجمالى اللون والشكل فيقول:

"إن السعادة الحقيقية تكون عندما تعطى لك من خلال جمالى الشكل واللون، ومعظم هذه الأشياء تنشأ من خلال جاسة الشم والصوت معاً. وأنه بصورة عامة فإن هـذه الأشياء نحصل عليها بدون الشعور بأى ألم لأنها تكون فى اللاشعور بصورة غير مقصودة. وان الاستمتاع بها يكون ملموس وواضح من خلال الإحساس وهو شعور مرضى وسار وخالص وغير مصاحب بأى ألم[٥٢]."

ثم يعود سقراط مرة أخرى ليفسر لبروتوجوراس ما يقصده بالجمال اللونى والشكلى بقوله: "أنا لا أقصد الجمال فى الشكل مثل الجمـال الـذى يكـون فـى الحيوانات أو فى صورة فهناك الكثير منها على ما أظن لكن أنا أقول أنه يجب أن يفهم قصدى من هذه المناقشة فالخطوط المستقيمة والدائرية والسطح المـستوى أو السطوح المجسمة ذات الطول والعرض والسمك أين من هذه الأشكال يكون خارج منعطف الخرط والقواعد ومقاييس الزوايا لهذا أنا أجزم أنه لا يكون الجمال فقـط

(٥١) نفس المصدر ــ ص ٥٥.

(٥٢) Plato, Philippus. Dialogues of Plato. Translated by. B. Jowett. In 5volds. Voulme4 [At the Clarendon press. London. 1892] 51p. 625 .

بالقياس الجمالى مثل الأشياء الأخرى جمال خالد وإنما أقصد هنا الجمال بكل ما فى هذه الكلمة من معنى بصورة مائة فى المائة، لأن ما يملكون سعادة مميـزة، فهـى ليست بالسعادة الهادئة لأنها تكون مثل ما تقشطه أنت من على سطح مـا. وهـذه تكون كالألوان التى تعطى نفس شخصية الإنسان وهى تملك كالسعادة لأنها صورة طبق الأصل منها[٥٣]."

أما أرسطو فكان يرى أن اللون هو أحد صفات الشئ المرئى وأن المرئـى هو موضوع الإبصار "فالمرئى هو اللون واللون هو ذلك الذى يوجد علـى سـطح المرئى بالذات ونعنى بقولنا "بالذات" المرئى لا من حيث ماهيته بل ما يكون مرئيا لأنه يحمل فى نفسه علة رؤيته وفى كل لون القوة على تحريـك الجـسم المـشف بالفعل وهذه القوة هى طبيعته وهذا هو السبب فى أن اللون لا يرى بدون الـضوء وفى الضوء فقط تدرك ألوان الأشياء ولذلك يجـب أن نبـدأ أولاً ببيـان طبيعـة الضوء[٥٤]."

وعندما يذكر أرسطو أن اللون لا يرى بدون الضوء فهو يستند فى هذا الى ان طبيعة الألوان تعتمد على ثلاثة ألوان أساسية وهى "أحمر قانى ــ الأخـضر زاهن ــ أورجوانى[٥٥]".

وأنه من خلال الضوء فقط تدرك ألوان الأشياء التى نراها. هذا القول لا ينطبـق على الأجسام الفوسفورية التى لديها المقدرة على أن ترى فى الظلام فقط لأنه عاد مرة أخرى وذكر:

"أن بعض الأشياء ليست مرئية فى الضوء بل إنما تحدث الإحساس فى الظلام فقط مثل الأشياء التى يظهر أنها نارية وبراقة مثل الكمأة القـرون، رؤوس الأسـماك وأصدافها وعيونها إلا أننا لا ندرك اللون الخاص بأى شئ من هذه الأشياء[٥٦]."

معنى هذا أنه من خلال الضوء نستطيع أن نرى اللون والعكس صحيح انه يمكن أن نرى اللون بدون الضوء وذلك لأن كينونة اللون قـادرة علـى تحريـك المشف بالفعل وكمال المشف يكون هو الضوء نفسه. وينتقـد هنـا أرسـطو رأى

---

(٥٣) Ibid. 52 p. 626.

(٥٤) أرسطو طاليس .كتاب النفس: نقله إلى العربية د: أحمد فؤاد الأهوانى راجعه على اليونانية: الأب جورج شـحاتة قنـواتى الطبعة الأولى [دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة. ١٩٤٩] ص ٦٥.

(٥٥) افلاطون. الطيماوس واكريتس. المصدر السابق ص ١٤٩.

(٥٦) نفس المصدر. ص ٦٧.

ديمقريطس Democritus [٤٦٠- ٣٦٠ ق.م] الذى زعم "أنه إذا أصبح المكان المتوسط خلاء فقد نرى بجلاء النملة ولو كانت فى السماء(٥٧)."

وهذا القول توصل له لأن "اللون لديه ليس له وجود موضوعى حقيقى كالشكل والحجم لأن اللون يكون من حركة الأجسام حول مركزها واللون مثله مثل المذاق خبرة للحاسة أنه إحساس يحدث بواسطة تغيير ذرات النفس فى عين المدرك بسبب التكوين الخاص بالموضوع"(٥٨).

فيرد أرسطو عليه بقوله إن هذا مستحيل وذلك"لأن البصر لايحصل إلا عندما يتلقى الحاس تغييراً ما فأن يكون اللون نفسه من جهة أنه موضوع مباشر للبصر وهو الذى يحدث هذا التغيير وهذا ما لا يمكن قبوله إذ أنه لا يمكن أن يحدثه إلا بمتوسط(٥٩)."

ويعود أرسطو ويقدم مثالاً على رأيه هذا ليؤكده فيذكر "أنك إذا وضعت الشئ الملون فوق عضو البصر فلن تراه فاللون يحرك المشف كالهواء مثلاً ثم يحرك هذا عضو الحس(٦٠)."

ويقصد أرسطو بالمشف هو ذلك الشئ الذى لا يكون مرئياً بالذات وإن كان مرئياً بتوسط لون أخر مثل الهواء أو الماء أو الزجاج أو البلور أو الأحجار الشفافة. "ولكن الهواء والماء ليسا مشفين من حيث أنهما كذلك بل من حيث طبيعة واحدة فى هذين العنصرين وهذه الطبيعة توجد أيضاً فى الجسم الأزلى(٦١)".

ويقصد أرسطو بالجسم الأزلى هو (الأثير) كما ذكره من قبل فى كتابه (السماء) فهو يرى أن حركة العنصر تكون دائرية لأنها مادة لطيفة تتكون منها الأفلاك السماوية والنجوم، ولقد قام أرسطو بمحاولة المقارنة بين طبيعة المشف وطبيعة الضوء فهو يرى "أن الضوء هو ضرب من اللون فى المشف. فالضوء ليس ناراً ولا جسماً ولا شعاعاً لأى جسم لأنه يكون بذلك ضرباً من الجسم لأن

---

(٥٧) نفس المصدر. ص ٦٧.

(٥٨) على سامى النشار وآخرون: ديموقراطيس فيلسوف الذرة فى الفكر الفلسفى حتى عصورنا الحديثة [الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية – د.ت].ص٧٩

(٥٩) المصدر السابق. ص ٦٧.

(٦٠) نفس المصدر . ص ٦٧.

(٦١) نفس المصدر. ص ٦٥.

الضوء ضد الظلمة وفى الواقع فإنه يرى أن الظلمة هى عدم وجود هذه الحالة فى المشف.

أما طبيعة المشف من حيث هو مشف فهو يوجد بالقوة فقط ويوجد فى الظلام أيضاً حيث يستكمل المشف بفعل النار أو بشئ يشبه الجسم السماوى إذاً لهذا الجوهر الأخير صفة هى " والنار شئ واحد فالنار مرئية فى الظلام والضوء على السواء إذاً بفضلها يصبح المشف بالقوة مشفاً بالفعل(٦٢)."

وبهذا القول يرد أرسطو على أنبا دوقليس الذى كان يرى أن الضوء ينتقل وينتشر فى وقت ما بين الأرض وما يحيطها إلا أننا لا نرى هذه الحركة، ولكن أرسطو عارضه فى هذا القول وأكد أن هذا يتعارض مع صريح العقل وأيضاً مع الواقع وأكد "أن حركة الضوء فى المسافة القصيرة قد تغيب عن الملاحظة إما أن تغيب عن هذه الحركة من الشرق إلى الغرب فهذا فرض بعيد الاحتمال(٦٣)."

ولقد قام أرسطو بتناول التسلسل اللونى أثناء اليوم بصورة دقيقة جداً فوجد "أن الضوء الأبيض ليظهر يكون مصبوغاً مع الأصفر ويتغير تدريجياً إلىالبرتقالى ثم إلى الأحمر بعد الغروب وفى السماء يصبح أورجوانياً بنفسجياً ويتغير لون السماء فى الليل فتبدو كحلى(٦٤)."

ولقد كان لأرسطو أراء جديرة بالذكر خاصة بالألوان عند الكائنات الحية. والمقصود بالكائنات الحية هنا الإنسان والحيوان والنبات وكل المخلوقات الموجودة على ظهر الأرض. وبدايتا قام بعمل مقارنة بين الشعر فى الحيوانات والشعر عند الإنسان فيذكر:

"أن الحيوانات اكتسبت شعرها من خلال الطبيعة بدون أى مؤثرات أخرى عليها.أما لون الشعر الذى يغطى جسدها فهو لون بشرتها ويؤكد أنه إذا كان شعر الحيوان أبيض فإن بشرته تكون بيضاء وإذا كان شعره أسود فإن بشرته بالتالى تكون سوداء. أما إذا كان من مختلفى الألوان فإن هذا يكون نتيجة للخلط الذى يوجد فى الشعر وقد يكون اللون أبيض فى أحد أجزاء الجسم وأسود فى جزء أخر.

ولون شعر بعض الحيوانات يتغير بقدر تغير المياه التى يشرب منها فإذا كانت ألوان الشعر لدى بعض الحيوانات بيضاء وفى مكان آخر سوداء فيعود ذلك إلى

---

(٦٢) نفس المصدر. ص ٦٦.

(٦٣) نفس المصدر. ص ٦٦.

(٦٤) www.color .system.com.p.1.

المياه "لأن من المياه من إذا شربت منها الأغنام ثم حملت بعد شربها فإنها تلد خرفاناً سوداً مثل فى البلدة التى تسمى باليونانية [خلقيدقى] الموجودة فى إقليم [أسور تيدى] فإنها إذا شربت من النهر الذى يسمى الباردة ثم حملت تلد بمثل ما وصفنا وفى البلدة التى تسمى باليونانية [أنطندريا] نهران أحدهما يصير ألوان ما تولد من الغنم سودا والآخر تصير ألوانها بيضاء. فأما النهر الذى يسمى باليونانية [اسقمندروس] فإنه يصير ما تولد من الغنم شقرا ويقال أن هذا هو السبب فى كون " " هوميروس" سمى نهر " اسقمندروس ". الأكنثوس أما البلدة التى تسمى باليونانية [طرونى] فإنه يكون جنس قناقد أبيض الخزف والشوك والبيض فأما الأجزاء السود التى تكون بعد الغنم فهى فيه كثيرة"(٦٥).

أما عند الإنسان فإن بشرته تكون إما بيضاء أو سوداء والإنسان الذى يمتلك شعرا أسود يرجع ذلك إلى أن طبيعة بشرته ليست سميكة مثل بشرة الحيوان وهذا هو الذى يحدث انسجاما وتناسبا بالنسبة لحجمه وأيضاً يكون غير قادر على تغيير شعره(٦٦)."

ويعود أرسطو ليقيم مقارنة على تغيير لون البشرة عند الإنسان وعدم تغيرها عند الحيوان مع ذكره للأسباب التى أدت إلى ذلك عند الاثنين فيقول:

"فالإنسان يحدث تغير فى لون بشرته (السمرة) من خلال أشعة الشمس أو الرياح بينما شعره فلا يحدث له أى تغيير فى لونه. أما عند الحيوانات فإن بشرتهم تكون ذا سماكة كبيرة والشعر الذى يوجد فى هذه البشرة تحدث له تغيرات لكن البشرة ذاتها لا تتغير على الإطلاق لا نتيجة الشمس ولا الرياح مثل الإنسان(٦٧)."

ثم قام أرسطو بعمل تقسيم لأنواع اللون للحيوانات، فهناك حيوانات بشرتها تحتوى على لون واحد وهناك حيوانات أخرى بشرتها تحتوى على عدة ألوان نذكر منها.

"بعض الحيوانات التى لا تحتوى على ألوان مثل الأسود ذات اللون الأصفر المصفر وأيضاً توجد مجموعة من الطيور والأسماك ومجموعة أخرى من

---

(٦٥) أرسطوطاليس: طباع الحيوان ترجمة يوحنا بن البطريق حققه وشرحه وقدمه له در / عبد الرحمن بدوى. [وكالة المطبوعات – الكويت – ١٩٧٧] ٣٢، ١٢، ٥١٨ ب– ٥١٩ أ، ص ١٢٨– ١٣٠. م٤، ٥، ٥٣٠ ب، ص ١٧٤.

(٦٦) Aristotle Degeneratione Animalium Translated by Arthur Platt in works of Aristotle Translated under the Editor Ship of Sir David Ross Volume (5) [At the Clarendon Press London. 1972] Part (4) 785 p. 785.

(٦٧) Ibid. 786. p.785.

الحيوانات ذات لون واحد مثل الثور الذى يكون أبيض تام أو أسود تام وهناك حيوانات تحتوى على ألوان عدة مثل الحيوانات المختلفة الألوان كالنمور والطاووس وبعض أنواع الأسماك التى تسمى Thrattai وأيضاً هناك أنواع أخرى مثل القطط الصغيرة جداً ـ والأوز وبعض أنواع الطيور والبطريق وبعض أنواع أخرى من الطيور[٦٨]."

وفيما يتعلق بعلة لون اللسان والجلد مصدرة اختلاف حال المياه من حارة أو باردة يقول أرسطوطاليس فى هذا "وأيضاً تختلف الألسنة فى أجناس الحيوان المبسوطة والمختلفة الألوان أعنى بقولى المبسوطة الأجناس البيض الألوان والأجناس السود. الألوان وعلة ذلك أيضاً العلة التى وصفنا فيما سلف أعنى أن جلود الحيوان الكثير الألوان مختلفة الألوان أيضاً وإذا كان الجلد أسود اللون كان الشعر أيضاً أسود اللون وإذا كان الجلد أبيض اللون كان الشعر أيضاً أبيض اللون وينبغى أن نظن أن اللسان مثل عضو واحد من الأعضاء التى فى ظاهر البدن ولا ينظر ذلك لان الفم يستره فهو مثل يد أو رجل أو شئ آخر من هذه الأعضاء فإذا كان الجلد مختلف اللون يكون جلد اللسان مختلف اللون أيضاً[٦٩]. معنى هذا أن لون الشعر ولون اللسان يتبعان لون الجلد سواء فى الحيوان المختلفه الالوان أو الحيوان ذى اللون الواحد .

ويقوم أرسطو بعمل وصف كامل شامل لجسم الحيوانات مع وصف ألوان الجسد الواحد التى تختلف من منطقة إلى أخرى مثال ذلك :

" قد نجد بعض الحيوانات متناسقة الألوان فى كل أجزائها، فنجد تحت البطن يكون أبيض من بقية الأجزاء وبصورة عملية كل الحيوانات البيضاء يكونوا أما ذوات بشرة داكنة مائلة إلى الصفرة واللسان أيضاً قد يكون متعدد الألوان[٧٠]."

وماذا عن الحيوانات التى لديها المقدرة على تغير لونها على مدار فصول العام أو عندما تريد أن تتخفى عن أنظار العدو أو تهرب من مكانها. إن أفلاطون شبههم "بالرجال الذين يحاولوا أن يغيروا! لون شعرهم ليظهروا أصغر من أعمارهم

---

(٦٨) Ibid. 786. p. 785.

(٦٩) أرسطوطاليس فى كون الحيوان المقالات [١٥- ١٩] من كتاب الحيوان ترجمة من اليونانية إلى العربية نسبت إلى يحيى بن البطريق حققها وقدم له ايان بروفمان ،كايوان دروسارت لولوفس [مؤسسة دى هنرى - ليدن - ١٩٧١] ص ١٩٢ م ١٩، ٦، 786 a.

(٧٠) Ibid. 786. p. 786.

وهو يرى أنهم عندما يقومون بهذا العمل فإن هذا يحدث لهم اختلاف نفسياً أكثر بكثير من ظهورهم فى عمر أصغر من عمرهم الحقيقى(٧١)."

ووجد أرسطو أن التغير الذى يحدث فى الحيوانات فى الطبيعة التى تتفرد بألوان كثيرة قد يحدث للنبات أيضاً.

"ويرجع ذلك إلى أن الماء الذى تشربه الحيوانات يؤثر عليها فالماء الدافئ يجعل شعرها أبيض بينما الماء البارد يجعل الشعر أسود، أما فى النباتات فإن الجو الحار يكون تأثيره أكثر من الماء والهواء فإذا صفا الهواء صار منه بياض ويكون فى النهاية كالزبد أو الرغاوى(٧٢)."وفى مؤلفه النبات يوضح فيه اسباب اللون عند النباتات فيقول "أما لون الزهر والثمار فكثير مختلف الألوان والنبات بكليته أخضر ومنه ما يميل إلى السواد وإلى الحمرة وإلى البياض(٧٣).

وتحدث أرسطاطاليس عن اللون وصحة النبات وتأثره بالرطوبة فقال :

"إذا كانت التربة شديدة الحرارة. إذا فيها تقل لرطوبة وتضيق المجارى فإذا أرادت الطبيعة إحداث الطبخ لم تجد رطوبة تكفى الغذاء فتضيق المجارى لهذا تتعكس عملية الطبخ وتجعلها الحرارة تستمر فيظهر على النبات لون بين الأبيض والأسود فإذا حدث هذا كان عنه خشب أسود أو شئ يشبه الأبيض والأبنوس أعنى واحد من مجموع الألوان ابتدأ من لون الأبنوس حتى لون الدردار ومثل هذا الخشب يغوص فى الماء لأن جزئياته متكاثفة ومجاريه ضيقة لا يدخلها هواء فإذا غاص الخشب الأبيض فالسبب فى هذا ضيق المجارى ووجود الرطوبة الزائدة التى تسد المجارى بحيث لا يدخل الهواء ولهذا يغوص(٧٤).

ويؤكد أرسطو على أن الرطوبة لها دور كبير فى تغيير لون الشجر من فصل إلى فصل بقوله: "وبعض الأشجار تتغير فى الشتاء فتصبح مرة خضراء ومرة زرقاء داكنة ولا تسقط أوراقها ولا ثمارها لأن الأشجار التى يقع فيها هذا تحوى كمية

---

(٧١) Ibid. 786. p. 786.

(٧٢) Ibid. 786. p. 785.

(٧٣) أرسطو طاليس كتاب النبات تلخيص ابن رشد ضمن كتاب أرسطو طاليس فى النفس الآراء الطبيعية المنسوب إلى فلوطرخس الحاس والمحسوس لابن رشد النبات المنسوب إلى أرسطو طاليس واجها على أصولها اليونانية ويشرحها وحققها وقدم لها عبد الرحمن بدوى [ملتزم الطبع والنشر – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٤] م١، ٥، ١٠٥ ب ص ٢٥٨.

(٧٤) المصدر السابق – م٢، ٩، ١١٥ ب ص ٢٧٧– ٢٧٨.

كبيرة من الحرارة والماء المتخلخل في مجاريها السفلى فكلما مضى العام احـتفظ هذا الماء بحرارته بسبب برودة الجو ولأن الحرارة تستحيل إلـى بـرودة تطـرد الرطوبة معها وتصبغها الرطوبة بلون الحرارة الطبيعي ولهذا يبدواللون في مظهر الشجر ويستحيل البارد والحار إلى فعل وتحتفظ الرطوبة بالحار ولهذا يظهر لـون آخر.

* **الألوان في القرآن الكريم :**

وهذا هو المبحث الثانى فى هذا البحث الذى يتناول القـرآن الكـريم فيـه الألوان فى مواضع عدة وقد ذكرت من خلال تعرضه بصورة صـريحة للألـوان المختلفة مثل اللون الأبيض ـ اللون الأخضر ـ اللون الأحوى [الأسـود المائـل للخضرة] ـ اللون الأسود ـ اللون الأصفر ـ مدهامتان [الأخضر القريـب مـن السواد] وقد ذكر الله فى محكم آياته بعضاً من الألوان الأساسية مثل اللون الأحمـر ـ اللون الأصفر ـ اللون الأزرق ـ ولم يذكر من الألوان الثانوية سوى اللـونين الأخضر والأسود فقط.

كما ذكر كلمة لون أو ألوان. ومن الإعجاز فى القـرآن الكـريم أن كلمـة (ألوان) قد ذكرت فى سبعة مواضع والرقم سبعة هو عدد ألـوان الطيـف التـى نستطيع من خلالها رؤية العالم وألوانه. ولقد وضع الله سبحانه وتعـالى مختلـف ألوانه عامة ولم يحددها ليوحى بتعدد ألوان النبات والحيوان وتكون عبرة وعظـة وتذكرة."وفى العقيدة الإسلامية جاءت دلالات اللون تعبيرية أو رمزية أو حسية أو جمالية وارتبط اللون بمصدرين جوهريين:

* **أولاً** : النور القادم من السماء المقترن بالخالق الأعلى فهو (نـور الله) سـبحانه وتعالى.

* **ثانياً** : (نور القلوب) بما يعنيه الإيمان المنير لدواخل النفس المظلمة(٧٥)".

وفيما يلى المواضع السبعة التى ذكرت فيها كلمة ألوان:

قال تعالى

"قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها. قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين"

سورة البقرة آية (٦٩)

(٧٥) استعمال اللون فى العمارة إنجاز إسلامى محض www.balagh.com.p.l

قال تعالى.

"وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه أن فى ذلك لأية لقوم يذكرون."

سورة النحل أية (١٣)

قال تعالى.

"ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون."

سورة النحل أية (٦٩)

قال تعالى.

"ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين."

سورة الروم أية (٢٢)

قال تعالى

"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود."

سورة فاطر أية (٢٧)

قال تعالى.

"ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور."

سورة فاطر أية (٢٨)

قال تعالى.

"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب."

سورة الزمر أية (٢١)

وفيما يلى سوف نوضح تفسيراً لارتباط بعض الألوان بدلالات خاصة وذلك لبيان القيمة الدلالية للألوان والتى تناولتها الآيات القرآنية مثل اللون الأبيض، اللون الأخضر، اللون الأصفر، اللون الأسود، اللون الأحمر، اللون الأزرق.

١ - اللون الأبيض :

ذكر هذا اللون فى القرآن الكريم فى اثنتي عشر سورة قرآنية. فهــو لــون الصفاء والطهارة والنور والرحمة والهداية والخير و الحق وهو رمز لصفة الخالق كما إنه لون الكفن وأخيراً لباس الإحرام.

وفيما يلى الآيات القرآنية التى ذكر فيها اللون الأبيض وهى على التوالى.

قال تعالى

"وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر."

سورة البقرة أية (١٨٧)

قال تعالى

"يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون."

سورة آل عمران أية (١٠٦)

قال تعالى

" وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيهاخالدون."

سورة آل عمران أية (١٠٧).

قال تعالى

" ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين."

سورة الأعراف أية (١٠٨).

قال تعالى..

"واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء أية أخرى."

سورة طه أية (٢٢)

قال تعالى

"ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين."

سورة الشعراء أية (٣٣)

قال تعالى

"وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غيرسوء"

سورة النمل أية (١٢) .

قال تعالى..

"اسلك يدك إلى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء."

سورة القصص أية (٣٢)

قال تعالى

"ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود."

سورة فاطر أية (٢٧)

قال تعالى

"كأنهن بيض مكنون."

سورة الصافات أية (٤٩)

قال تعالى

"وتولى عنهم وقال يأسفاى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم."

سورة يوسف أية (٨٤)

٢- اللون الأخضر :

ذكر فى القران الكريم في تسعة آيات قرآنية وهذا اللون هو أحب الألوان إلى المسلمين وهو أكثرها جمالاً وقدراً وهو ذو دلالة رمزية خاصة فهو لون ثوب أهل الجنة وبساطهم وكذلك يصف حالهم وما يحيط بهم من نعيم فى جو رفيع من البهجة والمتعة والاطمئنان النفسى وهو سر الروح وكذلك يعبر عن النضارة والجمال وهو يمثل البيان الآلهى والخير والسلام وهو يتصل بكل ما له صلة بالتقوى والصلاح كما أنه يدل على النعيم. فأحيا به الأرض بعد موتها. وفيما يلى الآيات القرآنية التى ذكر فيها اللون الأخضر وهى على التوالى :

قال تعالى:

"فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضراً."

سورة الأنعام أية (٩٩)

قال تعالى:

"وقال الملك أنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات."

سورة يوسف أية (٤٣)

قال تعالى:

"يوسف ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات."

سورة يوسف أية (٤٦)

قال تعالى:

"ويلبسون ثياب خضرا من سندس وإستبرق."

سورة الكهف أية (٣١)

قال تعالى:

"ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة أن الله لطيف خبير."

سورة الحج أية (٦٣)

قال تعالى:

"الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون"

سورة يس أية (٨٠)

قال تعالى: "مدهامتان".

سورة الرحمن أية (٦٤)

قال تعالى: "متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان."

سورة الرحمن أية (٧٦)

قال تعالى: "عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق."

سورة الإنسان أية (٢١)

٣- **اللون الأصفر:**

ذكر اللون الأصفر فى القرآن الكريم فى خمس سور قرآنية وهو لون غير مستحب حيث له دلالة رمزية خاصة به لأنه يعبر عن وصف جهنم ووصف مشهد يوم القيامة والرياح الحانقة كما أنه يعتبر نذيرا لفقدان الحياة والحيوية.

وفيما يلى الآيات القرآنية التى تناولت اللون الأصفر فيها وهى على التوالى.

قال تعالى:

"قال أنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين."

سورة البقرة أية (٦٩)

قال تعالى:

"ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا عن بعده يكفرون."

سورة الروم أية (٥١)

قال تعالى:

"ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً."

سورة الزمر أية (٢١)

قال تعالى:

"ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً."

سورة الحديد أية (٢٠)

قال تعالى: "كأنه جمالت صفر."

سورة المرسلات أية (٣٣)

٤ - **اللون الأسود:**

ذكر اللون الأسود فى القرآن الكريم فى سبع آيات قرآنية ويصف الله بـه وجه الإنسان الكافر والمنافق بالسواد دلالة على الحرج والخزى الذى لحق به وهو أيضاً لون النفس الأمارة بالسوء ، وهو أيضاً رمز للفناء وكذلك ذكر عند توقيت بدء الإمساك عن الطعام للمسلمين فى شهر رمضان وأيضاً ضرب الله به مثلاً بشدة السواد فى ذكره (غرابيب سود) وهو جمع غراب، والغراب معروف بلونه الأسود الحالك.

وفيما يلى الآيات القرآنية التى تناولت اللون الأسود وهى على التوالى.

قال تعالى:

"وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود."

سورة البقرة أية (١٨٧)

قال تعالى:

"فأما اللذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم."

سورة آل عمران أية (١٠٦)

قال تعالى: "يـــوم تبـــيض وجـــوه وتـــسود وجـــوه."

سورة آل عمران أية (١٠٦)

قال تعالى:

"وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم."

سورة النحل أية (٥٨)

قال تعالى:

"ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود."

سورة فاطر أية (٢٧)

قال تعالى:

"ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة." **سورة الزمر أية** (٦٠)

قال تعالى:

"وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم."

سورة الزخرف آية (١٧)

٥- **اللون الأحمر:**

ذكر اللون الأحمر فى القرآن الكريم مرة واحدة وهو مرتبط بلون النار والعذاب فى جهنم والآية الكريمة التى ذكر فيها اللون الأحمر شبه أهل النار عندما كانوا يسمعون كلام الله وينفرون منه كأنهم حمير نافرة تفر من أسد تطلب النجاة من بطشه.

قال تعالى: **"كأنهن حمر مستنفرة"**

سورة المدثر آية (٥٠)

٦- **اللون الأزرق:**

ذكر اللون الأزرق فى القرآن الكريم مرة واحدة وهو لون له دلالة خاصة به وله عدم تفضيل وقد ظهر هذا من خلال الآية الكريمة التى ذكرت

قال تعالى:

"يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا."

سورة طه آية (١٠٢)

ودلالة هذه الآية أن الأجسام لا تبلغ الموت أو الحياة "فالمعروف أن لون الدم هو اللون الأحمر وعندما يتحول إلى الأزرق فهى تعنى احتباس الأكسجين الشديد وفساده وهى أصدق تعبير عن الحشر[٧٦]."

* **العلاج بالألوان:**

وهذا هو المبحث الثالث من هذا البحث حيث يتناول ما قام به الأطباء فى أوروبا وأمريكا مؤخراً باستخدام الألوان فى العلاج و يرجع ذلك إلى طبيعة الضوء الذى هو عبارة عن "طاقة مشعة لها طول موجى وحين تقوم المستقبلات الضوئية

---

(٧٦) ليلى القحطانى: رحلة حياة. المدارس الفنية وأشياء أخرى.
www.lifejourney.com.sa.p.2

المسماة بالمخروطات فى الشبكية بترجمتها إلى ألوان وتحتوى الشبكية على ثلاثة ألوان هى الأخضر – الأحمر – الأزرق(٧٧)."

والألوان ما هى إلا جزء من جزيئات الضوء تحتوى فى داخلها على موجات ضوئية تختلف عن بعضها البعض فى الطول والسرعة وهذا هو السبب الذى من أجله نجد أن هناك ألوان نستطيع رؤيتها وألوان أخرى لا تستطيع أن نراها. ويرجع العلماء ذلك إلى أن أعيننا تبصر ألوانا تحمل موجات وذبذبات ضوئية.

وعند علماء النفس نجد أن كلمة "لون تشير إلى خاصية (المثير) أى خاصية الطاقة الإشعاعية المرئية التى تعطى الإحساس باللون(٧٨)." وكثرة تعرض الإنسان للألوان تؤثر على جسده ثم تؤثر بالتالى على حالته الشعورية ولذلك يقوم الأطباء باختيار اللون الذى يتوافق مع التردد الذى تصدره العضلة أو العضو الذى يوجد داخل جسدنا ويتم علاجه عن طريق إمداد هذا العضو المريض بالذبذبة الملونة المناسبة له. وتسمى طرق العلاج بالألوان "كروموثيرابى".

وهذا العلاج لا ينتمى إلى العلم الحديث إذ تمتد جذوره إلى آلاف السنين "حيث عثر على مخطوطات ووثائق ترجع إلى الحضارة المصرية القديمة حيث كانت توجد جماعة تسمى (الروزيكروشان) تستعمل العلاج بأشعة الألوان(٧٩)." وأيضاً فى الهند والصين كانت هناك طرق مختلفة لاستعمال الألوان فى العلاج ترجع إلى خمسة آلاف سنة.وليس العلاج بالألوان هو النوع الوحيد للعلاج البديل وإنما توجد أنواع أخرى للاستشفاء نذكر منها :

١. الاستشفاء باستخدام البرمجة اللغوية العصبية [N L p].
٢. الاستشفاء باستخدام الطاقة الحيوية ــ الشفاء باللمس أو الريكى.
٣. الاستشفاء باستخدام الفونخ شوى أو (علم طاقة المكان) .
٤. الاستشفاء باستخدام الأيروفيدا.
٥. الاستشفاء باستخدام علم الطاقة الأرضية.
٦. الاستشفاء باستخدام التاى شى.

---

(٧٧) العلاج بالألوان. www.bafree.net.p.1

(٧٨) G.A. Agoston, colour theory and its Application in art design [Springer Velag. Berlin, Inc. New York 1979] p.40.

(٧٩) لكل مرض لون يسهم فى شفائه. www.suhuf.net.sa.p.2

١- **الاستشفاء باستخدام البرمجة اللغوية العصبية (N L P) :**

إن مصطلح [N L p] "هو اختصار لكلمة (Neuro Linguistic Programming) ويقصد به إعادة التوازن إلى العقل والجسد للإنسان وذلك من خلال برمجته بطريقة حديثة حيث يتم تحويل السلوك السلبى لديه إلى سلوك إيجابى(٨٠).

٢- **الاستشفاء باستخدام الطاقة الحيوية (الشفاء باللمس أو الريكى):**

هو علم يابانى من أصول صينية وهو يتألف من كلمتين يابانيتين RiKiRi وكلمة (Ri) (رى) تعنى الطاقة الكونية الشاملة، (Ki) (كى) وتعنى الطاقة الشخصية مركز الاسترخاء(٨١)." ومؤسس هذا العلم الدكتور اليابانى Mikao Usui.

وقد عرف هذا العلم منذ ٤٠٠٠ عام وأعيد اكتشافه قبل ١٠٠ عام وهو يعتمد على ثلاثة أبعاد أساسية للإنسان هى العقل، الجسد، النفس. وكل ما يريد أن يصبو إليه هذا العلم هو إعادة التوازن والتوافق بينهم فهو وحده القادر على أن يقوى حواس الإنسان الخمسة وأيضاً إزالة التوتر واستعادة الاسترخاء ، وأيضاً الإسراع فى الشفاء من الأمراض ولهذا استخدم الصينيين نظام يسمى نظام الخمسة إيقاعات، وهو يقوم على أساس فصول السنة فجعلوا "الربيع يرمز إلى الخشب، الصيف يرمز إلى النار، الخريف الدافئ يرمز إلى الأرض، الخريف يرمز إلى المعدن والشتاء يرمز إلى الماء(٨٢)."

٣- **الاستشفاء باستخدام الفونغ شوى أو علم طاقة المكان:**

هو علم صينى يعتمد على تغيير أو ترتيب قطع الأثاث فى المنزل أو فى العمل وتوزيعها فى المكان بشكل متوازن وبطريقة معينة فى المكان الموجودة فيه فتؤثر بدورها على طاقة الإنسان وأيضاً على حالته النفسية.

٤- **الاستشفاء باستخدام الايروفيدا:**

وتعود كلمة أيروفيدا (Ayurveda) إلى اللغة السنسكريتية القديمة "وهى مركبة من كلمتين (أيور) (Ayur) وتعنى فن الحياة، فيدا (Veda) وتعنى المعرفة

---

(٨٠) رحلة سعيدة. www.lifeJourney.com.sa.p.2.

(٨١) منتديات طبيعى. www.tabi3i.com.p.1.

(٨٢) www.soothing minds.com.uk.p1

أو العلم[٨٣]." ولقد نشأ هذا العلم قبل ٥٠٠٠ عام من قبل بونا فاسوا أتريـــا Puna Vasu Atreya نحو ٨٠٠ عام ق.م. والأيروفيدا "هى نظام شامل يستند علـــى تفاعل الجسم والعقل والروح والتصرف وهو يجعل الأثير والهواء والنار والمـــاء والتراب تقابل الحواس الخمسة لدى الإنسان على الترتيب التالى: السمع ــ اللمس ــ البصر ــ التذوق ــ الشم [٨٤]."

٥- الاستشفاء باستخدام علم الطاقة الأرضية:

وهو علم يهتم بدراسة الطاقة التى تصدر من الظواهر الأرضية الطبيعيـــة مثـــل الجبال ــ التلال ــ المياه الجوفية "فهذه الطاقة إما أن تكون إيجابية عند الإنـــسان القوى المعانى المتفائل وإما أن تكون سلبية عند الإنسان الضعيف المتشائم[٨٥]."

٦- الاستشفاء باستخدام التاى شى:

وهو علم صينى قديم يعتمد على تمارين رياضية يقوم بها الممـــارس كمـــا أنهـــا تصحبها بعض التأملات الخاصة وذلك باستخدام طريقة معينة فى التنفس وبـــذلك نستطيع أن نحصل على الطاقة المناسبة للجسم.

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كتب د / أودين يابيت فى مؤلفه "الضوء واللون" أن العلاج بالألوان هو أول إسهام حقيقى حدث فى العصر الحديث حيث تحدث عن فوائده وفى بداية القرن العـــشرين أضـــاف د / دينـــشاه بـــشادى جاديالى إضافات هامة إلى هذا الموضوع.

ولقد أثبت علماء الجراحة والتشريح أن أجسامنا من الـــداخل ملونـــة وأن الأعضاء والعضلات داخل الجسم البشرى ملونة وتوجـــد مـــتصحات فـــى لنـــدن والولايات المتحدة الأمريكية تعالج الأشخاص بغض النظر عن جنسيتهم من خلال استخدام الألوان. وذلك بواسطة إحداث موازنة للإنسان بينه وبين الطاقة الموجودة فى جسده فكل شخص له عدة طاقات داخله ، فهناك طاقة حيوية وطاقـــة روحيـــة وأخرى عاطفية وفكرية وأخيراً جسدية. وهذه الطاقات جميعها إذا لم تتوازن فـــإن الإنسان يحدث له خلل ينتج عنه أنواع معينة من الأمراض.ولحظة بداية العـــلاج بالألوان تحدث عندما يصدر الجسم البشرى صرخة قويـــة يطلـــب مـــن خلالهـــا المساعدة لإعادة التوازن لجسده مرة أخرى ويذكر د/ الكسندر شاوس (مدير المعهد

---

(٨٣) منتديات الحصن النفسى. www.bafree.net.p. 1

(٨٤) ملتديات الحصن النفسى. www.bafree.net.p.2

(٨٥) هالة احمد فؤاد: الواحة. www.khayma.com p2

الأمريكي للبحوث الاجتماعية فى تاكوما بولاية واشنطن) أنه:"عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية والجسم الصنبورى مما يؤدى إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية وبالتالى السيطرة المباشرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكنا(٨٦)."

ويؤكد هذا الرأى أيضاً الفيزيائى الأمريكى ريتشارد فينجان الذى ذكر فى محاضرته الشهيرة فى الستينيات وكانت بعنوان "فى علم الفيزياء اليوم لا علم لنا فى الحقيقة عن ماهية الطاقة" وذكر "أن الطاقة هى القدرة على إحداث فعل أو تأثير وإن الاحساسات قادرة على إحداث تأثير فمثلاً: عندما أغضب تتولد طاقة حرارية فى جسدى كله ويتولد عن هذا الغضب ارتفاع فى ضغط الدم ونسبة السكر أما فى الصلاة ومختلف الطقوس الدينية فإن لها القدرة على تحويل الطاقات الفكرية السلبية إلى أخرى إيجابية(٨٧)."

والحقيقة أن طرق العلاج بالألوان تعتمد على اختيار اللون المناسب للمرض الذى يعانى منه الشخص وذلك من خلال إحاطة الجسم بارتداء ملابس من نفس اللون فلكل لون أثر عميق على كل المستويات الجسدية والعقلية والعاطفية والروحية للإنسان فاللون هو الطاقة.

وللألوان القدرة فى السيطرة على حياتنا. ولذلك نجد لها تأثير على أمزجتنا فكل خلية من خلايا جسم الإنسان تحتاج إلى طاقة ملونة حيث لها القدرة على إحداث الشفاء للمريض وموازنة الطاقة الخاصة به.

وتعتبر سوزان تشاكراس الطبيبة الأمريكية المعاصرة التى تستخدم ألوان الطيف السبعة فى العلاج من خلال إحداث توازن فى طاقة الجسم البشرى فلكل جسم موجة خاصة به وأن أى جسم يحتوى على سبعة مراكز رئيسية للطاقة "تسمى(شكرة) وجمعها (شكرات) ولكل (شكرة) لون خاص بها وفقاً لتردد اهتزازها وكلمة (شكرة) كلمة سنسكريتية أطلقها العلماء القدامى على مراكز الطاقة(٨٨)."

ومن خلال (الشكرة) يتم توزيع الطاقة فى جسم الإنسان سواء أكانت طاقته داخل الجسم أو خارجه "ولكل (شكرة) علاقة بغدة من الغدد السبع وأيضاً لها لون

---

(٨٦) العلاج بالالوان www.bafree.net.p. 2

(٨٧) بايو جيومترى.ماهى الطاقة. www.biogemetry.info.p. 1

(٨٨) البرمجة اللغوية العصبية. www.nlpnote.com.p2

خاص بها ولكل (شكرة) لوناً معيناً يمد الإنسان بنوع معين من الطاقة التى يحتاجها لتحقيق وجوده المعنوى(٨٩)." وكل ما تحاول (الشكرة) أن تفعله هو أن تزود الإنسان بالطاقة وتجعله يستعيد توازنه مرة أخرى فإن كان يعانى من ألام فى أى جزء من أجزاء جسده فإنها تحاول أن تعالجه من خلال استخدام الألوان ذات التأثير المختلف على كل عضو من أعضاء الجسم الذى يتأثر بها ويتجاوب معها ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالى حيث نجد أن لكل مرض لون قادر على شفائه.

م	اللون	الشاكرات
١	الأحمر	العمود الفقرى
٢	البرتقالي	الجبهة
٣	الأصفر	الحاجب
٤	الأزرق	الحلق
٥	الأزرق النيلي	القلب
٦	البنفسجي	فم المعدة
٧	الأخضر	البطن(٩٠)

* **وتنقسم الألوان فى الطاقة إلى نوعين:**

١. **النوع الأول** : ألوان موجبة.
٢. **النوع الثانى** : الوان سالبه.

- **أولاً: الألوان الموجبة** :

وهى الألوان التى تمتاز بتفاعلها الحمضى وإشعاعاتها المنشطة والمميزة مثل اللون الأحمر ـ اللون البرتقالى ـ اللون الأصفر ـ اللون الأسود.

الشاكرة الأولى اللون الأحمر:

وهو إشارة إلى العمود الفقرى وهو أعلى ألوان الطاقة حيث يعالج فقر الدم والإكزيما وتقوية المناعة والشفاء من العجز الجنسى، والتهابات المثانة ويعالج أيضا البرد والزكام ووهن الأعصاب ويعالج الكآبة والإرهاق.

الشاكرة الثانية اللون البرتقالي:

---

(٨٩) www.chakra colour therapy.com p2.3

(٩٠)استخدام سوزان تشاكراس للألوان فى علاج الجسم www.colourtherapy healing.com.p.3.

هو إشارة إلى البطن تحت فم المعدة وهو متعلق برغبتنا وعواطفنا الجسدية"وهـو أحسن الألوان فهو قادر على معالجة الاكتئاب والنعاس والفتور، ويفـتح الـشهية ويقاوم الشعور بالتعب والإرهاق ومعالج لحصى الكلى والمرارة والمغـص الحـاد والتشنجات العضلية(٩١)."

كما أنه يفيد فى إدرار الحليب بعد الولادة وله تأثير جيـد علـى الجهـاز التنفسى كما أنه يزيد الطاقة عند الإنسان وعندما يشعر الشخص بالتعب والإرهـاق يجب عليه أن يرتدى اللون البرتقالى لأنه من شـأنه أن يرفـع طاقتـه بـصورة ملحوظة.

الشاكرة الثالثة اللون الأصفر:

وهو إشارة إلى فم المعدة فوق السرة وهو لون الأرض ويعبر عن الصلابة وقـوة العقل "كما أنه يعالج الاضطرابات الهضمية وعسر الهضم وينبه القدرات العقليـة ويرفع طاقة الدماغ ويعالج الخمول النفسى(٩٢)." وكذلك قـادر علـى إعـادة بنـاء الأنسجة التالفة فى البنكرياس والكبد والطحال، ويولد الطاقة فى عضلات الجـسم ويحسن البشرة وينظف ويعالج الجروح وخصوصاً الأكزيما وفى حالةنقصان أشعة هذا اللون فى أى جزء من أجزاء الجسم فإنه يؤدى إلى الشلل الجزئى أو الكلى.

الشاكرة الرابعة اللون الأسود:

هذا اللون يعطى الإحساس بالقوة والثقة لهذا يسمى لون القوة وهو مثبـت للشهية ويساعد على إنقاص الوزن ويستخدم فى الرجيم وفى المعهد الأمريكى للعلم برنامج فى العلاج بالألوان، وأحد هذه المناهج يسمى (غذاء ملون). حيث وجـد أن اللون يمكن أن يستخدم للمساعدة فى نقص الوزن أو زيادته. فاللون الأسود يستخدم لفقد الوزن لأن فى أجسامنا طرق طاقة تسمى خطوط الطول التى تدور داخلياً وهى خاصة بالأكل وهى تغذى خطوط الطول لدينا(٩٣)."اللون الأخضر والأزرق يستخدم لزيادة الوزن وذلك من خلال إحداث توازن بين حالة الطاقة بين الألوان وبين طاقة جسم الإنسان.

- **ثانياً الألوان السالبة:**

---

(٩١) www.chakra.colou r therap.com p3 .

(٩٢) مجلس عنيزة. www.onaizah.com.p.2

(٩٣) العلاج عن طريق الطاقة. www.soothing minds.co.uk.p.3

وهى الألوان التى تمتاز بتفاعلها القلوى وتأثيرها المهدئ والبارد مثل ألوان الأزرق – الأزرق النيلى – البنفسجى – البمبى – الأخضر– فوق الأخضر.

الشاكرة الأولى اللون الأزرق:

وهو يختص بالحلق وهو موجود أمام تفاحة أدم وهو يخفض ضغط الدم ويقلل من تصلب الشرايين ويعمل على الاسترخاء ويلطف الأجواء الحارة والباردة."والأشخاص الذين يعانون من ضغط وحالات قلق يلجئون لاستنشاق هواء البحر وبالفعل تزول كل مشاكلهم والسبب الحقيقى لذلك هو أن حركة الأمواج فى البحر إضافة إلى لونه الأزرق تساعد على سحب الطاقة السلبية واستبدالها بأخرى إيجابية وتجديدها فى المناطق المحيطة بالجسم[٩٤]."

الشاكرة الثانية اللون الأزرق النيلى:

وينصح به عند وجود "ألام فى الحلق ووجع فى الأسنان والرأس وهو يجعل الشخص أكثر تفتحاً وحذاقه ووعى كما أنه قادر على تنشيط الذاكرة[٩٥]."

الشاكرة الثالثة اللون البنفسجى:

وهو إشارة إلى أعلى الرأس وهو جيد لأمراض فروة الرأس والصداع النصفى وأيضاً الكلى، كما يعتبر مركزا لتلقى المعلومات والأفكار من العقل الفاقد الوعى وهو مركز نشيط جداً لكثير من الناس المبدعة والتى تصبح ملهمة فيما بعد(٩٦)."كما أنه لون قادر على إزالة مشاعر الكراهية والعدوانية والتوتر والقلق لدى الإنسان وهو أخيراً مهبط للشهية.

الشاكرة الرابعة اللون البمبى:

وهذا اللون قادر على إحداث جواً رومانسى لدى الإنسان ولذلك تدهن به غرف النوم وكذلك مراكز علاج الإدمان ويجب أن تدهن به ايضا مصلحة السجون.

الشاكرة الخامسة (اللون الأخضر):

وهو إشارة إلى القلب وهو مهدئ للآلام وخصوصاً لمرضى السرطان وهو قادر على امتصاص الطاقات السلبية من جسم الإنسان "والدليل على ذلك أن الإنسان المكتئب عندما يجلس فى مكان ملئ بالأشجار والنباتات الخضراء يزول

---

(٩٤) مصر الكلمة الطيبة. www.egypt Son.com.p.2

(٩٥) www.onaizah.com.p.2

(٩٦) www.chakra colour therapy.com.p.3

اكتئابه[٩٧]."فهو لون متوسط الطاقة ويشعر الإنسان بالسكينة والهدوء ولهـذا يـؤثر على اللسان والمخ والصفراء.

<u>الشاكرة السادسة (اللون الفوق الأخضر):</u>

هذا اللون قادر على قتل الجراثيم والبكتريا وأيضاً يستطيع أن يلحم الأنسجة الحية والجروح.

---

(٩٧) العلاج بالألوان. www.dhofari.com.p.2

الخاتمـة

١) أن الألوان تلعب دوراً هاماً فى حياتنا الاجتماعية والشخصية والنفسية بل وفى العالم إجمع فلا يوجد أى شئ حولنا الا وتستخدم فيه الألوان فعلى سبيل المثال لا الحصر: نجد الألوان فى إشارات المـرور ــ الأزيـاء ــ الاحتفـالات ــ الطقوس الدينية ــ المهرجانات ــ الصور ــ الإضاءة ــ على أى منتج أو سلعة ــ فى الهدايا ــ مواقع الإنترنت ــ الكروت ــ الشعارات ــ محطات المترو ــ فى الطرق على الأرض.......الخ.

فلا أحد يستطيع أن ينكر وجودُ الألوان فى العالم على الإطلاق ففى حياتنـا لا شئ خالى من الألوان وجميعها تستخدم للجذب ــ للتمتع ــ أو للإبهار ــ وأيضاً قد تستخدم الألوان للتحذيرْ وتكون النتيجة ذات ردود فعل إيجابية وقوية.

٢) كيف لا نستخدم الألوان فى مختلف صور الحياة والعالم أمامنا ملـئ بالأشـياء التى تحتوى على ألوان عديدة. فالله سبحانه وتعالى خلق العالم مزين بنسيج من الألوان يتمثل فى الجبال المختلف ألوانها ــ البحـار-المحيطـات- الأنهـار- الحقول الزراعية المحتوية على النباتات المختلفة فى درجاتها اللونية فى اللون الواحد والسماء ذات اللون الأزرق الرائع حتى الصحراء الصفراء ولونها الرائع والحيوانات على اختلاف أشكالها وأنواعها تختلف ألوانها. فالعالم مـن حولنـا رائع ملئ بأجمل ألوان أبدعها لنا الفنان الأول لهذا العالم أنه الله عز وجل وذلك لنتمتع بها وبما تحتويه من ألوان تبهر من يتأملها، فهل تخيل أحد لو كان هـذا لوناً واحداً أبيض مثلاً فقط،أو أسود كيف ستكون الحياة ؟ وكيـف سنستـشعر الجمال الموجود فى كل هذه الإبداعات الفنية التى قدمها لنا الفنان العظيم الخالق المبدع فى مخلوقاته ؟ إن نعم الله على الإنسان كثيرة جداً وعظيمة حقاً ونعمـة الاستمتاع بالألوان فى الحياة إحدى هذه النعم.

٣) إن للون تعريفات عديدة قام الفلاسفة والعلماء الفيزيقيون بعرضها منذ سـنوات بعيدة الأمد تعود إلى ما قبل الميلاد. وكان لهذه التعريفات الاثر الكبير على كل من جاء من بعدهم من الفلاسفة ويدين المحدثون منهم بالفضل الكبير لـسابقيهم فيما استطاعوا أن يصلوا إليه اليوم من اكتشافات ومراحل متطورة فـى هـذا العلم. حتى أصبح لكل لون دلالة لونية خاصة به ولكل لون تأثيره الخاص على الإنسان، ولقد كان الباحثون يقومون بالعديد من الأبحاث التى توضح تأثير كل

لون. وكانت نتائج تلك الأبحاث مبهرة حيث وجد أن لكل لون يرتديه الإنسان أو يفضله له معنى ومغزى خاص بصاحبه وبحالته المزاجية والشعورية وما ينتج عنه من تصرف سلوكى قد يكون سلبياً أو إيجابياً وظهر هذا جلياً من خلال ما سبق توضيحه عن تأثير الألوان على الإنسان.

٤) لقد كان لآراء الفيلسوف المثالى أفلاطون أثر كبير فى الفن الفلسفى اليونانى فاستطاع من خلال محاوراته المختلفة التى كتبها والتى تم الإشارة إليها فيما سبق العديد من الآراء حول الألوان وأنواعها وتأثيرها على الإنسان وربط بينها وبين تأثيرها النفسى وما ينتج عنه كما كان لآرائه حول الخداع البصرى الذى ينتج عن الألوان أثر على أراء الفيلسوف الواقعى (أرسطو) الذى قام هو الأخر بتناول موضوع اللون وبشرح الإبصار، ووضح رأيه فى الشئ المرئى وكذلك قام بعمل مقارنة بين طبيعة الشئ المشف وطبيعة الضوء، وكان له أراء جديدة ومتطورة عن سابقيه من الفلاسفة الطبيعيين الأوائل مثل أنبا دوقليس وديمقريطس الذى كان يرد على آرائهم وينتقدهم ويقدم رأيه بالحجة والشرح الذى يؤكد ما توصل إليه.

ولقد قام بتناول موضوع الألوان فى الكائنات الحية وهو موضوع جدير بالملاحظة فلم يسبقه أى فيلسوف إلى هذا البحث فتناول بالشرح لون شعر الحيوانات ودرجات هذا اللون وبعض الأماكن الموجودة فى جسد الحيوان المختلفة فى درجة اللون وشدته وأيضاً قام بالمقارنة بينه وبين الإنسان وأيضاً النبات.

٥) لقد تناول القرآن الكريم الألوان وذكرها فى مواضع عده وكان لهذا دلالة رمزية خاصة بالدين الإسلامى. حتى عندما ذكر كلمة (لون) فى القرآن الكريم ذكرت فى سبع مواضع وقد أفاد علماء الإعجاز الدينى العلمى أن رقم سبعة مرتبط بعدد ألوان طيف الشمس التى نستطيع من خلالها أن نرى هذا العالم بكل هذه الألوان الجميلة المتنوعة وجاء ذكر اللون البيض فى اثنى عشر أية قرآنية واللون الأخضر فى تسع آيات قرآنية، أما اللون الأصفر فذكر فى خمس آيات قرآنية واللون الأسود ذكر فى سبع آيات أما اللون الأحمر فذكر مرة واحدة وأيضا اللون الأزرق ذكر مرة واحدة وفى كل أية قرآنية تم فيها ذكر لون ما كان لهذا اللون دلالة عقائدية دينية ذا تأثير قوى على من يقرؤون القرآن ويتدبرون آياته.

٦) أما العلاج بالألوان فكان اكتشافه مرة أخرى أحدث ما توصل إليه الأطباء والمعالجون حيث أثبت الجميع انه علم قديم حديث كان يمارس منذ خمسة آلاف عام ثم أعيد مرة أخرى اكتشافه ليقدم من خلاله أفضل هدية للإنسان. وهذا العلم قادر على إعادة توازن الطاقة عند الإنسان مرة أخرى، وقد يصاب البعض بالدهشة إذا علم أن هذه التجارب لا تنطبق فقط على المبصرين من البشر بل على مكفوفي البصر أيضا، حيث وجد من خلال التجارب التي أجريت أن

• لترددات الطاقة التي تتولد داخل أجسامهم المقدرة على إعادة التوازن لديهم مرة أخرى. فاللون هو الطاقة ولهذا استخدم الباحثون العلماء طرقاً عديدة لإعادة التوازن باستخدام طاقة الألوان.فالعلاج بالألوان علاج كلي وله أثر على المستوى الجسدي والعقلي والعاطفي والرحي والشعوري. و ذلك من خلال الطاقات السبعة الا وهي الأحمر- البرتقالي- الأصفر- الأخضر- الأزرق- الأزرق النيلي- البنفسجي. فلكل لون ميزة وتأثيرة الخاص به والذي يساعد الأطباء على أن يقوموا بمعالجة المريض لتحسين التوازن لديه وإعادته مرة أخرى.

٧) استطاع الأطباء معالجة بعض أنواع من الأمراض قد تكون خطيرة على المجتمع مثل السلوك العدواني أو مرض (هوس السرقة) أو (التوتر العصبي) الشديد.أو (الانتحار) وذلك من خلال تغيير أسلوب حياتهم وأيضاً بمساعدة أصحاب المحلات الذين يشكون من (السرقة) الزائدة لديهم بتغيير ألوان حوائط المحلات .وكان لهذا التغيير نتائج رائعة حيث تم تقليل حوادث السرقة في المحلات وينطبق هذا التصرف على كل المشاكل التي يواجهها المجتمع حوله من أفعال قد تكون لا أخلاقية ونتائجها سلبية عليه.

وظهر هذا كما سبق ووضحنا في حالات الانتحار المتزايدة وفي حالة التوتر التي قد تصيب ركاب الطائرة نتيجة ألوان جدرانها الداخليه غير المناسبة وأيضاً استخدام الألوان في تقليل الوزن أو زيادته وما يترتب على ذلك من نتائج كان لها أفضل الأثر على أصحابها ومن كانوا يشكون من هذه المشكلات والحقيقة أننا ندين لهذا العلم بالكثير لما قدمه من خدمات جليلة للأفراد وللمجتمع أيضاً.

قائمة المصادر والمراجع

* أولاً: المصادر :
  (أ) المترجمة إلى العربية
  (ب) الأجنبية
* ثانيا: المراجع العربية.
* ثالثاً:المراجع الأجنبية.
* رابعاً: معلومات المستقاة من شبكة المعلومات.

أولاً : المصادر :

(أ) <u>المصادر المترجمة إلى العربية:</u>

(١) أرسطو طاليس. كتاب النفس نقله إلى العربية د/ أحمد فؤاد الأهواني راجعه على اليونانية الأب جورج شحاتة قنواتي [دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٩٤٩].

(٢) ______. طباع الحيوان. ترجمة يوحنا بن البطريق حققه وشرحه وقدمه له د / عبد الرحمن بدوى [وكالة المطبوعات – الكويت – ١٩٧٧].

(٣) ______. فى كون الحيوان من كتاب الحيوان ترجمه من اليونانية إلى العربية نسبت إلى يحيى بن البطريق حققها وقدمهاله ا يان بروفمان، يوان دروسارت لولوفس [مؤسس دى خوى – ليدن – ١٩٧١].

(٤) أفلاطون. ثيانيتوس أو عن العلم. ترجمة: د/ أميرة حلمى مطر [الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٣].

(٥) ______ الجمهورية. ترجمة: د/ فؤاد زكريا. راجعها على الأصل اليونان: د/ محمد سليم سالم [المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر– دار الكاتب العربى للطباعة والنشر– القاهرة – ١٩٦٨].

(٦) ______ الطيماوس واكريتيس. ترجمة:الأب فؤاد جرجى بربارة تحقيق وتقديم البيريفو [منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى– دمشق – ١٩٦٨].

(٧) ـــــــــــ القوانين. ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية. دتيلور. نقله الى العربية:

محمد حسن ظاظا [الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٦].

(٨) فلو طرخس بن أو طوبولس – فى الآراء الطبيعية التى ترضى بهـــا الفلاسفة ضمن كتاب أرسطو طاليس فى الـــنفس مـــع الآراء الطبيعيـــة المنسوب إلى فلوطرخس والحاس والمحـــسوس لابـــن رشـــد والنبـــات المنسوب إلى أرسطو طاليس. ترجمة قسطا بن لوقا تحقيق/ عبد الرحمن بدوى –. المقالة الأولى (ما الطبيعة) [مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٤].

(ب) الأجنبية :

(1) Aristotle Degeneration Animalium Translated by Arthur plat in works of Aristotle translate under the editor ship of sir Davidross Volume (5) [At the Clarendon press - London- 1972].

(2) Plato.meno, Dialogues of plato. Translated by .b.Jowelt in (5) vol. [At the Clarendon press - London - 1892].

(3) ------------ Philippus, Dialogues of plato, translated by. B. Jowelt. In (5) vol. [at the clarendon press London - 1892].

(4) ---------- Timaeus. Dialogues of plato, translated by. B. Jowelt. In (5) vol. [at the Clarendon press London - 1892].

ثانياً: المراجع العربية:

(١) على سامى النشار وآخرون: ديموقريطس فيلسوف الذرة فى الفكـــر الفلـــسفى حتـــى عصورنا الحديثة [الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية – د ت].

(٢) فارس مترى ظاهر – [الضوء واللون (بحث علمى وجمالى) دار القلم – بيـــروت – لبنان – ١٩٧٩]

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

(1) G.A. Agoston , colour theory and t Application in art design [Springer Velag. Berlin Inc. New York. 1979].

(2) Michel. Lou, light the shape of space designing with space and light [International Thomson publishing Inc. New York - 1996].
(3) Pile. F. John. Interior design.[harry. N. Abrams. Inc. New York. 1992].
(4) Pile. F. John. Interior design [harry. N. Abrams. Inc. New York. 1995].
(5) Willrd. F. Pellman, science design stage lighting sound, custume, nakeup.[Harber and Row publishar s. Inc. New York. 1983].
(6) W. Oren. Parker and Harvey. K. smith, scene Design and stage lighting (fouruth E dition) Holtrine hart and Winston . Inc. New York. 1974].

رابعاً: المعلومات المنتقاة من شبكة الإنترنت:

(١) البيئة العلمية فى القرآن والسنة. www.55a.net
(٢) البرمجة اللغوية العصبية. www.nlpnote.com
(٣) التأثيرات النفسية للألوان. www.mohd Kottob.5u.com.
(٤) رحلة سعيدة www.life journey.com.sa.
(٥) استعمال اللون فى العمارة إنجاز إسلامى محض www.balagh.com
(٦) استخدام سوزان تشاكراسى للألوان فى علاج الجسم. www.colour Therapy healing.com
(٧) العلاج عن طريق الطاقة. www.soothing minds.co. uk
(٨) الألوان وتأثيرها على المزاج الشخصى والسلوك. www.al-watan.com
(٩) ألوان يعشقها الرجل www.m2unk.com
(١٠) العلاج بالألوان. www.bafree.net
(١١) الواحة. www.khayma.com
(١٥) كيف تعمل السيكولوجيا الملونة. www.colouaffects.co.w4
(١٦) لكل مرض لون مهم يسهم فى شفاؤه. www.suhuf.net.sa

(١٧) لغة الألوان. www.arabinow.com

(١٨) موقع الفن التشكيلى لدى العرب. www.fine art 4 arab.net

(١٩) ملابس تعكس شخصيتك (من حيث الألوان). www.kifee.com

(٢٠) معانى الألوان وقواعد استخدامها. www.qshomali beth lehem.edu

(٢١) ما هى الطاقة بايوجيومترى. www.bigemetry.info

(٢٢) مجلس عنيزة . منتديات طبيعى.مصر – الكلمة الطيبة. www.onaizah.com

(٢٣) www.tabeebe.com

(٢٤) www.colour matters.com

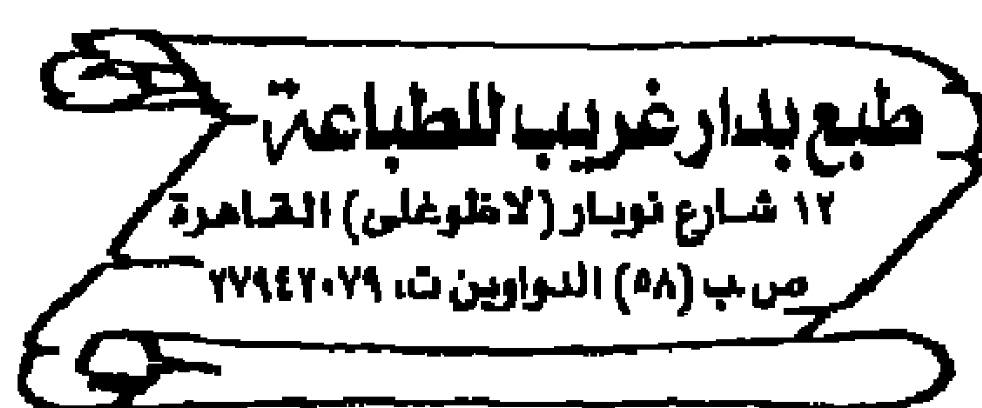
(٢٥) www.colour system.com

(٢٦) www.chakra colour therpy.com

(٢٨) www.dhofari.com

(٢٩) www.egyptsons.com

رقم الإيداع ٦٨١٥


طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت: ٧٩٤٢٠٧٩

